



٤٨٤

رَضَا الشَّيْخِ الْكَبِيرِ

فِي مَنَاجِيزِ حَقِيقَةِ

سَيِّدِ السَّلَاحِ بْنِ إِدْمَانَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَأليف

الْعَلَّامَةِ الْأَرَبِيِّ وَالْفَائِزِ الْأَدِيبِ

الْمُتَمَيِّزِ عَلِيِّ بْنِ إِدْمَانَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَبَيَّنَ السَّلَاحُ

مُفَضَّلٌ

مُؤَنِّسَةُ الشَّيْخِ الْأَمِينِ

الْقَائِمَةِ بِحَقِّهَا وَالْمُعْتَمِدَةِ عَلَى يَدَيْهِ الْمُعْتَمِدَةِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



رياض السالكين (ج ٤)
في شرح
صحيفة سيّد الساجدين (ع)

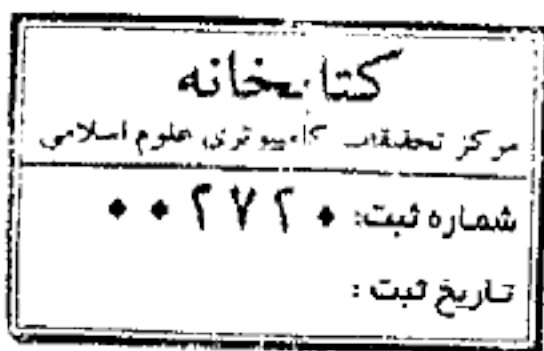
- العلامة الأديب السيّد علي خان المدنيّ الشيرازي
- فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأميني
- معارف إلهية
- ٦ أجزاء
- ٥٣٦
- مؤسسة النشر الإسلامي
-
-
-

- المؤلف:
- المحقق:
- الموضوع:
- عدد الأجزاء:
- عدد الصفحات:
- طبع ونشر:
- الطبعة:
- المطبوع:
- التاريخ:

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرقة



٤٨٤



رِیَاضُ السَّالِکِیْنِ فِي

شَرْحِ صَحِيفَةِ سَيِّدِ السَّاجِدِیْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَّامَةُ الْأَرِیْبُ وَالْفَاضِلُ الْأَدِیْبُ

السَّیِّدُ عَلِیُّ خَانَ الْحُسَيْنِیِّ الْحَسَنِیِّ الْمَدَنِیِّ الشِّیرَازِیِّ

قَدْ سَمِعْتُهُ

۱۰۵۲-۱۱۲۰ هـ

الْجُزْءُ السَّابِعُ

مَوْسَسَةُ النَّشْرِ الْإِسْلَامِیِّ

الَّتَابِعَةُ بِجَمَاعَةِ الْمُدَرِّسِیْنَ بِمَعْمُ الْمَشْرِقَةِ



الروضة الثالثة والعشرون



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَشَكَرَهَا

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْإِسْمِ عَافِيَتِكَ وَجَلِّ لِي عَافِيَتَكَ وَجَسِّجِي
بِعَافِيَتِكَ وَأَكْرِمْ فِيَّ بِعَافِيَتِكَ وَأَغْنِنِي بِعَافِيَتِكَ وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَافِيَتِكَ
وَهَبْ لِي عَافِيَتَكَ وَأَفْرِشْ لِي عَافِيَتَكَ وَأَصْلِحْ لِي عَافِيَتَكَ وَلَا تَقِرْ
بَيْنِي وَبَيْنَ عَافِيَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ
عَافِي عَافِيَةٍ كَافِيَةٍ شَافِيَةٍ عَالِيَةٍ نَامِيَةٍ عَافِيَةٍ تُولِدُ فِي يَدِي
الْعَافِيَةَ عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَمِّنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ
فِي دِينِي وَبَدَنِي وَبَصِيرَتِي فِي قَلْبِي وَالنِّقَازِ فِي مَوْرِي وَالتَّخْشِيعِ لَكَ وَ
التَّخَوُّفِ مِنْكَ وَالْقُوَّةِ عَلَى مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَالْإِجْتِنَابِ لِمَا
هَيَّبْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ اللَّهُمَّ وَأَمِّنْ عَلَيَّ بِالنَّجَى وَالْعَمْرَةِ وَذِيَارِ الْفَقْرِ
رَسُولِكَ صَلِّ عَلَىكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَآلِ
رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي فِي عَامِي هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ وَ
اجْعَلْ ذَلِكَ مَقْبُولًا مَشْكُورًا مَذْكُورًا لَدَيْكَ مَذْخُورًا عِنْدَكَ وَمَانِقًا
بِحَدِّكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ لِسَانِي وَاشْرَحْ لِي رَأْسِي
دِينِكَ قَلْبِي وَأَعِزَّنِي وَدُرِّبْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَمِنْ سَرِّ السَّامَةِ وَ

الْهَامَّةِ وَالْعَامَّةِ وَاللَّامَّةِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ
 سُلْطَانٍ عَنِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُنْزِفٍ خَفِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعِيفٍ شَدِيدٍ
 وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَرِيفٍ وَضَعِيجٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَرِيبٍ وَ
 بَعِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلَا هُلَّ بَيْنَهُ حَرْبًا مِنَ الْجَنِّ وَالنَّاسِ
 وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ اخِذُ بِنَاصِيذِهَا إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اللَّهُمَّ
 صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَصْرِفْهُ عَنِّي وَادْحَرْ عَنِّي مَكْرَهُ
 وَادْرَأ عَنِّي شَرَّهُ وَرُدِّ كَيْدَهُ فِي نُحُورِهِمْ وَاجْعَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَدًّا حَتَّى
 تُعْمِيَ عَنِّي بَصَرَهُ وَتُضْمَعَ عَنْ ذِكْرِ سَمْعَهُ وَتُقْفَلَ دُونِ إِخْطَارِي
 قَلْبَهُ وَتُخْرِسَ عَنِّي لِسَانَهُ وَتَقْمَعَ رَأْسُهُ وَتُذَلَّ عِزُّهُ وَتُكْسَرَ جَبْرُوتُهُ
 وَتُذَلَّ رَقَبَتُهُ وَتَفْشَخَ كِبَرُهُ وَتُؤْمِنَنِي مِنْ جَمِيعِ ضَرَرِهِ وَشَرِّهِ وَغَمَزُورِهِ
 هَزْزِهِ وَلَمَزِهِ وَحَسَدِهِ وَعَدَاوَتِهِ وَحَبَائِلِهِ وَمَصَائِدِهِ وَرَجُلِهِ
 وَخَبِيلِهِ إِنَّكَ عَزِيزٌ قَدِيرٌ



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي إذا مرضت فهو يشفين، وإذا اضطرت فهو يكفين والصلاة والسلام على رسوله أشرف المرسلين، وعلى أهل بيته عصمة المتوسلين. وبعد فهذه الروضة الثالثة والعشرون من رياض السالكين، تتضمن شرح الدعاء الثالث والعشرين، من صحيفة زين العابدين وسيد الزاهدين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملأء راجي فضل ربه السني، علي صدرالدين الحسيني الحسيني، شفاه الله وكفاه، ومنّ عليه بالعفو والعافية والمعافة.

شرح الدعاء الثالث والعشرين

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا سَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَشُكْرَهَا.

العافية: اسم من عافاه الله معافاة أي: أصحّته ومحيّ عنه الأسقام.
وقال الجوهري: وتوضع موضع المصدر ويقال: عافاه الله عافية (١).
وفي القاموس: العافية: دفاع الله عن العبد، عافاه الله من المكروه ومعافاة
وعافية: وهب له العافية من العلل والبلايا (٢)، إنتهى.
وقال الفيومي: هي مصدر جاءت على فاعلة، ومثلها ناشئة الليل بمعنى نشؤ
الليل (٣).

والخاتمة: بمعنى الختم.

والعافية: بمعنى العقب، وقال بعضهم: إطلاق العافية، ونحوها من المصادر التي
جاءت على فاعلة، على المصدر من باب المجاز اللغوي، وهو استعمال اللفظ في غير
ما وضع له.

قال بعض العلماء: العافية متناولة لدفع جميع المكروهات في النفس والبدن،
والظاهر والباطن، وفي الدين والدنيا والآخرة.

وفي الحديث ما سأل الله شيئاً - يعني النبي صلى الله عليه وآله - أحب إليه من
أن يسأل الله العافية (٤)؛ وذلك لأنه لفظ جامع لأنواع خير الدارين.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٦٤.

(٤) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٣٥ ح ٣٥١٥.

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٤٣٢.

(٣) المصباح المنير: ص ٥٧٢.

قال صلوات الله عليه:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْبُسْنِي عَافِيَتِكَ، وَجَلِّلْنِي عَافِيَتِكَ،
وَحَصِّنِي بِعَافِيَتِكَ، وَأكْرِمْنِي بِعَافِيَتِكَ، وَأَغْنِنِي بِعَافِيَتِكَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ

وإيقاع الشكر على العافية مجاز عقلي؛ لكونها سبباً فيه، والأصل: وشكره عليها*.
ألبسته الثوب فلبسه.

وجلّله: غطاه، وهو من جلّل المطر الأرض إذا عتمها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا
غطى عليه. ويتعدى إلى الثاني بنفسه وبالباء، فيقال: جلّله إتياء وجلّله به، ومن
الأول ما روي: جلّلهم الله خزيماً (١).

وحصّن نفسه وماله تحصيناً وأحصننه إحصاناً: منعه وحفظه كأنه أدخله
الحصن، وهو المكان الذي لا يقدر عليه لا ارتفاعه.

والإكرام: يكون بمعنى الإعزاز والتعظيم، ويكون بمعنى التنزيه.

قال في القاموس: أكرمه وكرمه: عظّمه ونزّهه (٢).

ومنه أنا أكرمك عن كذا أي: أنزهك عنه.

والإغناء: إمّا من الغنى بالكسر والقصر بمعنى الثروة والجدة، أو من الغناء
بالفتح والمد بمعنى الكفاية. وقيل: هما بمعنى، وهو ضد الفقر.

وتصدّق على الفقراء بكذا: أعطاهم صدقة، وهي العطية يبتغي به المثوبة من الله.
والمراد بالتصدّق هنا مطلق العطاء دون قيد ابتغاء الثواب، من باب إطلاق
الخاص على العام والمقيّد على المطلق مجازاً، وآثر التعبير بالتصدّق نظراً إلى فقره
وغناه تعالى، من حيث إنّ الصدقة إنما تكون للفقراء من الغني، وفيه شاهد على
جواز إطلاق التصدّق على عطائه تعالى خلافاً لمن منع ذلك.

قال النظام النيسابوري في تفسيره: منع العلماء أن يقال لله تعالى: متصدّق، أو

بِعَافِيَّتِكَ ، وَهَبْ لِي عَافِيَّتَكَ ، وَأَفْرِشْنِي عَافِيَّتَكَ وَأَصْلِحْ لِي عَافِيَّتَكَ ،
وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَافِيَّتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللهم تصدق علينا؛ بل يجب أن يقال: اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني؛ لأن
الصدقة يرجى بها المثوبة عند الله (١)، وهو مستحيل في حقه جل شأنه. وإذا ورد
ذلك في كلام المعصوم عليه السلام فلا عبرة بكلام غيره.

ووهبت لزيد مالاً: ملكته إياه بلا عوض.

وأفرشت زيدا إفراشاً وفرشته فرشاً: بسطته له، والرواية في الدعاء وردت
بالوجهين.

وأصلحت الشيء: أزلت فسادَه وجعلته منتفعاً به.

وفرقت بين الشيئين تفريقاً: مبالغة في فرقت بينهما - من باب قتل - أي:

فصلت، هذا ما عليه الجمهور.

وقال ابن الأعرابي: فرقت بين الكلامين فافترقا مخفف، وفرقت بين العبدین

فتفرقا مثقل فجعل المخفف في المعاني والمثقل في الأعيان (٢).

والذي حكاه غيره أنها بمعنى، والثقل مبالغة.

واعلم أن قوله عليه السلام: «ألبسني عافيتك وجللني عافيتك»، ونحوه من

الأفعال التي لا يتعلق معناها الحقيقي بالعافية، من باب الاستعارة، وهي إما

استعارة تبعية نحو: قتل البخل وأحى السامحاً، أو مكنية مرشحة، ولا يبعد جعلها

من باب الاستعارة التمثيلية، كما تقدم التنبيه عليه في نظير ذلك.

وإنما كرر لفظ العافية بسؤالها بأنواع الطلب، ووضع الظاهر موضع المضمرة فيما

سوى الفقرة الأولى؛ لمزيد العناية والاهتمام بشأنها، وقرعاً لباب الإلحاح المندوب

إليه في الدعاء، وتلذذاً للتلفظ باسمها، وبسطاً للخطاب حيث الإصغاء مطلوب.

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٣٥٩. (٢) المصباح المنير: ص ٦٤٣.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً
نَامِيَةً، عَافِيَةً تُؤَلِّدُ فِي بَدَنِي الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ويحتمل تخصيص كل لفظ منها بمعنى؛ لأنها لفظ جامع لخيرات الدارين، بأن
يقال: وألبسني عافيتك من المرض البدني؛ لأن الإلباس للثواب المخصوص للبدن.
وجللني عافيتك: من الفضيحة؛ بدليل التجليل الذي هو بمعنى التغطية والستر.
وحصّني بعافيتك: ممّن يريدني سوء؛ بقرينة التحصين.
وأكرمني بعافيتك: من الذلّ والمهانة أو من المعائب والقبايح؛ بدليل الإكرام
بمعنى التعظيم أو التنزيه.

وأغنني بعافيتك: من الفقر والحاجة؛ بدليل الإغناء.
وتصدق عليّ بعافيتك: من الاضطرار إلى صدقة غيرك.
وهب لي عافيتك: من الاحتياج إلى هبة غيرك.
وأفرشني عافيتك: أي مهادها من الخوف، كما يقال: أفرشه مهاد أمنه.
وأصلح لي عافيتك: الحاصلة عندي التي قد أفسدها المرض ونحوه.
ولا تفرّق بيني وبين عافيتك: العاقبة في أمور الدنيا والآخرة *.
عافية: منصوب على المفعولية المطلقة، مبين لنوع عامله لكونه موصوفاً.
وكافية: صفة له.

وشافية ومابعده: يحتمل الوصفية والحالية.

وعافية الثانية: بدل من عافية الأولى بدل كلّ، وفائدتها التأكيد والتنصيص
على أن العافية الموصوفة بالصفات المذكورة هي العافية التي تولّد في بدني العافية.
وقوله: «عافية الدنيا والآخرة» بدل من العافية بدل الكلّ أيضاً، وهو في
الموضعين في حكم تكرير العامل؛ من حيث إنه المقصود بالنسبة، مفيد لمتبوعه مزيد
تأكيد وتقرير وإيضاح وتفسير، كما هو شأن بدل الكلّ من الكلّ.
ومعنى كونها كافية أي: مغنية عن الأطباء، أو عن سؤال عافية أخرى معها.

وَأَمْنٌ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ فِي دِينِي وَبَدَنِي، وَالْبَصِيرَةِ

وشافية: أي معدلة للأخلاق؛ فإن معنى الشفاء، رجوع الأخلاق إلى الاعتدال، أو مزيلة للأمراض من شفى الله المريض إذا أصحّه. وعالية: أي رفيعة لاتناها الأسقام والعلل، أو عالية للمرض قاهرة له، من علافلان فلاناً إذا غلبه وقهره.

ونامية: أي زائدة كثيرة، من نَمى الشيء ينمي - من باب رمى - نماء بالفتح والمد في لغة، ينمو نمواً - من باب قعد - أي: زاد وكثر. وتولد: أي تنشأ، من تولد الشيء عن غيره أي: نشأ عنه.

والألف واللام في العافية للجنس باعتبار تحققه في ضمن جميع أفراد، وهو المعبر عنه بالاستغراق الحقيقي؛ ولهذا أبدل منها قوله: «عافية الدنيا والآخرة»؛ توضيحاً وتفسيراً للشمول المقصود من تعريف العافية، والمعنى تولد في بدني كل عافية دنيوية وأخروية.

أولاستغراق خصائص الأفراد، أي: العافية الكاملة في معناها، نحو: هو الرجل أي: الكامل في الرجولية، ويكون قوله: «عافية الدنيا والآخرة» لبيان أن العافية الكاملة هي الدنيوية والاخروية، والمراد بالأخروية العافية والسلامة من مضار الآخرة وآفاتهما. ولا ينافيه قوله: «في بدني»؛ لأن الأعمال الحاصلة للإنسان التي تكون سبباً للسلامة من أهوال الآخرة ومضارها، إنما تحصل عن هذا البدن وتستفاد بواسطته، والله أعلم.

الصحة: البرء من المرض، والبراءة من كل عيب.

وقال الفيومي الصحة في البدن حالة طبيعية تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي، وقد استعيرت للمعاني، فقيل: صحت الصلاة إذا اسقطت القضاء، وصح العقد إذ ترتب عليه أثره، وصح الخبر إذا طابق الواقع (١).

في قلبي، والنفاذ في أموري، والخشية لك، والخوف منك، والقوة على ما أمرتني به من طاعتك، والاجتناب لئلا نهيتني عنه من معصيتك.

وقال بعضهم: الصّحة حالة أو ملكة تصدر بها الأفعال عن موضعها سليمة، وهي عند الفقهاء عبارة عن كون الفعل مسقطاً للقضاء في العبادات، أو سبباً لترتب ثمراته المطلوبة منه عليه شرعاً في العبادات، وبإزائه البطلان.

وقيل: هي استتباع الغاية، وبإزائها البطلان والفساد.

والأمن: عدم توقع مكروه في المستقبل.

والسلامة: الخلو من الآفات.

ودان بالإسلام ديناً بالكسر تعبد به.

والبدن في اللغة: من الجسد ما سوى الرأس والأطراف.

وقيل: هو ما سوى المقاتل. والمراد به هنا جميع الجسد.

والبصيرة: قوة القلب المتور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، وهي

بمثابة البصر للنفس ترى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي تسميها الحكماء:

العاقلة النظرية والقوة القدسية.

ونفذ في الأمر والقول - من باب قعد - نفوذاً ونفاذاً: مضى، وأمرُ نافذ أي:

ماض مطاع. وأصله من نفذ السهم إذا خرق الرمية وخرج منها.

والخشية: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل.

والخوف: بمعناها. وهما يكونان تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة

جلال الله سبحانه وهيئته، وخشية الأنبياء والأئمة وخوفهم من هذا القبيل.

وقال بعضهم: لا يكاد اللغوي يفرق بين الخوف والخشية، ولا شك أن الخشية

أعلى منه وهي أشد الخوف؛ فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي: يابسة

وهي فوات بالكلية، والخوف من ناقة خوفاء: أي بها داء، وهو نقص وليس بفوات؛

ولذلك خصت الخشية بالله في قوله تعالى: «يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ

الحساب» (١).

وفرقَ بينهما أيضاً بأنَّ الخشية تكون من عظم المحشي وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً، ويدلّ لذلك أنَّ الخفاء والشين والياء في تقاليبها تدلّ على العظمة، نحو شيخ؛ للسيد الكبير، وخيش؛ لما غلظ من اللباس؛ ولذا وردت الخشية غالباً في حقّ الله «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (٢)، إنتهى.

وقد تقدّم في الروضة السادسة عشرة كلام للمحقّق الطوسي طاب ثراه في الفرق بين الخوف والخشية، فليرجع إليه (٣). قال بعض العارفين: إذا احترقت جميع الشهوات بنار الخوف، ظهر في القلب الذبول والخشوع والانكسار، وزال عنه الحقد والكبر والحسد، وصار كلّ همّه النظر في خطر العافية، فلا يتفرّغ لغيره، ولا يصير له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والاحتراز من تضييع الأنفاس والأوقات، ومواخضة النفس في الخطوات والخطرات، وأما الخوف الذي لا يترتب عليه شيء من هذه الآثار، فلا يستحقّ أن يطلق عليه اسم الخوف، وإنما هو حديث النفس (٤).

وهذا قال بعض أرباب القلوب: إذا قيل لك: هل تخاف الله، فاسكت عن الجواب؛ فإنّك إن قلت «لا» كفرت، وإن قلت: «نعم» كذبت (٥) والقوة: تمكّن الحيوان من الأفعال الشاقة، ولا يبعد أن يكون المراد بها هنا الجِدّة والعزيمة، كما فسّره قوله تعالى: «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» (٦)، أي: بعزيمة وجدّ غير

(١) سورة الرعد: الآية ٢١. (٢) سورة فاطر: الآية ٢٨. (٣) ج ٣، ص ١٣٠.

(٤) المحبّة البيضاء: ج ٧ ص ٢٧٠، وأحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٥٧.

(٥) حياة القلوب في هامش قوت القلوب: ج ٢ ص ١٩٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٦٣ و٩٣، وسورة الاعراف: الآية ١٧١.

اللَّهُمَّ وَآمِنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَآلِ رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، فِي عَامِي هَذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مَقْبُولًا مَشْكُورًا مَذْكُورًا لَدَيْكَ، مَذْخُورًا عِنْدَكَ .

متكاسلين ولا متغافلين.

وعن الصادق عليه السلام: أن المراد بها قوة الأبدان والقلوب جميعاً (١).
والاجتناب: مطاوع جتبه الشر جنوباً - من باب قعد: أبعدته ونجته عنه فاجتنبه، ومنه «وأجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام» (٢).
وجتبه بالتثقيل مبالغة، فتجنبه هو، ومعنى مته تعالى عليه بالاجتناب لما نهاه عنه من المعاصي، حسم أسبابها وعدم الإعداد لها، والله أعلم .
الحج لغة: القصد، حج حجاً - من باب قتل -: قصد فهو حاج، وقيل: هو القصد إلى الشيء المعظم.

وشرعاً: قصد بيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة، والاسم الحج بالكسر.
والعمرة: اسم من الاعتمار، وهو لغة: الزيارة أخذاً من العمارة؛ لأن الزائر يعمر المكان بزيارته.

وشرعاً: زيارة بيت الله الحرام بعمل مخصوص، وهي واجبة عندنا مثل الحج، وبه قال الشافعي في الجديد، وتسمى الحج الأصغر.
روى ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة، فقالوا: يا آدم برحمتك، أما أنه قد حججنا هذا البيت قبل أن تحججه بألفي عام (٣).

(١) مجمع البيان: ج ١-٢، ص ١٢٨. (٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٥. (٣) الكافي: ج ٤ ص ١٩٤ ح ٤.

وقد ورد في فضل الحج والعمرة وثوابها من الأخبار ما لا يحصى، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحجّة ثوابها الجنة، والعمرة كفارة لكلّ ذنب (١).

وعنه عليه السلام: ضمان الحاج والمعتمر على الله، إن أبقاه بلغه أهله وإن أماته أدخله الجنة (٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينقيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد (٣).

وعنه عليه السلام: الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفّعوا شفّعهم، وإن سكتوا ابتدأهم ويعوّضون بالدرهم ألف درهم (٤).

ولما كان من المستحبات المؤكدة أن يحتم الحاج حجّته بالورود إلى المدينة المشرفة، لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وزيارة أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، سأل عليه السلام ذلك بقوله: «زيارة قبر رسولك إلى آخره».

روى أبو حنيفة الأسلمي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنني في المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة (٥).

ومن الأخبار المستفيضة عنه صلى الله عليه وآله: من حجّ ولم يزرنني فقد جفاني (٦).

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٣.

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٤.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٥ ح ١٤.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٥ ح ١٢.

(٥) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨ ح ٥.

(٦) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٨٩ أبواب المزار باب ٢ ح ١.

وبسنده صحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: ابدأوا بمكة واختموا بنا (١).
وعن المعلّى أبي شهاب قال: قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتا ما من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه (٢).

قال شيخنا الشهيد قدس سره في كتاب الدروس: يستحب للحاج وغيرهم زيارة النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة استحباباً مؤكداً، ويجبر الامام الناس على ذلك لو تركوه؛ لقوله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً أو معتمراً ولم يزرنى جفوته يوم القيامة، الحديث (٣).

قوله عليه السلام: «صلواتك عليه ورحمتك وبركاتك عليه وعلى آله» جملة دعائية معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لا محل لها من الاعراب. والصلاة من الله قيل: المغفرة والرحمة، وقيل: الثناء، وقيل: الكرامة.

والمراد برحمته تعالى: رحمته التي وسعت كل شيء، واستتبع كل خير، وبركاته: خيراته النامية الفائضة منه بواسطة رحمته، المستتبعة لكل خير، الواسعة لكل شيء.

قال بعضهم: إضافة البركات إليه تعالى باعتبار أن البركة، سواء كانت بمعنى الزيادة أو بمعنى الكثرة أو بمعنى الخصب، ناشئة من الله تعالى وكأنه بإعطائه. وأتى بالبركات بصيغة الجمع دون الرحمة اقتفاءً لقوله تعالى حاكياً عن ملائكته الكرام: «قالوا: أتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» (٤).

(٣) الدروس: ص ١٥١.

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٥٠ ح ١.

(٤) سورة هود: الآية ٧٣.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨ ح ٤.

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بقوم فسلم عليهم، فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال: لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (١).

واعلم أن في أكثر النسخ المستفيضة لفظة «عليه» بعد الصلوات وبعد البركات، فهما جملتان متعاطفتان، أي: صلواتك مستقرّة عليه ورحمتك وبركاتك مستقرّة عليه. وفي نسخة ابن إدريس لفظة «عليه» بعد البركات فقط، فهي جملة واحدة.

قوله عليه السلام: «وآل رسولك عليهم السلام» عطف على قبر رسولك، أي: وزيارة قبور آل رسولك. وحذف المضاف للعلم به ولدلالة ما تقدّم عليه. روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: أن لكلّ امام عهداً في عنق شيعة وأوليائه، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فن زارهم عليهم السلام رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أثمتهم شفاعتهم يوم القيامة (٢).

وعن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كمن زار الله عز وجل فوق عرشه، قال: قلت: فما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله (٣).

قوله عليه السلام: «أبداً ما أبقيتني في عامي هذا وفي كلّ عام». الأبد: الدهر الطويل، وقيل: الدهر الطويل: لاحتد له، ونصبه على الظرف أي: دهرأ طويلاً، وهو متعلّق بامن، وما قيل: من احتمال كونه ظرفاً للسلام من قوله: «عليهم السلام»، ليس بشيء.

(١) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ١٨٠. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٧ ح ٢. (٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٨٥ ح ٥.

و«ما» من قوله: «ما أبقيتني»: مصدرية زمانية أي: مدة إبقائي، والموصول وصلته في موضع نصب، على أنه بدل أو عطف بيان من قوله «أبدأ». وقوله: «في عامي هذا» متعلق بما من، قيل: أو بأبقيتني. والعام: الحول، وهو في تقدير فعل بفتحتين؛ ولهذا يجمع على أعوام مثل سبب وأسباب.

وفي القاموس: العام: السنة (١)، وقد تقدم في الروضة الأولى عن ابن الجواليقي وصاحب التهذيب: أن العام أخص من السنة، وأن عدم الفرق بينهما غلط، (٢) فراجع.

وقوله: «هذا» صفة للعام بتأويل الحاضر.

وقال ابن السراج: هو بدل منه (٣).

وقال السهيلي: عطف بيان (٤) والأول هو الذي عليه الجمهور من البصريين ومحققوا المتأخرين.

قوله عليه السلام: «واجعل ذلك مقبولاً» إلى آخره، ذلك إشارة إلى المذكور من الحج والعمرة والزيارة، وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل.

والمقبول: المرضي لله أو المشاب عليه كما تقدم في معنى المقبول، ويحتمل أن يكون الطلب متوجّهاً إلى جعله من جملة الأعمال المقرونة بالإخلاص، فكأن يطلب القبول عن ذلك، فلا يرد أن طلب القبول يدل على أن العمل المقرون بالإخلاص

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٥٥.

(٢) المصباح المنير: ص ٥٩٩ - ٦٠٠.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) لم نعثر عليه.

وَأَنْطِقْ بِحَمْدِكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ لِسَانِي،
وَأُشْرَحَ لِمَرَاشِدِ دِينِكَ قَلْبِي.

لا يجب ترتب الثواب عليه وإلا لم يكن في طلبه فائدة.

والمشكور: المعامل معاملة ما يشكر عليه في حسن الجزاء.

قال العلماء: الشكر عبارة عن مجموع أمور ثلاثة: اعتقاد كون العامل محسناً في تلك الأعمال، والثناء عليه بالقول، والأتیان بأفعال تدلّ على كونه مطيعاً عند ذلك الشاكر، والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الأمور الثلاثة؛ لأنّه يعلم كونهم محسنين في تلك الأعمال، وأنّه يثني عليهم بكلامه، ويعاملهم المعاملات الدالّة على كونهم مطيعين عند الله.

وقيل: المشكور من الأعمال: المضاعف جزاؤه، المتجاوز عما فيه من الخلل والنقص.

والمذكور: الحال محلّ ما يذكر في تعلّق الثواب به وإظهار الرضا واستحقاق المنزلة والإكرام، وبإزائه المنسي المطرح الذي لا يعبأ به ولا يلتفت إليه. والمذخور: ما أعدّ لوقت الحاجة إليه، أي: اجعل ثوابه ذخراً وعدّة ليوم فاقتي إليه وهو يوم القيامة *.

أي: ألهم لساني النطق بذلك، وقد يراد بإنطاقه تعالى إقداره على النطق، كما في قوله تعالى: «قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ»، (١) وهذا المعنى ليس مراداً هنا، لأنّه واقع فلا فائدة في طلبه.

وشرح فلان أمره: إذا أظهره وأوضحه، ومنه شرح المسألة إذا بيّنها وفسرها وأوضح معناها، وشرح الله صدره للإسلام: وسعه لقبول الحقّ. ولا شك أن توسيع الصدر والقلب غير ممكن على سبيل الحقيقة، ولكنّه كناية عن جعل القلب قابلاً

للحق، مهيتاً لحلوله فيه، مصفى عما يمنعه وينافيه.

وقال النظام النيسابوري: إذا اعتقد الإنسان في عمل من الأعمال أن نفعه زائد وخيره راجح، مال طبعه إليه وقوى طلبه ورغبته في حصوله، وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله، فسميت هذه الحالة سعة الصدر، وإن حصل في القلب علم أو اعتقاد أو ظن يكون ذلك العمل مشتملاً على ضرر زائد ومفسدة راجحة، دعاه ذلك إلى تركه، وحصل في النفس نبوة عن قبوله، فيقال لهذه الحالة: ضيق الصدر؛ لأن المكان إذا كان ضيقاً لم يتمكن الداخل من الدخول فيه، وإذا كان واسعاً قدر على الدخول فيه، وأكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والإسلام، وقد ورد في الكفر أيضاً، قال تعالى: «ولكن من شرح بالكفر صدراً» (١).

قال أمين الإسلام الطبرسي: وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزل قوله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» الآية، سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن شرح الصدر ماهو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فيشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك من أمانة يعرف بها؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت (٢).

قال النيسابوري: وهذا البيان مناسب لما ذكرنا؛ فإن الإنابة إلى دار الخلود لا بد أن يترتب على اعتقاد أن عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافي عن دار الغرور إنما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضرر والضرر، والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الأمرين: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة (٣).

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ١٠٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٣٦٣.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ١٠٣.

وَأَعِزَّنِي وَذَرِّتِي، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَمِنْ شَرِّ السَّامَةِ وَالْهَامَةِ
وَالْعَامَةِ وَاللَّامَةِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ سُلْطَانٍ
عَنِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُشْرَفٍ حَفِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعِيفٍ وَشَدِيدٍ، وَمِنْ
شَرِّ كُلِّ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ
قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلَا هُلَّ بَيْتِهِ حَرْبًا،
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّكَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

والمرشد: جمع مرشد، وهو إما مصدر ميمي بمعنى الرشيد، كالمقصد بمعنى
القصد، وجمع باعتبار الأنواع، ومنه قول الزمخشري في الأساس: هو يهدي إلى
المرشد (١)، أو اسم موضع.

قال الجوهري: المرشد، المقاصد من الطرق (٢)، أي: الطرق المستقيمة؛ فإن
قصد الطريق هو استقامته.

والمعنى: اشرح قلبي لقبول مرشد دينك أي: هداياته، أو لسلوك مرشده أي:
طرقه المستقيمة، والله أعلم.

أي: أجزني بحفظك واعصمني.

وذرتني عطف على الضمير.

والرجيم: المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة، أولآنه يرمم بالكواكب؛
لقوله تعالى: «وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» (٣)، أو من رجته بالقول إذا شتمته
ورميته بالفحش؛ لأنه يسب ويشتم.

(١) أساس البلاغة: ص ٢٣٢.

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٤٧٤.

(٣) سورة الملك: الآية ٥.

والمستعاذ منه وسواسه وإغواؤه وجميع شروره، بل نفسه لأنه بذاته شريستعاذ منه.

وفي الدعاء اقتباس من قول امرأة عمران: «وإني أعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» (١).

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مسه، إلا مريم وابنها؛ فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (٢).

وقيل: معناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها، وقد تقدم الكلام على الذرية مبسوطاً في الروضة الرابعة (٣).
والسامة إذا قرنت بالهامة فالمراد بها ما يسم ولا يبلغ أن يقتل بسمه كالعقرب والزنبور.

والهامة: كل ذات سم يقتل كالحية، وإذا قرنت بالعامّة أو الخاصة فالمراد بها الخاصة، ومنه: من قال حين يمسي أو يصبح: أعوذ بك من شر السامة والخاصة ومن شر ما خلقت، لم تضره دابة، (٤) قال الزمخشري في الفائق: أي: الخاصة والعامّة.
قال العجاج:

هو الذي أنعم نعمي عمّت
على الذين أسلموا ومنمت (٥)

إنتهى.
والعامّة كما تطلق على العامّة تطلق على خاصة الرجل من أهله وولده، لكن

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٢) الدر المنثور: ج ٢ ص ١٩.

(٣) ج ٢ ص ١١٩.

(٤) و(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ٢٠٠.

عطفها على الساقمة عين كون المراد بها المعنى الأول، وقد تقع الهاقمة على ما يدب من الحشرات وإن لم يقتل.

واللازمة: كل ما يخاف من فزع وشرّ، أو المراد بها العين اللازمة أي: المصيبة بسوء، ومنه أعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة (١).
أي: ذات لم وهو طرف من الجنون، ولم يقل: ملّمة، وأصله من ألت لمشكلة ساقمة.

والمريد: العاتي.

قال في القاموس: مرد - كنصر وكرم - مروداً ومرادةً فهو مارد وتمرّد: أقدم وعتا، أو هو أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف (٢) إنتهى.
وقيل: هو المتجرّد للفساد، وأصله العرى المنبئ عن التخصّص له كالتشتر، ولعلّه مأخوذ من تجرّد المصارعين عند المصارعة.
وقيل: هو بمعنى الخالي من الخير، من قولهم: صخرة مرداء أي: ملساء، ومنه الأمرد.

وقيل: هو المتطاول في الشرّ والفساد، من قولهم: بناء ممرّد أي: متطاول متجاوز، والمراد إمّا إبليس وجنوده، أو رؤوس أهل الفساد والشرّ الذين يدعون من دونهم إلى النّي والضلال.

والعنيد: الجائر عن القصد الباغي الذي يرذّ الحق مع العلم به، فعيل من عند عن القصد عنوداً - من باب قعد - أي: جار، وقيل: هو من عند الغرق عنوداً - من باب نزل - إذا سأل وكثر ما يخرج منه فلم يرقأ.

(١) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١١٦٤ - ١١٦٥ ح ٣٥٢٥.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٣٧.

والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، الذي قد أترفه وأبطرته
النعمة وسعة العيش.

وقال ابن عرفة: المترف: المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه (١).

وفي القاموس: المترف: المتنعم لا يمنع من تنعمه، والجبار (٢).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: أترفته النعمة: أي أطغته، وأترفه: أي
نعمته (٣).

وفي الأساس: أترفته النعمة: أبطرته، وأترف فلان وهو مترف، وأعوذ بالله من
الإتراف والإسراف، واستترفوا تعفرتوا وطغوا، ولم أزل معهم في ترفة أي:
نعمة (٤).

والحفيد: فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في
خدمته، وأصله من حفد - من باب ضرب - أي: أسرع.

قال في الأساس: حفد البعير حفداً وحفوداً وحفدانياً: أسرع في سيره ودارك
الخطو، ومن المجاز: حفد فلان في الأمر واحتفد إذا أسرع فيه وخف في القيام به،
وحفدت فلاناً: خدمته وخففت إلى طاعته، ورجل محفود: مخدوم مطاع (٥).

وضعف عن الشيء - من باب قرب -: عجز عن احتماله فهو ضعيف. وشد
الشيء يشد - من باب ضرب -: قوى فهو شديد، والمراد: كلّ ضعيف وشديد جسمًا
ومعنى: وقدم الضعيف على الشديد؛ لرعاية السجع ولزيادة الاهتمام بالاستعاذة من
شره؛ فإنّ الشديد لشدة يكثر الاحتراز والتوقي شروره، بخلاف الضعيف فإنه
كثيراً ما يحتقر فلا يعبأ به لضعفه، فينفذ شره وهو مغفول عنه، كما قيل:

(٤) أساس البلاغة: ص ٦٢.

(٥) أساس البلاغة: ص ١٣٢.

(١) تاج العروس: ج ٦ ص ٤٩.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٢٠.

(٣) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٣١٣.

ولا تحتقر كيد الضعيف قريباً
وقال أبو عبيدة: العرب تقدم الأخس غالباً، يقولون: ربيعة ومضر وسليم وعامر، ولم يترك قليلاً ولا كثيراً (١).
والشريف: الماجد الرفيع القدر.
والوضع: الساقط لا قدر له، والمراد بالصغير والكبير: أما باعتبار السن، أو باعتبار المهانة والقدر.

وقال الفيومي: صغر في عيون الناس: ذهبت مهابته فهو صغير، ومنه يقال: جاء الناس صغيرهم وكبيرهم، أي: من لا قدر له ومن له قدر (٢).
والقريب والبعيد: إما باعتبار المسافة أو باعتبار النسب. ولك حمل كل من الألفاظ المذكورة على معنى مجازي عابث يكون كل واحد من المعاني المذكورة فرداً حقيقياً له.

ونصبت لزيد الحرب والعداوة: أثمتها وأظهرتها له، ومنه الناصب وهو معلن العداوة لعلّي عليه السلام وشيعته (٣).

قال في القاموس: النواصب والناصبية. وأهل النصب: المتدينون ببغضة علي عليه السلام؛ لأنهم نصبوا له أي: عادوه (٤).

والدابة: كل حيوان في الأرض، وخالف بعضهم فأخرج الطير من الدواب، ورّد بالسماع، وهو قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» (٥)، قالوا: أي خلق كل حيوان مميزاً كان أو غير مميز. وأما تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند الإطلاق فعرف طارئ. وتطلق الدابة على الذكور والأنثى، والجمع الدواب.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٣.

(٥) سورة النور: الآية ٤٥.

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) المصباح المنير: ص ٤٦٦.

(٣) مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٧٣.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهٖ، وَمِنْ اَرَادَنِيْ بِسُوءٍ فَاَصْرِفْهُ عَنِّيْ،
وَاَذْهَبْ عَنِّيْ مَكْرَهُهُ، وَاذْهَبْ عَنِّيْ شَرَّهُ، وَرُدِّ كَيْدَهُ فِيْ نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ
بَيْنَ يَدَيْهِ سُدًّا، حَتّٰى تُعْمِيَ عَنِّيْ بَصَرَهُ، وَتُصِمَّ عَنْ ذِكْرِيْ سَمْعَهُ،
وَتُقْفَلَ دُوْنَ اِخْطَارِيْ قَلْبُهُ، وَتُخْرَسَ عَنِّيْ لِسَانُهُ، وَتَقْمَعَ رَاسُهُ، وَتُذَلَّ
عِزُّهُ وَتَكْسِرَ جَبَرُوتُهُ، وَتُذَلَّ رَقَبَتُهُ، وَتَفْسَخَ كِبَرُهُ، وَتُؤْمِنَنِيْ مِنْ جَمِيعِ
ضَرِّهِ وَشَرِّهِ، وَغَمَزِهِ وَهَمَزِهِ وَلَمَزِهِ، وَحَسَدِهِ وَعَدَاوَتِهِ، وَحِبَائِلِهِ
وَمَصَائِدِهِ، وَرَجَلِهِ وَخَيْلِهِ، اِنَّكَ عَزِيزٌ قَدِيرٌ.

وقوله: «أنت آخذ بناصيتها» أي: مالك لها قادر عليها تصرفها كيف تشاء غير
مستعصية عليك، فإن الآخذ بالناصية تمثيل لذلك. وإنما خصت الناصية لحكم
الوهم بأنه تعالى في جهة فوق فيكون أخذه بالناصية؛ ولأنها أشرف ما في الدابة
فسلطانه تعالى على الأشرف يستلزم القهر والغلبة وتتمام القدرة، وقد تقدم معنى
الناصية في الروضة الحادية والعشرين عند قوله عليه السلام: «وفي قبضتك
ناصيتي»، والجملة في محل جر صفة لدابة، والوصف للتأييد والتعميم لا للتقييد
والتخصيص.

وقوله: «إني على صراط مستقيم» تعليل لما يدلّ عليه عموم طلب إعادته من
شرّ كل حيوان يذب على وجه الأرض حتى لا يكون له قدرة على إضراره، أي: إنك
على طريق الحق والعدل في ملكك، فلا تسلط عليّ شيئاً من ذلك؛ إذ لا يضيع
عندك معتصم بك. وفيه اقتباس من قوله تعالى: «إني توكلت على الله ربي
 وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم» (١) *.

الإرادة هنا: بمعنى القصد، أي: من قصدني بسوء وأن حملها على معنى نزوع
النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، فالكلام على حذف مضاف، أي: من

أراد إصابتي بسوء، لأنها بهذا المعنى لا تتعلق بالذوات. والباء: للاستعانة.
ونكر السوء مبالغة، أي: بشيء يسوئي، وكما يقال: أرادته بسوء يقال: أراد به
سوء، قال تعالى: «إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ يَضُرُّهُ» (١)، وقال: «وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا» (٢)،
فالباء في هذا للإصاق، أي: أرادوا الإصاق كيد به.

وصرفت الشيء صرفاً - من باب ضرب -: رددته، أي: فردّه عني.

ودحره دحراً ودحوراً - من باب منع -: طرده وأبعده ودفعه.

والمكر: إيصال مكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.

ودرأت الشيء درءاً بالهمزة - من باب نفع -: دفعته.

والكيد: إرادة مضرة الغير خفية.

والنحر: موضع القلادة من الصدر، وقد يطلق على الصدر، وردّ كيده في نحره

كناية عن رجوع كيده عليه وصرفه إليه، وإنما خصّ النحر لأنه أعظم المقاتل.

وبين يديه أي: قدّامه.

والسدّ بالفتح والضمّ: الجبل والردم والحاجزين الشئنين، وقيل: المضموم

ما كان من خلق الله كالجبل، والمفتوح ما كان من عمل بني آدم، وهو تمثيل لطلب

منعه عن وصوله إليه كالمسدود عليه طريقه.

وحثي: تعليلية، أي: كي تعمي عني بصره.

والعمى: عدم البصر عمّا من شأنه يبصر.

والصمّ: آفة مانعة من السماع، وأصله الصلابة واكتناز الأشياء، ومنه الحجر

الأصمّ والقناة الصمّاء، سمي به فقدان حاسة السمع؛ لما أن سببه اكتناز باطن

الصماخ وانسداد منافذه، بحيث لا يكاد يدخله هواه يحصل الصوت بتموّجه.

والخرس: البكم، وهو آفة في اللسان تمنع من الكلام. وليس المراد أن يحدث هذه الآفات ببصره وسمعه ولسانه، بل المراد أن يجعله غافلاً عنه، فلا يعمل ببصره وسمعه ولسانه في أمره بسوء، حتى كأنه أعماه وأصمّه وأخرسه؛ ولذلك قيده بقوله: «عني». وهذا عند مفلحي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه، كما في قول الشاعر:

ويصعد حتى يظنّ الجهول بأنّ له حاجة في السماء (١)
لا من قبيل الاستعارة التي يطوي فيها ذكر المستعارة له بالكليّة، حتى لو لم يكن هناك قرينة يحمل على المعنى الحقيقي، كما في قوله زهير:

لدي اسد شاكي السلاح مقذوف له لبد أظفاره لم تقلّم (٢)
وأقفلت الباب إفضالاً: وضعت عليه القفل بالضمّ، وهو الحديد الذي يغلق به الباب، فهو مقفل.

وخطر الشيء في باله وعلى باله خطراً وخطوراً: من بابي قعد وضرب: مرّ بفكره، وذلك إذا ذكره بعد نسيان، ومنه الخطر وهو ما يتحرك في القلب من رأي أو معنى، وأخطره إخطاراً: أمره بفكره.

ودون بمعنى: عند، أي: عند إخطاري، ومنه: من قتل دون ماله (٣). أي: عند ماله، أو بمعنى: قدام، أي: قدام إخطاري، ومنه: من قتل دون دينه (٤)، أي: قدامه، بأن قصد كافر أو مبتدع خذلانه في دينه أو توهينه فيه وهو يذب عنه كالحامي له. قاله الطيبي في شرح المشكاة (٥).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص ٤٣٤. والبيت منسوب إلى أبي تمام.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص ٤٣٤. منسوباً إلى زهير.

(٣) و (٤) الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٧٨.

(٥) لا يوجد لدينا كتابه.

وقعته قعاً - من باب منع -: ضربته بالمقمعة بكسر الأول، وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليزلّ وهان: قاله الفيومي في المصباح (١).
وفي القاموس: المقمعة كمكنسة: العمود من حديد أو كالحجج يضرب به رأس الفيل، وخشبة يضرب بها الإنسان على رأسه، الجمع مقامع، قعه كمنعه: ضربه بها وقهره وذلّله (٢)، إنتهى.
وفي المحكم: قع الرجل يقمعه قعاً: ضرب أعلى رأسه، والمقمع والمقمعة كلاهما ما قع به (٣) إنتهى.
والمراد بقمع الرأس هنا: القهر والإذلال والإهانة، أو الردع والكف، من قعه قعاً: ردعه وكفه. نصّ عليه في المحكم (٤).
وخصّ الرأس بالذكر لآنه مجمع الخواص ورئيس الأعضاء.
وذلّ ذلاً - من باب ضرب - والاسم الذلّ بالضم والذلة بالكسر والمذلة: إذا ضعف وهان، فهو ذليل.
والعزّ والعزة بكسرهما: الرفعة والامتناع والشدة والغلبة.
والجبروت بفتح الباء: الكبر والتعاضم والقهر، قيل: هو مصدر على زنة المبالغة؛ لأنّ الواو والتاء تزدان للمبالغة كالرهبوت والملكوت، والمراد بكسره: إضعافه وإذلاله.
والرقبة: العتق، فجعلت كناية عن جميع الذات، وقد مرّ بيانه فيما سبق.
وفسخ ثوبه - من باب منع - فسخاً: نزعه، والبيع: نقضه.
والكبر: الاسم من التكبر، وهو العظمة، ومثله الكبرياء.
وآمنه ممّا يخاف بمذّ الهمة جعله آمناً لا يخاف غائلته.
والضرب بفتح الضاد مصدر ضربه يضربه - من باب قتل -: إذا فعل به مكروهاً.

(١) المصباح المنير: ص ٧٠٩.

(٣) المحكم في اللغة: ج ١ ص ١٥٢.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٧٤.

(٤) المحكم في اللغة: ج ١ ص ١٥١.

قال ابن القوطية: كلما كان من سوء حال وفقر وشدة في بدن فهو ضرباً بالضم، وما كان ضد النفع فهو بفتحتها (١).

والشر: الفساد والظلم.

وغمز بالحاجب والعين غمزاً. من باب ضرب: أشار، وغمز فيه طعن، وبالرجل سعى به شراً.

وهمز همزاً. من باب ضرب: اغتابه في غيبته.

وفي النهاية: الهمز: الغيبة والوقية في الناس وذكر عيوبهم (٢).

ولزه لمزاً. من باب ضرب أيضاً: عابه. وقيل: الهمز: العيب في الغيبة، واللمز: العيب في الوجه، ومنه الحديث: أعوذ بك من همز الشيطان ولمزه (٣).

والحباثل: جمع حباله، وهي الشرك التي يصاد بها.

والمصايد بغير همز: جمع مصيد بكسر الميم وسكون الصاد وفتح الياء، وهي آلة الصيد. وكلاهما استعارة للأموال التي يوطئها لإيقاعه بها في المكاره، ومنه: فلان نصب حباثله وبث غوائله، ومثله نصب مصائده وبث مكائده.

والخيل: الخيالة، وهم الفرسان، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: يا خيل الله اركبي (٤).

والرجل بفتح الراء وسكون الجيم: اسم جمع للراجل كالصاحب والركب للصاحب والراكب، قيل: هما كناية عن أعوانه من كل راكب وماش، والأقرب أن هذا كلام أورد مورد التمثيل، فنقد يقال للرجل المجده في الأمر: جئتنا بخيلك ورجلك، مثل حاله في جدّه وجهده لإيقاعه به بصاحب جند من خيالة ورجالة.

(١) كتاب الأفعال الثلاثية والرابعة: ص ٩٢. (٢) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٢٦٩.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٧٣. (٤) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٦٧٧.

قال صاحب الكشف في قوله تعالى: «وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ»: مثلت حال إبليس في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم، فصوت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم (١).

وقوله عليه السلام: «إِنَّكَ عَزِيزٌ قَدِيرٌ» تعليل لاستدعاء القبول، وتأکید الجملة لقوة عرض يقينه بمضمونها، وذكر صفتي «العزة والقدرة» لإظهار أنه العزيز، أي: الغالب الذي لا يمانعه أحد، والقدير الذي لا يعجزه شيء، فيدخل في ذلك ما سأل الله عليه السلام من صرف من أراد به سوء إلى آخر ما تضمنه الدعاء دخولاً أولياً، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثالثة والعشرين من رياض السالكين، وقد وفق الله سبحانه لإتمامها مع مكابدة المصائب ومقاساة النوائب التي تهدد الجبال الرواسي وتذيب الصخور القواسي والله المستعان، ضحوة الجمعة لخمس نخلون من جمادى الآخرة من سنة إحدى ومائة وألف، والحمد لله على كل حال.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



الروضة الرابعة والعشرون

مركز بحوث ودراسات



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبُو يَرْعِيهِمَا السَّلَامُ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ
وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلَامِكَ
وَاخْصُصِ اللَّهُمَّ وَالِدَتِي بِالْكَرَامَةِ لَدَيْكَ وَالصَّلَوةَ مِنْكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لِي مِنْهُمْ
يَجِبُ لَهَا عَلَى إِيَّاهَا مَا وَاجِبٌ لِي عَلَيْكَ كُلِّهِ تَمَامًا ثُمَّ اسْتَغْنِي عَنِّي
تَلْهِجَتُ مِنْهُ وَوَقَفْتُ لِلْفُتُورِ فِيمَا أَبْصَرْتُ مِنْ غُلْبَةٍ حَتَّى لَا يَفُوتَنِي
اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ عَمَلْتَنِيهِ وَلَا تَقْلُ أَرْكَانِي عَنِ الْخُفُوفِ فِيمَا أَطْمَنَّتَنِيهِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا تَشْرَفْنَا بِهِ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا
أَوْجَبَتْ لَنَا الْحَقُّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي إِيَّاهُمَا
هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعُفُوفِ وَأَبْرَهُمَا بَرَاءَةَ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ وَاجْعَلْ
طَاعَتِي لَوَالِدَتِي وَبِرِّي بِهِمَا أَقْرَبَ لِعَيْنِي مِنْ رَفْدَةِ الْوَسْطَانِ وَأَنْجِلْ
لِصَدْرِي مِنْ شَرِّهِ الظَّانِّ حَتَّى أُورِثَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا وَأُقَدِّمَ عَلَى
رِضَايَ رِضَاهُمَا وَأَسْتَكْرِ بِرَّهُمَا وَإِنْ فَلَّ وَأَسْتَغْفِلَ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ
كُرَّ اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهَا صَوْتِي وَأَطِيبْ لَهَا كَلَامِي فَإِنَّ لَهَا مَعْرَبِي

وَاعْطِفْ عَلَيَّ مَا قَلْبِي وَصَيَّرَ فِيَّ بِمَا رَفِقًا وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا اللَّهُمَّ
اشْكُرْ لِمَا تَرَبَّيْتُ وَأَيْتَهُمَا عَلَى تَكْرِمِي وَاحْفَظْ لِي مَا حَفِظَهُ مِنِّي
فِي صَغِيرِي اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَدَى أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ
مَكْرُومٍ أَوْ ضَاعَ قِبَلِي لِحُكْمٍ مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِدُنُوبِهِمَا
وَعَلَوًا فِي دَرَجَاتِهِمَا وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا يَا مُبْدِلَ السِّنِّاتِ
بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ اللَّهُمَّ وَمَا نَعَّدَ بَا عَلَى فَبِهِ مِنْ قَوْلٍ وَأَسْرَفَ
عَلَى فَبِهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ ضَيَّعَ لِي مِنْ حَقٍّ أَوْ قَصَّرَ لِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ
فَقَدِّ وَهَبْنَاهُ لَهَا وَجَدْنِي بِهِ عَلَيْهَا وَرَغِبْتَ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَجَعُّلِ
عَنْهَا فَإِنِّي لَا أَتَمَّهُمَا عَلَى نَفْسِي وَلَا أَسْتَطِيعُهُمَا فِي بَرِي وَلَا أَكْرَهُ مَا
تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرٍ يَا رَبِّ فَمَهْمَا أَوْجَبَ حَقًّا عَلَيَّ وَأَقْدَمَ إِحْسَانًا إِلَيَّ وَ
أَعْظَمَ مِثْلَهُ لَدُنِّي مِنْ أَنْ أَقَاصَهُمَا بِعَدْلِ أَوْ أَجَازَهُمَا عَلَى مِثْلِ أَنْ
إِذَا يَا إِلَهِي طَوَّلَ سَعْلَهُمَا بِرَبِّي وَأَبْرَشِدَهُ تَعَبَهُمَا فِي حِرَاسَتِي وَأَنْ يَقَارَهُمَا
عَلَى أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوَسُّعِ عَلَيْهِنَّ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنْ حَقِّهِمَا وَلَا أَذِلَّنَّ مَا يَحِبُّ
لَهُمَا وَلَا أَنَا بِقَاضٍ وَطِيفَةٌ خِدْمَتُهُمَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْنِي بِالْخَيْرِ مِنْ سُبْحَانَ
يَرْوِقُنِي يَا أَهْدَمَ مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلْإِبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ

يَوْمَ تَجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَالِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَاخْصُصْ أَبُوَيَّ بِأَفْضَلِ مَا خَصَّصْتَ بِهِ آبَاءَ عِبَادِكَ
الْمُؤْمِنِينَ وَأُمَّهَاتِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ لَا تُنْهِنِي ذِكْرُهَا فِي
أَذْبَارِ صَلَوَاتِي وَفِي إِنْشَاءِ لَيْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْفِرْ لِي بِدُعَائِي لَهَا وَاعْفِرْ لَهَا بِرِجَائِي
مَغْفِرَةً حَقًّا وَارْضُ عَنْهَا بِشَفَاعَتِي لَهَا رِضَةً عَزْمًا وَبَلِّغْهَا بِالْكَرَامَةِ
مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ اللَّهُمَّ وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهَا فَاقْضِهَا فِي
إِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَاقْضِ فِيهَا حَتَّى يَجْمَعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ
وَحُلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ إِنَّكَ وَالْفَضْلُ
الْعَظِيمُ وَالْمِنَّةُ الدِّيمُ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ



بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله الذي وصّى الإنسان بوالديه حسناً، ووعدّه على برّهما من لديه المقام
الأسنى، والصلاة والسلام على نبيّه أنجب المخلوقين أمّاً وأباً، وعلى أهل بيته الذين
فرض طاعتهم على كلّ أحد شاء أو أبى.

وبعد فهذه الروضة الرابعة والعشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح
الدعاء الرابع والعشرين من صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى
آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السني، عليّ صدرالدين
الحسيني. الحسيني غفر الله له ولوالديه، وجعل خير أيامه يوم الوقوف بين يديه.

شرح الدعاء الرابع والعشرين

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبَوَيْهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

المراد بالأبوين: الأب والأم، وهو من ألفاظ التغليب التي غلب فيها أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر، بأن جعل الآخر موافقاً له في الاسم، ثم تقي ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً، فتارة يغلب الأشرف كأبوين، وتارة الأخف كالعمرين، وتارة المذكر كالقمرين.

وقيل: المعتبر هو الاسم الأخف إلا أن يكون الأثقل مذكراً كالقمرين، على أن هذا النوع مسموع يحفظ ولا يقاس عليه، وقد استوفيت الكلام عليه في شرح الضميدية (١) فليرجع إليه.

واعلم أن تعظيم الأبوين أمر معتبر في جميع الشرائع، ومركوز في كل العقول، وحسبك أن الله سبحانه نصّ على ذلك في غير موضع من كتابه المجيد، وورد في الأخبار النبوية ما يضيّق عنه نطاق الحصر. ومن تعظيمهما والإحسان إليهما أن يحبهما من صميم القلب، ويراعي دقائق الأدب في خدمتهما والشفقة عليهما، ويبذل وسعه في رضاهما، ولا يمنع كرائم أمواله عنهما، ويجتهد في تنفيذ وصاياهما، ويذكرهما في صالح دعائه، كما أرشد الله تعالى إلى جميع ذلك في قوله سبحانه: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّكِّ مِنَ الرَّحْمَةِ

وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» (١).

قال أمين الدين الطبرسي: معناه أدع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاء لتربيتهما إياك في صباك، وهذا إذا كانا مؤمنين، وفي هذا دلالة على أن دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن لأمره به معنى (٢).

وروى أبو أسيد الأنصاري قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من برِّ والدي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما (٣).

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيَّين وميتين، يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيراً كثيراً (٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ العبد ليكون برّاً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وأنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بارٍّ بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل بارّاً (٥).

تنبيه

ظاهر قوله تعالى: «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»: (٦) أنَّ الامر للوجوب من غير تكرار، فيكفي في العمر مرة واحدة ربُّ ارحمهما.

(٥) اصول الكافي: ج ٢، ص ١٦٣، ح ٢١.

(١) سورة الأسراء: آية ٢٣، ٢٤.

(٦) سورة الاسراء: الآية ٢٤.

(٢) و (٣) مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٤١٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٥٩، ح ٧.

وسئل سفيان: كم يدعو الإنسان لوالديه، أفي كل يوم مرة أم في كل شهر أم في كل سنة؟ فقال: نرجو أن يجزيه إذا دعاها في آخر التشهدات، كما أن الله تعالى قال: «يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً» (١). وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهد، وكما قال الله تعالى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ» (٢)، فهم يكبرون في أدبار الصلاة (٣).

وقال النظام النيسابوري: ويشبه أن يدعو لها كلما ذكرها أو ذكر شيئاً من أنعامها (٤).

ارشاد

قال العلماء: إننا جعل الله سبحانه الإحسان إلى الوالدين تالياً لعبادته، وشكرهما تالياً لشكره، في قوله تعالى: «أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (٥)، وقوله تعالى: «أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ» (٦)، لوجوه:

منها: أنهما سبب وجود الولد كما أنهم سبب التربية، وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين.

ومنها: أن إنعامهما شبه إنعام الله تعالى؛ من حيث إنهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثواباً «إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (٧).

ومنها: أن المحبة والمناسبة والميل بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان، كما أن المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية، وهاهنا أسرار فلتأمل. ومنها: أنه لا كمال يمكن للولد إلا يطلبه الوالد لأجله وبريده عليه، كما أن الله تعالى لا خير يمكن للعبد إلا بريده عليه؛ ولهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب ونصب

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٥) سورة الأسراء: الآية ٢٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٦) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٣) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٥٧.

(٧) سورة الانسان: الآية ٩.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٤٥٠.

الأدلة وأزاح العلة، ومن غاية شفقة الوالدين أنهما لا يحسدان ولدهما إذا كان خيراً منهما بل يتمنيان ذلك، بخلاف غيرهما فإنه لا يرضى أن يكون غيره خيراً منه.

إذا عرفت ذلك، فن عظيم الجهل ما حكي أن بعض المتستين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول: هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد، وعرضني للفقير والعمى والزمانة (١).

وماروي عن أبي العلاء المعري أنه أمر أن يكتب على قبره هذا الشعر.
هذا ما جناه أبي علي
وقال في ترك التزوج والولد.
وتركت فيهم نعمة العدم التي
ولو أنهم ولدوا لعانوا شدة
سبقت وصدت عن نعيم العاجل
ثم فيهم في موبقات الآجل (٢)
وقال بعض الحكماء:

قبح الله لذة قد تولت
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد
نالها (٤) الأمهات والاباء
فإيجادنا علينا بلاء (٥)

وهذا كله جهل منهم بنعمة الوجود المستتبعة لجميع النعم والمنافع في الدارين.
ويحكي أن الاسكندر كان يعظم أستاذه أكثر من تعظيمه والده، ف قيل له في ذلك، فقال: إن الأستاذ أعظم منه؛ لأنه تحمّل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي حتى أوقعني في نور العلم، وأما الوالد فإنه طلب لذة الوقاع لنفسه فأخرجني إلى آفاق عالم الكون والفساد (٦).

(٥) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

(٦) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

(١) و(٢) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

(٣) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

(٤) (الف - ج): أدركتها.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ،
وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلَامِكَ.

قال العقلاء: هب أن الوالد في أول الأمر طلب لذّة الوقاع، إلا أن اهتمامه
بإيصال الخيرات إلى الولد ودفع الآفات عنه، من أول دخول الولد في الوجود إلى
أوان كبره بل إلى آخر عمره، لا ينكر ولا يكفر (١)، والله أعلم .
قال امام المتقين وسيد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه
الطاهرين (٢):

بدأ عليه السلام بالدعاء للنبي صلى الله عليه وآله لوجوه:
أحدها: ما مرّ غير مرة من أنه أعظم أسباب إجابة الدعاء.
الثاني: كونه أشرف آبائه عليهم السلام من جهة النسب الحقيقي.
الثالث: كونه صلى الله عليه وآله أباً معنوياً لأئمة، فيجب الدعاء له على كلّ أحد
من أئمة من هذه الجهة.

قال المفسرون في قوله تعالى: «ما كان محمدُ أباً أحديهم من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين» (٣) معنى هذا الاستدراك هو إثبات الأبوة من هذه
الجهة؛ لأن النبي كالأب لأئمة من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم
معه، وأكد هذا المعنى بقوله «وخاتم النبيين»؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله إذا
علم أن بعده نبياً آخر فقد يترك بعض البيان والإرشاد، بخلاف ما إذا علم أن ختم
النبوّة عليه (٤).

وفي الحديث عنه عليه السلام: يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمة (٥).
الرابع: ما ثبت عند أرباب التحقيق والعرفان من أنه صلى الله عليه وآله أبو

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٥ ص ٢١٤

(١) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١٠٥.

(٢) أي: ابتداء الدعاء كما في صدر الصفحة.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

الأرواح، كما أن آدم عليه السلام أبو الأجساد.

قال بعض العارفين من أصحابنا المتأخرين: أعلم أن الأرواح كلها مخلوقة من روح واحدة هي روح النبي صلى الله عليه وآله فروحه أصل الأرواح، فكما كان آدم أبا البشر وخليفة الله في الأرض، كان النبي صلى الله عليه وآله أبا الأرواح وخليفة الله في عالم الأرواح، فالروح خليفة الله ومجتمع صفاته الذاتية، كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء، والجسد خليفة الروح، وهو مجتمع صفاته الفعلية، وذلك أن الله تعالى لما خلق روح النبي صلى الله عليه وآله، كان الله ولم يكن معه شيء، آخر حتى ينسب أو يضاف إليه الروح غير الله، بل كان روحه أول شيء، تعلقت به القدرة الأزلية؛ ولذلك شرفه بتشريف الإضافة إلى نفسه فسمّاه رُوحِي، كما سَمِّي أول بيت وضع للناس وشرقه بالإنضافة إلى نفسه فقال: بيتي، ثم حين أراد أن يخلق آدم سَوَّاه ونفخ فيه من روحه، أي: من الروح المضاف إلى نفسه، وهو روح النبي صلى الله عليه وآله، كما قال «فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» (١)، ولم يقل: نفخت فيه رُوحِي بدون «من»؛ ليكون فيه دلالة على أن الروح المنفوخ في آدم هو بعينه روح النبي صلى الله عليه وآله، بل كان روح آدم متولداً منه، فالنبي صلى الله عليه وآله الأب الروحاني لأب البشر وسائر الأنبياء، وأبو البشر الأب الجسماني للنبي صلى الله عليه وآله وسائر البشر، كما قيل: وإني وإن كنت ابن آدم صورةً فلي فيه معنى شاهد بأبوتي وكذلك أرواح أولاد آدم مخلوقة من روح النبي صلى الله عليه وآله؛ لقوله تعالى: «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۖ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» (٢)، وكذلك قال في حق روح عيسى عليه السلام: «فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا» (٣)، فكانت النفخة لجبرئيل والروح

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩. (٢) سورة السجدة: الآية ٨ و٩. (٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

من روح النبي صلى الله عليه وآله المضاف إلى الحضرة الإلهية، ولأجل كون حقيقة الروح على هذه المنزلة والشرف، قصرت أفهام الناس وتلاشت العقول من دركها، كما تتلاشى أنوار الأبصار في شعاع الشمس؛ ولهذا قال تعالى «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (١)، فافهم هذا المقال فإنه مدرك عزيز المنال (٢)، إنتهى كلامه.

قوله عليه السلام: «واخصصهم بأفضل صلواتك» من خصه بكذا خصوصاً من باب قعد: إذا جعله له دون غيره، كاختصه به اختصاصاً، وخصصه به بالثقل: للمبالغة.

قال كثير من العلماء: الأصل في لفظ الخصوص وما يتفرع منه أن يستعمل بإدخال الباء على المقصور عليه، فيقال: خص المال بزيد أي: جعل المال له دون غيره، هذا هو الاستعمال العربي الذي يسبق إلى فهمهم، لكن شاع في العرف إدخال الباء على المقصور، كما وقع في عبارة الدعاء، وذلك، إقما بناءً على جعل الخصوص مجازاً عن التمييز مشهوراً في العرف، أو على تضمينه معنى التمييز والأفراد فيلاحظ المعنيان معاً، وحاصله يرجع إلى ملاحظة معنى التمييز؛ لأن خصوص شيء بشيء في قوة تمييز الآخر به، وأبى بعضهم إلا هذا الاستعمال وشدد النكير على من خالفه.

والصلاة من الله تعالى: الرحمة، وجعلها للتنبيه على كثرتها وتنوعها، والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة، كما في قوله تعالى: «رَأْفَةً وَرَحْمَةً» (٣)، و«رَوْفٌ رَحِيمٌ» (٤).

وبركاته تعالى: خيراته النامية المتكاثرة.

والسلام: اسم من سلم عليه تسليماً، وبمعنى السلامة من المكاره، فقوله عليه

(١) سورة الاسراء: الآية ٨٥.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٢) لم نعر عليه.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٧.

وَاخْصُصِ اللَّهُمَّ وَالِدِي بِالْكَرَامَةِ لَدَيْكَ ، وَالصَّلَاةَ مِنْكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْهَمْنِي عِلْمَ مَا يَجِبُ لَهُمَا عَلَى
إِلْهَامًا، واجْمَعْ لِي عِلْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ تَمَامًا، ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي مِنْهُ،
وَوَفِّقْنِي لِلنُّفُوزِ فِيهَا تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ، حَتَّى لَا يَفُوتَنِي اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ
عَلَّمْتَنِيهِ، وَلَا تَثْقُلْ أَرْكَانِي عَنِ الْحَفُوفِ فِيمَا أَلْهَمْتَنِيهِ.

السَّلام: «وسلامك» إما بمعنى تحيتك أي: تسليمك عليه، أو بمعنى سلامتك،
والإضافة للفاعل.

أي: ميّزهما وفضلهما، وتوسط النداء بين الفعل ومفعوله لإبراز مزيد الضراعة.
والكرامة: من الإكرام.

قال الجوهري: التكرم والإكرام بمعنى، والاسم منه الكرامة (١).

ولديك ومنك: متعلقان بمحذوفين حالين من الكرامة والصلاة، أي:
بالكرامة كائنة لديك والصلاة كائنة منك.

والغرض كمال علو مرتبة الكرامة والصلاة المطلوبتين لهما وتكرير النداء
للتضرّع، وإظهار الخشوع، والإلحاح في الدعاء، والمبالغة في الاستدعاء.

ولذلك ناداه أولاً: بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات.

وثانياً: بوصف الرحمة الفائقة على كل رحمة.

ألهمه الله خيراً: لقنّه إياه وألقاه في روعه.

وقال ابن الأثير: الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك،
وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده (٢).

وقوله عليه السلام «إلهاماً» مصدر مؤكد لعامله، أي: إلهاماً تاماً، والتمام: نقيض النقصان، قيل: هو مصدر.

قال في القاموس: تَمَّ يَتَمُّ تَمّاً وتاماً مثلثين (١).

وقيل: اسم من أتممت الشيء.

قال الفيومي: يقال: أتممته، والاسم التمام بالفتح (٢).

فهو إما مصدر مؤكد محذوف هو حال من العلم، أي: يتَمُّ تاماً، أو اسم أنيب مناب المصدر مؤكد لاجمع على غير لفظه، كأنه قيل: وأتم لي علم ذلك كله تاماً نحو اغتسل غسلاً، والأصل اتماماً واغتسلاً، أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالِية أي: متمماً، أو مفعول له أي: لأجل التمام.

وتم: للترتيب؛ لأن العمل بعد العلم.

واستعملني: أي اجعلني عاملاً بركتكم في أموركم.

و«من» في قوله عليه السلام «منه» للتبيين، ومثلها قوله: «من علمه».

ومفعول تلهمني وتبصرني محذوف، أي: تلهمني وتبصرني به، وحذفه في ذلك

مطرّد بكثرة كما مرّ مراراً.

والنفوذ في الأمر: المضي فيه.

وبصّرت بالأمر تبصيراً فبصر به: إذا أعلمته إياه فعله، وهو من البصيرة، وأما

بصّرت الشيء فأبصره فهو بمعنى أريته إياه فرآه، فهو من البصر.

وحثي: بمعنى كي التعليّة، أي: كيلا يفوتني استعمال شيء والاستعمال

هنا: بمعنى العمل بالشيء يقال: استعمله إذا جعله عاملاً، واستعمله إذا عمل به.

وجملة علمتني: في محل جرّ صفة لشيء.

(١) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٨٣.

(٢) المصباح المنير: ص ١٠٩.

والأركان: جمع ركن بالضم وهو جانب الشيء والمراد بها هنا الجوارح.
 قال ابن الأثير في النهاية في حديث الحساب: ويقال لأركانها: انطقي أي:
 جوارحه، وأركان كل شيء: جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها (١)، انتهى.
 وثقل الأركان عبارة عن فتور الجوارح وعدم نهوضها للعمل.
 وفي القاموس: ثاقل عنه: ثقل وتباطأ (٢).
 والخفوف: يروى بالخاء المهملة، فيكون بمعنى الخدمة.
 قال في الكنز: الخفوف «خدمت كردن» (٣).
 وبه فسر بعضهم المثل: من حَفْنَا أَوْ رَفْنَا فليقتصد (٤).
 قال الميداني في مجمع الأمثال: يقال: من حَفْنَا أي: من خدمنا وتعطف علينا،
 ورَفْنَا أي: حاطنا، ويقال: مالفلان حاف ولا راف، وذهب من كان يحفه ويرفه،
 أي: يخدمه ويحوطه (٥)، انتهى.
 ويروى بالخاء المعجمة بمعنى الحققة، ومنه حديث: قد حان مَتِي خفوف، أي:
 عجلة وسرعة مسير (٦).

وفي رواية بقافين بعد الخاء المهملة جمع حق.
 ولما كانت حقوق الوالدين وما يجب لهما على الولد حيتين وميتين أكثر من أن
 يحيط بها علم الإنسان، كان مدار هذا الفصل من الدعاء سؤاله عليه السلام أن
 يلهمه سبحانه ويعلمه جميع ذلك، ثم يوفقه للقيام به.
 روى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي ولاد الحنطاط، قال: سألت
 أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وبالوالدين إحساناً» ما هذا

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٢٦٠ (٤) النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٤٠٩.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٤٣. (٥) مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٣١٠.

(٣) كنز اللغات: ج ١، ص ٥٢٢. (٦) النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٥٥. وفيه: «قد كان متي»

الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتها، وأن لا تكلفها أن يسألك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله عز وجل: «لن تنفقوا ممّا تحبون»؟ قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وأما قول الله عز وجل: «إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما»، قال: إن أضجرك فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما إن ضرباك، قال: «وقل لهما قولاً كريماً»، قال: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قولٌ كريم، قال: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة»، قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدّم قدّامهما (١). وعن معاذ بن جبل قال: بلغنا أنّ الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة مرة، وكان آخر كلامه: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمر حتى قال سبع مرّات، ثم قال: يا موسى ألا إنّ رضاها رضاى وسخطها سخطى (٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط، قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت، قال: يا رسول الله إنّ لي والدين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فقم مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة (٣).

وقد دلّت هذه الأخبار على أنّ أكثر حقوق الوالدين وبرهما كما يجب، ممّا

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٥٧، ح ١.

(٢) كتاب الخلافة: ص ٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٦٠، ح ١٠.

لا يعلمه إلا الله أو من علمه الله، والله أعلم.

تبصرة

قال شيخنا الشهيد محمد بن مكّي في قواعد الأصول: لا ريب أنّ كلّ ما يحرم أو يجب للأجانب يحرم أو يجب للأبوين، وينفردان بأمور:
الأول: تحريم السفر المباح بغير إذنها، وكذا السفر المندوب.
وقيل: يجوز سفر التجارة وطلب العلم، إذا لم يمكن استيفاء التجارة والعلم في بلدهما.

الثاني: قال بعضهم: يجب طاعتها في فعل وإن كان شبهة، فلو أمراه بالأكل معها من مال يعتقد شبهة أكل؛ لأن طاعتها واجبة وترك شبهة مستحبة.
الثالث: لودعواه إلى فعل وقد حضرت الصلاة، فليؤخر الصلاة وليطعها؛ لما قلناه.

الرابع: هل لهما منعه من الصلاة جماعة؟ الأقرب أنّه ليس لهما منعه مطلقاً، بل في بعض الأحيان بما يشقّ عليها مخالفته، كالسعي في ظلمة الليل إلى العشاء والصبح.

الخامس: لهما منعه من الجهاد مع عدم التعيين؛ لما صحّ أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أبا يعك على الهجرة والجهاد، فقال: هل من والديك أحد؟ قال: نعم كلاهما، قال: أفتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتها.

السادس: الأقرب أنّ لهما منعه من فرض الكفاية إذا علم قيام الغير أو ظنّ؛ لأنّه يكون حينئذٍ كالجهاد الممنوع منه.

السابع: قال بعض العلماء: لودعواه في صلاة نافلة قطعها؛ لما صحّ عن رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَّ امْرَأَةً نَادَتْ ابْنَهَا وَهُوَ فِي صُومَعَةٍ، قَالَتْ: يَا جَرِيحُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، وَقَالَتْ: يَا جَرِيحُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَقَالَتْ: لَا تَمُوتْ حَتَّى تَنْظُرَ فِي وَجْهِ الْمَوْمَسَاتِ (١).

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَوْ كَانَ جَرِيحٌ فَقِيهًا لَعَلِمَ أَنَّ إِجَابَةَ أُمِّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ النَّافِلَةِ لِأَجْلِهِمَا، وَيَدُلُّ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيِّ عَلَى تَحْرِيمِ السَّفَرِ؛ لِأَنَّ غَيْبَةَ الْوَجْهِ فِيهِ أَعْظَمُ، وَهِيَ كَانَتْ تَرِيدُ مِنْهُ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهَا. الثَّامِنُ: كَقَفِ الْأَذَى عَنْهَا وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، بِحَيْثُ لَا يُوَصِّلُهُ الْوَلَدُ إِلَيْهَا وَيَمْنَعُ غَيْرَهُ مِنْ إِيْصَالِهِ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ.

التَّاسِعُ: تَرَكَ الصُّومَ نَدْبًا إِلَّا بِإِذْنِ الْأَبِّ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى نَصٍّ فِي الْأُمِّ. الْعَاشِرُ: تَرَكَ الْيَمِينَ وَالْعَهْدَ إِلَّا بِإِذْنِهِ أَيْضًا، مَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلٍ وَاجِبٍ أَوْ تَرَكَ مُحَرَّمًا. وَلَمْ نَقِفْ فِي النَّذْرِ عَلَى نَصٍّ خَاصٍّ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: هُوَ يَمِينٌ يَدْخُلُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْيَمِينِ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

تَمَمَ

بِرِّ الْوَالِدَيْنِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا» (٢)، «وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» (٣) وَهُوَ نَصٌّ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مُحَالَفَتِهَا فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْصِيَةِ.

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ، وَالْمَوْمَسَةُ: الْفَاجِرَةُ، جَهْرَةُ اللَّفْظِ: ج ٣ ص ٢٥٨. وَلَكِنْ فِي (ج) وَ(الف)

وَالْقَوَاعِدُ: الْمُؤْمَنَاتُ.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ ٨٠.

(٣) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: آيَةُ ٨.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا شَرَّفْتَنَاهُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا أَوْجَبْتَ لَنَا الْحَقَّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ.

وهو كقوله عليه السلام: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق (١) .

الكاف في الموضعين: للتعليل عند المثبتين له.

وما: مصدرية، أي: لتشريفك إيانا به ولا يجابك لنا الحق على الخلق بسببه، ومنه عندهم قوله تعالى: «وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ» (٢) أي: لهدايته إياناكم.

ونفى الأكثرين ورود الكاف للتعليل، وقالوا: هي في ذلك ونحوه للتشبيه.

وما: إما مصدرية، فالكاف ومجرورها في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير في قوله: «كَمَا شَرَّفْتَنَاهُ»: صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً مِمَّا تَلَّهُ لِتَشْرِيفِكَ إِيَّانَا بِهِ، أي: تكون جزاء لتشريفك إيانا به، وقس عليه ما بعده ونحوه.

وإما كافة لا محل لها من الإعراب؛ لأن الكاف حينئذ ليست بجملة، بل مجرد تشبيه مضمون الجملة بالجملة؛ ولذا لا تطلب فعلاً عاملاً يفضي معناه إلى مدخولها. نص عليه الرضي (٣).

قال ابن هشام في المغني: وفيه إخراج الكاف عما يثبت لها من عمل الجر من غير مقتض وهو في محله (٤).

وقد تقدم الكلام على هذه الكاف بأبسط من هذا في الروضة الثانية، عند قوله عليه السلام: «كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ» (٥)، فليرجع إليه.

واعلم أن الضمير في قوله عليه السلام: «كَمَا شَرَّفْتَنَاهُ» «وَأَوْجَبْتَ لَنَا الْحَقَّ عَلَى

(١) إلى هنا كان كلام الشهيد قدس سره، راجع القواعد والفوائد: ج ٢ ص ٤٦-٤٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢، ص ٣٤٨.

(٤) مغني اللبيب: ج ١، ص ١٧٧.

الخلق بسببه» إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَطْلُقُ الْمُسْلِمِينَ، فَتَشْرِيفُهُمْ بِهِ مَا نَالُوهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ الْإِسْلَامِ وَشَرَفِ الذِّكْرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِجَابَةُ لَهُمْ الْحَقُّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ مَا أَوْجَبَهُ تَعَالَى مِنْ حَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

رَوَى رَئِيسُ الْمُحَدِّثِينَ فِي الْفَقِيهِ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سَبْعُ حَقُوقٍ وَاجِبَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ: الْإِجْلَالُ فِي عَيْنِهِ، وَالْوَدْلَةُ فِي صَدْرِهِ، وَالْمُوَاسَاةُ لَهُ فِي مَالِهِ، وَأَنْ يَحْرَمَ غَيْبَتَهُ، وَأَنْ يَعُودَهُ فِي مَرَضِهِ، وَأَنْ يَشْتَعَ جَنَازَتَهُ، وَأَنْ لَا يَقُولَ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا خَيْرًا (١).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ (٢). وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، فَقَالَ لَهُ: سَبْعُ حَقُوقٍ وَاجِبَاتٍ مَا مِنْهُنَّ حَقٌّ إِلَّا وَهُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ، إِنْ صَيَّعَ مِنْهَا حَقًّا خَرَجَ مِنْ وَلايَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ، ثُمَّ شَرَحَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحَدِيثُ مَذْكُورٌ فِي الْكَافِي (٣). وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَبْعُونَ حَقًّا (٤).

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ خُصُوصُ الْأُتَمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَتَشْرِيفُهُمْ بِهِ وَإِجَابَةُ لَهُمُ الْحَقُّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ ظَاهِرٌ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْحَقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ عَلَى خَلْقِهِ أَوْجَبَهَا لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَفَى شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (٥). وَتَخْصِصُ بَعْضِ الْمُرْتَجِمِينَ الْحَقَّ فِي الدَّعَاءِ بِمُضْمُونِ آيَةِ الْقُرْبَى مِنْ ضَيْقِ الْعَطَنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهِ: ج ٤ ص ٣٩٨، ح ٥٨٥٠. (٥) سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الْآيَةُ ٣٣.

(٢) الْكَافِي: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٥.

(٣) الْكَافِي: ج ٢ ص ١٦٩، ح ٢.

(٤) الْكَافِي: ج ٢، ص ١٧٤، ح ١٤.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعُسُوفِ، وَأَبْرُهُمَا بَرًّا الْأُمِّ
الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبَرِّي بِهِمَا أَقْرَبَ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ،
وَأَثْلَجَ لِبُصْدْرِي مِنْ شَرِّبَةِ الظُّمَّانِ، حَتَّى أَوْثِرَ عَلَى هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ
عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا، وَأُسْتَكْثِرَ بَرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأُسْتَقِيلَ بَرِّي بِهِمَا وَإِنْ
كَثُرَ.

هابه يهابه - من باب تعب - هيبة: جذره.

وقال ابن فارس: الهيبة: الإجلال (١)، فالفاعل هائب والمفعول مهيب
ومهيب أيضاً، وهيبه - من باب ضرب - لغة، وتهيبته: خفته، وتهيبني أفرعني (٢).
وفي النهاية: يقال: هاب الشيء يهابه إذا خافه وإذا عظمه ووقره (٣).
والعسوف: الظلوم.

قال ابن الأثير في النهاية: لا تبلغ شفاعتي إماماً عسوفاً، أي: جائراً ظلوماً،
والعسف في الأصل أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم.
وقيل: هو ركوب الأمر من غير روية، فنقل إلى الظلم والجور (٤)، إنتهى.
قال الفيومي في المصباح: عسفه عسفاً - من باب ضرب -: أخذه بقوة والفاعل
عسوف (٥).

والإضافة في هيبة السلطان من إضافة المصدر إلى المفعول؛ إذ المصدر هنا من
المبني للمفعول، أي: كما يهاب السلطان العسوف، وإنما استغنى عن ذكر من يهابه
لأنه ظاهر غير ملتبس.

ومحوز أن يكون من المبني للفاعل مضافاً إلى المفعول في اللفظ، وهو في التقدير

- (١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ج ٦ ص ٢٢. (٤) النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٢٣٧.
(٢) المصباح المنير: ص ٨٨٧ نقلاً عن ابن فارس. (٥) المصباح المنير: ص ٥٦٠.
(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٨٥-٢٨٦.

مضاف إلى الفاعل، وتقديره: هيبة الرعية السلطان العسوف، كقوله تعالى: «يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ» (١) أي: كما يحب الله أو كحب المؤمنين الله، هذا.

ومقتضى الظاهر أن يقال: هيبة الرعية للسلطان العسوف؛ لأن المشبه هو المصدر المبني للفاعل، أعني هائيته، لامن المبني للمفعول أعني مهيبته والديه حتى تشبه بمهيبته السلطان، فلعله أراد التشبيه فيها ولكنه أوجز النظم، فذكر في جانب المشبه الهايسته، وفي جانب المشبه به المهيبته، وإكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر، وهذا الأسلوب يسمى الاحتباك (٢) في علم البديع، وقد بسطت القول فيه في شرح بد يعيتي، المسمى بأنوار الربيع في أنواع البديع (٣)، فليرجع إليه.

وبر الوالدين: إحسان الطاعة إليهما، والرفق بهما، وتحري محابتهما، وتوقي مكارهما.

يقال: بررت والدي أبره - من باب علم - برأ وبروراً.
والرؤوف: فعول من الرأفة وهي أشد الرحمة، وهو مشترك الوزن بين المذكر والمؤنث.

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٢) هو أن يحذف ما أثبت مقابله في الثاني، وفي الثاني ما أثبت مقابله في الأول، وبعبارة أخرى: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق» الآية، التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغ ما يكون من الكلام وبانه في عبارة ان التقدير واجعلني أهابها هيبة كهيبة الرعية للسلطان العسوف، واجعل هيبتها عندي هيبة السلطان العسوف، فحذف من الأول كهيبة الرعية لدلالة قوله: هيبة السلطان العسوف عليه، ومن الثاني واجعل هيبتها عندي لدلالة أهابها عليه.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع للمصنف.

قال في البارع : إذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه المذكر والمؤنث، فلا يؤنث بالهاء سوى عدو فيقال: عدوة (١).

وكل من هيبة السلطان وبر الأم مفعول مطلق مبين للنوع، إلا أنه في الأول مضاف إلى المفعول كما عرفت، وفي الثاني مضاف إلى الفاعل، أي: بر الأم الرؤوف لولدها.

والطاعة: اسم من أطاعه اطاعة، أي: انقاد له.

واللام في قوله: «لوالدي»: للتقوية، نحو: كلامي لزيد حسن، وإنما قال: لوالدي ولم يقل: لهما، فوضع الظاهر موضع المصمر؛ للإيدان بفخامة مضمون الجملة وإظهار مزيد البر بهما، وتعديّة البر بالياء لتضمينه معنى الرفق، وإلا فهو متعدّ بنفسه كما علمت.

وقرّت العين - من بابي ضرب وتعب - قرّة بالضمّ وقروراً: بردت سروراً، من القرّ بالضمّ وهو البرد، فهو كناية عن السرور.

وقيل: أي سكنت ببلوغ منيتها من القرار، فهو كناية عن الفوز بالمراد.

ويرتجح الأول قولهم: سخنت عينه، في نقيض قرّت عينه.

قال المفضل: في قرّة العين ثلاثة أقوال:

أحدها: برد دمعها؛ لأنه دليل السرور والضحك، كما أنّ حرّه دليل الغم والحزن.

والثاني: نومها؛ لأنه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن.

الثالث: حصول الرضا فلا تطمح لشيء آخر (٢).

وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً في الروضة الأولى، عند قوله عليه السلام:

(١) المصباح المنير: ص ٥٤٤ نقلًا عن البارع.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٤ ص ١١٥.

«حمداً تقربه عيوننا إذا برقت الأبصار»، فليرجع إليه.
والرقدة: فعلة من الرقود وهو النوم، ليلاً كان أو نهاراً، وبعضهم يخصه بنوم الليل، والأقول هو الحق، ويشهد له المطابقة في قوله تعالى: «وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ» (١).

قال المفسرون: «إذا رأيتهم حسبهم أيقاظاً» لأن أعينهم مفتحة وهم نيام (٢).
ورجل وسنان وامرأة وسنى أي: بها سنة وهي النعاس. وفاؤها محذوفة، والأصل وسن بالتحريك، حذفت الفاء وعوض عنها الهاء (٣).
وإنما خص رقدة الوسنان، لأن من ملكته السنة لا يكون أقر لعينه ولا أهم إليه من النوم.



وثلوج الصدر، برده وبل غلته.
يقال: ثلج صدره ثلوجاً وثلجاً محملاً من باب قعد وتعبد وهو مأخوذ من الثلج، وهو صفائر القطر التي تجمد في حال الغيم ويلتزم بعضها ببعض وتنزل بالرفق.

قال الزمخشري في الأساس: ثلجت نفسه بكذا: بردت وشرت، وأثلجت صدري بخيرك، قال الشاعر:

فقرت بهم عيني وأفنيت جمعهم وأثلجت لما أن قتلهم صدري (٤)
إنتهى.

وقال صاحب كتاب المجتبى: ثلج صدرك أي: سررت، فجعل كناية عن

(١) سورة الكهف: الآية ١٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢١ ص ١٠١، ونفسير القرطبي: ج ١٠ ص ٣٩٩.

(٣) (ج): الثاء.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري: ص ٧٥، وفيه: «بخيرك».

السرو، وأصله ما ذكرناه (١).

والشربة: المرة الواحدة من الشرب، ومن الماء: ما يشرب مرة.

قال الفارابي في ديوان الأدب: يقال: هل عندك شربة ماء أي: ما يشرب منه مرة (٢).

والظمان: العطشان، ظمى ظمأً مهموز مثل عطش عطشاً وزناً ومعنى، وهي ظمأى مثل عطشان وعطشى.

وقيل: الظمأ: أشد العطش، وهو الأنسب هنا.

وفي أقر وأثلج من عبارة الدعاء شاهد على جواز بناء اسم التفضيل من أفعّل مع كونه ذا زيادة، وهو قياس عند سيبويه.

قال الرضي وغيظه: ويؤيده كثرة السماع، كقولهم: هو أعطاهم للمال، وأولاهم للمعروف، وأكرمهم للضيف.

وآثرت هذا على ذلك بالمد إثارة: فضلته ورجحته.

والهوى: إرادة النفس، ويكون في الخير والشر، كما نصّ عليه المحققون من أئمة اللغة، خلافاً لمن خصّه بالشر (٣).

وتقديم كلّ من المجرورين على المفعول الصريح في الفقرتين؛ لإظهار الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله؛ فإن تأخير ماحقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه، كما يورث شوق السامع إلى وروده، ينبئ عن كمال رغبة المتكلّم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة.

واستكثرت الشيء: عدته كثيراً، ونقيضه استقللته أي: عدته قليلاً.

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) ديوان الأدب: ج ١ ص ١٣٤.

(٣) المصباح المنير: ص ٨٨٥.

اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَنُحْمَا صَوْتِي، وَأَطِيبْ لُهُمَا كَلَامِي، وَأَلِنْ لُهُمَا عَرِيكَتِي،
وَاعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْ فِي بَيْنِهِمَا رَفِيقًا، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا.

و«إِنَّ» من قوله: «وإن قلَّ وإن كثُر»: وصليتان، وقد استوفينا عليها الكلام في
الرياض السابقة، والله أعلم.

والغرض من استكثار برهما به وإن قلَّ، واستقلال برهما وإن كثُر، استعظام
برهما به؛ ليزداد رغبته في محبتهما وطاعتهما، ولا يقصر في شكرهما والقيام بحقوقهما،
وليجهد نفسه في مزيد برهما إذا رآه قليلاً، فلا يكتفي ويقتصر على ما كان من برهما
بهما وإن كان في نفسه كثيراً والله أعلم ٥.

خفض الرجل صوته خفضاً - من باب ضرب -: غصه ولم يجهر به، وخفضه
تخفيضاً بالتثنية: للمبالغة. أي: وفقني لرعاية الأدب معها حتى إذا خاطبتها
خففت صوتي لهما، كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم، وحفظاً على مراعاة
أبهة الأبوة وجلالة مقدارها؛ فإن رفع الصوت والجهر به عند الخطاب خارج عن
قانون الأدب، منبئ عن عدم التوقير والإحلال، ولا سيما في حق الوالدين.

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «وأخفض لهما جناح الذل من
الرحمة»، قال: لا تملأ عينك من النظر إليهما إلا برحمة ورأفة، ولا ترفع صوتك فوق
أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدم قدماهما (١).

وأطاب الشيء طيباً أي: جعله طيباً، والطيب: الحسن الجيد من كل شيء.

وقال الشهاب الفيومي: والطيبات من الكلام: أفضله وأحسنه (٢).

أي: وفقني لأن أطيب لهما كلامي، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «وقل لهما
قولاً كريماً» (٣).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٥٧-١٥٨، ح ١.

(٢) المصباح المنير: ص ٥١٢.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٢٣.

قال أمين الإسلام الطبرسي: أي خاطبها بقول رفيق لطيف حسن جميل، بعيد عن اللغو والقبيح، يكون فيه كرامة لهما، ويدلّ على كرامة المقول له على القائل (١).

وقيل: أي جميلاً مشتملاً على حسن الأدب، ورعاية دقائق المروّة والحياء والاحتشام.

وقيل: القول الكريم أن يقول لهما: يا أبتاه يا أمّاه دون أن يسمّيها باسمهما. ورجل لّين العريكة: إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور. وقيل: العريكة: الطبيعة، وقيل: الخلق، وقيل: النفس.

قال في المحكم: رجل لّين العريكة أي: لّين الخلق سلسه، والعريكة: النفس، ويقال: إنه لصعب العريكة وسهل العريكة، أي: النفس (٢)، إنتهى. وقال الزمخشري في الأساس: فلان لّين العريكة إذا كان سلساً، وأصله في البعير، والعريكة: السنام (٣).

قال صاحب المحكم: إنما سمّي السنام عريكة، لأنّ المشتري يعرك ذلك الموضع ليعرف سمنه وقوّته (٤)، إنتهى.

وعلى هذا، فلين العريكة استعارة لسلاسة الطبيعة وانقيادها، كما مرّ بيانه في الروضة العشرين (٥).

وعطف عليه عطفاً: أشفق وتحنّن، وعطفه الله عليه أي: جعله مشفقاً عليه. أي: اجعل قلبي عاطفاً عليهما مشفقاً متحنّناً.

والرفق: اللطف، رفق به يرفق - من باب قتل - فهو رفيق.

(١) مجمع البيان: ٥-٦ ص ٤١٩.

(٢) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ١٦٢.

(٣) أساس البلاغة: ص ٤١٧.

(٤) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ١٦١.

(٥) ج ٣ ص ٢٦٣.

اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهَا تَرْبِيَّتِي، وَأُثْبِتْهُمَا عَلَيَّ تَكْرِمَتِي، وَاحْفَظْ لَهَا مَا حَفِظَاهُ مِنِّي فِي صِغَرِي.

وأشفق عليه إشفاقاً: رَقَّ له ورحمه، والاسم الشفقة بالتحريك . وفي القاموس: الشفقة: حرص الناصح على صلاح المنصوح (١). وقال في الأساس: لي عليه شفقة وشفق: رحمة ورقة وخوف من حلول المكروه به مع نصح، وأشفقت عليه أن يناله مكروه، وأنا مشفق عليه وشفيق وشفق (٢). وتقديم المجرور على المفعول في الفقرات كلها؛ لإظهار الاعتناء به وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله، كما مرَّ بيانه .

الشكر من الله عز وجل: مجازاته على يسير الطاعات بجليل المثوبات. وقيل: ثناؤه على من أطاعه.

وقال في النهاية: في أسمائه تعالى الشكور، وهو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم (٣)، انتهى. قال بعضهم: لما كان تعالى مجازياً للمطيع على طاعته بجزيل ثوابه، جعل مجازاته لهم شكراً على طريق المجاز، كما سميت المكافاة مكرراً. والمعنى: إجزهما على تربيتي عظيم الجزاء.

قالوا: والأكثر في الشكر أن يتعدى باللام، فيقال: شكرت له، وربما تعدى بنفسه فيقال: شكرته.

وأنكره الأصمعي في السعة، وقال: بابه الشعر (٤).

والتحقيق أن الشكر إذا عدى إلى المنعم عدى باللام، فيقال: شكرت له، كما قال تعالى: «واشكروا لي» (٥)، وإذا عدى إلى النعمة عدى بنفسه، فيقال:

(٤) المصباح المنير: ص ٤٣٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(١) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٥٠.

(٢) أساس البلاغة: ص ٣٣٣.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٤٩٣.

شكر النعمة، وقد يجمع بينهما في الذكر على هذا الوجه، فيقال: شكر له نعمته، ومثله عبارة الدعاء، وربنا عدي إلى المنعم بنفسه على تقدير مضاف، فيقال: شكر فلاناً أي: شكر نعمته.

قال الزمخشري في الأساس: شكر الله نعمته «واشكروا لي»، وقد يقال: شكرت فلاناً يريدون نعمة فلان، وقد جاء زياد الأعجم بهما في قوله:

ويشكر تشكر من ضامها ويشكر الله لا تشكر (١)

إنتهى كلامه.

وربى الصغير يربي - من باب تعب - وفي لغة ربا يربو - من باب علا -: إذا نشأ وفاء، ويتعدى بالتضعيف فيقال: رباه يربيه تربية فتربى هو. وعرفوا التربية بأنها تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً.

وأثابه يثيبه إثابة: جازاه على صنيعه وكافاه به، والاسم الثواب، ويكون في الخير والشر والأول أكثر.

والتكرمة بفتح التاء وكسر الراء: اسم من كرمه تكريماً بمعنى أكرمه إكراماً.

وفي القاموس: التكرمة: التكريم (٢).

وحفظت لزيد صنيعه: راعيته وشكرته له وكافأته به ولم أنسه. أي: وجازها على ما صاناه من أمري وقامابه من شأني في وقت صغري.

وفي هذه الفقرات إشارة إلى عجز الولد عن القيام بما يجب للوالدين، من الشكر والمكافاة لهما ومجازاته على إحسانها إليه، فتوسل إلى القادر على ذلك بأن يشكر لهما ويجازهما عليه.

وفي الحديث: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال له: يا

(٢) القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٧٠.

(١) أساس البلاغة: ص ٣٣٥.

اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهَا مِنِّي مِنْ أَذًى، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوهٍ،
أَوْ ضَاعَ لَهَا قَبْلِي مِنْ حَقٍّ قَجَّعَلُهُ حِطَّةً لِدُنُوبِهَا، وَعُغِلُوا فِي دَرَجَاتِهَا،
وَزِيَادَةٍ فِي حَسَنَاتِهَا، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

رسول الله إنَّ أبوي بلغا من الكبر، إني ألي منها ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتها
حقها؟ قال: لا فإنَّهما كانا يفعلان ذلك وهما يجبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك
وتريد موتها (١).

وشكى إليه آخر سوء خلق أمه، فقال: لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة
أشهر، قال: إنها سيئة الخلق قال: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين، قال: إنها
سيئة الخلق، قال: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظلمات نهارها، قال:
لقد جازيتها، قال: ما فعلت؟ قال: حججتها بها على عاتقي، قال: ما جازيتها
ولا طلقة (٢). والله أعلم ٥.

٥. مسه يمسه - من باب تعب، وفي لغة من باب قتل - لمس يده.

وقال الفيومي: مسسته: أفضيت إليه بيدي من غير حائل، هكذا قيدوه (٣)،
إنتهى.

وقال البيضاوي: المس: إيصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة، واللمس
كالطلب له؛ ولذلك يقال: ألمسه فلا أجده (٤)، إنتهى.

يعني أن اللمس ينبئ عن اعتبار الطلب معه، سواء كان داخلاً في مفهومه أو
لازماً له؛ فإنه في الأصل المس باليد، على ما في الصحاح (٥) والقاموس (٦).

ولعدم الجزم بالدخول أورد الكاف، لا أن معناه مجرد الطلب له على ماتوهم،
فأورد عليه قوله تعالى: «أُولَآئِ السَّيِّئَاتِ» (٧)؛ ولا اعتبار الطلب في مفهومه سواء

(٥) الصحاح: ج ٣، ص ٩٧٨.

(١) و (٢) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٦٥٩.

(٦) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٥١.

(٣) المصباح المنير: ص ٧٨٦.

(٧) سورة المائدة: الآية ٦.

(٤) أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٥.

كان داخلياً أو خارجياً، يقال: ألمسه أي: أطلب منه فلا أجده، ثم استعير المس للإصابة، ومنه قوله تعالى: «إِنْ تَمَسَّنْكُمْ حَسَنَةٌ» (١).

قال الزمخشري في الكشف: المس مستعار لمعنى الإصابة (٢).

وقال في الأساس: ومن المجاز: مسه الكبير ومسّه العذاب (٣).

ومن: الأولى للابتداء، والثانية للتبيين.

والأذى: المكروه اليسير، كذا في القاموس (٤).

وقال بعضهم: الأذى مصدر كالأسى، يقال: آذاه يؤذيه، والأذى نوع من

الضرر، وهو الضرر اليسير، إنتهى.

وقد يقال: لما كان الأذى عبارة عن يسير المكروه والضرر، ناسب أن يعبر عن

الإصابة بالمس النبي عن أدنى مراتب الإصابة؛ فإن الإصابة أقوى من المس، وإن

لم يفرق بينها صاحب الكشف، لكن المحققون نصّوا على ذلك في قوله تعالى:

«إِنْ تَمَسَّنْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا» (٥).

قالوا: ذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة؛ للإيذان بأن مدارمساءتهم

أدنى مراتب إصابة الحسنة، ومناطق فرحهم تمام إصابة السيئة.

وقال صاحب الكشف هو السراج الفارسي: التحقيق أن الإصابة أقوى من

المس، فالمعنى أن الحسنة أي قدر كان ولو مساساً تسؤهم، وأما الفرح بالسوء فلا

يكون إلا إذا كان بوصول له وقع؛ لأن مقام المبالغة في الحسد والغیظ يقتضي

ذلك (٦)، إنتهى.

قال النظام النيسابوري: وعلى هذا فلا يبعد أن يقال: التنوين في حسنة

(٤) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٩٨.

(١) و(٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

(٦) لم نعتز عليه..

(٢) تفسير الكشف: ج ١، ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٣) أساس البلاغة: ص ٥٩٤.

للتقليل، وفي سيئة للتعظيم (١)، إنتهى.

والخلوص إلى الشيء: الوصول إليه.

قال في الأساس: خلص إليهم: وصل، وخلص إليه الحزن والسرور (٢).

والفعل من باب قعد.

وعن: للمجاوزة، أي: متجاوزاً ومنفصلاً عني، وهذا الموضع يجوز فيه استعمال

«من» و«عن».

قال الرضي: إذا قصدت بـ «من» مجرد كون المجرور بها موضعاً انفصل عنه

الشيء وخرج منه، لا كونه مبدءاً لشيء ممتد، جاز أن يقع موقعها عن؛ لأنها مجرد

التجاوز، تقول: انفصلت منه وعنه (٣)، إنتهى.

وحاصل الفقرتين: ما نالها مني من مكروه يسير أو جليل، فيكون التتوين في

مكروه للتعظيم.

قبلي بكسر القاف وفتح الباء: أي عندي.

قال الفارابي في ديوان الأدب: يقال لي قبل فلان حق، أي: عنده (٤).

والفاء من قوله: «فاجعله»: لربط شبه الجواب بشبه الشرط. والخطئة بالكسر:

اسم من حظ الله عنه ذنبه.

قال في القاموس: استخطه وزره: سأل أن يحطه، والاسم: الخطئة (٥).

وقال ابن الأثير في النهاية: فيه من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له خطئة، أي:

يحط عنه خطايا وذنوبه، وهي فعلة من حظ الشيء يحطه: إذ أنزله وألقاه، ومنه

الحديث في ذكر خطئة بني إسرائيل، وهو قوله تعالى: «وَقُولُوا حِطَّةٌ» أي: قولوا حظ

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٣٥٧. (٤) ديوان الأدب: ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) أساس البلاغة: ص ١٧٢. (٥) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٥٤.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢١.

اللَّهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَشْرَفَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ
ضَيَّعَاهُ لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ، فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهَا،
وَجَدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ عَنْهُمَا، فَإِنِّي
لَا أَتَهُمُهَا عَلَى نَفْسِي، وَلَا أَشْتَبِطُهُمَا فِي بَرِّي، وَلَا أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ
أَمْرِي، يَا رَبِّ فَهَمَا أَوْجَبُ حَقًّا عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَانًا إِلَيَّ، وَأَعْظَمُ مِنَّةً
لَدَيَّ، مِنْ أَنْ أَقَاصَهُمَا بِعَدْلٍ، أَوْ أُجَازِيَهُمَا عَلَى مِثْلٍ، أَيْنَ إِذَا يَا إلهي

عنا ذنوبنا (١)، إنتهى.

أي: اجعله سبباً لحظ ذنوبها. وقد تقدم توجيه اعتراف المعصومين عليهم السلام
بالذنوب والاستغفار منها، في الروضة الثانية عشرة بما لا مزيد عليه، فليرجع إليه.
ولما كان ابتلاء المؤمن بالمصائب والمكاره في هذه الدار، إقاماً لحظ لأوزاره أو
رفعة لمقداره، كما نطق به مستفيضات الأخبار، سأل عليه السلام أن يجعل الله
تعالى ما أصاب والديه من قبله من المكاره ونالهما من التقصير من جهته، سبباً لخير
عائد إليهما، وهو حظ لذنوبها ورفعة في درجاتها وزيادة في حسناتها، فيكون ما وقع منه
من السيئة حسنة له أيضاً.

ولذلك ختم هذا الفصل بقوله عليه السلام: يا مبدل السيئات بأضعافها من
الحسنات.

وقد مرّ شرح هذه الفقرة مبسوطاً في آخر الروضة الثانية، فأغنى عن الإعادة ٥٥.
عدى عليه وتعدى واعتدى: ظلمه وتجاوز الحد.
وفي: للظرفية المجازية.

ومن: للبيان.

وأسرف إسرافاً: جاوز المقصد، والاسم السرف بفتحيتين.

طُولُ شُغْلِهِمَا بِشَرِبَيْتِي، وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي، وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَيَّ
 أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوَسُّعَةِ عَلَيَّ، هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلَا أَدْرِكُ
 مَا يَجِبُ عَلَيَّ لِهَمَّاهُمَا، وَلَا أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ، وَأَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنْ اسْتُعِينَ بِهِ، وَوَقِّفْنِي يَا أَهْدَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ،
 وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلْإِبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ، يَوْمَ تَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ
 بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

قال الأزهري وغيره: السرف في الشيء: مجاوزة الحد المعروف لمثله (١)، إنتهى.
 وأكثر ما يستعمل في مجاوزة الحد في النفقة، ومنه: لاخير في السرف كما
 لا سرف في الخير (٢).

قال الراغب: وليس الإسراف متعلقاً بالمال فقط، بل بكل شيء وضع في غير
 موضعه اللائق به، ألا ترى أن الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر
 في غير المحرث، فقال: «إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم
 مسرفون»، ووصف فرعون بقوله عز وجل: «إنه كان عالياً من المسرفين»، وقوله:
 «وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين» (٣)، إنتهى.

وحق الإنسان: ما كان ثابتاً لازماً له.

وقصر به عن الشيء: تقصيراً: لم يبلغ به إليه.

يقال: قصر به - من باب قرب -، وقصر به تقصيراً عن الشيء بالتثقل:

للمبالغة، ومنه قصرت بنا النفقة: إذا لم تبلغ بنا مقصدنا.

وفي الحديث: إن قومك قصرت بهم النفقة (٤).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٢١٦-٢١٧

(١) تهذيب اللغة: ج ١٢ ص ٣٩٩.

(٤) صحيح البخاري: ج ٢، ص ١٨٠.

(٢) عوالي اللثالي: ج ١ ص ٢٩١ ح ١٥٤.

روي بتشديد الصاد المفتوحة، وبتخفيفها مضمومة. نصّ عليه الكرمانى في شرح البخارى (١).

فالباء للتعدية، فهي مع المخفف مثل خرجت به، ومع المثل مثل مثلت به تمثيلاً.

والمعنى: ما لم يبلغاني إليه من واجب لي عليهما.
والحق والواجب هنا وإن كانا بمعنى، إلا أن مفاد الفقرة الأولى ضياع الحق جملة، ومفاد الفقرة الثانية عدم إتمام الواجب بل الوقوف دونه، فقول بعضهم: إن ظرفية الباء أولى من سببيتها وهم أو حبط.

و«أو» في الموضعين: للتنويع.
ووهبت لزيد مالاً أهبه له هبة: أعطيته بلا عوض.
وجاد عليه يجود - من باب قال - جوداً بالضم: تكرم.
ورغبت إلى الله: تضرعت إليه وسألته.

والتبعة على وزن كلمة: ماتطلبه من ظلامه ونحوها.
ومدار هذا الفصل على تجاوزه عليه السلام عن مؤاخذتها بما وقع منها إليه، من الإساءة في قول أو فعل، أو إضاعة حق، أو تقصير في واجب.

فقد روى رئيس المحدثين بسنده عن سيد العابدين صاحب الدعاء عليه السلام أنه قال في حديث طويل: وأما حقّ ولدك فأنت تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه (٢).

(١) شرح صحيح البخارى: للكرمانى: ج ٨، ص ١٠٥. (٢) الخصال: ص ٥٦٨.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما (١).

والفاء من قوله: «فإني لا أتهمهما»: للسببية بمعنى اللام، فهي للدلالة على سببية ما بعدها لما قبلها.

واتهمته بكذا: ظننت به، واتهمته في قوله: شككت في صدقه. وأصله اوتهمت؛ لأنه من الوهم، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم أبدلت منها التاء فأدغمت في تاء الافتعال.

واستبطأته: اعتقدته ورأيت بطيئاً، وهو استفعال من البطء بالضم مهموز الآخر، وهو نقيض السرعة.

وتولّى الأمر تولية: صار عليه والياً تمييزاً عن رسله.

وكرر النداء أولاً بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات، وثانياً بوصف الربوبية المنبئة عما فيه صلاح المربوب؛ إظهاراً لكمال التضرع والابتهاال ومبالغة في الاستدعاء.

والفاء من قوله: «فهما أوجب»: سببية، إذ كان ما بعدها سبباً لما قبلها، فهي لتعليل جعله عدم اتهامهما على نفسه، واستبطأتهما في برّه، وكراهيته لما تولّياه من أمره، سبباً لتجاوزه عنها والرغبة إليه تعالى في وضع التبعة عنها، فكأنه قال: إنما جعلت حسن ظني بهما وما بعده سبباً لتجاوزي عن مؤاخذتهما؛ لأنهما أوجب حقاً عليّ إلى آخره.

ولك جعلها - أعني الفاء - رابطة للجملة بما قبلها، مثلها في قوله تعالى: «وإذا قيل

له إتق الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ» (١).

وقول بعضهم: استئناف الفاء في «فهما» أولى من سببيتها وهم؛ إذ لم يقل أحد باقتران الجملة الاستثنائية بالفاء مع ذكر المبتدأ فيها، بل صريح كلامهم أن الفاء الاستثنائية هي التي يقدر ما بعدها مبنياً على مبتدأ محذوف، نحو: ما تأتينا فتحدثنا بالرفع، أي: فأنت تحدثنا الآن بدلاً عن ذلك، وقول الشاعر:

• ألم تسأل الربع القواء فينطق •

أي: فهو ينطق.

وأوجب: أي: ألزم وأثبت، من وجب الشيء: إذا لزم وثبت.
وحقاً: منصوب على التمين وأصله حقها أوجب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه وهو ضمير الغائبين مقامه، فارتفع وانفصل وصارهما أوجب، ثم جيء بالمحذوف تمييزاً، وقس عليه قوله: «أقدم إحساناً وأعظم مئة».

وتوهم بعضهم أن هذا التمييز محوّل عن الفاعل كاشتعل الرأس شيباً، فخطب خبط عشواء.

وأقدم: أفعل من قدم الشيء بالضمّ قدماً على وزن عنب بمعنى سبق، أي: أسبق إحساناً.

و«من» في قوله: «من أن أقاصهما»: ليست صلة لأفعل، بل متعلّقة بالبعد المفهوم من التفضيل، لعدم صحّة قصد التفضيل والمشاركة للمفضّل عليه تحقيقاً أو تقديرًا، بل اسم التفضيل هنا مخرج عن معناه التفضيلي إلى التجاوز والبعد الذي يلزمه؛ فإنّ التفضيل يستلزم بُعد المفضّل عن المفضّل عليه، فكأنه قيل: هما بعيدان من جهة الحق من مقاصتي لهما، أو المعنى هما أبعد الناس حقاً من مقاصتي لهما،

على تضمين أفعال معنى أبعد. وقد بسطنا الكلام على بيان هذه المسألة واختلاف أقوال العلماء فيها في الروضة السادسة عشرة، فليرجع إليه.

فما وقع لبعض المعربين من أن «من» لا ابتداء الغاية جارة للمفضل عليه المؤول من أن المصدرية وأقاص، خبط لا يلتفت إليه.

وقاصصته مقاصصة - من باب قاتل - فعلت به مثل ما فعل، والاسم القصاص. ويجب إدغام الفعل والمصدر واسم الفاعل، يقال: قاصصه مقاصصة كما يقال: ساره مسارة وحاجة محاجة وما أشبه ذلك.

والعدل: إما بمعنى ضد الجور، فالبراء للاستعانة كما في كتبت بالقلم، أو للسببية متعلقة بأقاصصهما، جعل العدل كالألة للقصاص أو سبباً فيه. ويجوز أن تكون للملابسة فتكون متعلقة بمحذوف حال من ضمير المتكلم أي: ملتبساً بعدل، أو صفة لمصدر محذوف أي: مقاصصة ملتبسة بعدل.

وإما بمعنى المثل والنظير، فالبراء للمقابلة، نحو: كافأته على إحسانه بضعف، والمعنى أن أقاصصهما بمثل ما فعلاه بي.

وجازيته بذنبه: عاقبته عليه.

وأو: للتنويع.

وعلى: ليست صلة لأجانهما كما هو المتبادر؛ إذ لا معنى للمجازاة على فعل المثل، بل المجازاة إنما تكون على نفس الفعل، فهي متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مؤكد محذوف، والتقدير: أو أجانهما مجازاة كائنة على مثل أي: مماثلة لفعلها من الإساءة.

والفرق بين المقاصصة والمجازاة أن المقاصصة تكون بمقابلة الفعل بفعل من جنسه، كمقابلة الضرب بالضرب والجرح بالجرح، والمجازاة تكون بمقابله من غير جنسه، كمقابلة الشتم بالضرب، فكان مفاد كل من الفقرتين غير الآخر.

قال بعضهم: ويحتمل أن يكون المراد بفقرة المجازة بيان عدم قدرته على مجازة حقها بما يساويه ويمثله. ولا يخفى عدم ملاءمته لما قبله وما بعده.

قوله عليه السلام: «أين إذاً يا إلهي طول شغلها بتربيتي» استئناف لا نقطاع تعلق الجملة بما قبلها لفظاً، وإن تعلقت به من جهة المعنى، فهي كجملة الدعاء من قولك: مات فلان رحمه الله.

وأين: اسم استفهام عن المكان، وليس الاستفهام به على حقيقته، بل المراد به استعظامه لحقها واعتداده بإحسانها إليه.

وإذن عند الجمهور حرف بسيط، والنون فيها أصل كنون كن وعن، وهي حرف جواب وجزاء.

قال البدر الدمايني: معني كونها حرف جواب لأنها تستعمل في كلام مقتضب ابتداء، بحيث لا يكون هناك كلام متقدم يقتضي أن تكون الجملة التي فيها إذن جواباً له، وإنما تستعمل حيث يكون ثم سؤال أو كلام ملفوظ أو مقدر، وتكون الجملة التي وقعت إذن في صحبتها جواباً لذلك الكلام الملفوظ أو المقدر (١). والجواب في الحقيقة إنما هو تلك الجملة التي وقعت إذن في صحبتها، سواء وقعت في صدرها أو حشوها أو آخرها لا إذن وحدها، وليس المراد بالجواب ما يراد بجزء الشرط، ولا ما يراد في قولهم: أن مثل نعم، ولا حرف جواب كما توهمه بعضهم.

والمراد بكونها للجزاء أن يكون مضمون الكلام الذي هي فيه جزءاً لمضمون كلام آخر.

قال في المفصل: إذن: جواب وجزاء، يقول الرجل: أنا آتيك، فتقول: إذن

(١) تحفة الغريب بهامش النصف من الكلام: ج ١ ص ٤١-٤٢.

أكرمك، فقد جعلت كلامك جواباً لكلامه، وصيرت إكرامك جزاءً لا تيانه (١)،
إنتهى.

قال المرادي وغيره: قال قوم منهم الشلوبين: هي للجواب والجزاء في كل موضع (٢)، وتكلفوا تخريج ما خفي فيه ذلك.

وقال الفارسي: في الأكثر، وقد تكون للجواب وحده، نحو أن يقال:

أحبك، فتقول: إذن أظنك صادقاً، فلا يتصور هنا الجزاء (٣)، إنتهى.

وإنما يتصور هنا الجزاء لما قال الرضي: إن الشرط والجزاء اما في الاستقبال أو

في الماضي، ولا يتأتى شيء منهما في الحال (٤).

إذا عرفت ذلك فكون إذن في عبارة الدعاء للجواب كونها جواباً عن سؤال
مقدر، كأنه سئل عليه السلام فقليل له: ما عليك لو قاصصها بعدل وجازيتها على

مثل؟ فقال عليه السلام: أين إذن طول شغلها بتربيتي.

كما قال التبريزي في شرح الحماسة في قوله:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيباناً

إذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذلوثي لانا (٥)

قال سيبويه: إذن: حرف جواب وجزاء، فيجوز أن يكون هذا القائل قدراً أن

سائلاً سألته، فقال: ولو كنت من مازن فما ذا كانوا يصنعون؟

فقال: إذن لقام بنصري البيت، فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء

للمستببح (٦)، إنتهى.

وإذن هذه هي الناصبة للمضارع إذا دخلت عليه، بشرط تصديرها واستقباله

(١) المفصل: ص ٣٢٣.

(٤) الكافية النحو: ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) مغني اللبيب: ص ٣٠.

(٥) مغني اللبيب: ص ٣٠.

(٣) مغني اللبيب: ص ٣٠ نقلاً بالمعنى.

(٦) مغني اللبيب: ص ٣٠-٣١ نقلاً عن سيبويه.

واتصالهما أو انفصالهما بالقسم أو بلا النافية، والصحيح أنها هي الناصبة بنفسها لا بأن مضمرة.

وذهب بعضهم إلى أنها اسم، والأصل في «إذن أكرمك» إذا جئتني أكرمك، ثم حذفت الجملة وعوّض عنها التنوين وأضمرت أن.

وقال الزركشي في البرهان: وذكر بعض المتأخرين أن إذن تكون مركبة من إذ التي هي ظرف زمان ومضاف، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديرًا، لكن حذفت الجملة تخفيفاً وأبدل منها التنوين، كما في قولهم: حينئذٍ، وليست هذه الناصبة للمضارع؛ لأنّ تلك تختصّ به ولذا عملت فيه، وهذه لا تختصّ بل تدخل على الماضي، نحو: «إذا لا تيناهم»، «إذا لا أمستكم»، «إذا لأذقناك»، وعلى الاسم نحو: «إنكم إذا لمن المقربين»، قال: وهذا المعنى لم يذكره النحاة، لكنّه قياس ما قالوه في إذن (١)، إنتهى. *مركز تحقيق كتب التراث*

قال بعض المحققين: وعدم ذكر النحاة لهذا المعنى هو الوجه؛ لأنّ إذن هذه هي الناصبة للمضارع جزمًا، والقول بأنّ تلك تختصّ بالمضارع ممنوع؛ فقد صرح النحويون بعدم الاختصاص.

قال في التصريح: حكى سيبويه عن بعض العرب إلغاء إذن من عمل النصب في المضارع مع استيفاء شروط العمل، وهو القياس لأنها لا تختصّ (٢)، إنتهى.

وقال الزجاج والفارسي: الناصب أن مضمرة بعدها لا هي؛ لأنها غير مختصة إذ تدخل على الجمل الابتدائية، نحو: إذن عبد الله يأتيك، وتليها الأسماء مبنية على غير الفعل (٣).

(١) البرهان في علوم القرآن: ج ٤ ص ١٨٧.

(٢) شرح التصريح على التوضيح: ج ٢ ص ٢٣٥.

(٣) تحفة الغريب بهامش النصف من الكلام: ج ١ ص ٤١.

وقال الرضي: الذي يلوح لي في إذن ويغلب في ظني أن أصلها إذا، حذفت الجملة المضاف إليها وعوض منها التنوين، لما قصد جعله صالحاً لجميع الأزمنة الثلاثة بعد ما كان مختصاً بالماضي؛ وذلك أنهم أرادوا الإشارة إلى زمان فعل المذكور، فقصدوا إلى لفظ إذا الذي هو معنى مطلق الوقت لحظة لفظه، وجردوه عن معنى الماضي وجعلوه صالحاً للأزمنة الثلاثة، وحذفوا الجملة المضاف هو إليها؛ لأنهم لما قصدوا أن يشيروا به إلى زمان الفعل المذكور دل ذلك الفعل السابق على الجملة المضاف إليها، كما يقول لك شخص: أنا أزورك، فتقول: إذن أكرمك، أي: إذ تزورني أكرمك، أي: وقت زيارتك لي أكرمك، وعوض التنوين من المضاف إليه لأنه وضع في الأصل لازم الإضافة، فهو ككل وبعض إلا أنهما معربان.

وإذ مبني، فإذا على ما تقرّر صالح للماضي، كقوله: إذن لقام بنصري، وللمستقبل نحو: إن جئتني إذن أكرمك، وللحال نحو: إذن أظنك كاذباً، وإذن هاهنا هي إذ في قولك: حينئذ ويومئذ، إلا أنه كسر ذلك في نحو: حينئذ، لتكون في صورة ما أضيف إليه الظرف المقدم، وإذا لم يكن قبله ظرف في صورة المضاف فالوجه فتحه؛ ليكون في صورة ظرف منصوب لأن معناه الظرف، وقد جاء كسره نادراً كقوله:

نهيتك عن طلابك أم عمرو بعاقبة وأنت إذ صحيح
كما جاء فتحه في حينئذ نادراً. قال: وإنما ارتكبت ادعاء إذا زمانية محذوفة
الجملة المضاف إليها؛ لظهور معنى الزمان فيها في جمع استعمالها كما في إذ؛ فإن
معنى إن جئتني إذن أكرمك: في وقت المجيء أكرمك، وكذا لو زرتني إذن أكرمك،
ولاسيما في قوله تعالى: «فعلتها إذا وأنا من الضالين».

وقولهم: إذن أظنك كاذباً بالرفع، فإنها متمحضة للزمان ولا شرطية فيها، وقلب

نونها ألفاً في الوقف يرجح جانب اسميتها (١)، إنتهى.

وهذا القول مما تفرّد به الرضي ولم يقل به غيره فيما أعلم، وهو من الحسن بمكان، وعليه فعنى إذن في عبارة الدعاء: أين إذن أقاصصهما بعدل وأجازهما على مثل طول شغلها بتربيته، أي: وقت مقاصتي ومجازاتي لهما. وإتيا بسطنا الكلام على إذن هنا؛ لأنني لم أر من استوفى الكلام عليها في مثل هذه العبارة، فأردت أن أكشف عن حقيقتها، والله أعلم.

تنبيه

اتفقت نسخ الصحيفة الشريفة إلا ما شذ على رسم إذا بالألف، وهو الموافق لرسمها في المصاحف. واختلف النحويون في ذلك، وجزم ابن مالك في التسهيل بأنها تكتب بالألف مراعاة للوقف عليها؛ لأنها تبدل في الوقف ألفاً تشبيهاً لها بتنوين المنصوب (٢).

وعزاه ابن هشام في المغني للجمهور (٣).

وقال أبوحيان في شرح التسهيل: وذهب المازني والأكثر إلى أنها تكتب بالنون (٤).

واختلف النقل عن الفراء، فقال الرضي (٥) وابن هشام: قال الفراء: إن أعملت كتبت بالألف وإلا كتبت بالنون؛ للفرق بينها وبين إذا الزمانية، وأما إذا عملت فالعمل يميزها عنها (٦).

وقال أبوحيان: فصل الفراء: فقال: إن الغيت كتبت بالألف لضعفها، وإن

(٤) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(١) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٥) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٣٨.

(٢) التسهيل:

(٦) مغني اللبيب: ص ٣١.

(٣) مغني اللبيب ص ٣١

أعملت كتبت بالنون لقوتها (١).

وحكي عن أبي العباس المبرد أنه كان يقول: أشتي أن أكوي يد يكتب إذن بالألف لأنها مثل أن ولن، ولا يدخل التنوين في الحرف (٢).

وتعقبه ابن هشام في حاشيته على التسهيل بما لفظه: الحق أن كتابتها بالألف وأن الوقف عليها بالألف، وكذا وقف الفراء، وقوله مردود برسم الصحابة بالألف على حسب الوقف، ويخشى عليه عاقبة ما قال، ولا يعذب بالنار إلا خالقها (٣) إنتهى.

والحراسة بكسر الحاء قيل: اسم من حرسه.
قال الشهاب الفيومي في المصباح: حرسه يحرسه - من باب قتل -: حفظه،
والاسم الحراسة (٤).

مركز تحقيق كتب التراث

وقيل: مصدر.

قال في القاموس: حرس حرساً وحراسة فهو حارس (٥).
وفي الصحاح: حرسه حراسة: أي حفظه (٦).
وفي شرح جامع الأصول لمصنفه: الحراسة فعل الحارس، وهو من يحرسك وأنت ناظم (٧).

و«في» من قوله: «في حراستي»: إما ظرفية مجازية أو سببية، أي: لأجل حراستي.

وقتر على نفسه وعياله قتراً وقتوراً - من بابي ضرب وقعد -: ضيق في النفقة، وأقر

(٥) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٠٦.

(٦) الصحاح: ج ٣، ص ٩١٦.

(٧) شرح جامع الأصول:

(١) لم نثر عليه.

(٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) لا توجد لدينا هذه الحاشية.

(٤) المصباح المنير: ص ١٧٨.

إقتاراً وقتر تقتيراً: مثله، ففيه ثلاث لغات، كما أن في وسع ثلاث لغات أيضاً، يقال: وسع الله عليه رزقه يوسع بالتصحيح وسعاً - من باب نفع - أي: بسطه وكثره، وأوسع إيساعاً ووسعه توسيعاً وتوسعة: مثله.

وهيئات: اسم فعل بمعنى بُعد.

قال الواحدي: هو اسم سمي به الفعل ومعناه بُعد، وليس له اشتقاق؛ لأنه بمنزلة الأصوات، وفيه زيادة معنى ليست في بُعد، وهو أن المتكلم يهيات يخبر عن اعتقاده استبعاد ذلك الذي يخبر عن بعده، فكأنه بمنزلة قوله بُعد جداً وما أبعده، لا على أن يعلم المخاطب مكان ذلك الشيء في البعد، ففي هيئات زيادة على بُعد، وإن كان يفسر بعد (١)، انتهى.

وقال الرضي: كل ما هو بمعنى الخبر من أسماء الأفعال ففيه معنى التعجب، فعنى هيئات أي: ما أبعده، وشتان أي: ما أشد الافتراق، وسرعان وبطآن أي: ما أسرع وما أبطأه (٢).

وفي تاء هيئات الحركات الثلاث، فالفتح نظراً إلى أصله حين كان مفعولاً مطلقاً، لأن أصله المصدر، والكسر لالتقاء الساكنين؛ لأن أصل البناء السكون، والضم للتنبيه بقوة الحركة على قوة معنى البعد فيه؛ إذ معناه ما أبعده كما ذكرنا، كذا يستفاد من كلام الرضي (٣)، والمستعمل من هذه اللغات استعمالاً غالباً الفتح بلا تنوين، وفيها لغات أخرى أوصلها في القاموس إلى إحدى وخمسين لغة (٤).

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنوي: الجزء الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥.

(٢) و(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٩٦.

وفاعل هيهات في عبارة الدعاء ضمير مستتر عائداً إلى الوفاء بحق الوالدين، الذي أفهمه قوله بعده: «مايستوفيان منّي حقهما»، كما قيل في قوله تعالى: «هيهات هيهات لما تُوعَدُونَ» (١): إن فاعله ضمير عائداً إلى التصديق أو الصحة أو الوقوع أو الإخراج، المفهوم من قوله تعالى قبله: «أُتِيعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» (٢).

فإن قلت: ما قيل في الآية لا محذور فيه، لأنه كالإضمار بعد الذكر، وأما ما ذكرته في الدعاء فهو كالإضمار قبل الذكر، وهو محذور.

قلت: هو كقولهم في باب التنازع في نحو ضربني وأكرمت زيدا: إن فاعل ضربني مضمّر قبل الذكر لأنه قد جاء بعده ما يفسره على الجملة، وإن لم يجئ لمحض التفسير، كما جاء في نحو: ربّه رجلاً، فلا استبعاد فيما ذكرناه، وقد قال العربون بمثل ما قلناه في قوله تعالى: «ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ» (٣): إن فاعل بدا إما مصدره، أو الرأي المفهوم من السياق، أو المصدر المدلول عليه بقوله ليس جنته، والمعنى بدأهم بداء، أو رأي، أو سجنه، فالاحتمال الثالث هو نظير ما قلناه: في الدعاء، ومن أجاز حذف الفاعل قال: هو محذوف وليس جنته قائم مقامه، أي: وبدأهم سجنه، فحذف وأقيمت الجملة مقامه.

وعلى هذا، فلك في عبارة الدعاء دعوى حذف فاعل هيهات وقيام الجملة بعده مقامه، وهو ظاهر.

ومن الغريب ما توهمه بعض المترجمين من جواز كون «ما» من قوله: «ما يستوفيان» مصدرية، وهي ومسبوكةا فاعل هيهات، والتقدير: هيهات استيفاؤهما منّي حقهما، مع أن قوله: «ولا أدرك ما يجب عليّ لهما» لا يبقى معه لهذا التوهم

مجال؛ لأن لا معيّنة لكون «ما» نافية؛ إذ لا تقتصرن واو العطف بلا إلا إذا سبقت بنفي.

قوله عليه السلام: «ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتهما» السبأ: زائدة، وزيادتها في الخبر غير الموجب مقيس، ولا تحتاج إلى متعلق لزيادتها.

والوظيفة: ما يقدر من عمل أو رزق أو طعام ونحو ذلك ووظفت عليه العمل توظيفاً: قدرته. أي: لا أستطيع قضاء ما وظفته عليّ من خدمتهما.

وتأتي الوظيفة بمعنى الشرط، كما نصّ عليه في القاموس (١).

وإرادة هذا المعنى أيضاً صحيحة، أي: ما شرطته عليّ من خدمتهما. والجملة اسمية معطوفة على الفعلية قبلها، ومن منع عطف الجملة الاسمية على الفعلية وبالعكس، فله أن يقول: هي معطوفة على شيء متوهم؛ لأن معنى «ما يستوفيان متي حقهما ولا أدرك ما يجب عليّ لهما». ما هما بمستوفين متي حقهما ولا أنا بمدرك ما يجب عليّ لهما.

ونظير ذلك قول زهير:

تقيّ نقيّ لم يكتر غنيمة بهكة ذي قرى ولا بحقلد (٢)

قال ابن هشام: سألتني أبوحيان علام عطف بحقلد؟ فقلت: حتى أعرف ما الحقلد، فنظرنا فإذا هو السّي الخلق، فقلت: هو معطوف على شيء متوهم؛ إذ المعنى: ليس بمكتر غنيمة، فاستعظم ذلك (٣)، إنتهى.

ومن يرى الجواز مطلقاً - وهو الصحيح - يجعل ما ذكرناه من المعنى المتوهم في عبارة الدعاء رعايةً للتناسب، فاعرفه فإنه نفيس.

والفاء من قوله عليه السلام: «فصل على محمد وآله»: فصيحة، أي: إذا كان

(١) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٠٤-٢٠٥. (٢) و (٣) مغني اللبيب ص ٦٨٥.

.....

الأمر على ما ذكر فصل على محمد وآله وأعتني .
وحذف المستعان عليه والموفق له إمّا لتعنيهما، أو لإرادة التعميم مع الاختصار.
و«في» من قوله: «في أهل العقوق»: إمّا بمعنى: أي معهم، كما قيل في قوله
تعالى: «فادخلني في عبادي» (١) أي: مع عبادي، أو ظرفية أي: في زمرة أهل
العقوق.

والأمهات: جمع أمّ.
قيل: أصلها أمّهة؛ ولهذا جمعت أمّهات، وأجيب بزيادة الهاء وأنّ الأصل
أمّات.

قال ابن جني: دعوى الزيادة أسهل من دعوى الحذف (٢).
وقيل: كلّ أمّ وأمّهة لغة برأسها، فالأمّات جمع أمّ، والأمّهات جمع أمّهة،
ولاحاجة إلى دعوى زيادة ولا حذف، وكثر في الناس أمّهات، وفي غير الناس
أمّات للفرق.

قوله عليه السلام: «يوم تجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» متعلّق
بقوله: «لا تجعلني»، وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة الجاثية: «وخلق الله
السموات والأرض بالحقّ ولتجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» (٣)،
والتغيير اليسير لا يضر في الاقتباس، كما تقدّم ذكره في الروضة الأولى.

ويوم: منصوب على أنّه ظرف لتجعلني، والجملة في محلّ جرّ بإضافة يوم إليها.
وبما كسبت: متعلّق بتجزى، أي: بما كسبت من ثواب على طاعة أو عقاب
على معصية.

وما: يجوز أن تكون موصولة أي: بالذي كسبته، وأن تكون مصدرية أي:

(١) سورة الفجر: الآية ٢٩. (٢) المصباح المنير: ص ٣١. (٣) سورة الجاثية: الآية ٢٢.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهٖ وَذُرِّيَّتِهٖ، وَاخْصُصْ اَبُوَيَّ بِاَفْضَلِ مَا
خَصَّصْتَ بِهٖ اَبَاءَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاُمَّهَاتِهِمْ، يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

بكسبها.

وهم لا يظلمون: في محل نصب على الحال من كل؛ لأنها في معنى الجمع،
وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء، كما أن الأفراد أنسب بحال الكسب، أي:
لا يظلمون بنقص ما يستحقونه من الثواب، ولا بزيادة ما يستحقونه من العقاب.
وقد تقدم الكلام على اقتباس هذه الآية في أوائل الروضة الأولى بأبسط من
هذا، فليرجع إليه *.

عطف الذرية على الآل من باب عطف الخاص على العام؛ لأن ذرية الرجل
نسله، وآله ذوو قرابته، فكل ذرية آل دون العكس.
وأصل آل عند بعض: أول، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألفاً، مثل
قال (١)

وقيل: أصله أهل، لكن دخله الإبدال، واستدل عليه بعود الهاء في التصغير
فيقال: أهيل (٢).

ومن الغريب ما حكاه البطليوسي في كتاب الاقتضاب: من أن الكسائي
ذهب إلى منع إضافة آل إلى المضمرة، فلا يقال: آله بل أهله، وهو أول من قال
ذلك وتبعه النحاس والزبيدي، وليس بصحيح؛ إذ لا قياس يعضده ولا سماع
يؤيده (٣).

وقد تقدم الكلام على لفظ الذرية والخلاف في وزنها واشتقاقها في الروضة
الرابعة، فأغنى عن الإعادة (٤).

(١) و(٢) المصباح المنير: ص ٤٠.

(٣) المصباح المنير: ص ٤٠ نقلاً عنه.

(٤) ج ٢ ص ١١٩.

اللَّهُمَّ لَا تُنْسِي ذِكْرَهُمَا فِي أَذْبَارِ صَلَوَاتِي، وَفِي آنَاءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي.

وما: إما موصولة، أي: بأفضل الفضل أو الثواب الذي خصصت به آباء عبادك، أو نكره موصوفة، أي: بأفضل شيء، خصصت به آباء عبادك.

والمؤمنين: يجوز كونه صفة للمضاف أعني الآباء، أو صفة للمضاف إليه أعني عبادك، كما قالوه في قوله تعالى: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» (١): يجوز فيه كون الأعلى صفة للاسم أو صفة للرب. لكن قضيتهم قولهم: إن الصفة دائماً للمضاف إلا بدليل لأنه هو المقصود، والمضاف إليه جيء به لغرض التخصيص ولم يوث به لذاته، أن المؤمنين صفة للآباء لا غير.

لا يقال: الدليل هنا عطف الأسماء على الآباء من غير وصف، ولو كان المؤمنون صفة للآباء لقال: وأسمائهم المؤمنات. لأننا نقول: المقصود بالذات آباء العباد الموصوفون بالإيمان، وإلا فكيف من عبد مؤمن أبوه غير مسلم، فضلاً عن أن يكون مؤمناً، وإنما يصف الأسماء بالمؤمنات اكتفاءً بنية عن لفظه؛ لدلالة ما سبق عليه.

وأما جعل المؤمنين صفة للمتضائفين معاً، فلا يجوز قطعاً، لأنه يؤدي إلى تسليط عاملين مختلفي المعنى والعمل على معمول واحد من جهة واحدة، بناءً على أن العامل في المنعوت هو العالم في النعت، وهو الصحيح، والله أعلم.

المراد بعدم إنسانه تعالى ذكرهما: إما حسم أسباب النسيان، أو عدم سلب التوفيق لذكرهما، أو المراد: إلهامه ذكرهما أي: الهمني ذكرهما في أذبار صلواتي. والأذبار: جمع دبر بالضم وبضميتين، وهو من كل شيء عقبه، أي: في أعقاب صلواتي.

وقد فسر قوله تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ» (١) بأعقاب الصلوات.

وتخصيضا بالذكر لأنها من أوقات الإجابة، وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب» أي: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة، فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يعطك (٢).

والنصب: التعب، أي: اجتهد في الدعاء.

وعن الصادق عليه السلام: هو الدعاء في دبر الصلاة وأنت جالس. رواه أمين الإسلام في مجمع البيان (٣).

والإني بالكسر والقصر ويفتح مع المد: الساعة من الليل، وقد يقال فيه: اني على وزن ظني، واني بالكسر على وزن نحى، والجمع آناء.

وقال الجوهري: آناء الليل: ساعاته، قال الأخفش: واحدها أنا مثال معاً، وقال بعضهم: واحدها أنى وأنو، يقال: مضى إنيان من الليل وإنوان، وقال أبو عبيد (٤): واحدها إنى مثال نحى والجمع آناء (٥)، إنتهى.

والساعة: جزء ما غير مقدر من أجزاء الليل والنهار، وتطلق على جزء من أربعة وعشرين جزء من يوم بليته، وهو اصطلاح أهل الفلك، والعرب لا تعرف ذلك.

قال الشهاب الفيومي في المصباح المنير: الساعة. الوقت من ليل أو نهار، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قل، وعليه قوله تعالى: «لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً»، ومنه قوله عليه السلام: من راح في الساعة الأولى الحديث، ليس المراد

(١) سورة ق: الآية ٤٠.

(٤) «الف - ج» أبو عبيدة.

(٢) و (٣) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٥٠٩.

(٥) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٧٣.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهٖ، وَاغْفِرْ لِيْ بِدُعَائِيْ لَهٗمَا، وَاغْفِرْ لَهٗمَا
بِبِرِّهٖمَا بِيْ مَغْفِرَةٍ حَسَنًا، وَاَرْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِيْ لَهٗمَا رِضًى عَزَمًا، وَبَلِّغْهُمَا
بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ.

بالساعة التي ينقسم عليها النهار القسمة الزمانية، بل المراد مطلق الوقت وهو السبق،
والآ لاقتضى أن يستوي من جاء في أول الساعة القلكية ومن جاء في آخرها،
لأنهما جاءا في ساعة واحدة، وليس كذلك، بل من جاء في أولها أفضل ممن جاء
في آخرها، والجمع ساعات وساع وهو منقوص وساع أيضاً، (١) إنتهى.
والنكرة هنا ظاهرة في الاستغراق أي: في كل أنى من آناء ليلي وفي كل ساعة
من ساعات ناري.

كما ورد في رواية أخرى بذكر «كل» مضافاً إلى إني، وينبغي على هذه
الرواية عطف ساعة على إني بدون «في»، أو تقدير «كل» مضافاً إلى ساعة،
والله أعلم.

الباء: للسببية، أي: بسبب دعائي لهما وبسبب برهما: بي. وحتم الله الأمر
حتماً: أوجبه جزماً، أي: مغفرة محتومة.

وعزماً: أي معزوماً، من عزم الله أي: أراد وقصد وقطع وفرض أن يكون ذلك
ويحصل، ومنه قوله تعالى: «إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (٢).

قال الزمخشري في الكشاف: أي إن ذلك مما عزم الله من الأمور، أي: قطعه
قطع إيجاب وإلزام، ومنه الحديث: لا صيام لمن لا يعزم الصيام من الليل، أي: لم
يقطعه بالنية، الأ ترى إلى قوله: لمن يبت الصيام، ومنه، إن الله يحب أن يؤخذ
بإرضاه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه، وقولهم: عزمة من عزمات ربنا، ومنه: عزمات
الملوك، وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده: عزمت عليك إلا فعلت

اَللّٰهُمَّ وَاِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهَا فَشَفَّعْهَا فِيَّ، وَاِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ

كذا إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه، وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور أي: مقطوعاتها ومفروضاتها (١)، إنتهى كلام الزمخشري.

قلت: ومن ذلك ماورد في الدعاء: أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك (٢)، أي: ما أوجبه من رحمتك وعزمت أن يكون ويحصل من مغفرتك. ويجوز أن يكون عزماً بمعنى عازم، من عزم الأمر نفسه إذا عزم عليه، على ما قال الزمخشري في قوله تعالى: «مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ» (٣): يجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل، أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى: «فَاذَاعَزَمِ الْأُمُورِ» (٤)، كقولك: جد الأمر وصدق القتال (٥).

قال بعضهم: ولعل المغفرة التي ليست بحتم والرضا الذي ليس بعزم، هما المعلقان بشرط أو صفة أو وقت أو بنوع من الذنب، إنتهى. ومن زعم أن انتصاب حتماً وعزماً على التمييز فقد أبعد. والباء من قوله: «بالكرامة»: للملابسة، أي: ملتبسين بالكرامة. والمواطن: بمعنى الوطن، وهو المكان والمقر.

والمراد بمواطن السلامة: الجنة؛ لسلامتها وسلامة أهلها. فيها من المكاره والآفات؛ ولذلك سميت دارالسلام، وجمعها باعتبار تعددها، أو باعتبار تعدد أماكنها ومساكنها، والله أعلم.

سبق يسبق سبقاً - من باب ضرب -: تقدّم، وهذا السبق يحتمل أن يكون أزلاً وتقديراً، كقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ الْحُسْنَى» (٦)، وأن يكون زماناً

(١) تفسير الكشاف: ج ٣، ص ٤٩٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٤) سورة محمد: الآية ٢١.

(٥) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٤٩٧.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

لِي فَشَفِّعْنِي فِيهِمَا، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ، وَمَحَلِّ
مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْمَنِّ الْقَدِيمِ، وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

ووجوداً.

وشفعه تشفيعاً: قبل شفاعته، وهي السؤال في التجاوز عن الآثام والمعاصي.
وحَتَّى: بمعنى كي التعليلية، أي: كي نجتمع.
والرأفة: أشد الرحمة وأرقها، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع فيها
للمصلحة.

والكرامة: التعظيم والإجلال.

عبر عن الجنة بدار الكرامة لإكرام الله سبحانه أهلها بأنواع الكرامة، وعبر عنها
بمحَلِّ المغفرة والرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى فإنه
لا يدخل الجنة إلا بمغفرة الله ورحمته.

وقوله: «إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» تعليل لما قبله، وتحريك لسلسلة الإجابة،
وإذعان بأن كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فإنه من عنده ابتداء منه إليهم
وتفضلاً عليهم، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، فهو ذو الفضل العظيم.

والمَنِّ القديم: أي الإناعام السابق على الاستحقاق قوله عليه السلام: «وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» جملة تذييلية جاء بها في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته؛
فإن الابتداء بالنعمة يوجب الإتمام، وسعة الرحمة تقتضي عمومها والزيادة فيها،
فهي لاستدعاء الرحمة من جهته تعالى، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الرابعة والعشرين من رياض السالكين، وقد وفق الله سبحانه
لإتمامها بإعانتة ومحض عنايته، صبيحة يوم السبت لاثنتي عشرة خلون من شهر
الله الأصم، أحد شهور سنة احدى ومائة وألف بقلم مؤلفها، والله الحمد.



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی



الروضة الخامسة والعشرون



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْلَا هُوَ عَلَيْنَا سَلَامٌ

اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَى بَيْقَاءٍ وَلَدِي بِإِصْلَاحِهِمْ لِي قِيَامَتَا عِيَالِهِمْ
الْهِ أَمْدَدِي فِي أَعْمَارِهِمْ وَزِدْ لِي فِي أَجَالِهِمْ وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ وَ
قَوْلِي ضَعِيفَهُمْ وَاصْحَحْ لِي أَبْدَانَهُمْ وَأَدْيَانَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَعَافِيَهُمْ فِي
أَنْفُسِهِمْ وَفِي جَوَارِحِهِمْ وَفِي كُلِّ مَا غَنَيْتَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَذْرَيْتَ
وَعَلَى هَدْيٍ لِرِزْقِهِمْ وَاجْعَلْهُمْ أَبْرَارًا وَآتِقِيَاءَ بَصَرَاءَ سَامِعِينَ
مُطِيعِينَ لَكَ وَلَا وَلِيَاءَكَ مَحْتَجِينَ مُنَاجِيِينَ وَكُلَّ جَمْعٍ أَعْدَاكَ
مُعَادِينَ وَمُبْغِضِينَ آمِينَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضْدِي وَأَقِمْ بِهِمْ
أَوْدِي وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي وَزِدْهُمْ مَحْضَرِي وَآخِي بِهِمْ ذِكْرِي وَآفِيَةً
بِهِمْ فِي غَيْبِي وَأَعِزَّهُمْ عَلَيَّ حَاجَتِي وَاجْعَلْهُمْ لِي مَحْتَجِينَ وَعَلَى حَاجَتِي
مُقِيلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِبِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا
خَاطِبِينَ وَأَعِزَّهُمْ عَلَيَّ تَرْبِيَتِهِمْ وَنَادِيَتِهِمْ وَبَرِيَّتِهِمْ وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
مَعَهُمْ أَوْلَادًا أَذْكَورًا وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْرًا لِي وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْنًا عَلَى
مَا سَأَلْتُكَ وَأَعِزَّنِي مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَ
أَمَرْتَنَا وَهَبْتَنَا وَرَعَيْتَنَا فِي ثَوَابٍ مَا أَمَرْتَنَا وَرَهَبْتَنَا عِقَابَهُ وَ

جَعَلْتَ لَنَا عَدُوًّا يَكِيدُ نَاسَاطَتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ نَسْلُطْنَا عَلَيْهِ
مِنْهُ وَأَسْكَنَتْهُ صُدُورَنَا وَأَجْرَبَتْهُ مُجَارِي دِمَائِنَا لَا يَغْفُلُ إِنْ
غَفَلْنَا وَلَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا يُؤْمِنُنَا عِقَابُكَ وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ إِنْ
هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ تَجْتَمِعُنَا عَلَيْهَا وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ يُبْطِلُنَا
عَنْهُ يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ وَيُنْصِبُ لَنَا بِالْإِثْمَاتِ إِنْ وَعَدْنَا
كَذِبًا وَإِنْ مَنَّا أَخْلَفْنَا وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ يَضِلُّنَا وَإِلَّا
تَغْنَا خِبَالَهُ يَسْتَرْكِنَا اللَّهُمَّ فَاقْهَرِ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ حَتَّى
تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَرَّةِ الدُّعَاءِ لَكَ فَتَصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ
اللَّهُمَّ اعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِی وَاقْضِ لِي حَوَائِجِي وَلَا تَمْنَعْنِي لِإِجَابَةِ
وَقَدْ خَمِسْتُهَا لِي وَلَا تَحْبُجْ دُعَائِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَمِنْتُ عَلَى
بِكُلِّ مَا يَصِلُحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسِيتُ أَوْ
أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ
مِنَ الْمُصْلِحِينَ يُسْأَلُ إِلَى إِيَّاكَ الْمُتَّحِينَ بِالطَّلِبِ إِلَيْكَ غَيْرَ الْمُنَوَّحِينَ
بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ الْمُعَوِّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ الرَّابِحِينَ فِي التَّجَارَةِ عَلَيْكَ
التَّجَارِينَ بِغَيْرِكَ الْمُوسِعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعَ بِجُودِكَ

وَكَرَمِكَ الْمُعْزِينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ وَالْمُجَارِبِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ وَالْمُعْتَنِينَ
مِنَ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ وَالْمُعْتَنِينَ مِنَ الْفَقْرِ بِغِنَاكَ وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّرِّ^{رُشِّ}
وَالزَّلَلِ وَالْخَطَا بِتَقْوَاكَ وَالْمُؤْتَقِينَ لِلْغَيْبِ وَالرُّشْدِ وَالصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ
وَالْمُحَالِ بِتَهْمُورِ يَتِّينِ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَةٍ
التَّالِكِينَ فِي جَوَارِكَ اللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ
وَأَعِزَّنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوَلَدِي فِي عَاجِلِ
الدُّنْيَا وَآخِلِ الْآخِرَةِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
عَمُّو غُفُورٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ وَإِنِّي فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ

وَقِنَا عَذَابَ

التَّارِ



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين (١)

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، عاطف قلوب الوالدين بمزيد الرأفة على ما ولدا، والصلاة على نبيه أشرف الآباء والبنين، وعلى عترته النجباء أئمة المؤمنين.

وبعد فهذه الروضة الخامسة والعشرون من رياض السالكين، في شرح الدعاء الخامس والعشرين من صحيفة سيد العابدين، إملأه الفقير إلى ربه الغني علي صدرالدين الحسيني الحسني، غفر الله له ولوالديه وولده، ووفقه للعمل في يومه لغده قبل خروج الأمر من يده.

شرح الدعاء الخامس والعشرين

وكان من دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِوَلَدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

دعاء الوالدين للولد من برّهما به، ومحبتهما له، وإعانتها له على برّهما. ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما (١). وعنه عليه السلام قال: قال له رجل من الأنصار: من أبرّ؟ قال: والدك، قال: قد مضى، قال: برّ ولدك (٢). وعنه عليه السلام قال: إنّ الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده (٣). ودعاء الوالد لولده من جملة الدعاء الذي لا يرد ولا يحجب. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة لا تردّ لهم دعوة حتّى تفتح لهم أبواب السماء وتصير إلى العرش: الوالد لولده، والمظلوم على من ظلمه، والمعتمر حتّى يرجع، والصائم حتّى يفطر (٤). وعنه عليه السلام قال: كان أبي يقول: خمس دعوات لا يحجب عن الربّ تبارك وتعالى: دعوة الإمام المقسط، ودعوة المظلوم يقول الله عزّ وجل: لا نتقمّن لك ولو بعد حين، ودعوة الولد الصالح لوالديه، ودعوة الوالد الصالح لولده، ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب فيقول: لك ذلك مثلاه (٥) ٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥١٠ ح ٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٩ ح ٢، وفيه: «ولك مثله».

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٦٥ ح ٣٢.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٩ ح ٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٢١٩.

قال: صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَيَّ بَقَاءٌ وَلُدَيَّ، وَإِصْلَاحُهُمْ لِي، وَإِيْمَتَاعِي بِهِمْ.

مَنْ عَلَيْهِ بِكَذَا مَثًّا - مِنْ بَابِ قَتَلَ -: أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ .
والبقاء: يطلق على استمرار الوجود ولا يكون إلا لله سبحانه، ومنه: سبحانه
من توحد بالبقاء (١)، وعلى طول الوجود، وهو المراد هنا.
ومعنى إصلاحهم له: إصلاحهم لبره وطاعته، وفيه تلميح إلى قوله تعالى:
«وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي» (٢).

قيل: هو دعاء بإصلاح ذريته لبره وطاعته؛ لقوله: لي.
وقيل: إنه دعاء بإصلاحهم لطاعة الله عز وجل.
قال أمين الإسلام: وهو الأشبه؛ لأن طاعتهم لله من بره (٣).
وعن الزجاج: أي اجعل ذريتي صالحين (٤).

وقال سهل بن عبد الله: معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق (٥)
وهذه المعاني كلها محتملة في عبارة الدعاء.

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى «في» في قوله تعالى: «وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي»؟ قلت: معناه أن يجعل ذريته موقعاً للإصلاح ومظنة له، كأنه قال: هب لي
الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم (٦)، انتهى.

وقيل: هو على تضمين أصلح معنى بارك .

وأمتع الله بكذا إمتاعاً ومتعه به تمتيعاً: أبقاه له ليستمتع به أي: لينتفع به.
يقال: استمتع بالشيء وتمتع به أي: انتفع، وهو من المتاع، وهو في اللغة كل
ما ينتفع به .

(٤) و(٥) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٨٦.

(٦) الكشف: ج ٤ ص ٤٠٢.

(١) لم نعر عليه.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٣) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٨٦.

إلهي امدد لي في أعمارهم، وزد لي في آجالهم، ورب لي صغيرهم،
وقوّ لي ضعيفهم، وأصح لي أبدانهم وأذيانهم وأخلاقهم، وعافهم في

قال الفارابي في ديوان الأدب: مد الله في عمره أي: أمهل له وطول له (١) انتهى.
والأعمار: جمع عمر بالضم وبضمّتين وبالفتح والسكون، وهو الحياة.
وقيل: مدّة بقاء الحياة.

والآجال: جمع أجل بالتحريك وهو مدّة العمر، ويطلق على الوقت الذي
ينقضى فيه.

قال بعضهم: يحتمل أن يكون الفقرة الثانية تأكيداً للأولى؛ لحرصه عليه
السّلام على بقائهم.

ويحتمل أن يراد بالأعمار رفاهيّة العيش وحسن الحال؛ فإنّ العرب كانت
تسمي من عاش في رفاهيّة طويل العمر وإن قصر عمره، ومن ليس كذلك قصير
العمر وإن طال عمره.

ولهذا قال بعضهم: فهل رأيتم شيخاً بلا عمر؟ وكانوا يعدّون أيام السرور
ويقولون عاش فلان كذا يوماً وكذا سنة، وإن كان عمره أكثر، إنتهى.

قلت: إذا أريد جعل الفقرة الثانية تأسيساً لتأكيداً، فالأولى أن يراد بالمدّ في
الأعمار البركة فيها، بأن يبارك فيها بالتوفيق لأعمال الطاعات وعمارة أوقاتهم بالخيرات.
وقد فسّر قوله عليه السّلام: صلة الرحم منساة في الأجل، أي: تأخير في مدّة
العمر وسبب لزيادته وإنّ معنى الزيادة في العمر زيادته بالبركة فيه، بتوفيقه إلى
أعمال الطاعة وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة؛ فإنّ هذا المعنى أجدر أن يكون
منظوراً له عليه السّلام من رفاهيّة العيش، والله أعلم بمقاصد أوليائه.
وربّاه يربّيه تربية: أوصله كما له تدريجاً.

أَنْفُسِهِمْ، وَفِي جَوَارِحِهِمْ، وَفِي كُلِّ مَا غُنِيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَذْرَلِي
وَعَلَى يَدِي أَرْزَاقَهُمْ، وَاجْعَلُهُمْ أَبْرَاراً أَتْقِيَاءَ بُصْرَاءَ، سَامِعِينَ مُطِيعِينَ

والقوة: تطلق على كمال القدرة، وعلى شدة الممانعة والدفع، ويقابلها
الضعف بالمعنيين، وكل من المعنيين في المتقابلين محتمل هنا، ولا يجوز إرادة كلا
المعنيين فيها معاً، فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له عند
المحققين، بل يمكن أن يراد بالتقوية معنى مجازي عام، يكون كلا المعنيين - من
تكميل القدرة، وتشديد الممانعة والدفع - فرداً حقيقياً له وهو إصلاح حالهم؛ فإن
كلاً من المعنيين المذكورين فرد حقيقي له، وكذلك يراد بالضعف سوء الحال،
فيكون نقص القدرة وقلة الممانعة والدفع فرداً حقيقياً له، فافهم ذلك فإنه قل من تنبه له.
والصحة في الأصل: للبدن، وهي حالة طبيعية له تجري أفعاله معها على
المجرى الطبيعي، ثم استعيرت للأفعال والمعاني، فقل: صحت الصلاة إذا أسقطت
القضاء، وصح العقد إذا ترتب أثره عليه، وصح مذهبه إذا وافق الحق.

فإن قلت: يلزم على هذا الجمع بين الحقيقية والمجاز في عبارة الدعاء، لأن
الصحة في الأبدان حقيقة، وفي الأديان والأخلاق مجاز، وقد صرحوا بأن إرادة
المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيحة.

قلت: المسألة ذات خلاف مشهور، فمن جور اجتماع الحقيقة والمجاز في كلمة
واحدة، واحتج بقولهم: القلم أحد اللسانين، فله أن يختار استعمالها فيهما، ومن
لا يرى صحة فينبغي أن يراد بالصحة معنى مجازي عام، يكون كل واحد من المعاني
المقصودة للصحة فرداً حقيقياً له، كما قلناه آنفاً في المشترك، أي: وأصلح لي
أحوالهم، وذلك في أبدانهم بالصحة التي هي الحالة الطبيعية، وفي أديانهم بالصحة
التي هي موافقة الحق، وفي أخلاقهم بالصحة التي هي الكرم والحسن، وقس على
ذلك.

قوله عليه السلام: «وعافهم في أنفسهم وجوارحهم وفي كل ما غنيت به من

لَكَ وَلَا أَوْلِيَاءَكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ، وَلِجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ
وَمُبْغِضِينَ آمِينَ.

أمرهم» إذا أردت التفادي من لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز، بناءً على أن العافية في الأصل بمعنى الصحة البدنية ثم استعيرت لمعانٍ أخرى، والأظهر أنها لمعنى عام متناول لدفع جميع المكروهات في النفس والبدن وفي الدين والدنيا والآخرة، فلاحاجة إلى ذلك.

وعنيت بأمر فلان بالبناء للمفعول: شغلت به واهتممت به فأنا معني به، وربما قيل: عنيت بأمره بالبناء للفاعل فأنا عانٍ، والأول أكثر، وبه وردت رواية الدعاء لا غير. ودرّ اللبن وغيره - من باب ضرب وقتل - درّاً: كثر وزاد، وأدرّ الله الرزق إدراراً: كثره ووسّعه.

وقال شيخنا البهائي في المفتاح: المراد بالرزق الدار: الذي يتجدد شيئاً فشيئاً من قولهم: درّ اللبن إذا زاد وكثر جريانه من الضرع (١).

قال بعضهم: وفي تقييده السؤال بقوله عليه السلام «لي» في جميع الفقرات، ما يدل على أن الدعاء له ولهم، وعلى تمام الحنو والشفقة، وعلى أن الدعاء له عليه السلام أبلغ في الدعاء وأقرب إلى الإجابة، وعلى أن كل واحد مقاسأل يكون على الوجه الكامل، إنتهى.

وقوله عليه السلام: «وعلى يدي» أي: بواسطتي.

والمراد جعله واسطة في وصول أرزاقهم إليهم، يقال: جرى الأمر على يد فلان إذا وقع بوساطته، كأنه أخذه واعطاه بيده.

ومنه الحديث: خلقت الخير وأجريته على يدي من أحبّه، فطوبى لمن أجرته على يديه (٢).

(١) مفتاح الفلاح: ص ٤٥.

(٢) المحاسن للبرقي: ص ٢٨٣، وبحار الأنوار: ج ٥ ص ١٦٠ ح ١٨.

وفائدة هذا السؤال أمران:

أحدهما: أن يزدادوا طاعة له ومحبة وبرا؛ فإن من عرف أن الله تعالى أجرى رزقه على يد شخص، فلا شك أنه يحبه ويعظمه ويطيعه.

الثاني: إجراء الخير على يده عليه السلام، كما تضمنه الحديث المذكور. والأبرار: جمع بار أو بر، كأصحاب جمع صاحب وأرباب جمع رب. يقال: الرجل برّ بربّاً مثل علم يعلم علماً فهو برّ بالفتح و بارّ وهو خلاف الفاجر. وقيل: هو الصادق.

وقيل: هو الكثير البرّ، أي: الخير، والأتساع في الإحسان. وقال الطبرسي: هو الذي برّ الله بطاعته إياه حتى أرضاه (١). والظاهر أن المراد به البارّ لوالديه؛ بقرينة قوله عليه السلام: أتقياء؛ تلميحاً إلى قوله تعالى: «وكان تقيّاً» و «برّاً بوالديه» (٢).

والأتقياء: جمع تقيّ، وهو المطيع المتجنب عن المعاصي. وقال الشهاب الفيومي: رجل تقيّ: أي زكيّ، وقوم أتقياء، وتقي يتقى - من باب تعب - تقاةً واتقاه اتقاءً، والاسم التقوى، وأصل التاء واو، لكنهم قلبوا (٣)، إنتهى.

والبصراء: جمع بصير بمعنى العالم، من بصر بالشئ بالضم بصراً بفتحين بمعنى علم فهو بصير به.

وسامعين أي: مصغين إصغاء الطاعة.

يقال: فلان سامع مطيع أي: سامع لما يؤمر به كائناً ما كان سميع طاعة وقبول، ومنه قوله تعالى: «واتقوا الله واسمعوا» (٤).

(٣) المصباح المنير: ص ١٠٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٨.

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٥٥٥.

(٢) سورة مريم: الآية ١٣ و ١٤.

اللَّهُمَّ أَشَدُّ بِهِمْ عَضْدِي، وَأَقِمَّ بِهِمْ أَوْدِي، وَكَثَّرَ بِهِمْ عَدَدِي،
وَزَيَّنَّ بِهِمْ مُحْضَرِي، وَأَخِي بِهِمْ ذِكْرِي، وَكَفَّنِي بِهِمْ فِي غَيْبَتِي، وَأَعْنَتِي
بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَادِبِينَ مُقْبِلِينَ،
مُسْتَقِيمِينَ لِي مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِبِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا

ومطيعين أي: مذعنين منقادين لحكمك .

وقوله عليه السلام: «ولأوليائك محبتين مناصحين» عطف على ثاني مفعولي
واجعل، أي: واجعلهم محبتين مناصحين لأوليائك، وإنما فصل بين العاطف
والمعطوف لأن الفصل بالظرف كذا فصل. وقس عليه قوله: «ولجميع أعدائك
معاندين ومبغضين».

وآمين: بالقصر في لغة الحجاز، والمدة إشباع بدليل أنه لا يوجد في العربية كلمة
على فاعيل، ومعناه: استجب، وقد سبق الكلام عليه مبسوطاً، فليرجع إليه ٥.
الشدة: التقوية، شدة يشده شداً - من باب قتل .

والعضد: ما بين المرفق إلى الكتف، وفيها خمس لغات أشهرها وزن رجل،
وبضمتين في لغة الحجاز، ومثل كبد في لغة بني أسد، وكفلس في لغة تميم وبكر،
والخامسة مثال قفل (١).

وحكى تغلب العضد بفتح العين والضاد، (٢) فتكون لغاتها ستة.

قال أبو زيد: أهل تهامة يؤنثون العضد، وبنو تميم يذكرون (٣).

وقال اللحياني: العضد مؤنثة لا غير (٤).

قال الفارابي في ديوان الأدب: شدة عضده أي: قواه (٥).

(٤) لسان العرب: ج ٣ ص ٢٩٢.

(٥) ديوان الأدب: ج ٣ ص ١٢٠.

(١) المصباح المنير: ص ٥٦٧.

(٢) لسان العرب: ج ٣ ص ٢٩٢.

(٣) المصباح المنير: ص ٥٦٧.

خَاطِئِينَ، وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبَرِّهِمْ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَادًا ذُكُورًا، وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْثًا عَلَى مَا سَأَلْتُكَ.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ»: العَضُد: قِوَامُ الْيَدِ وَبَشَدَتُهَا تَشَدُّ الْيَدِ، قَالَ طَرَفَةُ:

أَبْنِي لِبْنِي لَسَمَ بِيَدِ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

وَيُقَالُ فِي دَعَاءِ الْخَيْرِ: شَدَّ اللَّهُ عَضُدَكَ، وَفِي ضِدِّهِ فَتَّ اللَّهُ فِي عَضُدِكَ، وَمَعْنَى سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ: سَنَقْوِيكَ بِهِ وَنَعِينُكَ، فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْيَدَ تَشَدُّ بِشَدِّ الْعَضُدِ، وَالْجُمْلَةُ تَقْوِي بِشَدِّ الْيَدِ عَلَى مَزَاوِلَةِ الْأُمُورِ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ الرَّجُلَ مَشَبَّهُ بِالْيَدِ فِي اشْتِدَادِهَا بِاشْتِدَادِ الْعَضُدِ، فَجَعَلَ كَأَنَّهُ مَشَدُّ بِعَضُدٍ شَدِيدَةٍ (١)، إِنْتَهَى.

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

فَعَلَى الْأَوَّلِ: هُوَ كُنَايَةٌ تَلْوِيحِيَّةٌ عَنْ تَقْوِيَّتِهِ.

وعلى الثاني: استعارة تمثيلية، شبه حاله في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بعَضُدٍ شَدِيدَةٍ.

وفي قوله: فِي اشْتِدَادِهَا بِاشْتِدَادِ الْعَضُدِ، إِشَارَةٌ إِلَى تَرْكَبِ التَّشْبِيهِ.

وَأَقَامَ أَوْدَهُ: أَيِ أَزَالَ اعْوِجَاجَهُ، وَالْأَوْدُ بَفَتْحَتَيْنِ: الْعَوَجُ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارَةٌ لِاخْتِلَالِ الْحَالِ وَخُرُوجِهَا عَنْ حَدِّ الاسْتِقَامَةِ، أَيِ: وَأَصْلَحَ بِهِمْ اخْتِلَالُ حَالِي، وَالظَّاهِرُ أَنَّ طَلَبَهُ لَذَلِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِي أَوْدٌ وَاعْوِجَاجٌ فَاقِهِ بِهِمْ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ صَدَقِ الشَّرْطِيَّةِ صَدَقَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ جُزْءِهَا، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ صَدَقَ كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُوعُ الْاعْوِجَاجِ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى إِقَامَتِهِ بِهِمْ.

والرواية في أكثر النسخ: «وأقم به أودي» بإفراد الضمير، وهو باعتبار إرجاعه إلى الشد المفهوم من قوله عليه السلام: اشدّد، نحو قوله تعالى: «أعدّلوا هُؤ» أقرب» (١).

وقيل: أو إلى العضد ولو على وجه الاستخدام.
والعدد: الكمية المتألّفة من الوجدان، أو المراد به هنا كمية جماعته من أهله وعترته؛ لما في كثرتهم من عزة الجانب وحماية الحوزة.
قال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصي
أراد بالحصي هنا العدد.
قال الجوهري: أحصيت الشيء: عدّدته، وقولهم: نحن أكثر منهم حصي أي: عددًا (٢)، إنتهى.

والمحضر: مكان الحضور، وتزيّن محضره بهم كناية عن تحليّتهم بالفضائل والكمالات التي من حلّي بها كانت زينة للمحاضر والمشاهد إذا حضرها.
وأحياء: جعله حيّاً.

والمراد بالذكر هنا: الصيت والذكر الجميل في الناس.
قال في الأساس: ومن المجاز: له ذكر في الناس أي: صيت وشرف (٣).
أي: أبق بهم ذكري وأظهره بين الناس.

شبه الإبقاء والإظهار بالإحياء في الإيجاد، ثم استعار لفظ الإحياء لذلك الإبقاء، وهي استعارة تبعية، والقرينة جعل مفعوله الذكر، وهو لا يحى حقيقة؛

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣١٥.

(٣) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣١٥.

(٤) أساس البلاغة: ص ٢٠٥.

لأن الإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية، وتفتقر إلى البدن والروح.

ويحتمل أن يكون استعارة بالكناية، بأن يكون شبه ذكره الذي ينقطع بعد موته بالإنسان الميت، وأثبت له الإحياء الذي هو من لوازم المشبه به. وحياة الذكر من مشهورات الاستعارات، قال الشاعر:

هو الموت فاختر ما حلالك ذكره فلم يميت الإنسان ما حيي الذكر (١)

وهذه الفقرة تتضمن الدعاء بأمرين:

أحدهما: إبقاؤهم بعده ليذكر بهم بعد موته.

والثاني: جعلهم فضلاء كاملين، بحيث ينتشر صيته بهم في الناس.

وكفاه الأمر: قام مقامه فيه، أي: اجعلهم قائمين مقامي في غيبي. وأعانه على أمره: ساعده عليه.

وحدب عليه حدباً - من باب تعب -: تعطف عليه، فهو حدب على وزن كتف.

والإقبال: هنا كناية عن الإعتناء والإكرام؛ لأن من اعتنى بأحد وأكرمه التفت إليه وأقبل عليه بوجهه.

ومستقيمين: أي مستويين لا اعوجاج فيهم، وذلك بالتحلي بالأخلاق الفاضلة المعتدلة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين، أو ثابتين على الطاعة والبر دائمين على الانقياد لي،

ومنه حديث: استقيموا لقريش ما استقاموا لكم (٢).

(١) أنوار الربيع: ج ٣ ص ٩٨.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ١٢٥.

أي: دوموا لهم في الطاعة واثبتوا عليها ماداموا على الدين وثبتوا على الإسلام. قوله عليه السلام: «غير عاصين» إماما نعت مؤكد لمعنى قوله: «مطيعين»، أو حال مؤكدة من الضمير في مطيعين. و«لا»: مزيدة لتأكيد ما أفاده «غير» من معنى النفي، كأنه قيل: لا عاصين ولا عاقين. ولا خاطئين: أي متعمدين للذنوب. قال الأموي: المخطئ: من أراد شيئاً فصار إلى غيره، والخاطئ: من تعمد ما لا ينبغي (١).

وقال الفيومي: قال أبو عبيدة: خطئ خطأ - من باب علم - وأخطأ: بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد. وقال غيره: خطئ في الدين، وأخطأ في كل شيء عامداً أو غير عامد.

وقيل: خطئ إذا تعمد ما نهى عنه فهو خاطئ، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره، فإن أراد غير الصواب وفعله قيل: قصده وتعمده (٢)، إنتهى. وفي الأساس: أخطأ في المسألة وفي الرأي، وخطئ خطأ عظيماً: إذا تعمد الذنب (٣).

قوله عليه السلام: «وهب لي من لدنك معهم» كلا الجارين والظرف متعلق بهب، فاللام صلة له، ومن: لا ابتداء الغاية مجازاً، ومع: لزمان الاجتماع، ويجوز أن يكون «من» متعلقة بمحذوف وهو حال من المفعول، أي: كائنين من لدنك، كما يجوز أن يكون الظرف من قوله: «معهم كذلك» أي: حال كونهم معهم. و«من» في قوله: «من لدنك»: تنبيه على أن هذا المقصود لا يكون ولا يحصل إلا من عنده تعالى.

(١) لسان العرب: ج ١ ص ٦٧ مادة خطأ.

(٢) المصباح المنير: ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٦٧.

والذكر بالتحريك : خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذكوران، ولا يجوز جمعه بالواو والنون؛ لأن ذلك يختص بالعلم العاقل، والوصف الذي يجمع مؤنثة بالالف والهاء، وما شذ عن ذلك فسموع لا قياس عليه.

وقوله عليه السلام: «واجعل ذلك خيراً لي» فيه احتراز على وجه التلميح إلى قوله تعالى: «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» (١) أي: أَيْحَسِبُونَ أَنَّ الذي نُمِدُّهُمْ بِهِ من المال والبني نُسَارِعُ بِهِ لَهُمْ فيما فيه خيرهم؟ كلا لا نفعل ذلك، بل هم لا يشعرون بأن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرار لهم إلى زيادة الإثم، فهو شر لهم.

فسأل عليه السلام: أن تكون هبة ما سأله من الأولاد خيراً له؛ حتى لا يكون داخلاً في مضمون هذه الآية ونحوها.

وقوله عليه السلام «واجعلهم لي على ما سألتك» أي: على النحو الذي سألتك إياه في الأولاد الذين وهبهم لي سابقاً، من المنة عليّ ببقائهم وإصلاحهم إلى قوله: «وأعني على تربيتهم وتأديبهم وبرهم».

وفي نسخة: «واجعلهم عوناً لي على ما سألتك»، فيجوز تعلق «على» بقوله: «عوناً» فيكون ما سأله عليه السلام: سؤالاً تقدم منه لا ذكر له هنا، ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف هو صفة لقوله «عوناً»، أي: كائناً على النحو الذي سألتك في الأولاد الموجودين، من شد عضدي وإقامة أودي بهم، إلى غير ذلك مما سبق سؤاله.

وقول بعض المترجمين: ليس في أكثر النسخ المصححة قوله: «عوناً»، لكنته مراد؛ لأن اللام للنفع و«على» للضرر، لا معنى له، بل المعنى على عدم قوله:

وَأَعِزَّنِي وَذَرِّبْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا، وَأَمَرْتَنَا
وَنَهَيْتَنَا، وَرَغَبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا أَمَرْتَنَا، وَرَهَبْتَنَا عِقَابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوًّا
يَكِيدُنَا، سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا،
وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِي دِمَائِنَا، لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَلَا يَنْسِي إِنْ نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا
عِقَابَكَ وَيَخَوْفُنَا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَعْنَا عَلَيْهَا، وَإِنْ هَمَمْنَا
بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّتْنَا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ، وَيُنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ،
إِنْ وَعَدْنَا كَذَبْنَا، وَإِنْ مَتَّانَا أَخْلَفْنَا، وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلُّنَا، وَإِلَّا
تَقِينَا خِبَالَهُ يَسْتَرْزِلُنَا، اَللَّهُمَّ فَاقْهَر، سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ، حَتَّى تَخْبِسَهُ
عَنَّا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَكَ، فَتُنْصِبَ مِن كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ.

«عونا» أوضح، والله أعلم.

أعزني: أي أجري بحفظك.

وذريبي: عطف على الضمير.

والرجيم: أي المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة.

والفاء: لتعليل طلب الإعادة، فهي للدلالة على سببية ما بعدها لما قبلها.

وعائد الموصول من قوله: «ما أمرتنا» محذوف، أي: ما أمرتنا به، كقوله

تعالى: «فَاضْطَعْ بِمَا تُؤْمَرُ» (١) أي: تؤمر به.

والضمير من «عقابه» إما عائد إلى قوله: «ما أمرتنا» باعتبار مخالفته، أو إلى

مادل عليه سياق الكلام، أي: عقاب ما نهيتنا عنه.

وجعلت: إما بمعنى خلقت، فيكون متعلّياً إلى واحد، والجار والمجرور متعلق

به، أو بمحذوف وقع حالاً مما بعده لكونه نكرة.

وإما بمعنى صيرت، فيكون متعدياً إلى مفعولين، أولهما: عدوّاً، وثانيهما: الظرف المتقدم، قدم على الأول مسارعة إلى بيان العداوة، وهو متعلق بمحذوف أي: عدوّاً كائناً لنا؛ فإن خبر «صار» في الحقيقة هو الكون المقدّر العامل في الظرف. وجملة «يكيدنا» في محل نصب صفة لعدوّ.

تنبيه

اختلفوا في سبب عداوة إبليس لآدم عليه السلام وذريته، فقال بعضهم: إنه الحسد، وذلك أن إبليس لما رأى ما أكرم (١) الله به آدم، من إسجاد الملائكة له وتعليمه ما لم يُطلع عليه الملائكة، حسده وعاداه وذريته. وقال آخرون: إن السبب هو تباین أصلیها، ولنافرة الأصلين أثر قوي في منافرة الفرعين، قالوا: وتباين أصلیها هو منشأ القیاس الفاسد من إبليس حين أمر بالسجود، وذلك قوله: «أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين» (٢)، فكأنه في خطابه يقول: إن آدم جسماني كثيف وأنا روحاني لطيف، والجسماني أدون حالاً من الروحاني، والأدون كيف يليق أن يكون مسجوداً للأعلى؟ وأيضاً فإن أصل آدم من صلصال من حمأ مسنون، والصلصال في غاية الدناءة، وأصلي من أشرف العناصر، وإذا كان أصلي خيراً من أصله وجب أن أكون خيراً منه وأشرف، والأشرف يقبح أن يأمر بالسجود للأدون. قالوا: فكان ذلك قياساً، فأول من قاس هو إبليس، فأجابه الله جواباً على سبيل التنبيه دون التصريح: «أخرج منها مذئوماً مدحوراً» (٣).

قال بعض الفضلاء: وتقريره أن الذي قاله تعالى نصّ بحكم الحكمة الإلهية والقدرة الربانية، والذي قاله إبليس قياس، ومن عارض النص بالقياس كان

(١) (ج) كرم. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٢. (٣) سورة الأعراف: الآية ١٨.

مرجوماً ملعوناً، وإنما نسب حصول عداوة إبليس لنا إلى الله تعالى في قوله: «وجعلت لنا عدوًّا»؛ لكونه سبحانه السبب الأول في وجوده، وإن لم يكن تعالى هو الداعي إلى العداوة، كما يقال: أضله الله، من حيث إنه تعالى هو السبب الأول في وجوده ووجوده سببه المفضل، وإن لم يكن (١) هو الداعي إلى الضلال. وسلطه على الشيء تسليطاً: مكّنه منه، كأنها جعل له عليه سلطاناً. والجملة إما استئناف نحوي لانقطاعها عما قبلها لفظاً، وإما صفة ثانية لعدو، ولا يمنع منه عدم حرف العطف بين الجملتين كما توهمه بعضهم، فإن الصفة تتعدّ بغير عاطف وإن كانت جملة، كما في الخبر نحو: «الرحمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ» خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» (٢).

نصّ عليه ابن هشام في المغني. وقوله: (٣) «منا» إما ظرف لغو متعلق بسلطته، أو مستقرّ حال من النكرة الموصوفة، وهي «ما» من قوله: «على ما لم تسلطنا». والتقدير: سلطته على شيء حال كونه منا ما لم تسلطنا حال كونه منه. فن على الأول ابتدائية، وعلى الثاني بيانية. وجملة قوله: «أسكنته صدورنا» مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه سئل كيف سلطته منكم على ما لم أسلطكم عليه منه؟ فقال: أسكنته صدورنا وقول بعضهم: إنها صفة ثالثة، ليس بشيء.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» (٤). وعن ابن عباس: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ صُدُورَ بَنِي آدَمَ مَسْكناً لِلشَّيْطَانِ» (٥).

(٤) سورة الناس: ٥.
(٥) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣.

(١) (ج) لم يكن تعالى.
(٢) سورة الرحمن الآية ١-٤.
(٣) (ج): عليه السلام.

قيل: المراد بالصدور هنا القلوب، تسميةً للحال باسم محله مجازاً.
كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه (١).
والخطم من كل طائر: منقاره، ومن كل دابة: مقدم أنفه وفه.
وعنه صلى الله عليه وآله: أنَّ الشيطان ليخطم على قلب بني آدم، له خرطوم كخرطوم الكلب، إذا ذكر العبد الله عز وجل خنس - أي: رجع على عقبه - وإذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس (٢).

ولا خفاء في أنه لا دلالة في الحديثين على كون المراد بالصدور القلوب.
وقال بعض المفسرين: إنما قال سبحانه: «الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» (٣)، ولم يقل: في قلوبهم؛ لأنَّ الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن الذي هو بين أصبع الرحمن. كما هو مذكور في المتن.
قال المحققون: ليس للشيطان على القلب سبيل، وإنما الشيطان يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فيبث فيه هموم الدنيا والحرص على الزخارف، فيضيق القلب حينئذٍ، ولا يجد للطاعة لذة ولا للإيمان حلاوة ولا على الإسلام طلاوة، فإذا طرد العدو بذكر الله والإعراض عما لا يعنيه، حصل الأمن وانشرح القلب وتيسر له القيام بأداء العبودية.
والحق أنه يجوز أن يراد بالصدر محل القلب، باعتبار كونه موضع تعلق النفس الناطقة بالحيوانية؛ ولذا ينسب إليه الشرح والضيق.

(١) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤٢٠، والجامع: الصغير: ج ١ ص ٨١، ومرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٢.

(٢) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣، وفيه: «إنَّ الشيطان ليخشم»، وتفسير القرطبي: ج ٢١ ص ٢٦٢ مع

اختلاف يسير في الفاظ الحديث.

(٣) سورة الناس: الآية ٥.

ومحور أن يراد به القلب الذي هو المضغة الصنوبرية المودعة في التجويف الأيسر من الصدر، باعتبار أنه محل اللطيفة الإنسانية؛ ولذا ينسب إليه الصلاح والفساد. وقول المحققين: ليس للشيطان على القلب سبيل، فالمراد بالقلب اللطيفة الربانية النورانية العالمة، التي هي مهبط الأنوار الإلهية وبها يكون الإنسان إنساناً، فهي حقيقة الإنسان وبها يستعد لامثال الأحكام، وبها صلاح البدن وفساده، ويعبر عنها بالنفس الناطقة تارة «ونفس وما سواها» (١)، وبالروح أخرى «قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» (٢)، وقد يعبر عنها بالعقل باعتبار تجردها ونسبتها إلى عالم القدس؛ إذ هي بهذا الاعتبار تعقل نفسها وتحبسها عما يقتضيه تعلقها بالبدن، من الشرور والمفاسد المانعة لها من الرجوع إلى عالمها القدسي، وهي جوهر مجرد عن المادة في ذاتها دون فعلها في الأبدان بالتصرف والتدبير.

قال بعضهم: إنما عظم الشارع أمر القلب، لصدور الأفعال الاختيارية عنه وعما يقوم به من العلوم، ورتب الأمر فيه على المضغة، والمراد بها العقل الذي هو النفس الناطقة المتعلقة بها، فذلك من إطلاق اسم المحل على الحال، إنتهى. ومما يدل على ما قاله المحققون من عدم تسلط الشيطان على قلب المؤمن، ما رواه ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق عليه السلام:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ بِكُلِّ بَلِيَّةٍ وَيُمِيتُهُ بِكُلِّ مِيتَةٍ، وَلَا يَبْتَلِيهِ بِذَهَابِ عَقْلِهِ، أَمَا تَرَى أَيُّوبَ كَيْفَ سَلَطَ إِبْلِيسُ عَلَى مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَسْلُطْ عَلَى عَقْلِهِ، تَرَكَ لَهُ يُوَحِّدُ اللَّهَ بِهِ (٣).

وفي هذا المعنى أحاديث آخر من طريق أهل البيت عليهم السلام. قوله عليه السلام: «أجربته مجاري دماثنا» المجاري: جمع مجرى، وهو إمّا مصدر

(١) سورة الشمس الآية ٧. (٢) سورة الأسراء: الآية ٨٥. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٦ ح ٢٢.

ميمي فيكون نصبها على المصدرية، أو اسم مكان فيكون نصبها على الظرفية.
وفي الحديث من طرق العامة: أنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (١).
وعن ابن عباس: أنَّ الله تعالى جعل الشيطان يجري من بني آدم مجرى
الدم (٢).

قال الطيبي في شرح المشكاة: وجريانه إمّا حقيقة فإنّه لطيف من نار لا يمتنع
سريانه كالدم، أو مجازية وعلاجه سدّ المجاري بالجوع (٣).
وقال الكرماني في شرح البخاري: جريانه يحتمل الحقيقة، بأن جعل له قدرة
على الجري في باطن الإنسان، والاستعارة لكثرة وسوسه (٤).
وقيل: إنه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فتصل إلى القلب.
وقال الأزهري: معنى جريانه مجرى الدم أنّه لا يفارق ابن آدم مادام حيّاً، كما
لا يفارقه دمه. قال: وهذا على ضرب المثل (٥).
والجمهور حملوه على ظاهره وقالوا: إنّ الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق
إلى باطن آدمي بلطافة هيئته، فيجري في العروق التي هي مجاري الدم إلى أن
يصل إلى قلبه، فيوسوسه على حسب ضعف إيمان الغبد وقلة ذكره وكثرة غفلته،
ويبعد عنه ويقلّ تسلّطه وسلوكه إلى باطنه بمقدار قوّته ويقظته ودوام ذكره
واخلاص توحيده (٦)، انتهى.

(١) نهج الفصاحة: ص ١٢٨، ح ٦٤٠، صحيح البخاري: ج ٩ ص ٨٧ باب ٢٠.

(٢) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣.

(٣) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٤) شرح البخاري للكرماني: ج ١٣ ص ٢٠٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) تهذيب اللغة ج ١١ ص ٣١٢ نقلاً بالمعنى.

(٦) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣ - وج ١١ ص ٣١٢.

وعن ثابت البناني: بلغنا أن إبليس قال: يا رب إنك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسَلَطني عليه، فقال سبحانه: جعلت صدورهم مساكن لك، فقال: رب زدني، فقال: لا يولد ولد لآدم إلا ولد لك عشرة، فقال: رب زدني، فقال: تجري منهم مجرى الدم، قال: رب زدني، قال: إجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد. قال: فشكى آدم إلى ربه، فقال: يا رب إنك خلقت إبليس، وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء، وسلطته عليّ وأنا لا أطيقه إلا بك، فقال الله تعالى: لا يولد لك ولداً وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء، قال: رب زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها، قال: رب زدني، قال: لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغروا (١). والغرغرة: تزدد الروح في الحلق. وقريب من هذا المعنى ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح، عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليها السلام، قال: إن آدم عليه السلام قال: يا رب سلطت عليّ الشيطان وأجربته متى مجرى الدم، فاجعل لي شيئاً، فقال: يا آدم جعلت لك أن من همّ من ولدك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت له سيئة، ومن همّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشراً، قال: يا رب زدني، قال: جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له، قال: يا رب زدني، قال: جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه، قال: يا رب حسبي (٢).

قوله عليه السلام: «لا يغفل إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا» الغفلة: عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقلية بالفعل، سواء بقيت صورته أو معناه في الخيال أو الذكر أو انمحت عن أحدهما، وهي أعم من النسيان؛ لأنه عبارة عن الغفلة عن

(١) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٤٠ ح ١.

الشيء مع انحاء صورته أو معناه عن الخيال أو الذكر بالكلية؛ ولذلك يحتاج الناسي إلى تجشّم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانياً.

ومعنى لا يغفل ولا ينسى: إما أنه لا يكون منه غفلة ولا نسيان، فيكون المراد سلباً عنه مطلقاً؛ لأنها من لواحق القوى الإنسانية وعوارض هذا البدن، فيكونان مسلوبين عن الشياطين، وإما أنه لا يغفل عنا إن غفلنا عنه ولا ينسانا إن نسيناه، فيكون حذف متعلق الفعل لمجرد الاختصار مع قيام القرينة.

قوله عليه السلام: «يؤمننا عقابك ويخوفنا بغيرك» من عداوة الشيطان للإنسان أنه يعبده الأمان من عذاب الله وعقابه، وذلك منه على وجوه: فمنهم من يعبده أنه لاقامة ولا حساب، ولا جزاء ولا عقاب.

ومنهم من يحمله على اعتقاد أن الوعيد على ألسن الرسل من باب مجرد التخويف، ولا عقاب في الآخرة. *كلمة من كلامه عليه السلام*

ومنهم من يحمله على فعل المعاصي ويقول: إن الله غفور رحيم، فيمنّيه المغفرة حتى يخرج من الدنيا ولا حسنة له، ويسؤل له أن ذلك من حسن الظن بالله، وكذب لأنه لو أحسن الظن به لأحسن العمل له.

ومن عداوته أن يخوف بغير الله، فمنهم من يخوفه قهر الأوثان وغضبها في ترك عبادتها، ويأمرهم بالإخلاص فيها.

ومنهم من يخوفه بأس الأعداء، فيشبطه عن الجهاد في سبيل الله.

ومنهم من يخوفه الفقر، فيمنعه من الصدقات وإيتاء الزكاة، إلى غير ذلك.

وقال بعضهم: إن قيل: كيف يؤمننا ويخوفنا ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه؟ قلنا: ذلك عبارة عن وسوسته بالأمان والخوف، كما تقول: نفسي تخوفني بكذا، وهو ظاهر.

قوله عليه السلام: «إن همنا بفاحشة شجعنا عليها، وإن همنا بعمل صالح

ثَبَطْنَا عَنْهُ» هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ هَمًّا - مِنْ بَابِ قَتْلٍ -: إِذَا أُرِدْتَهُ وَلَمْ تَفْعَلْهُ. وَالْفَاحِشَةُ: مَا يَشْتَدُّ قَبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَشَجَّعَهُ عَلَى الْأَمْرِ تَشْجِيعًا: جَرَّاهُ وَأَقْدَمَهُ عَلَيْهِ، وَأَصْلُهُ فِي الْحَرْبِ، يُقَالُ: شَجَّعَ بِالضَّمِّ شَجَاعَةً: إِذَا قَوَّى قَلْبَهُ وَاسْتَهَانَ بِالْحُرُوبِ جَرًّا وَإِقْدَامًا.

وَتَبَطَّطَهُ تَبْطِيطًا: قَعَدَ بِهِ عَنِ الْأَمْرِ وَشَغَلَهُ عَنْهُ، أَيُّ: مَنَعَهُ تَخْذِيلًا وَنَحْوَهُ، وَهَذَا التَّشْجِيعُ وَالتَّشْبِيطُ، بِإِلْقَاءِ الْخَوَاطِرِ الْفَاسِدَةِ مِنْهُ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشَّبَهَاتِ» تَعَرَّضَهُ وَتَعَرَّضَ لَهُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِالْحَرْفِ: إِذَا تَصَدَّى لَهُ وَطَلَبَهُ.

وَالشَّهْوَةُ: اشْتِيَاقُ النَّفْسِ إِلَى الْمَلَائِمِ، وَقَدْ تَفَسَّرَ بِالْمِيلِ إِلَى الْمَعَاصِي وَزَهْرَاتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

وَالْبَاءُ: إِقَامًا لِلْمَلَابَسَةِ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيُّ: مَلْتَبِسًا بِتَهْيِجِ الشَّهَوَاتِ، أَوْ لِلِاسْتِعَانَةِ نَحْوُ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ وَقَطَعْتُ بِالسَّكِّينِ.

وَقَوْلُهُ: «وَيَنْصِبُ لَنَا» إِقَامًا مِنْ نَصَبَتِ الشَّيْءَ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ -: إِذَا أَقْبَمْتَهُ، فَتَكُونُ الْبَاءُ فِي الْمَفْعُولِ زَائِدَةً، وَهِيَ كَثِيرًا مَا تَزَادُ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَقِيسًا مَعَ كَثْرَتِهِ، وَمِنْهُ: «فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ» (١)، «وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ» (٢)، «وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ» (٣). وَإِقَامًا مِنْ نَصَبَتِ لَهُ رَأْيًا: إِذَا أَشْرَتْ عَلَيْهِ بِهِ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْأَسَاسِ: نَصَبْتُ لَهُ رَأْيًا إِذَا أَشْرَتْ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ لَا يَعْدِلُ عَنْهُ (٤).

فَتَكُونُ الْبَاءُ صِلَةً لِيَنْصِبَ بِتَضْمِينِهِ مَعْنَى يُشِيرُ، أَيُّ: يُشِيرُ عَلَيْنَا بِالشَّبَهَاتِ.

(١) سورة الحج: الآية ١٥.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٤) أساس البلاغة: ص ٦٣٥.

ويمكن أن يقال: إن المراد وينصب لنا الإغواء والإضلال بالشبهات، فحذف المفعول به، والباء للآلة، كما قيل في قوله تعالى: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (١) إن المراد لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم، فحذف المفعول، كما يقال: لا تفسد أمرك برأيك.

ويحتمل أن يكون «ينصب» لازماً، من نصب له بمعنى عاداه.

قال في الأساس: نصبت لفلان: عاديته نصباً. قال جرير:

وَإِذَا بَنُو أُسْدٍ عَلَيَّ تَحْزَبُوا نصبت بنو أُسْدٍ لِمَنْ رَامَانِي

ومنه الناصبيّة والنواصب وأهل النصب الذين ينصبون لعلّي كرم الله وجهه» (٢) إنتهى.

فتكون الباء من قوله: «بالشبهات» للملابسة، أي: يعاديننا ملتبساً بإيقاع الشبهات، وهي كلّ باطل أخذ الوهم بصورة الحقّ وشبهه به؛ ولذلك سمي شبهة. قوله عليه السلام: «إِنْ وَعَدْنَا كَذِبًا، وَإِنْ مَنَّا أَنْخُلِفْنَا».

والوعد: هو الأخبار بما يكون من جهة الخير مترتباً على شيء من زمان.

وكذبنا بالتخفيف من قولهم: كذب أخاه إذا لم يصدق في قوله له، وفي التنزيل «وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (٣)، وقد يتعدى إلى مفعولين فيقال: كذبتك الحديث، أي: لم أصدقك، ومثله صدق ومنه: «لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ» (٤). فإن حملت عبارة الدعاء على هذا فالمفعول محذوف لتعينه، أي: كذبنا وعده.

وأخلف الوعد: لم يفعله.

(٣) سورة التوبة: الآية ٩٠.

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٤) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٢) أساس البلاغة ٦٣٥.

قال الفارابي: في ديوان الأدب: أخلف ما وعده وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله على الاستقبال (١)، إنتهى.

وهو يتعدى إلى مفعولين فيقال: أخلفه موعده، والمفعول الثاني هنا محذوف، أي: أخلفنا ما متانا، ومفعولاً وعدنا ومتانا محذوفان، أي: المواعيد الباطلة والأمانى الفارغة، أوهما من باب فلان يعطي ويمنع، أي: يفعل لنا الوعد والتمنية، وهما إما بالوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة، أو بالسنة أوليائه. وفي هاتين الفقرتين تلميح إلى قوله تعالى: «يَعِدُّهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» (٢)، وإنما جيئ بالجمل الخمس المذكورة غير متعاطفة تنبيهاً على استقلال كل منها، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وَلَا تَصْرَفْ عَنَّا كَيْدَهُ يَضْلُنَا، وَلَا تَقْنَا خَبَالَهُ يَسْتَرْلُنَا» أي: وإن لم تصرف، وإن لم تقنا.

قال ابن هشام في المغني: قد تقترن إن الشرطية بلا النافية، فيظن من لا معرفة له أنها إلا الاستثنائية، نحو: وَلَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبَ إِلَيْهِنَّ، ولقد بلغني أن بعض من يدعي الفضل سأل في «إِلَّا تَفْعَلُوهُ»، فقال: ما هذا الاستثناء، أم متصل هو أم منقطع؟ (٣)، إنتهى.

وصرف الله عنه السوء - من باب ضرب - كفه عنه.

وقاه بقيه: حفظه.

والخبال بالفتح: الفساد.

وفي القاموس: وكسحاب: النقصان والهلاك والعناء. والكل (٤).

واسترلّه: طلب منه الزلة ودعاه إليها.

(١) ديوان الأدب: ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) مغني اللبيب: ص ٣٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٠.

(٤) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٦٥.

يقال: زلّ في منطقته وفعله يزلّ - من باب ضرب - زلّة: إذا أخطأ.

والمعنى: إن لم تصرف عنا كيد الشيطان وتكفّ عنا وتحفظنا من فساد، يحملنا على الضلال ويدعنا إلى الزلل، فنشبعه ونطيعه على مقتضى النفس الأمارة وحكم القوة الشهوية.

وهذا فزع منه عليه السلام إلى أُلطاف الله تعالى، جرياً على سنن الأنبياء والأوصياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور والمكاهرة على جناب الله عز وجل، وسلب القوى والقُدْر عن أنفسهم، ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيده ووقاية فساد، بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة، كقول المستغيث: أدركني وإلا هلكت.



الرواية المشهورة في قوله عليه السلام: «يفضلنا ويستزلنا» بفتح اللام المشددة، وأصلها يفضلنا ويستزلنا بالجزم على أنهما جوابان للشرط، فأدغمت اللام الأولى في الثانية كراهية اجتماع المثليين، وحركت الثانية لالتقاء الساكنين، وأوثر الفتح طلباً للخفة مع ثقل التضعيف. وثبت في بعض النسخ «يفضلنا ويستزلنا» بضم اللام المشددة، وهو كقوله تعالى: «وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً» (١) بضم الراء المشددة في القراءة المشهورة. واختلفوا في تخريجه، فقليل: هو على حذف الفاء، أي: فلا يضرّكم.

وقيل: على حذف الجواب: وجعل الفعل المرفوع دليلاً عليه منوياً تقديمه على الشرط، والتقدير: لا يضرّكم كيدهم إن تصبروا.

ورّد المحققون كلا القولين: بأنّ حذف الفاء مختصّ بالشعر، والجواب لا يحذف في السعة إلّا إذا كان فعل الشرط ماضياً، وأمّا إذا كان مضارعاً فحذفه ضرورة لا يجوز إلّا في الشعر، وتخريج القراءة المتواترة على شيء لا يجوز إلّا في الشعر غير صواب.

وقال بعضهم: هو مجزوم والضمّة إتياع، كالضمّة في قولك: لم يسد ولم يرد، واستصوبه ابن هشام.

وقال قوم: إنّهُ مجزوم، لكنّه لما اضطرّ إلى تحريكه حرّك بحركته الإعرابية المستحقّ لها في الأصل.

إذا عرفت ذلك، فتخريج الرواية المذكورة في عبارة الدعاء على الوجهين الأولين غير صواب؛ لأنّه عليه السّلام أفصح الخلق في زمانه، وتخريج كلامه على شيء مختصّ بالضرورة لا وجه له.

وأما الوجه الثالث: فلا يتمشّي هنا، فتعين حملها على الوجه الرابع.

وقد وقع في بعض التعاليق على الصحيفة الشريفة أن الجواب محذوف، وقوله (١): «يضلّنا ويستزلّنا» جملتان مفسّرتان له، والحذف ليذهب الوهم كلّ مذهب، والتقدير: وإلّا تصرف عنا كيده تصيبنا داهية كبيرة، وهو أنّه يضلّنا على كلّ حال، ولا نجد عنه محيصاً قال: وهذه القاعدة - أعني حذف الجواب لدلالة الكلام عليه - طريقة مسبوكة للبلاغة في التنزيل الكريم، منها: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات» (٢) الآية، ومنها: «فلولا إنّ كنتم غير مدينين * ترجعونها إنّ كنتم صادقين» (٣)، إنتهى.

(١) (ج): عليه السّلام:

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٥.

(٣) سورة الواقعة: الآية: ٨٦ و ٨٧.

وهو كلام عجيب يدل على قصور قائله في علم العربية جداً. أمّا أولاً: فدعوى الحذف في مثل ذلك مردودة، بنص سيبويه وغيره من أئمة العربية أنه لا يحذف جواب الشرط الجازم إلا وفعل الشرط ماض كما تقدم، فكيف يجعل ذلك داخلاً في قاعدة حذف الجواب التي هي طريقة مسلوكة للبلاغة؟.

وأما ثانياً: فإن هذا التقدير الذي قدره جواباً لا يدل عليه دليل ولا قرينة، إذ لا يستدعيه الكلام أصلاً، بل الجواب هو قوله: «يضلّنا ويستزلّنا» قطعاً؛ لتوقف مضمونها على حصول الشرط، ومن ارتكب دعوى الحذف فإنما ارتكبها من حيث الصناعة النحويّة ليعطي القواعد حقّها، وإن لم يكن المعنى متوقفاً عليه، وقد علمت ما فيه.

وأما ثالثاً: فقد صرحوا بأن شرط الدليل اللفظي أن يكون طبق المحذوف لفظاً ومعنى، نحو: زيداً أضربه، أو معنى إن تعدد اللفظ، نحو: زيداً مررت به أي: جاوزت، وما قدره من الجواب أعظم ممّا زعم أنه دليل لفظي عليه، فكيف يكون مدلولاً له؟ «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» (١).

قوله عليه السلام: «اللهم فاقهر سلطاننا عتاً بسلطانك» إلى آخره الفاء لترتب الدعاء على ما ذكر، وتصدير الجملة بالنداء مبالغة في التضرع.

وقهر يقهره قهراً - من باب منع -: غلبه، وعدّاه بـ «عن» لتضمينه معنى الدفع. والسلطان: التسلط، وقدرة الملك، ومن كل شيء شدته. وحتى: بمعنى كي التعليلية.

وحبسه حبساً - من باب ضرب -: منعه.

والباء من قوله: «بكثرة الدعاء»: للسببية أو الاستعانة.

اللَّهُمَّ اعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي، واقْضِ لِي حَوَائِجِي، وَلَا تَمْنَعْنِي الْإِجَابَةَ
وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي، وَلَا تَحْجُبْ دَعَائِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَمِنُنْ عَلَيَّ
بِكُلِّ مَا يُضْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسِيتُ، أَوْ
أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ، أَوْ أَغْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ واجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنْ

وقوله عليه السَّلام «فنصبح» بالنصب عطف على قوله: «تحبسه» والفاء:
للسببية والتعقيب؛ لأنَّ السبب التام يستعقب مسببه من غير تراخ.
ونصبح: بمعنى نصير، كقوله تعالى: «فَأَصْبَحْتُ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» (١).
وقوله عليه السَّلام: «في المعصومين بك» أي: كائنين في جملة الممنوعين
المحفوظين بسببك أو باستعانتك، أو في جملة أرباب العصمة، وهي فيض إلهي يقوى
به العبد على تحري الخير وتجنب الشر.
وقال الحكماء: هي ملكة تمنع الفجور، ويحصل بها العلم بمثالب المعاصي
ومناقب الطاعات.

وقيل: هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها، والله أعلم *
السؤال بالضم والهمز: المطلوب الذي يسأل.
قال الزمخشري: في الأساس: أصبت منه سُؤْلِي: طلبتي، فعل بمعنى مفعول كعرف
ونكر (٢) إنتهى.

وفي الحديث: كلَّ نبيٍّ سئل سؤالاً (٣). وقد ترك منه الهمزة للتخفيف.
وقضى حاجته: أنجزها له وبلغه إياها.
وفي قوله عليه السَّلام: «حوائجي» شاهد على أنَّ حاجة جمع حوائج، خلافاً
لمن أنكر ذلك، وقد تقدّم الكلام على ذلك مستوفى في الروضة الثالثة عشرة (٤).

(٣) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٤٣١.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٤) ج ٢ ص.

(٢) أساس البلاغة: ص ٢٨١.

الْمُضْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ ، الْمُتَجَحِّينَ بِالظَّلَبِ إِلَيْكَ ، غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ
بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، الْمُعَوِّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ ، الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ ،
الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ ، الْمَوْسِعَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلَالَ مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ
بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ ، الْمُعْزِينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ ، وَالْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ
بِعَدْلِكَ ، وَالْمُعَافِينَ مِنَ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ ، وَالْمُغْنِينَ مِنَ الْفَقْرِ بِغْنَاكَ ،
وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَالِ وَالْخَطَا بِتَّقْوَاكَ ، وَالْمُوقِّينَ لِلْخَيْرِ
وَالرُّشْدِ وَالصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ ، وَالْمُحَالِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ ،
التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ ، السَّاكِنِينَ فِي جَوَارِكَ .

ومنه الأمر ومنه منعا : ضد أعطاه واجاب .

وأجاب الله دعاءه إجابة : قبله ، واستجاب له : كذلك .

وقال تاج القراء : الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المسؤول (١) .

وضمنتها لي : أي كفلت لي بها والتزمتها .

والواو من قوله : «وقد» في الموضعين : للحال .

وحجبه حجباً - من باب قتل - : منعه من الدخول ، وحجب الدعاء عنه تعالى

تمثيل لعدم قبوله ؛ لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمقبولين عندهم المكرمين لديهم ،
ولا يحجب عنهم إلا المردودون المهانون لديهم .

وفي الفقرتين إشارة إلى قوله تعالى في سورة المؤمن : «وقال ربكم ادعوني
أستجب لكم» (٢) ؛ فإن الأمر بالدعاء فيه صريح ، ورتب الاستجابة على الدعاء
فكانه ضمنها وتكفل بها ، وهو يؤيد أن المراد بالدعاء والاستجابة في الآية ظاهرهما ،

(١) لم نعتز عليه .

(٢) سورة غافر : الآية ٦٠ .

وأكثر المفسرين على أن المراد بالدعاء العبادة، وبالإستجابة الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب؛ لقوله سبحانه بعده: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (١).

وفيه: أنه حمل اللفظ على خلاف ظاهره في موضعين، فالحمل على الظاهر أولى، وأما تتمّة الآية فليس فيه إلا التعبير عن الدعاء بالعبادة وهو من أعظم أبوابها، فالتعبير بها عنه ظاهر، وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ» إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ «هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء» (٢).

وعنه عليه السلام: الدعاء هو العبادة التي قال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي» الآية (٣).

والمراد بقوله عليه السلام: «ولا تمنعني» إلى آخره، لا تجعل دعائي بسلب التوفيق على غير جهة الدعاء الذي ضمننت إجابته وأمرت به، وإلا فلا يتصور منعه سبحانه للإجابة مع تكلفه بها، ولا حجبها للدعاء مع أمره به.

يدلّ على ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عثمان بن عيسى عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: آيتان في كتاب الله عز وجل أطلبهما فلا أجدهما، قال: وما هما؟ قلت: قول الله عز وجل: «ادعوني أستجب لكم» فندعوه ولا نرى إجابة، قال: أفترى الله عز وجل أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمّ ذلك؟ قلت: لا أدري، قال: لكنني أخبرك، من أطاع الله عز وجل فيما أمره من

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٧ ح ٧.

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٦ ح ١.

دعائه من جهة الدعاء أجابه، قلت: وما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك، ثم تشكره، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله، ثم تذكر ذنوبك فتقر بها، ثم تستعيز منها، فهذا جهة الدعاء، ثم قال: وما الآية الأخرى؟ قلت: قول الله عز وجل: «(ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)»، فإني أنفق ولا أرى خلفاً، قال: أفترى الله عز وجل أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمَ ذلك؟ قلت: لا أدري، قال: لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حله، لم ينفق درهماً إلا أخلف عليه (١).

قوله عليه السلام: «وأمن علي بكل ما يصلحني» أي: أنعم علي بكل خير يكون به صلاحي، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة. وإسناد الإصلاح إليه مجاز عقلي من باب الإسناد إلى السبب، والمصلح حقيقة إنما هو الله تعالى، كما قال سبحانه «سبيحانه» ويصلح بهم (٢) أي: حالهم.

وقوله (٣): «في الدنيا والآخرة» إما متعلق بآمن أو ب يصلحني.

فإن قلت: هل بين المتعلقين فرق في المعنى؟

قلت: نعم، فإنك إذا جعلته متعلقاً بآمن كانت المنة في الدنيا معجلة وفي الآخرة مؤجلة، وإذا جعلته متعلقاً ب يصلحني كان المتبادر طلب المنة عاجلاً بما يكون سبباً لصلاحه في الدنيا والآخرة.

وقوله: «ما ذكرت منه وما نسيت» بدلان من «ما» المضاف إليها كل بدل الاشتمال، ومنه: في موضع الحال من الضمير المحذوف من ذكرت، أي: ما ذكرته حال كونه منه.

وقوله: «أو أظهرت أو أخفيت» أي: ما أظهرته على لساني وتفوهت به، أو ما

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٦ ح ٨. (٢) سورة محمد: الآية ٥. (٣) (ج): عليه السلام.

أخفيته مخطراً ببالي من غير أن أتفوه به أصلاً، أو ما أعلنته وذكرته للناس علانية، أو أسررتَه إلى غيري في خفاء. وأو في ذلك: للتنويع، ولا يكاد اللغوي يفرق بين الإظهار والإعلان والإخفاء والإسرار، إلا أن قول المفسرين في قوله تعالى: «يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى» (١) أي: ما أسررتَه إلى غيرك، وشيئاً أخفى من ذلك، وهو ما أخطرتَه ببالك من غير أن تتفوه به أصلاً، يرشد إلى ما ذكرناه، لاقتضاء العطف المغايرة، وكون التأسيس خيراً من التأكيد.

قوله عليه السلام: «واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي إياك» في: ظرفية مجازية، بتشبيهه ملابسته لجميع ذلك في الاجتماع معه بملازمة الظروف للظرف، فهو من باب الاستعارة التبعيية، ومتعلقها محذوف وهو حال من مفعول اجعلني، والتقدير: واجعلني كائناً في جميع ذلك من المصلحين. ويجوز تعلقها بالمصلحين، فيكون التقدير: واجعلني من المصلحين في جميع ذلك. والتقديم للاعتناء بالمقدم كما مر بيانه مراداً. وتأكيد العموم بجميع لقصد كون كل فرد من أفراد ذلك له مدخل في الإصلاح. وذلك: إشارة إلى المذكور من المسؤولات، ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه، للإيذان بعلو شأنه وفضله.

وقوله (٢): «من المصلحين» في محلّ النصب على أنه المفعول الثاني لاجعلني، أي: من المصلحين لنيّاتهم وأعمالهم، أو لما فسد من أحوالهم، أو من المتصفين بالإصلاح من باب «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (٣). والباء من قوله: «بسؤالي إياك» للسببية.

والمنجحين: جمع منجح، اسم فاعل من أنجح الرجل: إذا أصاب طلبته وقضيت

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) (ج) عليه السلام.

(١) سورة طه: الآية ٧.

له حاجته.

وفي القاموس: النجاح بالفتح والنجح بالضم: الظفر بالشئ نجحت الحاجة كمنع وانجحت وأنجحها الله، وأنجح زيد: صار ذا نجح وهو منجح (١).
وطلب إليه طلباً: رغب إليه أي: سأله.

والتقدير: من المنجحين بطلبي إليك وبطلبهم إليك، ويرجع الأول موافقته لقوله في الفقرة الأولى: «بسؤالي إليك» وقس عليه ما بعده.

قوله عليه السلام: «غير الممنوعين بالتوكل عليك» غير بالكسر: صفة للمنجحين، وإنما وقعت صفة لمعرفة والأصل فيها أن تكون صفة لنكرة - لتوغلها في الإبهام بحيث لا تتعرف بإضافتها إلى المعرفة، نحو: «نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» (٢)؛ لأن المراد بالمنجحين طائفة لا بأعيانهم فيكون بمعنى النكرة، إذ اللام فيه للجنس، والمعرف الجنسي في المعنى كالنكرة وإن كان في اللفظ كالمعرفة، وذلك أن المقصود به الحقيقة من حيث الوجود في ضمن الأفراد، وتدل القرينة على أن المراد به البعض، نحو: ادخل السوق واشتر اللحم، فيصير في المعنى كالنكرة، فيجوز حينئذ أن يعامل معاملة النكرة فيوصف بالنكرة، ومنه قوله تعالى: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر» (٣) برفع «غير» على أنه صفة للقاعدين لأنهم جنس، وردّه بعضهم بأنه على خلاف أصلهم من أن المعرفة لا توصف إلا بالمعرفة، والمراعى في ذلك اللفظ لا المعنى.

وعلى هذا، فإما أن يوجه بما ذهب إليه بعضهم، من أن «غير» إذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين تعرفت بالإضافة، نحو: عليك بالحركة غير السكون؛ فإن المراد بها حينئذ غير معين، وكذلك الأمر هنا؛ لأن المنجحين والممنوعين متضادان،

(١) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٥١. (٢) سورة فاطر: الآية ٣٧. (٣) سورة النساء: الآية ٩٥.

وأما أن يقال: إن غير الممنوعين بدل من المنجحين لانعت له.
ووقع في نسخة ابن ادريس رواية «غير» بالنصب، فهو إما على الحال، أو
على القطع بتقدير أعني.

والباء: من قوله: «بالتوكل»: للسببية، أي: بسبب توكلّي عليك، أو بسبب
توكل غير الممنوعين عليك.

والتوكل على الله تعالى عبارة عن اعتماد القلب عليه والانقطاع إليه، بالثقة بما
عنده واليأس عما في أيدي الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من انقطع إلى الله كفاه كل مؤونة ورزقه
من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها (١).

وقد تقدم الكلام على حقيقة التوكل وصورته في الرياض السابقة، فأغني عن
الإعادة.

قوله عليه السلام: «المعوذين بالتعوذ بك» أكثر النسخ بإهمال الدال من
المعوذين، وهو اسم مفعول من عوذته كذا أي: صيرته له عادة، ونسخة ابن ادريس
بالذال المعجمة، من عوذته: إذا عصمه من كل سوء، ومنه المعوذتان على اسم
الفاعل «قل أعوذ برب الفلق» (٢) و«قل أعوذ برب الناس» (٣)؛ لأنهما عوذتا
صاحبهما أي: عصمتاه من كل سوء، وما اشتهر على السنة بعض الطلبة من فتح
الواو على أنها اسم مفعول، غلط واضح.

والتعوذ بالذال المعجمة مصدر تعوذ به أي: اعتصم، يقال: عذت بالله عوداً
ومعاذاً وعباداً، واستعذت به استعاذةً، وتعوذت به تعوذاً، كل ذلك بمعنى.

والباء على الرواية الأولى: للتعدية، وعلى الثانية: للملابسة أو للاستعانة.

(١) نهج الفصاحة ص ٥٧٧ ح ٢٧٩٦. (٢) سورة الفلق: الآية ١. (٣) سورة الناس: الآية ١.

قوله عليه السلام: «الراجح في التجارة عليك» ربح فلان في تجارته ربحاً وربحاً من باب علم وتعب:- أصاب الربح، وهو الفضل والزيادة على رأس المال. والتجارة: صناعة التاجر، وهي التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح، وقد يراد بها ما يتاجر فيه من الأمتعة ونحوها، على تسمية المفعول باسم المصدر. قال بعضهم: في مثل هذا المقام استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة وامثال أوامر الله تعالى، ووجه الشبه كونهم متعوضين بمتاع الدنيا وبمركاتهم في العبادة متاع الآخرة، ورشح بلفظ الراجح لأفضلية متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه من متاع الدنيا، انتهى.

والأحسن والأبلغ أن يقال: إن الترشيح الذي هو لفظ الراجح استعارة تمثيلية، بأن شبه حال المؤمنين العاملين لله في نيلهم المنافع المترتبة على أعمالهم بحال التاجر الرابع في تجارتهم، ولا ينافي ذلك كون التجارة في نفسها استعارة لمعاملتهم وثباتهم على ما هم عليه من إيثارهم متاع الدنيا على متاع الآخرة وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة؛ إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها، كما في قولك: رأيت أسداً واقياً (١) البرائن؛ فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير الشجاع وأنه أسد كامل، من غير أن تريد بلفظ البرائن معنى آخر، بل قد يكون مستعاراً من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له، ومع ذلك يكون ترشيحاً لأصل الاستعارة، كما في قوله:

ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكره جاش له صُدري
فإن لفظ وكرين مع كونه مستعار من معناه الحقيقي، الذي هو موضع يتخذه

الطائر للتفريخ، للرأس واللحية أو للفقودين أعني جانبي الرأس، ترشيح باعتبار معناه الأصلي؛ لاستعارة لفظ النسر للشيب، ولفظ ابن دأية وهو الغراب للشعر الأسود. وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعاراً للحلول والنزول المستمر، ترشيح لذينك الاستعارتين. هكذا ينبغي أن تقرّر الاستعارة في هذا المقام، كما نصّ عليه سمسرة البلاغة من علماء البيان.

والظرف من قوله «عليك»: لغو متعلق بالراجحين.

يقال: ربح عليه في البيع: إذا استفاد منه الربح وأخذ منه.

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: ربح المؤمن على المؤمن ربا، إلا أن يشتري بأكثر من مائة درهم فاربح عليه قوت يومك، أو يشتريه للتجارة فاربحوا عليهم وارفقوا بهم (١).

والمعنى: اجعلني من المستفيدين الربح منك في تجارته أو تجارتهم.

وأما ما وقع لبعض المترجمين من أنّ التعدية بعلى لتضمين معنى الاعتماد، والمعنى: الراجحين في التجارة في حال الاعتماد عليك، بأنّ من قصد جنابك للتجارة بشيء حصل له الربح قطعاً ولم يرجع خاسراً ولا خائباً، فهو من عدم الاطلاع على مصطلحات العرب في محاوراتهم، أو الجهل بمتداولات ألفاظهم ومتاورات أقوالهم.

ويحتمل أن تكون «على» هنا بمعنى «من» أي: الراجحين منك في التجارة، كقوله تعالى: «إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ» (٢) أي: من الناس.

قال الزمخشري: لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرّهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل «على» مكان «من»؛ للدلالة على ذلك (٣)، إنتهى.

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٥٤ ح ٢٢.

(٢) سورة المطففين: الآية ٢.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٧١٩.

وهذا المعنى بعينه موجود في الريح إذا كان فيه نوع ضرر على المأخوذ منه؛ ولذلك كان ربح المؤمن على المؤمن حراماً كما وقع في الحديث السابق، فلا جرم أبدل «على» مكان «من» كما وقع في الآية.

فإن قلت: ضرر الريح لا يتصور في حق تعالى، فكيف أبدل «على» بـ «من» في خطابه سبحانه؟.

قلت: هو في أصل المعنى كذلك وإن لم يكن مقصوداً فيما نحن فيه، يدلك على ذلك قول الرضي: «ومن» للاستعلاء مجازاً على قضاء الصلاة وعليه القصاص؛ لأن الحقوق كأنها راكبة لمن تلزمه، وكذا قوله تعالى: «كان على ربك حتماً مقضياً» تعالى الله عن استعلاء شيء عليه، ولكنه إذا صار الشيء مشهوراً في الاستعمال في شيء لم يراع أصل معناه، نحو: ما أعظم الله، ومنه: توكلت على فلان، كأنك تحمل ثقلك عليه، ومنه توكلت على الله (١)، انتهى.

وهو صريح فيما ذكرناه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «المجارين بعزتك» أي: المحفظون بقوتك وغلبتك.

يقال: استجرت زيدا فأجارني، أي: طلبت منه أن يحفظني فحفظني.

والعز والعزة: الرفعة والامتناع والشدة والغلبة.

قوله عليه السلام: «الموسع عليهم الرزق الحلال» إلى آخره يروى بتشديد السين وتخفيفها وكلاهما بمعنى يقال: أوسع الله عليه رزقه ووسعه بالألف والتشديد، أي: بسطه وكثره، أي: الذين وسع عليهم الرزق، وهو لغة ما ينتفع به فيشمل الحلال والحرام؛ ولذلك قيده بالحلال، ومن ذهب إلى أنه ماصح الانتفاع به وليس لأحد منعه منه، فلا يكون الحرام رزقاً، فوصفه بالحلال عنده للتأكيد كأمس الدابر، أو

(١) شرح الكافية: في النحو: ج ٢ ص ٣٤٢.

للإيضاح والتبيين. وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوفى في أوائل الروضة الأولى فليرجع إليه.

والحلال: ما لا يعاقب على استعماله.

قيل: والرزق الحلال شامل للحلال في ظاهر الشريعة، والحلال في نفس الأمر وهو قوت النبيين.

كما روي أن أبا جعفر عليه السلام نظر إلى رجل وهو يقول: اللهم ارزقني من رزقك الحلال، فقال: أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيين، قل: اللهم إني أسألك رزقاً واسعاً طيباً من رزقك (١).

قال بعض أصحابنا: الحلال والطيب وإن كانا متقاربين بل متساويين في اللغة، إلا أن المستفاد من هذا الحديث أن بينهما فرقاً في عرف الأئمة عليهم السلام، وكأن الفرق هو أن الطيب ما هو طيب في ظاهر الشرع سواء كان طيباً في الواقع أم لا، والحلال ما هو حلال وطيب في الواقع، لم تعرضه النجاسة والخبثاء قطعاً، ولم تتناوله أيدي المتغلبة أصلاً في وقت من الأوقات، ولا ريب في أنه قوت الأنبياء وأنه نادر جداً، وطريقه ضيق، والطالب له طالب لضيق معيشته، وأما ما وقع في بعض الأدعية من طلبه فالمراد به ما هو بمعنى الطيب (٢) انتهى.

و«من» في قوله عليه السلام: «من فضلك الواسع»: لابتداء الغاية مجازاً، وهي إما متعلقة بالموسع فيكون الظرف لغواً، أو بمحذوف وقع حالاً من الرزق الحلال فيكون ظرفاً مستقراً.

والمعنى إما من محض فضلك الواسع من غير وسط معتاد، أو من غير استحقاق لأنني لست بأهل له، بناءً على أن الواسع نعت مؤكد أو ممدوح، وإما من فضلك

المتَّصف بالسعة لا مطلقاً؛ فإن من فضله ما تقتضي الحكمة أن يكون واسعاً، والغرض المبالغة في طلب التوسعة.

والجود: إفادة ما ينبغي لا لعوض.

والكرم: إيثار الغير بالخير.

قوله عليه السلام: «المعزّين من الذلّ بك» أعزّه إعزازاً: أكرمه.

قال صاحب المحكم: عزّ عليّ يعزّ عَزّاً وعزّةً وعزازةً: كرم، وأعزّزته: أكرمه وأحبّيته (١).

ومن: بمعنى عن؛ لما في الإعزاز من معنى التنزيه عمّا ينافيه، ويحتمل أن تكون للبدل أي: بدل الذلّ.

والباء: في «بك»: للاستعانة.

قوله عليه السلام: «المجاريّن من الظلم بعدلك» يروى بكسر الراء المهملة، جمع مجار اسم مفعول من أجاره إجارة بمعنى: أعاده وحفظه، وهو المشهور. وفي نسخة ابن ادريس: «المجازين» بفتح الزاء المعجمة، جمع مجازي اسم مفعول من جازه بمعنى: كافاه.

وعن الشهيد قدس سرّه: المجازين بالمعجمة على صيغتي المفعول والفاعل معاً، أي: الذين يجازهم على ما أصابهم من الظلم وينتصف لهم من ظالمهم عدلك، أو الذين لا يجازون من اعتدى عليهم وظلمهم إلّا بعدلك (٢)، إنتهى.

وفي هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المؤمن: إن بغى عليه صبر حتّى يكون الله الذي ينتصر له (٣).

(١) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ٣٢.

(٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٠٦، خطب ١٩٣.

أي: إن ظلم لم ينتقم هو لنفسه من ظالمه، بل يكل أمره إلى عدل الله سبحانه لينتصر له منه.

قوله عليه السلام: «المعاقين من البلاء برحمتك» عافاه الله يعافيه معافاةً: سلّمه من الآفات.

والبلاء بالفتح والمدة: ما يمتحن به ويختبر من خير أو شرٍّ، وأكثر ما يأتي مطلقاً في الشرِّ كما وقع هنا، وإذا أُريد به الخير يأتي مقيداً كما قال تعالى: «بلاء حسناً» (١). والله تعالى يبلو عبده بما يحب ليمتحن شكره، وبما يكره ليمتحن صبره.

فسأل عليه السلام أن يجعله من الذين عافاهم من البلاء بالمكروه بسبب رحمته.

وفي الحديث: إنَّ الله تعالى ضنَّائُن من خلقه يحبيهم في عافية ويميتهم في عافية. (٢) وهو مروي عن طريق العامة والخاصة.

قال ابن الأثير في النهاية الضنَّائُن: الخصائص، واحدهم ضنينة فعيلة بمعنى مفعولة من الضنَّ، وهو ما تختصه وتضمن به أي: تبخل لمكانه منك وموقعه عندك، ومنه قولهم: فلان ضنني من بين اخواني وضنيني: أي اختص به واطن بمودته (٣).

ورواه الجوهري: إنَّ لله ضناً من خلقه يحبيهم في عافية ويميتهم في عافية (٤).

وفي القاموس: هو ضنني بالكسر أي: خاص بي، وضنَّائُن الله: خواص خلقه (٥).

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنَّ لله

(١) سورة الانفال: الآية ١٧.

(٤) الصحاح: ج ٦ ص ٢١٥٦. مادة: ضنن.

(٢) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤.

(٥) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٤٤.

(٣) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤ وفيه: ضنني.

عزّوجلّ ضنائن يضمن بهم عن البلاء فيحييهم في عافية: ويرزقهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويبعثهم في عافية، ويسكنهم الجنة في عافية (١).
وعن أبي عبدالله عليه السلام: أن الله خلق خلقاً ضمن بهم عن البلاء، خلقهم في عافية، وأحياهم في عافية، وأماتهم في عافية، وأدخلهم الجنة في عافية (٢).
وعنه صلوات الله عليه: أن لله عزّوجلّ ضنائن من خلقه، يغذوهم بنعمته، ويحييهم في عافية، ويدخلهم الجنة برحمته، تمرّهم البلياء والفتن لا تضرّهم شيئاً (٣).

قال بعض أصحابنا في معنى هذه الأخبار: لما كان كلّ فعله تعالى منوطاً بالحكمة، كان من مقتضى حكمته أنه إذا علم أن من عباده من لا يحتاج في إصلاحهم إلى البلاء رزقهم العافية، وقد يبلو بعضهم لزيادة الأجر ورفع المنزلة، وإذا علم أن بعضهم يحتاج إلى البلاء ابتلاهم به (٤).
وقال بعضهم: معنى الضنّ بهم عن البلاء: إعدادهم لعدم التأذي بالبلاء؛ وذلك لفرط محبتهم له سبحانه، بحيث يلتذّون ببلائه كما يلتذّون بنعمائه فيعدّونه عافية، كما يشير إلى ذلك آخر الحديث الثالث، وهو قوله عليه السلام: تمرّهم البلياء والفتن لا تضرّهم شيئاً (٥)، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «والمغنين من الفقير بغناك» قال بعض أصحابنا: اعلم أن الغنى المطلوب لمثله عليه السلام هو مادفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٢، باب المعافين من البلاء: ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٦٢ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٢ ح ٣، وفيه: «ويحبوهم بعافيته»

(٤) شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ١٩٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٢ ح ٣.

والقناعة، لا المفهوم المتعارف بين أرباب الدنيا من جمع المال وادّخاره والاتساع به فوق الحاجة، وطلب الغنى على ذلك محمود، وعلى الوجه الثاني هو المذموم، والفقر هو ما احتاج معه إلى سؤال الخلق، إنتهى.

والظاهر أن المراد بالفقر هناك التمسك بما سواه تعالى والاستعانة به؛ لقوله عليه السلام: «بغناك»؛ فإنّ المغني بغناه جلّ شأنه هو الذي صرفته العناية عن الالتفات إلى ما سواه سبحانه من الوسائل والأسباب، وإلا فكل مغني يؤول غناه إليه تعالى.

قوله عليه السلام: «والمعصومين من الذنوب» إلى آخره عصمه الله يعصمه من باب ضرب: حفظه من مواقعة الآثام والمعاصي، وذلك بفيض وإعداد منه تعالى يقوى به العبد على اجتناب الشر، حتى يصير كمانع له من باطنه وإن لم يكن منعاً محسوساً.

والذنوب: ما يحجبك عن الله تعالى، وجمعه باعتبار تنوعه.

والزّلل: أصله في المكان.

قال الزمخشري: هو نوع من انتقال الجسم عن مكان إلى مكان (١)، إنتهى.

يقال: زلّ عن مكانه زلاً - من باب ضرب: تنحى عنه، وزلّ ذللاً - من باب تعب - لغة، والاسم الزلّة بالكسر، والزلّة بالفتح: المرة، ثم استعير للزوال عن الحق والصواب.

قال في الأساس: ومن المجاز: زلّ في قوله ورأيه زلّة وزللاً، وأزله الشيطان عن الحق واستزله (٢).

(١) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ١١٩، وفيه: «الزليل».

(٢) أساس البلاغة: ص ٢٧٤.

والخطأ مهموز بفتحتين: ضد الصواب.

وقال في النهاية: هو ضد العمد، وهو أن يفعل شيئاً من غير قصده (١).

وقيل إنه العدول عن الصواب، بأن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهو المأخوذ به، أو يريد ما يحسن فعله ولكن يقع له خلاف ما يريد، أو يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه، فهو مخطئ إرادة مصيب فعلاً، فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله، وقد يطلق على المعصية وإن كان فاعلها متعمداً؛ من حيث إنها ضد الصواب.

وقوله عليه السلام: «بتقواك» إضافة المصدر إلى المفعول، أي: بتقواهم أيالك، والأصل وقوى من وقيت، لكنه أبدلت الواو تاءً ولزمت في تصاريف الكلمة. يقال: إتقى الله: إذا تورع عن محارمه واجتنب عن كل ما يبعده عنه. وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى، فليرجع إليه.

قوله عليه السلام: «الموفقين للخير والرشد والصواب» وفقه الله للخير: جعل إرادته موافقة له، والخير: ما يصلح به حال الإنسان أو يرغب فيه الكل، والشر: بخلافه، وكل منها إما مطلق لم يزل مرغوباً فيه أو عنه، أو مقيد يكون بالنسبة إلى أحد خيراً وإلى الآخر شراً كالمال.

والرشد بالضمّ والسكون وبتحتين والرشد: الهدى والاستقامة.

وقال الواحدي: الرشد: إصابة، الخير، وهو نقيض الغي (٢).

وقال الراغب: الرشد: عناية إلهية تعين الإنسان عند توجهه في أموره، فتقويه على ما فيه إصلاحه وتفتّره عما فيه فساد، وأكثر ما يكون ذلك من الباطل، نحو

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٤٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٢٢.

قوله تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين»، وكثيراً ما يكون ذلك بتقوية العزم أو بفسخه، وإليه يتوجه قوله تعالى: «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» (١).

والصواب: إصابة الحق، وهو ضد الخطأ.
قوله عليه السلام: «المحال بينهم» اسم مفعول من أحال بمعنى حال، يقال: حال النهر بيننا حيلولة أي: حجز ومنع الاتصال، ومنه قوله تعالى: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» (٢).

وفي القاموس: وكل ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما (٣).
وفي نسخة: ابن ادريس: «المحول بينهم»، وهو الموافق للمشهور.
الذي عليه التنزيل، قال تعالى: «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» (٤)، وقال: «وحالَ بينهما الموج فكانَ من المتفرقين» (٥).
وأما أحال فلم ينص عليه أحد من أهل اللغة، إلا أن الرواية المشهورة وردت هنا بلفظ المحال بينهم، ولا معنى له إلا أن يكون بمعنى المحول.

قوله عليه السلام: «التاركين لكل معصيتك» ترك الشيء: طرحه وخلّاه.
وقال الشهاب الفيومي في المصباح: تركت المنزل تركاً: رحلت عنه، وتركته الرجل: فارقتَه، ثم استعير للإسقاط في المعاني، فقيل: ترك حقّه: إذا أسقطه، وترك ركعة من الصلاة: لم يأت بها؛ فإنه إسقاط لما ثبت شرعاً، وتركته البحر ساكناً: لم أغيره عن حاله (٦)، إنتهى.

وقيل: الترك: الكف عن الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٥) سورة هود: الآية ٤٣.

(٦) المصباح المنير: ص ١٠٢.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ٦٢.

(٢) سورة مباء: الآية ٥٤.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٦٣.

فقبوله عليه السلام: «التاركين لكل معصيتك» لا يجوز أن يكون بمعنى الكافين عنها بعد ارتكابها والمفارقين لها بعد مواصلتها، كما يقتضيه معنى الترك؛ إذ لا يتصور ارتكاب أحد كل معصية، بل معناه غير الفاعلين لشيء من المعاصي، وهذا المعنى للترك شائع في الاستعمال أيضاً.

قال أمين الدين الطبرسي: الترك: ضد الأخذ، ينافي الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه، ويستعمل بمعنى أن لا يفعل، كقوله تعالى: «وتركهم في ظلمات» معناه لم يفعل الله لهم النور (١).

فإن قلت قد تقرر في علم البيان أن كلاً إذ وقعت خبر النفي كان النفي موجهاً إلى الشمول خاصة، وأفاد بمفهومه الثبوت لبعض الافراد، كقولك: لم آخذ كل الدراهم، فيلزم على هذا أن يكون معنى التاركين لكل معصيتك، التاركين لمجموعها مع ارتكابهم لبعض أفرادها، كما أن قولك: لم آخذ كل الدراهم يفيد ثبوت الأخذ لبعضها، وهذا المعنى غير مراد هنا قطعاً بل المراد ترك كل فرد من المعصية.

قلت: الحق أن هذا الحكم أكثرى لا كلي، كما نص عليه سعد التفتازاني في شرح التلخيص، قال: لأننا نجد حيث لا يصلح أن يتعلق الفعل ببعض، كقوله تعالى: «والله لا يحب كل مختال فخور» (٢)، «والله لا يحب كل كفار أثيم» (٣)، «ولا تطع كل حلافٍ مهين» (٤) و(٥).

وأجاب بعضهم: بأن دلالة المفهوم إنما يعول عليها عند عدم المعارض، وهو هنا موجود؛ إذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخروالكفروالحلف.

(١) راجع مجمع البيان: ج ١-٢ ص ٥٥ ذيل الآية ١٧ من سورة البقرة.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٣.

(٤) سورة القلم: الآية ١٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٦.

(٥) شرح التلخيص: ج ١ ص ١٠٩.

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ ، وَأَعْظِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ،

وهذا الجواب صالح هنا أيضاً؛ إذ الدليل أوجب ترك كل فرد من المعصية،
فلا يقول على دلالة المفهوم.

قوله عليه السلام «الساكنين في جوارك» سكن الدار وفي الدار سكناً - من
باب طلب -: حل بها، والاسم السكنى فأنا ساكن.

وجاوره مجاورة وجواراً من باب قاتل، والاسم الجوار بالفتح والضم.

وقال الجوهري: جاورته مجاورة وجواراً وجواراً، والكسر أفصح (١).

وقال الفارابي في ديوان الأدب في باب فعال بالكسر: هو الجوار، يقال: هو في
جوار الله، وهو مصدر أيضاً في الأصل (٢)، وفي باب فعال بالضم: الجوار لغة في
الجوار، والكسر أفصح (٣)، وفي باب فعال بالفتح: هو الجوار (٤).

وبالحركات الثلاث وردت الرواية في الدعاء. والسكن في جوار الله تعالى
تمثيل للسلامة من كل آفة ونيل الكرامة بكل خير، مثل صورة من وقاه الله سبحانه
وسلمه من كل مخوف وشمله بفضله وعنايته بصورة من سكن في جوار ملك عظيم
وسيد كريم، فهو يقيه ويحفظه من كل سوء وشرّ رعاية لسكنائه في جواره، ويغشاه
بكل خير وبرّ كرامةً لحلوله في كنفه، والله أعلم.

جاء بضمير الجماعة لإشراك ولده عليه وعليهم السلام في الدعاء، كما يدل
عليه قوله فيما سيأتي: «مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي» وجمع بين التوفيق والرحمة؛
لأن بعض المسؤول المشار إليه بذلك متسبب عن التوفيق وبعضه عن محض الرحمة،

(١) الصحاح: ج ٢ ص ٦١٧.

(٢) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٣٧٣.

(٣) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٣٧١.

(٤) ديوان الأدب: لم نثر عليه في باب فعال بل عثرنا عليه في باب فَعَل ج ٣ ص ٢٣٣.

مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلَوْلَدِي، فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ،
إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ، رَوْوْفٌ رَحِيمٌ، وَأَتَيْنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

كما هو ظاهر.

والسعر: النار.

وقيل: لها؛ لقولهم: خبي سعيها.

وعن اللحياني: نار سعي بغير هاء أي: مسعورة (١).

يقال: سعر النار سعراً - من باب نفع - وأسعرها إسعاراً وسعرها تسعيراً: أي
أوقدها.

وختم الدعاء عليه السّلام بالسؤال لعامة أهل التوحيد، من المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، مثل ما سأل لنفسه ولولده في الدارين.
لما ورد في الخبر: أن من حق المسلم على المسلم أن يحب له ما يحب لنفسه،
ويكره له ما يكره لنفسه (٢).

وفي رواية: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعزّ أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه
ما يكره لأعزّ أهله (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من
مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلّا ردّ الله عزّ وجلّ عليه مثل الذي دعاهم به، من كلّ
مؤمن ومؤمنة مضى من أول الدهر أو هوأت إلى يوم القيامة (٤).

وتقديم المسلمين والمسلمات على المؤمنين والمؤمنات رعاية لترتيب الوجود، إذ
الإسلام قبل الإيمان، فلا يكون العبد مؤمناً حتّى يكون مسلماً. وقد تقدّم الكلام

(١) لسان العرب: ج ٤ ص ٣٦٥ مادة: سعر.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٧٢ ح ٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٧ ح ٥.

على الإسلام والإيمان مستوفى، فليرجع إليه.

وقوله: «في عاجل الدنيا وآجل الآخرة» يحتمل أن يكون متعلقاً بقوله: «واعط جميع المسلمين»، ويحتمل تعلقه بقوله: «سألتك لنفسي».

والجملة من قوله: «إنك قريب مجيب» إلى آخره تعليل لاستدعاء الإجابة وتأكيدا؛ لغرض كمال قوة يقينه عليه السلام بمضمونها.

ووصفه تعالى بالقريب: تمثيل لكمال علمه بأفعال عباده وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه.

والجيب: هو الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة، وسؤال السائلين بالإسعاف، وضرورة المضطرين بالكفاية، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (١).

والسميع: هو العالم بالمسموعات.

وقيل: هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، يسمع حمد الحامدين فيثيبهم ودعاء الداعين فيجيبهم.

وقال أمين الإسلام الطبرسي: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت، وهي ترجع إلى كونه تعالى حياً لا آفة به (٢).

والسامع: المدرك، ويوصف القديم تعالى في الأزل بأنه سميع، ولا يوصف في الأزل بأنه سامع، لأنه إنما يوصف به إذا وجدت المسموعات.

والعليم: العالم بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها على أتم ما يمكن، بحيث لا يتصور مشاهدة وكشف أظهر منه، وفعل من أبنية المبالغة فهو أبلغ من العالم.

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٢٧٨.

قال بعض العلماء: ليس سمعه وعلمه تعالى بجارحة، ولا بكيفية نفسانية انفعالية، ليلزم الاشتراك بينه وبين السامعين والعلماء، أو بينه وبين أسماعهم وعلمومهم، بل حقيقة ذاته المقدسة التي هي محض الوجود الذي لا أتم منه، تنكشف له المسموعات وتحضر لديه المعلومات، وليس معنى السماع إلا حضور صورة المسموع عند قوة إدراكية تسمى بالسمع أو السامعة، ولا العلم إلا حضور صورة المعلوم عند قوة علمية تسمى بالعقل أو العاقلة، وليس من شرط السماع أن يكون بآلة ولا بحلول صورة في ذات السامع أو في آلة منه، بل معناه انكشاف المسموع وحضوره سواء كان بنفسه أو بصورته.

وكذا الكلام في العلم؛ فإن ذاته تعالى سميع إذ ينكشف عنده المسموعات، وسمع إذ به يقع ذلك الانكشاف لأمر آخر، وكذا قياس كونه عليمًا وعلماً، إنتهى.

والعفو: فعول من العفو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، يقال: عفت الرياح الأثر؛ إذ محته وطمسته.

والغفور: بمعنى الغفار، ولكنه ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ عنه الغفار؛ فإن الغفار، مبالغة في المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد أخرى، فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل، والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله، فهو غفور بمعنى، أنه تام الغفران كاملها حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة.

قال الغزالي وغيره: وفي العفو مبالغة ليست في الغفور؛ فإن الغفران ينبئ عن السر، والعفو ينبئ عن المحو، وهو أبلغ من السر؛ لأن ستر الشيء قد يحصل مع بقاء أصله، بخلاف المحو فإنه إزالته جملةً ورأساً. وعلى هذا، فتقديمه مع كون القياس تأخيرته رعاية لأسلوب الترقى إلى الأعلى، كما في قولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض، لأن ما يدل على إزالة أصل الذنب أولى بالتقديم مما يدل

.....

على ستره مع احتمال بقاء أصله (١).
والرؤوف: ذوالرأفة وهي شدة الرحمة، فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه،
وتقديمه عليه مع كونه أبلغ منه؛ لأنّ تقديم ما يدلّ على عظيم النعمة أولى من تقديم
ما يدلّ على دقيقتها.

وقيل: الرأفة أخصّ والرحمة أعمّ.
وقوله عليه السّلام: «وآتانا في الدنيا حسنة» إلى آخره مرّ شرحه في آخر الروضة
العشرين، فليرجع إليه تمّ.
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين، والله الحمد. تمّ ضحوة
يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان المكرّم سنة ١١٠١.



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی



الروضة السادسة والعشرون

مركز بحوث ودراسات إسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَايِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَيْرَةِ أَوْلِيَائِهِ إِذَا ذَكَرَهُمْ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوَلَّحْنِي فِي حِرَافِي وَمَوَالِي الْعَارِفِينَ
بِحَقِّهِنَا وَالْمُنَادِينَ بِكَ لَا غَدَاثًا بِأَفْضَلِ وَلَا بَيْتِكَ وَوَقْفَتَهُمْ لِإِقَامَةِ
سُنَّتِكَ وَالْأَخَذِ بِحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي أَرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ
وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ وَهِدَايَةِ مُتَرَشِّدِهِمْ وَمُنَاصَحَةِ مُتَشَبِّهِهِمْ وَ
تَعْمِيدَةِ قَادِمِهِمْ وَكَيْفَانِ أَسْرَارِهِمْ وَسِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ
وَحُسْنِ مُوَاسَاةَتِهِمْ بِالْمَاعُونِ وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَّةِ وَالْإِفْضَالِ
وَالْعَطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْرِي بِالْإِحْسَانِ
مُسْتَبْتِهِمْ وَأَعْرِضْ بِالْبُحَا وَزِعْنِ ظَالِمِهِمْ وَأَسْتَعِمْ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافِّهِمْ
وَأَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَائِمَتَهُمْ وَأَعْصُ بِصَرِيحِهِ عَنْهُمْ عِقَّةً وَالْهَيْنَ جَانِبِي لَهُمْ
وَأَضْعَأْ وَأَرِثْ عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً وَأَسِرْ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً
وَلِحَبِيبَتِكَ النِّعَمَ عِنْدَهُمْ نُصْحًا وَأَوْجِبْ لَهُمْ مَا أَوْجِبَ لَكَ مِنْهُمْ وَأَجْعَلْ
لِي أَصْحَى اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَاجْعَلْ
لِي آوْفَى الْخَطُوطِ فِيمَا عِنْدَهُمْ وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي حَتَّى
يَعْدُوا بِي وَأَسْعِدِيَهُمْ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذاكر جيرانه وأوليائه، والمفيض عليهم سجال نعمائه وآلائه، والصلوة والسلام على أشرف أنبيائه، وعلى أهل بيته وعترته وأبنائه.

وبعد فهذه الروضة السادسة والعشرون من رياض السالكين، تتضمن شرح الدعاء، السادس والعشرين من صحيفة سيد العابدين، سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملأ العبد الفقير إلى ربه الغني علي صدر الدين الحسيني الحسيني، كان الله له جاراً وولياً، ورفع في الدارين مكاناً علياً.

شرح الدعاء السادس والعشرين

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَجِيرَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ إِذَا ذَكَرَهُمْ.

الجيران: جمع جار، وهو لغة المجاور في السكن.
حكى تغلب عن ابن الأعرابي: الجار: الذي يجاورك بيت بيت (١).
وقال الفيومي: جاوره مجاورة: إذا لاصقه في السكن (٢).
وشرعاً قيل: من يلي الدار إلى أربعين ذراعاً من كل جانب، وهو مذهب جماعة من أصحابنا منهم الشهيد الأول في كتاب اللمعة (٣).
وقيل: إلى أربعين داراً من كل جانب، وهو مذهب طائفة من أصحابنا.
وقال الشهيد الثاني في شرح اللمعة: والأولى والأقوى الرجوع في الجيران إلى العرف؛ لأنّ القول الأول وإن كان هو المشهور إلا أنّ مستنده ضعيف، والقول الثاني مستند إلى رواية عامية روتها عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: الجار إلى أربعين داراً (٤).
وكأنه رحمه الله غفل عما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن بل صحيح عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: حدّ الجوار أربعون داراً من كل جانب، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله (٥).
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ

(٤) شرح اللمعة: ج ٥ ص ٢٩.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ١.

(١) المصباح المنير: ص ١٥٨.

(٢) المصباح المنير: ص ١٥٧.

(٣) اللمعة الدمشقية: ص ١٧٧.

قال صلوات الله وسلامه عليه.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي وَمَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، وَالْمُنَابِذِينَ لِأَعْدَائِنَا، بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ.

أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله (١).
فستند القول الثاني هاتان الروايتان لا ماروته عائشة، فلا معدل عن القول به.
ويطلق الجار على الناصر والخليف وهو المعاهد، يقال منه: وتحالفا إذا تعاهدا
على أن يكون أمرهما واحداً في النصرة والحماية؛ لأن كلاً منهما يحلف لصاحبه على
التناصر، بينهما حلف وحلفة بالكسر: أي عهداً، وإرادة هذين المعنيين هنا واضحة.
والأولياء: جمع وليّ فعيل بمعنى فاعل، ويطلق على معان كثيرة، والذي
يقتضيه المقام منها هو المحب، والتابع، والمعين، والناصر، والصديق ذكراً كان أو
أنثى، والعتيق، وكل من يتولى الإنسان وينضم إليه ويكون من جملة أتباعه
والناصرين له فهو وليه.

تولاه الله: كان له ولياً، أي: معيناً وكافلاً لمصالحه موقفاً بأموره، ومنه: تولاك الله بحفظه.
قال ابن الأثير في النهاية: وكأنّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل (٢).
وفي: ظرفية مجازية، أي: اجعل ولايتك لي سارية في جيرانى وموالى راسخة
فيهم، كقوله: «وأصلح لي في ذريتي» (٣).

والموالى جمع مولى، والمراد به هنا: المحب والتابع والناصر وسائر ما تقدم في معنى الولي.
وقوله (٤) «العارفين بحقنا» صفة مفادها التوضيح وهو رفع الاحتمال، أو
التبيين والتفسير، فتكون صفة كاشفة عن معنى الجيران والموالى، الذين سأل عليه
السلام أن يتولاه الله فيهم بأفضل ولايته.

(٣) سورة الاحقاف: الآية ١٥.

(٤) (ج): عليه السلام.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩ ح ٢.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٢٧.

ويحتمل أن يكون للمدح، ومعرفة حقهم عليهم السلام عبارة عن اعتقاد إمامتهم وافتراض طاعتهم ووجوب اتباعهم والتسليم إليهم.

والمنابذة بالذال المعجمة: مفاعلة من النبذ، وهو طرح الشيء ورميه، يقال: نبذ الشيء من يده: إذا طرحه ورمى به.

قال الزمخشري في الأساس: نبذ إلى العدو: رمى إليه بالعهد ونقضه، ونابذه منابذةً وتنابذوا (١).

وقال الفيومي في المصباح: نابذتهم: خالفتهم، ونابذتهم الحرب: كاشفتهم إياها وجاهرتهم بها (٢).

وفي شرح مسلم للنووي في حديث: وإن أبيتم نابذناكم على سواء، أي: كاشفناكم وقتلناكم على طريق مستقيم مستوي في العلم بالمنابذة منا ومنكم، والنبذ يكون بالفعل والقول في الأجسام والمعاني، ومنه نبذ العهد: إذا نقضه وألقاه إلى من كان بينه وبينه (٣)، انتهى.

وفي شرح جامع الأصول: فلا تنابذهم أي: تقاتلهم (٤). وفي النعتين المذكورين إشارة إلى أن موالاتهم عليه السلام لا تكون إلا بمعرفة حقهم ومخالفة أعدائهم ومنابذتهم.

والباء من قوله: «بأفضل ولايتك»: إما للاستعانة فيكون الظرف لغواً متعلقاً بتولّني، أو للملازمة فيكون مستقراً متعلقاً بمحذوف، وهو حال من فاعل تولّني، أي: ملتبساً بأفضل ولايتك.

والولاية بالفتح والكسر: لغتان بمعنى النصر والإعانة، وبالكسر فقط: بمعنى

(١) أساس البلاغة: ص ٦١٣. (٢) شرح صحيح مسلم (للنووي) لم أعثر عليه بعد فحص بليغ.

(٣) المصباح المنير: ص ٨١٠. (٤) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

وَوَقَّفَهُمْ لِإِقَامَةِ سَنَّتِكَ، وَالْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ آدَبِكَ، فِي إِرْفَاقِ
ضَعِيفِهِمْ وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ،
وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهُدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسُتْرِ

السلطان، حكاه الجوهري عن ابن السكيت (١).

وقال سيبويه: الولاية بالفتح: المصدر، وبالكسر: الاسم، مثل الإمارة
والنقابة، لأنه لما توليته، فإذا أرادوا المصدر فتحو (٢).

والرواية وردت في الدعاء بالوجهين، فتحتمل المصدرية والاسمية *.
قال بعضهم: لا يخفى أن المناسب للمقام أن يقال: ووقفني، لكن اتفقت
النسخ على هذا النحو، ويمكن أن يكون قوله عليه السلام: «في إرفاق ضعيفهم»
متعلقاً بولايتك أو بتولي، وهو وإن كان بحسب الظاهر بعيداً لكنه بحسب المعنى
أحسن، انتهى.

وقال بعض المترجمين: وفي رواية «ووقفني» وهو أولى، والعهدة عليه.
والذي أقول: إن المناسب لعنوان الدعاء هو ما عليه الرواية من لفظ، وقفهم،
فيكون الغرض الدعاء لهم بالتوفيق باستعمال هذه الآداب والأخذ بها في معايشة
بعضهم بعضاً.

والسنة بالضم: في الأصل الطريقة، وسنة الله تعالى: حكمه وما شرعه من
فرض أو نذير.

واقامتها عبارة عن صيانتها وحفظها من أن يقع فيها شيء من الزيف، أخذاً من
أقام العود، إذا أقومته وعدله، أو عن المواظبة عليها، مأخوذ من قامت السوق، إذا
نفقت، وأقامتها: إذا جعلتها نافقة؛ فإنها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب

(١) الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٣٠، من دون النسبة إلى ابن السكيت.

(٢) الصحاح: ج ٦، ص ٢٥٣٠ نقلاً عن سيبويه.

عُوزَاتِهِمْ، وَنُضْرَةٌ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنُ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدَ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَّةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ.

فيه، أو عبارة عن التشمير للعمل بها من غير فتور ولا توانٍ، من قولهم: قام بالأمر وأقامه: إذا جد فيه واجتهد.

والمحاسن: جمع الحسن الذي هو خلاف القبح، وهو كون الشيء ملائماً للطبع، أو موجباً للمدح في العاجل والثواب في الآجل.

قال الجوهري: هو على خلاف القياس، كأنه جمع محسن (١).
والأدب: رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

قال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتحرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل (٢). وإضافته إليه تعالى لكونه أمر به أو ندب إليه. والأخذ: في الأصل بمعنى تناول والإمساك باليد.

يقال: أخذ الخطام وبالحطام على الزيادة أي: أمسكه، ثم استعمل بمعنى السيرة، يقال: أخذ أخذهم وبأخذهم بفتح الهمزة وكسرهما أي: سار بسيرتهم. ومنه الحديث: لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون (٣). أي: تسير بسيرتهم، وهذا المعنى هو المراد هنا، أي: وفقهم للسيرة بمحاسن أدبك.

والظرف من قوله «في إرفاق ضعيفهم»: متعلق به أو بأدبك. ويحتمل أن تكون «في» بمعنى «من» البيانية، فيكون ما بعدها بياناً لسنته تعالى ومحاسن أدبه. والإرفاق: إفعال من الرفق بالكسر، وهولين الجانب ولطافة الفعل. يقال: رفق به - من باب قتل - رفقاً وأرفقه إرفاقاً أي: لطف به. حكى أبو زيد: رفقت به وأرفقته وترفقت بمعنى (٤).

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٢٦ ب ١٤.

(٤) الصحاح: ج ٤ ص ١٤٨٢.

(١) الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٩.

(٢) المصباح المنير: ص ١١.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: يقال: أرفقه ورفق به بمعنى (١).
وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه الحديث في إرفاق ضعيفهم وسد خللتهم أي:
إيصال الرفق إليهم (٢).

ويأتي الإرفاق بمعنى النفع، يقال: أرفقه أي: نفعه.
قال في الأساس: استرفقته فأرفقني بكذا: نفعني (٣).
والخلّة بالفتح: الحاجة والفقر والخصاصة، وسدّها جبرها وإزالتها.
قال في النهاية: وفيه اللّهم سادّ الخلّة، الخلّة: الحاجة والفقر وسادّها أي:
جابرها. ومنه حديث الدعاء للميت: اللّهم اسدد خلّته وأصلها من التخلّل بين
الشيئين، وهي الفرجة والثلمة التي تركها بعده من الخلل الذي أبقاه في أموره (٤).
وعدهت المريض عيادةً: زرته.

قال الطيّبي في شرح المشكاة: العيادة في المرض، والزيارة في الصحة (٥).
وقال ابن الأثير: كلّ من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد، وإن اشتهر في عيادة
المريض حتّى صار كأنه مختصّ به (٦).

والمسترشد: طالب الرشد أي: الهدى وإصابة الصواب.
والمناصحة: النصيح.

قال الفارابي في ديوان الأدب: ناصحة أي: نصيح له (٧).
فهو من باب فاعل بمعنى فعل، كسافر وضاعف.
واستشرته في كذا: بمعنى شاورته أي: راجعته لأرى رأيه فيه، فأشار عليّ

(٥) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣١٧.

(٧) ديوان الأدب ج ٢ ص ٣٨٣.

(١) ديوان الادب: ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) أساس البلاغة: ص ٢٤٣.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٧٢-٧٣.

بكذا: أراني ما عنده من المصلحة.
وتعهدت الشيء: تفقدته، وجددت العهد به أي: الالتقاء به، ومنه: عهدي به قريب أي: لقائي.

والقادم: الآتي من السفر، يقال: قدم الرجل البلد يقدمه قدوماً - من باب تعب - فهو قادم.

وكنتم زيد الحديث كنماً - من باب قتل - وكنماناً بالكسر: لم يطلع عليه أحداً.
والأسران: جمع سرّ بالكسر، وهو ما تخفيه وتكتمه من غيرك . ومنه: صدور الأحرار قبور الأسرار (١).

والعورات بسكون الواو للتخفيف والقياس الفتح وهولغة هذيل: جمع عورة، وهي كل شيء يستره الإنسان أنفةً أو حياءً.
والنصرة بالضم: اسم من نصرته على عدوه أي: أعنته وقويته.

والمواساة: مصدر آسأته بالهمز والمد أي: سويته بها، ويجوز إبدال الهمزة واواً في لغة اليمن فيقال: واسيته:

وفي النهاية: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة وقد تقلب (٢)، انتهى.

وقال الجوهري: آسأته بمالي مواساةً: جعلته أسوتي فيه، وواسيته لغة ضعيفة (٣).

وفي القاموس: آسأه بماله مؤاساةً: أناله منه وجعله فيه أسوة، ولا يكون ذلك إلا من كفاف، فإن كان من فضلة فليس مواساة (٤)، انتهى.

(١) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٢٨. (٤) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٩٩، وفيه: «بمواساة».

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٥٠، وفيه: «تقلبت واواً تخفيفاً».

(٣) الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٦٨.

واختلف في معنى الماعون وفي اشتقاقه ممّ هو، فقيل: هو المعروف كله. وقيل: هو اسم جامع لما لا يمنع في العادة، ويسأله الفقير والغني في أغلب الأحوال، ولا ينسب سائله إلى لؤم، بل ينسب مانعه إلى اللؤم والبخل، كالفأس والقصعة والقدر والدلو والغربال والقدم، ويدخل فيه الماء والملح والنار؛ لما روي: ثلاثة لا يحلّ منعها: الماء والنار والملح (١).

ومن ذلك أنّ تلمس من جارك الخبز في تنوره، أو أن تضع متاعك عنده يوماً أو بعض يوم.

قال العلماء: ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزله ممّا يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ذلك، ولا يقتصر على قدر الضرورة، وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار.

وقيل: هو كلّ ما انتفع به ومطلق المنفعة، ويؤيده ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: هو القرض تقرضه، والمعروف تصنعه، ومتاع البيت تعيره، ومنه الزكاة، قال: فقلت له: إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه، أفعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال: لا، ليس عليك جناح أن تمنعهم إذا كانوا كذلك (٢).

وأما اشتقاقه فهو فاعول، فقيل: من المعن بمعنى: العطاء. وقيل: من معن الوادي: إذا جرت مياهه قليلاً قليلاً، والمعن: القليل؛ لأنّ الماعون ما قلت قيمته وكثرت منفعته.

وقيل: من المعن بمعنى: السهل اليسير؛ فإنّ الماعون بأي معنى فسّر كان سهلاً

(١) لم نعر عليه، بل وجدناه في مستدرک وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤٧٠ وج ٣ ص ١٥٠ ما نصّه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: خمس لا يحلّ منعهنّ: الماء والملح والكلاء والنار والعلم.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٤٩٩، ح ٩.

يسيراً.

قال صاحب المحكم: الماعون: المعروف لتيسره وسهولته لدينا بافتراض الله تعالى إتياء علينا، والماعون: الزكاة، وهو من السهولة والقلّة؛ لأنّها جزء من كلّ، والماعون: أسقاط البيت كالدلو والقدر؛ لأنّه لا يكرث معطيه ولا يعتني كاسبه، والماعون في الجاهليّة: المنفعة والعطية، وفي الإسلام: الطاعة والزكاة والصدقة، وكلّه من السهولة والتيسير (١)، إنتهى.

وعاد بمعروفه يعود عوداً: عطف وتطوّل، والاسم العائد.

قال الزمخشري في الأساس: تقول: عاد فلان علينا بمعروفه، وما أكثر عائدة فلان على قومه، وإنّه لكثير العوائد عليهم (٢).
فقوله عليه السلام: «والعود عليهم بالجدّة» أي: التتطوّل عليهم والإحسان إليهم.

والجدّة: الثروة والغنى، من وجدني المال وجدّاً بالضمّ والكسر لغة وجدّة أي: استغنى.

والإفضال: الزيادة والإكثار، ومنه حديث: منّ عليّ فأفضل (٣) أي: أنعم عليّ فأكثر.

وحديث: ألم أعطك فأفضل (٤) أي: فأكثر لك في العطاء.

وهذا المعنى للإفضال هو المناسب لعطفه على الجدّة، دون معنى الإحسان فإنّه مستفاد من العود عليهم.

(١) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) أساس البلاغة: ص ٤٣٨.

(٣) و(٤) لم نعث عليها في اللسان والصحاح والمصباح والاساس ومجمع البحرين والنهاية.

وقوله عليه السّلام: «واعطاء ما يجب لهم قبل السؤال» إمّا عطف على العود
أعلى الإفضال، والتقدير: وإعطائهم ما يجب لهم، فحذف المفعول الأول المضاف
إليه لدلالة الكلام عليه، وازداد المصدر إلى المفعول الثاني.

ومدار هذا الفصل من الدعاء على سؤاله عليه السّلام لجيرانه ومواليه أن
يوفقهم سبحانه لقيام بعضهم بحقوق بعض، والأخذ بما ينبغي أن يكون عليه الشيعة
من الأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة في معاشرتهم لبعض.

كما رواه ثقة الإسلام في الكافي في باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه،
بسند عن أبي اسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: إنّ الشيعة عندنا كثير،
فقال: هل يعطف الغني على الفقير ويتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟ فقلت:
لا، فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا (١).

وعن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فدخل رجل
فسلم، فسأله كيف من خلفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى،
فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة، فقال: كيف مشاهدة
أغنيائهم لفقرائهم؟ فقال: قليلة، فقال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات
أيديهم؟ فقال: إنك لتذكر أخلاقاً قلما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف يزعم
هؤلاء أنهم شيعة؟ (٢).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً.

إذا عرفت ذلك، فعنى قوله عليه السّلام: «في إرفاق ضعيفهم وسدّ خلّتهم»
إلى آخره: في إرفاق قوتهم ضعيفهم، وسدّ غيتهم خلّة فقيرهم، وعيادة صحيحهم
مريضهم، وهداية مرشدهم مسترشدهم، ومناصحة مستشارهم مستشيرهم، وتعهّد

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٧٣، ح ١١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٧٣، ح ١٠.

وَأَجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مَسِيئَتُهُمْ، وَأَعْرِضْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ، وَأَسْتَغْمِلْ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَتِهِمْ، وَأَتَوَلَّى بِالتَّرَعَامَتِهِمْ، وَأَغْضُ بَصْرِي عَنْهُمْ عِقَّةً، وَأَلِيَنَّ جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضُعًا، وَأَرْقُ عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وَأَسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً، وَأُحِبُّ بِقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نَضْحًا، وَأُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَتِي، وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِحَاصَتِي.

حاضرهم قادمهم، وكتمان أسرارهم فيما بينهم وأسرار أنفسهم، وستر بعضهم عورات بعض، ونصرتهم مظلومهم، وحسن مواساة بعضهم بعضاً بالماعون، وعود أغنيائهم على فقرائهم بالجنة والإفضال، وإعطائهم ما يجب لمحتاجيهم قبل السؤال. كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في حق المؤمن: وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألها (١) ولكن تبادره مبادرة. وإنما استغنى عن ذكر الفاعل في جميع ذلك لأنه غير ملتبس، والله أعلم.

ولما بدأ عليه السلام بالدعاء لجيرانه ومواليه بتوفيقهم للأخذ بمحاسن الأدب في معاشرته بعضهم بعضاً، شفع ذلك بالدعاء لنفسه بتوفيقه للأخذ بذلك في معاشرته لهم، فقال: (٢) .

الجعل: بمعنى التصيير، أحد مفعوليه ضمير المتكلم، والثاني جملة أجزي. وتوسط النداء لظاهر مزيد الضراعة والابتهاال.

وجزيتة على فعله: أجزيه جزاء إذا فعلت معه ما يقابل فعله، وأكثر ما يستعمل في كون الفعلين من جنس واحد، كالإحسان بالإحسان والإساءة بمثلها، وعلى ذلك قوله تعالى: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (٣).

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٦٩، ح ٢.

(٢) أي الدعاء المذكور في صدر الصفحة.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

«وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» (١)، وقد يستعمل في مقابلة السيئة بالحسنة وبالعكس.

وعلى الأول عبارة الدعاء، ومثله قول الشاعر:

يجزون عن ظلم أهل الظلم مغفرةً وعن إساءة أهل السوء إحساناً
ومن الثاني قول الآخر:

جزانا بنو سعيدي بحسن فعالنا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
وستمار اسم رجل رومي بنى الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ
القيس، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخرميتاً، وإنما فعل ذلك لئلا يبنى مثله لغيره،
فضرب العرب به المثل لمن يجري بالإساءة الإحسان. وأعرضت عن الشيء:
أضربت ووليت عنه قيل: أصله من الانصراف بالوجه إلى جهة العرض.
وقيل: حقيقته جعل الهمزة فيه للضرورة أي: أخذت عرضاً بالضم أي: جانباً
غير الجانب الذي هو فيه.

والمعنى: واترك مقابلة الظالم منهم ومكافاته فيما يأتيه من الظلم.
والباء من قوله «بالتجاوز»: للملابسة، متعلقة بمحذوف هو حال من الضمير
المستكن في أعرض، أي: حال كوني ملتبساً بالتجاوز عنه. يقال: تجاوز عنه تجاوزاً
أي: عفى وصفح، وقدمر الكلام عليه.

وقوله: «عن ظالمهم» متعلق بالفعل والمصدر على طريق التنازع.
ثم ما اشتملت عليه هاتان الفقرتان، من جزاء المسيء بالإحسان والصفح عن
الظالم بالتجاوز، من أشرف مكارم الأخلاق.
كما روي أن جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله

تعالى: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، فقال: يا محمد جئتكم بأكرم أخلاق الأولين والآخرين، فصل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك (١).

واستعمله: عمل به، أي: اعمل بحسن الظن في جملتهم أو جميعهم.
وكافة قيل: هي في الأصل صفة من كَفَّ بمعنى منع، استعملت بمعنى الجملة بعلاقة أنها مانعة للأجزاء عن التفرق والتاء فيها للتأنيث.
وقيل: هي في الأصل اسم لجماعة تكف مخالفيها، ثم استعملت في معنى جميع، والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية، كما في عاقبة وخاصة وقاطبة.
وقيل: للمبالغة كما في رواية وعلامة، ورد بأنه خروج عن الأصل من غير ضرورة.

وأكثر النحويين على أنها - أعني كافة - من الأسماء اللازمة النصب على الحالية، وأنها مختصة بمن يعقل.
قال الرضي: وتقع كافة في كلام المتأخرين ومن لا يوثق بعربيته مضافة غير حال، وقد خطأوا فيها (٢)، إنتهى.

وقال ابن هشام في المغني: تجوز الزمخشري الحالية من الفاعل ومن المفعول في قوله تعالى: «ادخلوا في السلم كافة» وهم؛ لأن كافة مختصة بمن يعقل، ووهمه في قوله تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس»؛ إذ قدر كافة نعتاً لمصدر محذوف أي: رسالة كافة أشد؛ لأنه أضاف إلى استعماله فيما لا يعقل إخراجاً عما التزم فيه من الحالية، ووهمه في خطبة المفصل؛ إذ قال: محيط بكافة الأبواب، أشد وأشد

(١) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٥٥، مع اختلاف يسير.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢١٥.

لإخراجه إياه عن النصب البتة (١)، انتهى.

وتعقبه بعض المحققين من المتأخرين، بأنه إن أراد باختصاص لفظة كافة مطلقاً بمن يعقل وبكونها حالاً، فباطل لقولهم: وتلحقها ما الكافة، وإن أراد اختصاصها بذلك حين استعمالها اسماً بمعنى الجملة أو الجميع، فالاعتراض الثاني ليس بشيء؛ لأنه على تقدير كونها صفة لمصدر محذوف مستعملة بالمعنى الوصفي، وكذا الثالث لجواز أن معناه محيط بقواعد كافة للأبواب عن التفرق.

على أن الزمخشري لم ينفرد بذلك، بل ذهب الزجاج إلى عدم اختصاصها بمن يعقل أيضاً، وهما الطودان العظيمان في اللغة، فلا بد في الرد عليها من شاهد قوي، ومجرد شيوع استعمالها كذلك لا يدل على الاختصاص (٢)، انتهى.

وقال السيد عبد الله شارح اللباب: قد وقع كافة مضافاً في كلام البلغاء والفصحاء، منه قول عمر: قد جعلت لآل بني كاكلة على كافة بيت مال المسلمين، لكل عام مائتي مثقال ذهباً إبريراً، كتبه عمر بن الخطاب، ختمه كفى بالموت واعظاً يا عمر، وهذا الخط موجود في آل بني كاكلة إلى الآن، فلا وجه للتخطة (٣)، انتهى.

قلت: وفي عبارة الدعاء من ضياء الحق ما يصدع ظلام الشك، فكفى بها شاهداً على وقوع كافة مضافة في الفصيح؛ فإنه عليه السلام أفصح العرب في زمانه، فليستخط الزمخشري رقاب من خطأه، وبحق ما قيل: إن عبارته كروايته، وما العجب إلا من الرضي رضي الله عنه، حيث لم يقف على عبارة الصحيفة الشريفة مع مكانته في المذهب، وزعم أن وقوعها مضافة غير حال إنما يقع في كلام

(١) مغني اللبيب: ص ٧٣٣.

(٢) لم نعر عليه.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

المتأخرين ومن لا يوثق بعربيته، والله يقول الحق ويهدي السبيل.
ومعنى استعمال حسن الظن في كافتهم: حمل أمورهم جميعاً أقوالاً كانت أو أفعالاً
على ما يضح ويحسن شرعاً وعرفاً ما أمكن الحمل عليه؛ عملاً بحسن الظن فيهم.
وقد بين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في كلام له، فقال: ضع أمر
أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك
سوءً وأنت تجدها في الخير عملاً (١).

قال بعض علمائنا في شرحه لهذا الكلام: أي: احمل أمر أخيك قولاً كان أو
فعلاً على أحسنه، وإن كان مرجوحاً وكان خلافه راجحاً مظنوناً من غير تجسس،
حتى يأتيك اليقين على خلافه؛ فإن الظن قد يغلط والتجسس منهي عنه، كما قال
الله تعالى: «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» (٢)، وقال: «لَا تَجَسَّسُوا» (٣).

ثم قال العلماء: أفعال المؤمنين محمولة على الصحة، ثم نهى - تأكيداً لما مر -
عن حمل كلامه على الشر إن كان محتملاً للخير وإن كان بعيداً جداً، بقوله:
ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءً إلى آخره، فإذا خرجت منه كلمة ذات
وجهين وجب عليك أن تحملها على الوجه الخير، وإن كان معنى مجازياً بدون
قربة أو كناية أو تورية أو نحوها، ومن هذا القبيل ما سماه علماء العربية أسلوب
الحكيم.

كما قال الحجاج للقبصري متوعداً له: لأحملتك على الأدهم، فقال القبصري:
مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فأبرز وعيده في معرض الوعد، ثم قال
الحجاج، للتصريح بمقصوده: إنه خديد، فقال القبصري: لأن يكون خديداً خير من

(١) تفسير البرهان: ج ٤، ص ٢٠٩، ح ٣، والكافي: ج ٢، ص ٣٦٢، ح ٣.

(٢) و(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.

أن يكون بليداً (١).

وبالجملة: كما يحرم على المؤمن سوء القول في أخيه، كذلك يحرم عليه سوء الظن فيه، بأن يعقد القلب عليه ويحكم به من غير يقين، وأما الخاطر وحديث النفس فمغفوع عنه، وما وقع في قلبه من غير يقين فهو من الشيطان يلقيه إليه ليغريه بالقبيح على أخيه، فوجب أن يكذبه فإنه أفسق الفاسقين، فلا يجوز تصديقه بل يجب حسن الظن به.

ومن ثم جاء في الشرع: من تكلم بكلمة ظاهرها الارتداد ولها معنى صحيح لا يحكم بارتداده، وأن من علمت في فيه رائحة الخمر لا يجوز أن يحكم عليه بشرها وأن يحذ عليها؛ لاحتمال أن يكون تمضض بها ومجها، أو وجرت في حلقه جبراً، وذلك أمر ممكن (٢) انتهى. وهذه الجملة كافية في بيان هذا المعنى.

قوله عليه السلام: «وأتولى بالبرّ عامتهم» البرّ: العطف والصلة والخير والأتساع في الاحسان، أي: واجعلي امدّ وأعين جملتهم ملتبساً بالبرّ لهم والعطف عليهم والاحسان إليهم، أو أتولى أمور عامتهم بالخير والصلة والشفقة والأتساع في الاحسان إليهم.

وغضّ الرجل بصره ومن بصره - من باب قتل - : خفض.

والعفة: الكف عما لا يحل ولا يحمل، عفت عنه يعف - من باب ضرب - عفة بالكسر وعفافاً بالفتح.

أي: واجعلي أغضّ بصري عما لا يحل لي النظر إليه من عوراتهم أي: زلاتهم

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص ١٤٨.

(٢) مرآة العقول: ج ١١ ص ١٥-١٧.

وعشراتهم.

كما رواه في الكافي بسنده عن حذيفة بن منصور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيء يقوله الناس عورة المؤمن على المؤمن حرام فقال: ليس حيث يذهبون، إنما عني عورة المؤمن أن يزل زلة أو يتكلم بشيء يعاب عليه، فيحفظه عليه ليعتبر به يوماً ما (١).

وعن الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام فيما جاء في الحديث: عورة المؤمن على المؤمن حرام، قال: ما هو أن ينكشف فيرى منه شيئاً، وإنما هو أن يروي عليه أو يعيه (٢).

وعلى هذا فغض البصر عنهم كناية عن عدم تتبع عشراتهم وزلاتهم والإعراض عنها، ويحتمل أن يكون كناية عن احتمال المكروه منهم وعدم مؤاخذتهم به. قال في القاموس: غَضَّ طرفه: خَفَضَهُ واحْتَمَلَ المكروه (٣).

فيكون بمعنى الإغضاء عنهم، وهو استعمال الحلم والإمساك عن الانتقام. وانتصاب عفة يحتمل أن يكون على المصدرية أي: غَضَّ عَفَةً، أو على المفعول لأجله أي: للعفة، وقس عليه نظائره من المنصوبات الآتية.

والإانة الجانب لهم كناية عن الرفق والتلطف بهم، ومنه قوله تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم» (٤) يقال: لان يلين ليناً ولياناً بالفتح، ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: ألانه إلانةً وليته تلييناً.

ووقع في النسخ المشهورة من الصحيفة: «وألين جانبي» بفتح الهمزة، وفي

(١) لم نثر عليه في الكافي بل عثرنا عليه في التهذيب: ج ١ ص ٣٧٥ ح ١٠.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٩، ح ٣.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٣٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

نسخة: «وَأَلَيْنَ جَانِبِي» بضم الهمزة وهو الصواب.
وأما الرواية الأولى فالظاهر أنها على إسقاط جانبي، وكأنه علق لفظ جانبي في الهامش على رواية أَلَيْنَ بالضم، فجمع النساخ بين الروایتين، وإلا فلا يسمع «لأنه» متعدياً.

والتواضع: التذلل وخلاف الترفع والتكبر، أي: إلانة تواضع، أو لأجل التواضع.

ورق له يرق من باب ضرب - رقة بالكسر: عطف عليه وتحنن عليه، وعداه يعلى لتضمينه معنى العطف والتحنن.

وأهل البلاء: المبتلون بالمكروه.
والرحمة: رقة القلب والتعطف، فإن حمل نصبها على المصدرية فالعامل قوله: «أرق» على حدّ قعدت جلوساً.

ومذهب سيبويه أنه مقدر، والتقدير: أرق وأرحم رحمة؛ لأنه يذهب إلى أن المصدر إذا كان غير ملاق للفاعل المذكور في الاشتقاق كان منصوباً بفعل مقدر، فيقدر في قعدت جلوساً: قعدت وجلست جلوساً (١).

وهو خروج عن الأصل - أعني عدم التقدير - بلا ضرورة.
وإن حمل نصبها على المفعول لأجله، فينبغي أن يراد بها غايتها من إيصال الخير ودفع الشر.

وأسر الحديث: أخفاه وأظهره ضد. قيل: والمراد به هنا الإظهار، أي: أظهر لهم في الغيب مودة، ولا داعي إليه مع خلافه للظاهر، فالأولى أن يراد به الإخفاء والكتمان.

والغيب: مصدر بمعنى الغيبة. والباء: للملابسة، متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل، كما في قوله تعالى: «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ» (١)، وقوله تعالى: «إِنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ» (٢)، أي: أخفي وأكتم لهم المودة ملتبساً بالغيب عنهم أي: غائباً عنهم، لا كالمنافق الذي إذا لقي أصحابه أظهر لهم المودة، وإذا غاب عنهم لم يكن في سرّه شيء منها.

ويحتمل أن يكون المراد بالغيب القلب لأنه مستور، كما فسّره بعضهم قوله تعالى: «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» (٣) أي: يؤمنون بقلوبهم.

والمعنى: أسرّ لهم بقلبي مودة، لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. ويحتمل أن يكون اللام من قوله «لهم» بمعنى إليهم، كقوله تعالى: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» (٤) أي: إليها.

وقوله «بالغيب» مفعولاً لأسرّ، والباء فيه زائدة للتأكيد، مثل أخذت الخطام وأخذت به، ومنه قوله تعالى: «تَسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ» (٥) على القول بأن المودة مفعوله، ويكون معنى الغيب ما غاب عنهم علمه من أحوالهم وأمورهم الدينية والدنيوية التي في أسراره إليهم صلاحهم، ويكون انتصاب مودة على المصدرية أو المفعول لأجله، كما مرّ في نظائره، أي: إسرار مودة أولاًجل المودة.

ويرجع هذا الاحتمال كون الفقرات كلّها على نسق واحد في التركيب والنظم، وإن كان المعنيان الأولان أظهر بحسب دلالة الألفاظ، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

وقد كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه والأئمة من ولده عليهم السلام، يسرون

(٤) سورة الزلزلة: الآية ٥.

(٥) سورة المتحنة: الآية ١.

(١) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣.

إلى مواليتهم وخواصهم كثيراً من الأمور الغيبية، ومن المشهورين بذلك من خواص أمير المؤمنين عليه السلام جويرية بن مسهر العبدي، وميثم التمار وعمرو بن الحمق، ورشيد الهجري، ومزرع صاحب علي عليه السلام، ومالك بن ضمرة الرقاسي وغيرهم، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أطلع كلاً منهم على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية، فاستنبطوا منه علماً كثيراً من أخبار الملاحم والمغيبات، كما يعرف ذلك من كتب السير، ولولا خشية الإطالة لذكرنا جملة مستحسنة من ذلك.

قوله عليه السلام: «وأحبّ بقاء النعمة عندهم» أي: واجعلي أودّ دوام النعمة وثباتها لديهم، حتى يكونوا دائماً بنعمة من الله. والنصح: إخلاص العمل من شوائب الفساد، مأخوذ من نصحت العسل: إذا صفّيته من الشمع.

والمعنى: واجعلي أحبّ بقاء النعمة عندهم محبة نصح لهم، أو لأجل النصح لهم في إرادة الخير لهم وإثارة نفعهم، من غير شائبة غرض آخر. وأوجبّ الشيء، إيجاباً: جعلته واجباً أو اعتقدته واجباً أي: لازماً ثابتاً، من وجب البيع والحق يجب وجوباً: إذا لزم وثبت.

وحامة الرجل: خاصته من أهله وولده، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس (١). واشتقاقها من حم الشيء، يحم حمّاً - من باب ضرب -: قرب ودنا. ورعى له حقّه وحرّمته رعيّاً ورعايةً: حفظه.

وخاصة الإنسان: من له به خصوصية من نسب أو مودة. يقال: هذا خاصتي

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لِي
أَوْفَى الحُطُوطِ فِيمَا عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي،
حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وهم خاضتي، والتاء فيها للمبالغة، وقيل: للنقل.
وقول بعض المترجمين: إِنَّ هذه الفقرة تأكيد لما قبلها لا اتحاد مضمونها، ليس
بصحيح، بل هي تأسيس كما هو ظاهر، والله أعلم.
أرزقني: أي اعطني من الرزق، بالمعنى اللغوي وهو العطاء.
ومثل ذلك: أي: مثل ما سألتك أن تجعلني عليه في معاشرتهم مما تقدم ذكره
فيكونوا لي كما أكون لهم ويعاملوني بمثل ما أعاملهم به.
والحطوط: جمع حظ بمعنى النصيب، أي: أتم الحطوط، من وفى الشيء في.
إذا تم.

وفما عندهم: أي من محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، وصدق الموالاتة،
وحسن الاعتقاد والطاعة والانقياد، إلى غير ذلك مما يرغب فيه السيد الرئيس من
مواليه وأتباعه.

والبصيرة: اسم من بصرت بالشيء بالضم بصراً بفتحين أي: علمت، فأنا
بصير به وهو ذو بصرو بصيرة أي: علم وخبرة.
وقال الفارابي في ديوان الأدب: البصيرة: اسم لما اعتقدته في القلب من الدين
وتحقيق الأمر (١)، إنتهى.

وقد يراد بالبصيرة قوة القلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء
وبواطنها، بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها؛ وهي التي يسميها
الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية، وكل من هذه المعاني يصح إرادته هنا.

وقوله: «(في حقي)» أي: في الواجب الثابت لي على جميع الخلق.

والحق في اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره.

والمراد بحقه عليه السلام: اعتقاد إمامته، وفرض طاعته، ووجوب موالاته، والافتداء به، والرد إليه، والتسليم له، والعلم بذلك قابل للزيادة والنقصان كما مر بيانه في الإيمان.

والمعرفة: إدراك الشيء على ما هو عليه.

والفضل والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الشرف والحسب والعلم.

وحتى بمعنى كي التعليلية، أي: كي تحصل لهم السعادة بسببي وتحصل لي السعادة بسببهم.

وهذا التعليل يتعلق بجملة مانقذهم سؤاله، لأنهم إذا وفقوا لإقامة سنة الله تعالى والأنخذ بمحاسن أدبه بسبب دعائه عليه السلام، وازدادوا بصيرة في حقه ومعرفة بفضلته، فقد استجمعوا الحسنات وفازوا برفع الدرجات فكانوا من السعداء به عليه السلام، وهو عليه السلام إذا قضى حقوقهم وعاملهم بأكرم الأخلاق المذكورة فقد استحق من الله تعالى جزيل الثواب، فكانت هذه السعادة من الله تعالى حاصلة له عليه السلام بسببهم.

وقال بعضهم: أما سعادتهم به عليه السلام فظاهرة، وأما سعادته عليه السلام بهم فهي إما سعادة دنيوية، باعتبار أنهم متى اعتقدوا إمامته قاموا بخدمته ومنفعته في الدنيا، وإما سعادة أخروية؛ وذلك لأنه يهديهم ويدعوهم وينفعهم ويشفع لهم، وكل ذلك سبب لرفع الدرجات في الآخرة، إنتهى.

فجعل التعليل متعلقاً بزيادة البصيرة في حقه والمعرفة بفضلته دون مانقذهم، وهو كما ترى، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

وآمين: اسم فاعل مبني على الفتح، ومعناه استجب لي أو كذلك فليكن. وقد

سبق الكلام عليه مبسوطاً في آخر الروضة الثانية عشرة والسابعة عشرة، فليرجع إليه، والله أعلم.

هذا آخر الروضة السادسة والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، وقد وفق الله تعالى لإنهائها صبيحة يوم الخميس آخريوم من شعبان سنة إحدى ومائة وألف، والله الحمد.



مركز تحقيقات كليات علوم إيسوي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



الروضة السابعة والعشرون
مركز بحوث الدراسات الإسلامية



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ السُّغُورِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ وَ
أَيَّدِ جُنُودَهُ بِقُوَّتِكَ وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَحْرُسْ حُوزَتَهُمْ وَامْنَعْ
حُومَتَهُمْ وَأَلْفِ جَمْعَهُمْ وَدَيِّرْ أَمْرَهُمْ وَوَارِثِيَّتَهُمْ مِثْرَهُمْ وَتَوَحَّدِ كَهَابَهُ
مُؤْنِمَهُمْ وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ وَاعْنَهُمْ بِالصَّبْرِ وَالْطُّفْلِ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَغَيِّرْ فُهُمَ مَا يَجْهَلُونَ وَعِلْمَهُمْ مَا لَا
يَعْلَمُونَ وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْسِمْ
عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ وَذَكِّرْهُمْ بِتِيَاهِمُ الْخَدَاعِ الْعُذُورِ وَامْنَعْ عَنْ قُلُوبِهِمْ
خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفِتَنِ وَاجْعَلِ الْحِجَّةَ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ وَلَوْحَ مِنْهَا
لَأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ
وَالْحُورِ الْحَسَنِينَ وَالْأَنْهَارِ الْمُنْظَرَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُنْتَدَةِ
بِصُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَبْتَغَى أَحَدٌ بِالْإِذْبَارِ وَلَا يَحْدِثُ نَفْسُهُ عَنْ قَبْرِهِ
يُفَارِ اللَّهُمَّ أَفْلَ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ وَأَقْلَمِ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ وَاخْلَعْ وَثَاقَ أَفْئِدَتِهِمْ وَمَا عَذِيبَتُهُمْ وَبَيْنَ أَرْوَاحِهِمْ

وَحَيْرُهُمْ فِي سُبُلِهِمْ وَصَلِّ لَهُمْ عَنِ وَجْهِهِمْ وَاقْطَعْ عَنْهُمْ الْمَدَّةَ
وَانْقُصْ مِنْهُمْ الْعَدَدَ وَامْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرِّغْبَ وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ
الْبَسْطِ وَاخْزِمُ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ وَتَكِلْ
بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ وَاقْطَعْ بِخَيْرِهِمْ أَطْعَامَ مَنْ بَعْدَهُمْ اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ
نِسَائِهِمْ وَيَتِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَائِبِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ
لَا تَأْذَنَ لِسِمَائِهِمْ فِي قَطْرِ وَلَا لِأَرْضِيهِمْ فِي بَيَاتِ اللَّيْلِ وَقَوِّدْ لَكَ
مَحَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ وَتَمْرِ بِهِ أَمْوَالَهُمْ وَفَرِّغْهُمْ
عَنْ مَحَارِبِهِمْ لِعِبَادَتِكَ وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخُلُوفِ بِكَ حَتَّى لَا يَبْعُدَ
فِي بَيْعَاءِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ وَلَا تَقْرَبَ أَحَدٌ مِنْهُمْ جَنَّةَ دُونَكَ اللَّهُمَّ
اغْزِبْ كُلَّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ يَزَانُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَمْدِدْهُمْ
بِمَلَائِكَتِكَ مِنْ عِنْدِكَ مُزِدِّينَ حَتَّى يَكْفُوهُمْ إِلَى مُقْطَعِ الشَّرَابِ مَثَلًا
فِي أَرْضِكَ وَأَسْرًا أَوْ بَقْرًا وَإِبَانِكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَخَدَّ
لَا شَرِيكَ لَكَ اللَّهُمَّ وَاعِظْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ مِنَ
الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالْتُرْكِ وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّبَةِ وَالزَّنَجِ وَالسَّقَالِبَةِ
وَالذَّبَالَةِ وَسَائِرِ أَيْمِ الشِّرْكِ الَّذِينَ تَخْفَى أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ وَقَدْ

أَخْصِيئَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ وَأَشْرِفَتْ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ
بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ وَخُدْهُمْ بِالنَّقِصِ عَنْ تَقْصِيرِهِمْ وَ
يُطْطِئْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الْاِخْتِثَارِ عَلَيْهِمْ اللَّهُمَّ اشْغَلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْاِمْنَةِ
وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْاِخْتِثَالِ وَأَوْهِنْ أَرْكَائَهُمْ
عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الْاِبْطَالِ وَانْعَثْ عَلَيْهِمْ
جُنْدًا مِنْ مَلَائِكَاتِكَ بِبَاسٍ مِنْ بَاسِكَ كَفَيْكَ يَوْمَ بَدْرٍ تَقَطَّعَ بِهِ
دَابِرُهُمْ وَتَحْصُدُ بِهِ شُوكَمَهُمْ وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمُ اللَّهُمَّ وَأَمْرِجْ
مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ وَأَطِمْهُمْ بِالْأَدْوَاءِ وَأَرْمِ بِلَادَهُمْ بِالْخَوْفِ
وَأَلْجِ عَلَيْهِمُ بِالْقَذُوفِ وَأَفْرِغْهَا بِالْمَحُولِ وَاجْعَلْ مَبَرَّهُمْ فِي أَحْصَى
أَرْضِكَ وَأَبْعِدْهَا عَنْهُمْ وَامْنَعْ حُصُوكَ مِنْهُمْ أَصْبَهُمْ بِالْجُوعِ
الْمُقِيمِ وَالسَّقِيمِ الْاَلِيمِ اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَزَاؤُهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ أَوْ
مُجَاهِدِ جَاهِدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَجُودُكَ
الْأَقْوَى وَحُكْمُكَ الْأَوْفَى فَلَقِيهِ الْبُسْرُ وَهَيَّ لَهُ الْأَمْرَ وَتَوَلَّاهُ
بِالنَّجْحِ وَتَحَمَّلْهُ الْأَضْطَابَ وَاسْتَقُولْهُ الظُّلُمَ وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي
النَّفَقَةِ وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ وَأَطْفِئْ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ وَأَجِرْهُ مِنْ

نِعْمَ الْوَحْشَةُ وَأَنْسِ ذِكْرَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَأَثَرَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ وَوَلِّهِ
 بِالْعَافِيَةِ وَأَصْحِبْهُ السَّلَامَةَ وَأَغْضِهِ مِنَ الْجَنِّ وَالْهَمِّ الْخُرَافَةَ
 وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ وَابْتِكُ بِالنُّصْرَةِ وَعَلَيْهِ السَّيْرُ وَالسُّنَنُ وَسَدِيدُهُ
 فِي الْحُكْمِ وَاعْرِضْ عَنْهُ الرِّيَاءَ وَخَلِّصْهُ مِنَ التَّمَعُّهِ وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَ
 ذِكْرَهُ وَطَعْنَهُ وَإِفَامَتَهُ فَيْتَ وَلَكَ فَإِذَا صَافَى عَدُوْلَكَ وَعَدُوْهُ
 فَقَلِّلْهُمْ فِي غَيْبِهِ وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ وَلَا
 تُدِلْهُمْ مِنْهُ فَإِنْ خَشِيتَ لَهُ بِالنَّعَادَةِ وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ
 أَنْ يَجْنَحَ عَدُوْلَكَ بِالْقَتْلِ وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدِيَهُمْ الْأَسْرُ وَبَعْدَ أَنْ
 تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوْلَكَ مُدِيرِينَ اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا
 مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِيًا أَوْ مُرَاطِبًا فِي دَارِهِ أَوْ تَعَاهَدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبِهِ
 أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ أَوْ أَمَدَّهُ بِعَسَادٍ أَوْ شَحَدَهُ عَلَى جِهَادٍ أَوْ
 اتَّبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً فَاجِرْ لَهُ مِثْلَ
 أَجْرِهِ وَزَنَا يَوْزَنٍ وَمِثْلًا يَمِثِلُ وَعَوِضْهُ مِنْ فَعْلِهِ عَوِضًا حَاضِرًا
 بِتَجَلُّيهِ تَقَعَّ مَا قَدَّمَ وَسُرُورًا أَتَى بِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا
 اجْتَرَبْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ وَأَعَدَدْتَ مِنْ كَرَامَتِكَ اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ

أُمَّةُ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَأَخْرَجَتْهُ مَحْرَبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ قَوَى غُرَا
 أَوْهَمَ بِجِهَادٍ فَتَعَدَّ بِهِ ضَعْفٌ وَأَبْطَأَتْ بِهِ فَاةٌ أَوْ آخِرُهُ عَنْهُ
 حَادِثٌ أَوْ عَرَضٌ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ فَكَتِبَ اسْمُهُ فِي الْعَائِدِينَ
 وَأَوْجِبَ لَهُ ثَوَابُ الْمُجَاهِدِينَ وَاجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ وَالْقِسَا
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوةً عَالِيَةً
 عَلَى الصَّلَوَاتِ مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ صَلَوةً لَا يَنْتَهَى أَمْدُهَا وَلَا
 يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَأَنَّكُمْ مَا مَقَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى
 أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَاءِكَ إِنَّكَ لَمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِي
 الْمُعِيدُ الْفَعَّالُ الْبَارِيدُ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حصّن ثغور الدين، وحمى حوزة الإسلام بمحمد أشرف المرسلين، وأهل بيته الأوصياء الأعلام، والصلاة والسلام على من أُلّف به جمع المسلمين، وفرّق (١) شمل المشركين، وعلى آله الذين عضدهم بالنصر على المعتدين، وأيدهم عباده المهتدين.

وبعد فهذه الروضة السابعة والعشرون من رياض السالكين، تتضمن شرح الدعاء السابع والعشرين من صحيفة سيد العابدين، صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربه السني عليّ صدر الدين الحسيني الحسني، كتب الله اسمه في العابدين، وأوجب له ثواب المجاهدين.

شرح الدعاء السابع والعشرين

وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ الثُّغُورِ.

الثغور: جمع ثغر بفتح الثاء المثناة وإسكان الغين المعجمة، وهو الطرف الملاصق من بلد المسلمين ببلاد الكفار.

وفي النهاية: هو موضع يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد (١).

وقال الشهاب الفيومي في المصباح: الثغر من البلاد: الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو، فهو كالثلثة في الحائط يخاف هجوم السارق منها (٢).

وفي القاموس: الثغر: ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان (٣). والمراد بأهل الثغور. المسلمون المرابطون بها، الملازمون لها لحفظها، ويدخل فيهم من كان الثغر بلده وكان ساكناً فيه، إذا وطن نفسه على المحافظة.

قال الشهيد الثاني في شرح اللمعة: ولو وطن ساكن الثغر نفسه على المحافظة، والإعلام بأحوال المشركين على تقدير هجومهم فهو مرابط (٤)، انتهى. وتسمى الإقامة بالثغر رباطاً ومراقبةً كما سيأتي.

قال في اللمعة وشرحها: والرباط مستحب استحباباً مؤكداً دائماً، مع حضور الإمام وغيبته، وأقله ثلاثة أيام، فلا يستحق ثوابه ولا يدخل في النذر والوقف

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٨٢.

(٤) شرح اللمعة: ج ٢ ص ٣٨٥.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٢١٣.

(٢) المصباح المنير: ص ١١٣.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعَزَّتِكَ، وَأَيِّدْ

والوصية للمرابطين بإقامة دون ثلاثة، ولونذره وأطلق وجب ثلاثة بليتين بينهما كالاعتكاف، وأكثره أربعون يوماً، فإن زاد الحق بالجهاد في الثواب، لأنه يخرج عن وصف الرباط، ولو أعان بفرسه أو غلامه لينتفع بهما من يربط أثيب لإعانتة على البر، ولونذر المرابطة أو نذر صرف مال إلى أهلها وجب الوفاء بالنذر وإن كان الإمام غائباً؛ لأنها لا تتضمن جهاداً فلا يشترط حضوره، وقيل: يجوز صرف المنذور للمرابطين في البرحال الغيبة إن لم يخف الشنعة بتركه لعلم المخالف بالنذر، وهو ضعيف (١)، انتهى.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند قوي مقبول عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي السيف والفرس في سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل، ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمره بردهما، فقال: فليفع، قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له: قد شخص الرجل، قال: فليربط ولا يقاتل، قال: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور؟ فقال: نعم، فقال له: يجاهد؟ قال: لا، إلا أن يخاف على ذراري المسلمين، أرايتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين ألم ينسب لهم أن يمنعوهم؟ قال: يربط ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان، قال: قلت: وإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: يقاتل عن بيضة الإسلام؛ لأن في دروس الإسلام دروس دين محمد صلى الله عليه وآله (٢) .

حصن المكان بالضم حصانة بالفتح فهو حصين: أي منيع، ويتعدى بالهمزة

حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ .

والتضعيف فيقال: أحصنته وحصنته، ومنه الحصن للمكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه وامتناعه.

والعزة: الامتناع والشدة والغلبة، ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر، ومنه قوله تعالى: «وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ» (١) أي: غلبني وقهرني. وفي المثل: من عزَّ بَرٌّ، أي: من غلب سلب (٢). وعازني فعزيزته: أي: غالبنني فغلبته.

وأَيَّدَهُ اللهُ تَأْيِيداً: قَوَاهُ، من آد يئيد أيداً أي: قوي واشتدَّ، فهو أَيْدٌ مثل سيد. وحماة جمع حامي، من حمت المكان من الناس حمياً. من باب رمى وحمية بالكسر أي: منعه عنهم، والاسم الحماية. ووزن حماة: فعلة بضم أوله وفتح ثانيه، وهذا الجمع مُطَرَّدٌ في وصف لعاقِلٍ مذكَّرٍ على زنة فاعِلٍ معتَلٍّ اللام بالياء والواو، كرامٍ ورماءٍ وغارٍ وغزاةٍ، والأصل فيهن حمية ورمية وغزوة، قلبت الياء والواو ألفين لتحركهما وانفتاح ما قبلهما. وقيل: إنه فعلة بفتح الفاء، وإنَّ الفتحة حَوَّلَتْ ضَمَّةَ للفرق بين معتَلٍّ اللام وصحيحها.

والقُوَّةُ: تطلق على كمال القدرة، وعلى شدة الممانعة والدفع، ويقابلها الضعف.

وَأَسْبِغِ اللهُ النِّعْمَةَ: أَفَاضَهَا وَأَتَمَّهَا، وأصله من سبغ الثوب سبوغاً. من باب قعد: تَمَّ وَكَمَلَ، ومنه الحديث: أسبغوا لليتيم في النفقة (٣) أي: أنفقوا عليه تمام ما يحتاج إليه ووسَّعوا عليه فيها (٤).

والعطايا: جمع عطية، وهي اسم لما تعطيه. والجدة: الثروة والغنى.

(٣) و(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٣٨.

(١) سورة ص: الآية ٢٣.

(٢) مجمع الأمثال: ج ٢ ص ٣٠٧.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحِذْ أَسْلِحَتَهُمْ،
وَآخِرُ حَوَازِيهِمْ، وَأَمْنَعِ حَوَازِيَهُمْ، وَأَلْفَ جَمْعَهُمْ، وَذَبَّرَ أَمْرَهُمْ، وَوَاتَرِ

قال في النهاية: وجد يجد جيدة أي: استغنى غنى لا فقر بعده (١)، إنتهى.
وهي من باب ماسقطت الواو من أوله وعوض منها هاء في آخره، كعدة وصلة
وصفة.

العدة بالكسر: اسم كالعدد، وهو مقدار ما يعد، وقد تجعل مصدراً كالعدة،
وتطلق على الجماعة قلت أو كثرت، ومنه قولك: أنفذت عدة كتب أي: جماعة
كتب، وهذا المعنى محتمل هنا، أي: كثر عددهم أو جماعتهم.
وشحذ السكين شحذاً من باب منع: أحدها.

والأسلحة: جمع سلاح بالكسر، وهي ما يقاتل به في الحرب ويدافع، كالسيوف
والرماح والسهام والقسي والدروع والمغافر والمجان وكأن المراد بها هنا ما كان قابلاً
للشحذ منها، من باب إطلاق العام على الخاص، أو السيوف خاصة.

قال في النهاية: والسيف وحده يسمى سلاحاً (٢)
فيكون تخصيصه بالذكر دون سائر آلات الحرب لشرفه عليها، والاستغناء به
عنها دون العكس.

كما قال أبو الطيب:
ومن طلب الفتح المبين فإنها مفاتحه البيض الرقاق الصوارم (٣).
ولعل هذا هو السر في تسمية السيف وحده سلاحاً؛ لأن كل الصيد في جوف
الفرا، ثم المراد بشحذه تعالى أسلحتهم: إما جعلها قاطعة ماضية بقدرته سبحانه، أو
هو كناية عن تقويتهم على النكاية في أعدائهم والنيل منهم ضرباً وطعنًا.
والحوزة: الجانب والناحية، قال ابن الأثير: ومنه الحديث: فحمى حوزة

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٥.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣) ديوان أبو الطيب المتنبي: ص ٢٩٢.

بَيْنَ مِيرَهُمْ، وَتَوَحَّدَ بِكَفَايَةِ مُؤْنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعْنَهُمْ بِالصَّبْرِ،
وَالْظَّفَ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ.

الإسلام، أي: حدوده ونواحيه (١) وحومة القتال: معظمه.
قال في القاموس: حومة البحر والرمل والقتال وغيره: معظمه أو أشد موضع
فيه (٢)، إنتهى.

ومنه: خاض حومة القتال، ولم يزل خواصاً حومات الحروب.
والتأليف: إيقاع الألفة، والجمع: الجماعة.
وتدبير الأمر: فعله عن فكر وروية، مأخوذ من لفظ الدبر؛ لأنه نظر في عواقب
الأمر وأدبارها، وإذا أُسند إلى الله تعالى فالمراد به إجراء الأمر على الوجه الذي
يليق به، ومنه قوله تعالى: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» (٣)، قال المفسرون: أي: يقضي ويقدر
حسباً تقتضيه الحكمة والمصلحة (٤).

والمواترة: المتابعة، يقال: تواترت الخيل: إذا جاء يتبع بعضها بعضاً.
وفي القاموس: واتربن أخباره مواترةً ووتاراً: تابع (٥).
قال الجوهري: ولا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة، وإلا
فهي مداركة ومواصلة، ومواترة الصوم: أن يصوم يوماً ويفطر يوماً أو يومين ويأتي به
وتراً، ولا يراد به المواصلة؛ لأن أصله من الوتر، وكذلك واترت الكتب فتواترت أي:
جاءت بعضها في إثر بعض وترأ وترأ من غير أن تنقطع (٦)، إنتهى.
وكذلك قال الفارسي: المواترة: أن يتبع الخبر الخبر، والكتاب الكتاب،
ولا يكون بينهما فصل كثير (٧).

(٥) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٥٢.

(٦) الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٣.

(٧) مجمع البيان: ج ٧-٨ ص ١٠٧.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٦٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٠٢.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢.

(٤) مجمع البيان: ج ٥-٦ ص ٢٧٤.

وقال الأصمعي: واترت الخبر: أتبعته بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيئة (١).
وقال بعضهم: المواترة: المتابعة الغير المنصرمة، يقال: تواترت الخيل أي: جاء بعضها في إثر بعضها وترأ وترأ من غير أن تنقطع، وأغرب من نسب هذه العبارة إلى الجوهري في صحاحه (٢).

والمير: جمع ميرة بالكسر، قال الجوهري: الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، وقدمار أهله يميهرهم ميراً (٣).

وفي المصباح: مارهم ميراً - من باب باع - : أتاهم بالميرة، وهي الطعام (٤).
وقال الطبرسي: الميرة: الطعام الذي يُحمل من بلد إلى بلد، (٥).
وكذا قال بعض المفسرين: مار أهله: إذا أتاهم بالطعام من بلد آخر (٦).
وفي القاموس: الميرة بالكسر: جلب الطعام (٧).
وقال الفارابي في ديوان الأدب: الميرة: الاسم (٨) من مارهم يميهرهم (٩) وعلى هذا فتكون اسماً للطعام الممتار واسم مصدر أيضاً.
والتوحد: الانفراد، يقال: توحده الله بعصته أي: عصمه ولم يكله إلى غيره.
وكفاه الأمر كفاية: قام به مقامه.

والمؤن: جمع مؤنة بالضم وسكون الهمزة، كغرف وغرفة، وهي لغة في المؤونة على وزن فعولة، وجمعها مؤونات على لفظها، ومعناها الثقل. وقد تقدم الكلام على الاختلاف في اشتقاقها، وهل هي من المؤن أو الأون أو الأين.

- | | |
|---------------------------------|---|
| (١) تاج العروس: ج ٣ ص ٥٩٦. | (٦) المفردات: ص ٤٧٨، وروح المعاني: ج ١٣ ص ١٢. |
| (٢) الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٣. | (٧) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٣٧. |
| (٣) الصحاح: ج ٢ ص ٨٢١. | (٨) (الف) و(ج): اسم. |
| (٤) المصباح المنير: ص ٨٠٧. | (٩) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٣٢٨. |
| (٥) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ٢٤٧. | |

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ.

وعضدت الرجل عضداً - من باب قتل - : أعنته فصرت له عضداً أي : معيناً وناصرأً، وتعاضد القوم : تعاونوا، ومنه : المؤمن معصود بتوفيق الله . ونصره الله نصرأً : أظهره على عدوه .

والصبر ضربان : جسمي ونفسي ، فالجسمي : هو تحمّل المشاق بقدر القوة البدنية ، وذلك في الفعل كالمشي وحمل الثقل ، وفي الانفعال كاحتمال الضرب والقطع . والنفسي : هو حبس النفس عن الجزع عند ورود المكروه ، والمراد به هنا الصبر بنوعيه ، وإن كان النوع الثاني هو الذي تتعلق به الفضيلة ، إلا أن النوع الأول مدخلاً تاماً في هذا المقام كما لا يخفى .

وقوله عليه السلام : «والطف لهم في المكر» أي : أوقع اللطف لهم في مكرهم بعدوهم ، حتى لا يفتن عدوهم لمكرهم لدقته ولطفه عن العقل والفهم ، فيكون المراد باللطف : تدقيق النظر وجودة الاحتيال ، بأن يُلهمهم سبحانه ذلك . ويحتمل أن يكون المعنى : وأوقع اللطف لهم في مكر عدوهم بهم حتى لا يضرهم مكره ، فيكون المراد باللطف لهم : سلامتهم من المكر برفق .

والمكر : إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر ، وقد تقدّم الكلام عليه مشبعاً غير مرة .

عرفه الأمر : أعلمه إياه ، قيل : المعرفة : إدراك متعلق بالمفرد ، والعلم : إدراك متعلق بالنسبة التامة الخبرية .

وقيل : المعرفة قد يقال فيها يدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته ، والعلم لا يكاد يقال إلا في ما أدرك ذاته ؛ ولهذا يقال : فلان يعرف الله ولا يقال : يعلم الله ؛ لما كانت معرفته تعالى ليست إلا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته .

وأيضاً فالمعرفة تقال فيما لا يعرف إلا كونه موجوداً فقط ، والعلم أصله أن يقال فيما

يعرف وجوده وجنسه وعلته وكيفيته؛ ولهذا يقال: الله عالم بكذا ولا يقال: عارف؛ لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر.

وأيضاً فالمعرفة تقال فيما يتوصل إليه بتفكر وتدبر، والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره. وفرق بينهما بفروق أخرى تقدم بعضها، وأهل اللغة وبعض أهل الأصول والميزان على أنها مترادفان.

وقوله عليه السلام: «ما يجهلون» أي: ما يجهلونونه فحذف العائد، والمراد به ما كان الجهل به بسيطاً، وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون معلوماً، أو مركباً وهو الاعتقاد الجازم غير المطابق للواقع.

وبصره الشيء تبصيراً: عرّفه وعلمه إياه، وجعله ذا بصيرة به أي: ذا علم وخبرة به.

وقوله: «مالا يبصرون» من بصر القلب أيضاً أي: مالا يعلمون، بخلاف لمن خصّ الإبصار برؤية العين، فقال: أبصرته: برؤية العين. وبصرت به بالضم بصراً بفتحين: برؤية القلب؛ فقد قسر الزمخشري وغيره قوله تعالى: «أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون» ببصر القلب، فقال: أي: تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها (١).

هذا ولما كان للمرابط والمجاهد مزيدا فتقار إلى المعرفة بأنواع القتال، وأن يحيط علمه خبراً بالمكان الذي يربط فيه، ويعرف المداخل الخوفة التي يرتادها المفتالون، وما يحيط بالشجر من سهل وجبل، وأن يكون ذا بصيرة بمكائد العدو ومكامنه ليحذر من بغيته، ألحق عليه السلام في السؤال لهم بتعريفهم ما يجهلون وتعليمهم مالا يعلمون وتبصيرهم مالا يبصرون والله أعلم * .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذَكَرَ
دُنْيَاهُمْ الْخَدَاعَةَ الْغُرُورَ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ
الْجَنَّةَ نَصَبَ أَغْيِيهِمْ، وَلَوْحَ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِينِ
الْخُلْدِ، وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَالْحُورِ الْجِسَانِ، وَالْأَنْهَارِ الْمُطَرَّدَةِ بِأَنْوَاعِ
الْأَشْرَبَةِ، وَالْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُفُوفِ الشَّعْرِ، حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ
بِالْإِذْبَارِ، وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسُهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ.

أنسهم: أي أغفل قلوبهم عن ذكر دنياهم؛ حتى ينمحي تصوورها عن أذهانهم،
فلا يرغبوا عن صدق الجهاد عند لقاء العدو؛ ميلاً إلى زخارف الدنيا المحبوبة
للنفوس الأثارة.

وخدعه خدعاً: أراد به المكروه من حيث لا يعلم، وكلّ فعل يقصد به فاعله في
باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره فهو خديعة. وغرّه غروراً: أطمعه بالباطل.

ووصف الدنيا بالخداعة لأنها تخدع الناس ببهجة منظرها ورونق سراها، إلى
أن يستأنس بها من كان بعقله نافراً عنها، ويطمئن إليها من كان بمقتضى فكرته
منكراً لها، حتى إذا ما انهمك في لذاتها وانغمس في شهواتها، فعلت به فعل العدو
الخدوع، وكذلك وصفها بالغرور لأنها تغر الخلق بزخارفها الباطلة، فيتوهمون
بقائها، ثم تنتقل عنهم وتتحول. وصدق عليها هذان الوصفان لكونها سبباً لغفلة
الخلق عما خلقوا لأجله، بالاشتغال بها والانهماك في مشتياتها ولذاتها الفانية،
وذلك جاذب للإنسان عن قصد الحق، وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقى في
الملوكوت الأعلى، إلى حضيض الدرك الأسفل، وبذلك يكون الهلاك الأبدي
والشقاء السرمدى.

ومحى الشيء، يحوه محواً - من باب قتل - ومحاه يحاه محياً بالياء - من باب نفع -
لغة: أزاله، وانمحي الشيء: ذهب أثره.

وخطرات المال: ما يخطر أي: يمر في القلب من تحصيله أو تدبيره.
قال الزمخشري في الأساس: له خطرات وخواطر، وهي ما يتحرك في القلب من رأي أو معنى^(١).

وقال الأزهري: الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر^(٢).
والمال: ما يملك من كل شيء وقيل: أصله ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان^(٣).
وعن تغلب: أنه ما لم يبلغ حد النصاب لا يسمى مالاً^(٤).

والفتون: الكثير الفتنة؛ لأنّ فعولاً من صيغ المبالغة، يقال: فتن المال الناس- من باب ضرب- فتوناً أي: استمالهم وأضلّهم ولما كانت الفتنة بمعنى الضلال عن الحق بمحبة أمر ما من الأمور الباطلة، والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله، وكان المال من أعظم الأسباب لضلال الخلق عن الحق بمحبته، صدق عليه وصفه بالفتون.

قوله عليه السلام: «واجعل الجنة نصب أعينهم» أي: منصوبة حذاء أعينهم ليشاهدوها عياناً، والمروي في الدعاء بفتح النون من النصب، وفيه شاهد على أن الفتح لغة صحيحة فصيحة.

وفي القاموس: هذا نصب عيني بالضم والفتح، والفتح لحن^(٥)، إنتهى.
ولاح الشيء يلوح: بدا وظهر، ولوحه تلويحاً: أبداه وأظهره.
وأعددت الشيء إعداداً: هيأته، أي: أبد وأظهر لأبصارهم من الجنة ماهياته فيها.

(١) أساس البلاغة: ص ١٦٨.

(٢) تهذيب اللغة: ج ٧ ص ٢٢٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٧٣.

(٤) لم نعر عليه.

(٥) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٢.

والمساكن: جمع مسكن بفتح الكاف وكسرها، وهو البيت.
والخلد بالضم والخلود: البقاء والدوام من وقت مبتدأ؛ ولذلك لا يقال لله تعالى: خالد، وقيل: هو في الأصل: الثبات دام أولم يدم؛ ولو كان وضعه للدوام لما قيد في التأيد في قوله عز قائلًا: «خالدين فيها أبدًا» (١)، ولما استعمل حيث لا دوام فيه فقالوا: حبسه حبسًا مخلدًا.

وقال النظام النيسابوري: الخلد عند المعتزلة: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع؛ بدليل قوله تعالى: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» (٢)، نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم «ومنكم من يردُّ إلى أذل العُمر» (٣)، وعند الأشاعرة الخلد: هو الثبات الطويل دام أولم يدم، ولو كان التأيد داخلًا في مفهومه كان قوله تعالى: «خالدين فيها أبدًا» (٤) تكرارًا (٥)، إنتهى.
ويتفرع على هذا الخلاف دوام وعيد المرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة، حيث وقع مقيدًا بالخلود، كما في قوله تعالى: «ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خاليدًا فيها» (٦).

وعلى كل تقدير فالمراد بالخلد هنا: الدوام قطعًا؛ لما يشهد له من الآيات والسنن، أي: مساكن البقاء والدوام التي لا يعتريها ولا يعتري سكانها فناء ولا تغير، فإضافة المساكن إلى الخلد للمدح لا للتوضيح؛ إذ من المعلوم أن مساكن الجنة لا فناء فيها.

واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقرار، وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات؛ إذ

(٤) سورة الطلاق: الآية ١١.

(٥) غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج ١ ص ٧٢.

(٦) سورة النساء: الآية ٩٣.

(١) سورة الطلاق: الآية ١١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٠.

كلّ نعمة وإن جلت إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم، بشر سبحانه عباده المؤمنين بها، وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود؛ ليدلّ على كمّالهم في التنعم والسرور.

ومنازل الكرامة أي: منازل العز والشرف، وقال بعض العلماء: الكرامة تعود إلى الكمالات النفسانية الباقية والالتذاذ بها.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة البيضاء، من الحور بالتحريك: وهو شدة البياض.

وقال أبو عبيدة: الحوراء: الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها (١).
من حورت العين حوراً - من باب تعب -: إذا اشتد بياض بياضها وسواد سوادها.

وفي مختصر العين: ولا يقال للمرأة: حوراء إلا البيضاء مع حورها (٢).
وقال الزمخشري في الفائق: الحور: هو أن يصفو بياض العين ويشتد خلوصه فيصفو سوادها (٣).

وفي الدعاء دليل على أنّ الحور غير نساء الدنيا؛ خلافاً لما روي عن الحسن في قوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» (٤) هن عجائزكم ينشئن الله خلقاً آخر (٥).
والجسان: جمع حسنة أي: جميلة الصورة بهية المنظر.
والأنهار: جمع نهر بالتحريك مثل سبب وأسباب، فإذا سكن جمع على نهر بضمتين وأنهر.

والنهر: الماء الجاري المتسع، واظردت الأنهار: جرت، ومنه: اظراد الأمر أي:

(١) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٦٨.

(٢) المصباح: المنير: ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٣) الفائق غريب الحديث: ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) سورة الدخان: الآية ٥٤.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٧ ص ٢٥٣.

تبع بعضه بعضاً فجرى مجرى واحد كجري الأنهار. وما وقع لبعض المترجمين أن قوله: «المطرده» من اطرده الماء أي: جرى، لا من اطرده الأمر أي: تبع بعضه بعضاً؛ إذ لا شيء من الأنهار يتبع نهراً آخر، جهل صريح.

وأنواع الأشربة أي: أصنافها، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» (١).

والأشجار المتدلّية أي: المسترسلة أغصانها بصنوف الثمر.

والتدلّي: الاسترسال مع تعلق، وقال العلامة الطبرسي: التدلي: الامتداد إلى جهة السفلى (٢).

والظاهر أن وصف الأشجار بالتدلّي إنما هو باعتبار أغصانها وفروعها التي هي مناط الثمر، وفيه إشعار بكثرة الثمر؛ لأن فروع الشجر لا تدلي ولا تسترسل إلا إذا كثر ثمرها.

وقول بعض المترجمين: إن المتدلّية وصف للأشجار بحال متعلقها وهو الثمر، والمعنى: الأشجار المتدلّية أي: المتعلقة بها صنوف الثمر، وهم أوقعه فيه مارآه في كتب اللغة من قولهم: تدلت الثمرة من الشجر، فتوهم أن التدلي لا يكون وصفاً إلا للثمر دون الشجر، ولم يفتن لكون عبارة الدعاء ليست من باب الوصف بحال المتعلق، بل من باب الوصف بحال الموصوف.

نعم لو قال: الأشجار المتدلّية صنوف ثمرها، كان من باب الوصف بحال متعلقه.

فإن قلت: جعلك المتدلّية وصفاً للأشجار باعتبار الأغصان والفروع، وصف

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ١٠ - ص ١٧٠.

بحال المتعلق أيضاً؛ لأن التدلّي حينئذٍ حال قائمة بالأغصان التي هي متعلّق
الأشجار لا بالأشجار، فلا يكون وصفاً بحال الموصوف.

قلت: المراد بحال الموصوف وحال المتعلق ما جعل حالاً للموصوف ولو تجاوزاً في
الأوّل، وما جعل حالاً لغير الموصوف بحسب دلالة التركيب وإن كان قائماً به في الثاني،
فنحو: مررت بزيد الحسن، والأشجار المتدلّية بصنوف الثمر، من قبيل الوصف بحال
الموصوف، وإن كان ليس المراد بالحسن إلّا وجه زيد، وبالمتدلّية إلّا أغصان
الأشجار وفروعها، ونحو: رأيت زيدا الحسن نفسه أو ذاته، من قبيل الوصف بحال
المتعلّق، وإن كان الحسن قائماً بزيد، فاعلم ذلك فقد نبهنا عليه في شرح
الصمدية (١) أيضاً.

وفي قوله عليه السلام: «(بصنوف الثمر)» إشارة إلى قوله تعالى: «وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ» (٢).

قال المفسّرون: أي: لهم فيها صنف من كلّ الثمرات (٣).
وحثي: بمعنى كي التعليلية، أي: كيلا يهتم أحد منهم بالإدبار، يقال: هم
بالشيء همّاً - من باب قتل - إذا أرادوه ولم يفعلوه.
وأدبر إدباراً: وتلى.

وحديث النفس: ما يخطر بالبال، وحدث نفسه بكذا:
أخطره بباله، وقد يقال: حدثته نفسه بكذا أي: وسوست إليه به، أي:
ولا يخطر بباله فراراً عن قرنه.
والقرن بالكسر: نظير الإنسان في الشجاعة.

(١) الخدائق الندية: ص ٣٧٩.

(٢) سورة محمد: الآية ١٥.

(٣) روح المعاني: ٢٦ ص ٤٩.

قال الفارابي: يقال: فلان قرن فلان: إذا كان مثله في الشجاعة (١).
وفي الأساس: القرن بالفتح: مثلك في السن، وبالكسر: مثلك في
الشجاعة (٢).

وقال الفيومي في المصباح: القرن: من يقاومك في علم أو قتال أو مال أو غير
ذلك، والجمع أقران مثل حمل وأحمال (٣). فجعله مطلقاً ولم يخصه بالشجاعة.
وفي القاموس: القرن بالكسر: كفؤك في الشجاعة أو عام.
وفر من عدوه يفر من باب ضرب - فراراً بالكسر: هرب (٤).

تنبيه

المتبادر تعلق قوله عليه السلام: «عن قرنه» بقوله: «بفرار»، ويأباه إطلاق
منعهم من تقدم معمول المصدر عليه، قالوا: لأنه مع معموله كموصول مع صلته،
والصلة لا تتقدم على الموصول؛ ولذلك قال الزمخشري في قوله تعالى: «فلما بلغ معه
السعي» (٥): لا يتعلق «مع» ببلغ؛ لاقتضائه أنها بلغامعاً، ولا بالسعي؛ لأن صلة
المصدر لا تتقدم عليه، وإنما هي متعلقة بمحذوف على أن يكون بياناً، كأنه قيل:
فلما بلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي، فقيل: مع من؟ فقيل: مع أعطف
الناس عليه وهو أبوه، أي: أنه لم تستحكم قوته بحيث يسعى مع غير مشفق (٦).
إنتهى.

وعلى هذا، فقوله: «عن قرنه» متعلق بمحذوف أيضاً، يكون بياناً على قياس
ما ذكره الزمخشري في الآية.

لكن قال الرضي: وأنا لا أرى منعاً من تقدم معمول المصدر عليه إذا كان

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٥٨.

(٥) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٦) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٥٣.

(١) ديوان الأدب: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) أساس البلاغة: ص ٥٠٤.

(٣) المصباح المنير: ص ٦٨٧.

اللَّهُمَّ أَقْلِلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَأَقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَرْوَدَتِهِمْ،
وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَأَقْطَعْ عَنْهُمْ الْمَدَدَ، وَأَنْقُصْ
مِنْهُمْ الْعَدَدَ، وَأَمْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَأَقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ،
وَاخْزِمِ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّذْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ
وَرَاءَهُمْ، وَأَقْطَعْ بِخَزَائِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

ظرفاً أو شبهه، نحو قولك: اللهم ارزقني من ممدوك البراءة وإليك الفرار، قال تعالى:
«ولا تأخذكم بها رأفة»، وقال: «بلغ معه السعي»، وفي نهج البلاغة: قلت عنكم
نبوته، ومثله في كلامهم كثير، وتقدير الفعل في مثله تكلف (١).

وسبقه إلى ذلك السهيلي، قال ابن هشام: أجاز السهيلي تقديم الجار والمجرور،
واستدل بقوله تعالى: «لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا جَوْلًا» (٢)، وقولهم: اللهم اجعل لنا فرجاً
ومخرجاً (٣)، انتهى.

وعلى هذا، فقوله: «عن قرنه» متعلق بفرار، وهو الظاهر، والله أعلم.
فللت الجيش فلأ - من باب قتل - فانفل: كسرتة فانكسر. وفي القاموس: فل
القوم: هزمهم (٤).

والمراد بالعدو هنا الجمع: أي: أعداءهم؛ لإعادة ضمير الجمع إليه، قال في مختصر
العين: يقع العدو بلفظ واحد على الواحد المذكور والمؤنث والمجموع (٥).
وقلمت الظفر قلسماً - من باب ضرب -: قطعت ما طال منه، وقلمت بالتشديد:
مبالغة، وقلم الأظفار هنا: كناية عن إضعافهم.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٢.

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٩٥.

(٥) المصباح المنير: ص ٥٤٤.

(٢) سورة الكهف: الآية: ١٠٨.

(٣) لم نعر عليه.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: فلان مقلوم الظفر: ضعيف، قال النابغة:

وبنوقعين لاعمالة أنهم
أي: غير ضعفاء ولا عزل (١).

وفي الصحاح: يقال للضعيف: مقلوم الظفر، وكليل الظفر (٢) والوجه في ذلك أن الظفر إذا لم يقلم كان قوي العمل في الخدش والحك واللقط ونحوه، فإذا قلم ضعف عمله.

وفرق بينهم وبين أسلحتهم أي: أغفلهم عن استصحابها حتى لا يتمكنوا من القتال، ويتمكن المسلمون من قتلهم، أو أنهم بأن يلقوها ويضعوها؛ لينال المسلمون منهم غرة وينتهزوا فرصة فيوقعوا بهم.

والخلع: النزع، خلعه يخلعه من باب نفع. والثائق: جمع وثيقة بمعنى الثقة، من وثق به ثقة أي: اعتمد عليه. قال الفارابي في ديوان الأدب: الوثيقة واحدة الوثائق، يقال: أخذ في أمره بالوثيقة (٣).

وقال الجوهري: أخذ بالوثيقة في أمره أي: بالثقة (٤). والمعنى: انزع ما وثقت به أفدتهم واعتمدت عليه، من البأس والسنجدة والشجاعة التي يرونها في أنفسهم. ويحتمل أن يكون من وثق الشيء بالضم وثاقة أي: قوي وثبت، فهو وثيق أي: ثابت محكم فيكون المعنى: انزع قوة قلوبهم وثباتها.

(٣) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٢٤٠.

(٤) الصحاح: ج ٤ ص ١٥٦٣.

(١) أساس البلاغة: ص ٥٢١.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠١٤.

أو تكون الوثائق جمع وثاق بالفتح والكسر: وهو ما يشد به من حبل ونحوه، فقد جاء جمع فعال بالفتح والكسر على فعائل، كشمال بالفتح بمعنى: الخلق، وشمال بالكسر بمعنى: ضد اليمين؛ فإنّ كلاً منهما جُمع على شمائل، فيكون المراد بالوثائق العروق المتصلة بالأفئدة التي نيطت بها إلى الوتين، ويسمى واحدها نياطاً كما يقال: قطع الله نياط قلبه.

قال أرباب التشريح: على القلب غشاء غليظ يحتوي عليه، وهو مربوط برباطات وثيقة.

وقال ابن الأثير في النهاية: وفي الحديث: فرأى رجلاً موثقاً، أي: مأسوراً مشدوداً في الوثاق، ومنه حديث الدعاء: واخلع وثائق أفئدتهم، جمع وثاق أو وثيقه (١)، إنتهى.

فيكون الغرض إضعاف قلوبهم وإزعاجها من شدة الخوف والجبن، كما ورد في الحديث: من شَرَّ ما أُعطي الرجل شَحَّ هالِع، وجبن خالِع (٢).

قال ابن الأثير: أي: شديد كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه، وهو مجاز في الخلع، والمراد به ما يعرض من نوازع الأفكار وضعف القلب عند الخوف (٣)، إنتهى.

والأفئدة: جمع فؤاد بالضم مهموز العين، وهو القلب. وفي القاموس: الفؤاد: للقلب مذكراً، وهو ما يتعلّق بالمرء من كبِد ورئة وقلب (٤).

وباعد بين الشيئين: جعل كلّ منهما بعيداً عن الآخر. والأزودة: جمع زاد على غير القياس، وهو طعام المسافر الذي يتخذ لسفره،

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٦٥.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٢١.

(١) النهاية: لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥١.

(٢) سنن أبي داود: ج ٣ ص ١٢ ح ٢٥١١.

وقياس جمعه أزواد.

وفي الحديث: أمعكم من أزودتكم شيء؟ فقالوا: نعم (١)، أي: اجعل بينهم وبين أزودتهم حائلاً وأمداً ومسافةً بعيدةً؛ حتى لا يتصلوا بها، ولا يتمكنوا من تناولها عند الحاجة إليها فيضعفوا عن القتال.

وحارفي أمره يحار حيراً. من باب تعب وحيرة: لم يدرك وجه الصواب فيه، فهو حيران وهي حيرى، والجمع حيارى، وحيرته بالتضعيف فتحير. قال الأزهري: وأصله أن ينظر الإنسان إلى شيء يغشاه ضوء فيصرف بصره عنه (٢).

وفي القاموس: حار يحار حيرةً وحيراً: نظر إلى الشيء فغشى، ولم يهتد لسبيله (٣). والسبل بالضم وبضمّتين: جمع سبل، وهو الطريق. أي: اجعلهم لا يهتدون إلى وجه الصواب في طرقهم التي يقصدون بسلوكها الوصول إلى المسلمين وبلادهم أو مطلقاً.

وضلّ الرجل الطريق وضلّ عنه بضلّ - من باب ضرب - ضلالاً وضلالة: زلّ عنه فلم يهتد إليه وذهب في غيره فهو ضال، وأضله غيره إضلالاً وضلّله تضليلاً: للمبالغة، ومنه: رجل مُضلل: ضالّ جداً.

وفي القاموس: ضلّله تضليلاً وتضلالاً: صيره إلى الضلال (٤). والوجه: كلّ مكان استقبلته، وتحذف الواو فيقال: جهة مثل عدة، ومنه: «فَئِمَّ وَجْهُ اللَّهِ» (٥) أي: جهته التي أمركم بالتوجه إليها، وفي الحديث: أن أُصيب في وجهه، (٦) أي: الجهة التي يريد أن يتوجه إليها، والمعنى: اجعلهم ضالّين عن

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) تهذيب اللغة: ج ٥ ص ٢٣١ نقلاً بالمعنى.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٦.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٦) لم نعر عليه.

الجهة التي يريدون أن يتوجهوا إليها لقصد المسلمين أو مطلقاً.
واقطع عنهم المدد أي: احبسهم عنهم، من قطعت الماء عن الحوض: إذا حبسته عنه فلم يصل إليه، أو امنعه عنهم، من قطعت عن حقه أي: منعه.
ومدد الشيء: مايمد به أي: يكثر ويزاد، وخص بالجماعة الذين يعان ويقوى بهم الجيش في القتال، يقال: أمدهم بمدد: إذا أعانهم بجماعة يقاتلون معهم، ومنه قوله تعالى: «يَمُدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» (١).
ونقصت الشيء نقصاً: أذهبت منه شيئاً فنقص هو، كلاهما من باب قتل متعدياً ولازماً.

والعدد: مقدار ما يُعد، أي: انقص كميّتهم حتى يقتلوا ويعجزوا عن القتال ومقاومة المسلمين.

وملاً الإناء ملاً: من باب نفع.
والرعب بالضم وتضم العين للإتباع: الخوف والفرع، ومنه: «سُلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» (٢).

واقبض أيديهم عن البسط أي: كفها وامنعها أن تمتد إلى المسلمين.
قال الزمخشري في قوله تعالى: «أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَعْسُطُونَ» إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم» (٣): يقال: بسط إليه لسانه: إذا شتمه، وبسط إليه يده: إذا بطش «ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء»، ومعنى بسط اليد إليه: مدها إلى المبطوش به؛ ألا ترى إلى قولهم: فلان بسيط الباع، ومديد الباع، بمعنى وقوله: «فكف أيديهم عنكم» أي: فمنعها أن تمتد إليكم (٤)، إنتهى.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٦١٤.

ويحتمل أن يكون قبض أيديهم عن البسط مجازاً عن سلب القدرة عنهم على التصرف مطلقاً، من قولهم: فلان مبسوط اليد أي: قادر على التصرف كيفما يشاء، أودعاء عليهم بالبخل المذموم، من بسط اليد الذي هو مجاز عن محض الجود من غير نظر.

وقصد في هذين الاحتمالين إلى إثبات يد وبسط، ومنه قوله تعالى: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» (١)، ويكون المراد به الدعاء عليهم بما هو مسبب عن البخل، من لصوق العار بهم، وسوء الأحدثوة التي تحترهم وتمزق أعراضهم، ونفرة القلوب عن إعاتهم ومظاهرتهم.

واخزم ألسنتهم عن النطق أي: أشدها وأوثقها، من خزمت الشراك خزماً - من باب ضرب-: إذا ثقبته وشدته، *الترجمة: كسرهم على*

قال الزمخشري في الأساس: خزمت شراك نعلي: ثقبته وشدته (٢).

وقول بعض المترجمين: اخزم بمعنى: اقطع، لم يذكره أهل اللغة.

والغرض منع ألسنتهم عن النطق بما يسوء المسلمين، وبما يذتبرون به أمرهم، ويتشاورون به فيما بينهم من الكلام لقصد المسلمين.

وقوله عليه السلام: «وشرد بهم من خلفهم» اقتباس من قوله تعالى في سورة الأنفال: «فَإِذَا تَنَفَّسْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» (٣).
التشريد: الطرد والتفريق.

قال الزجاج: معناه: إفعل بهم فعلاً من القتل تفرق به من خلفهم (٤).

وقال الزمخشري: أي: فرق بقتلهم شرقتلة والنكاية فيهم، من وراءهم من

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٧.

(٢) أساس البلاغة: ص ١٦١.

(٤) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥٥٣.

الكفرة؛ حتى لا يجسر عليلٌ بعدهم أحد، اعتباراً بهم واتعاضاً بحالهم (١).

وقال عطاء: معناه: أكثر فيهم القتل؛ حتى يخافك غيرهم (٢).

وقال العلامة الطبرسي: وقيل: إن معنى «شرد بهم»: سمع بهم بلغة قريش،

قال الشاعر:

أطوف في البواطح كل يوم
مخافة أن يشرد بي حكيم (٣) انتهى.

وفي القاموس: شرد به: سمع الناس بعيوبه (٤).

والمعنى على هذا: إفعل بهم من النكاية والتعذيب فعلاً يسمع به من خلفهم

من الأعداء، فلا يقدم أحد منهم على القتال.

وقوله عليه السلام: «ونكل بهم من وراءهم» كالتفسير لما قبله، يقال: نكل

عن الحرب نكولاً - من باب قعد -: أي جبن وتأخر وامتنع، ونكل به تنكيلاً: فعل به ما ينكل غيره عن مثل فعله.

قال في الأساس: نكلت به: جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله وهو

النكال (٥) انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية: نكل به تنكيلاً: إذا جعله عبرةً لغيره، والنكال:

العقوبة التي ينكل الناس عن فعل. جعلت له جزاء (٦)، انتهى.

والمعنى: إفعل بهم من القتل والنكاية والتعذيب ما يوجب نكول من وراء

ظهورهم من الكفار ويكون عبرة لهم، بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم، فلا يقدموا

على مثل فعلهم من قصد المسلمين.

وقوله عليه السلام: «واقطع بخزيم أطماع من بعدهم» الحزري بالكسر: الذل

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٢٣٠.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٠٥.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٥ ص ١٨٣.

(٥) أساس البلاغة: ص ٦٥٥.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٥٥٣.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١١٦.

اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَضْلَابَ رَجَالِهِمْ، وَأَقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذُنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرِ، وَلَا لِأَرْضِيهِمْ فِي نَبَاتٍ.

والهوان المقارن للفضيحة والندامة.

خزري خزيًا - من باب علم -: ذل وهان مع فضيحة وندم، وأخزاه الله: أذله وأهانته وفضحه.

والأطماع: جمع طمع، كأمل وآمال لفظاً ومعنى. أي: إفعل بهم من الخزي ما لا يبقى معه لمن بعدهم من الكفرة طمع في قصد المسلمين؛ مخافة أن يقع بهم من الخزي ما وقع بهؤلاء، والله أعلم *.

عقمت الرحم عقماً - من باب تعب -: إذا لم تقبل الولد، ويتعدى بالحركة والهمزة، فيقال: عقمها الله عقماً - من باب ضرب - وأعقمها إعقاماً، وعقمها تعقيماً بالتضعيف: للمبالغة، والاسم: العقم بالضم مثل قفل.

وقال الجوهري: أعقم الله رحمها فُعِقِمَتْ - على ما لم يُسَمَّ فاعله -: إذا لم تقبل الولد (١).

وقال الكسائي: رحم معقومة أي: مشدودة لا تلد (٢).

ومصدره العقم والعقم بالفتح والضم.

والأرحام: جمع رحم على وزن كتف؛ موضع تكوين الولد، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرهما أيضاً في لغة بني كلاب، وفي لغة لهم بكسر الحاء إتباعاً لكسرة الراء.

قال أرباب التشريح: هو عضو مؤلف من ليفات عصبية على طبقتين، وهو كالقضييب المقلوب، ومحلّه من جوف المرأة وراء المثانة وقدام المعاء المستقيم، تتصل فوهات العروق لدفع فضلة الطمث وتغذية الجنين، وعلى فمه غشاء رقيق ينهتك عند

فض البكارة، وله مجرى محاذ لفم الفرج يخرج منه دم الطمث والجنين، ويصل منه مني الرجل إلى قرار الرحم فيستقر فيه ويتولد الجنين.
والنساء: اسم لجماعة الإناث الأناسي، لا واحد له من لفظه، وإنما الواحد امرأة من غير لفظ الجمع.

وييس الشيء ييس - من باب تعب -: إذا جف فهو يابس، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أيسه وييسه تيساً.

والأصلاب: جمع صلب بالضم، وتضم اللام للإتباع، وهو سلسلة فقرات الظهر، والمراد بتبئيس أصلاهم: بتخفيف منيهم لينقطع نسلهم مجازاً للمجاورة، كما يقال: جف النهر أي: جف ماؤه.

وقد اشتهر كون المتني من الصلب والظهر؛ ولذلك ينسج الولد إلى صلب أبيه وظهره، ونطق بذلك القرآن المجيد، قال تعالى: «وَحَلَّلْنَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَصْلَابَهُمْ» (١)، وقال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» (٢)، والوجه في ذلك على ما ذهب إليه جَم غفير: أن مبدأ ماء الرجل من الصلب؛ لأن مادته من النخاع الآتي من الدماغ، وينحدر في فقرات الظهر إلى العصعص؛ ولذلك قال سبحانه: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ» خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يخرج من بين الصلب والترائب» (٣) أي: صلب الرجل وترائب المرأة، وهي عظام الصدر حيث يكون موضع القلادة؛ لأن ماء المرأة يخرج من ترائبها.

وطعنت الملهدة خذهم الله تعالى في ذلك، بأن المتني، إنما يتولد من فضلة المهضم الرابع، وينفصل من جميع أجزاء البدن، فيأخذ من كل عضو طبيعته

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٣) سورة الطارق: الآية ٥ و ٦ و ٧.

وخاصيته مستعداً لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء، فتخصيص الصلب والترائب لا وجه له، فإن كان المراد أن معظم أجزاء المتي يتولد هناك فهو ضعيف؛ لأن معظمه يتولد من الدماغ؛ ولذلك يشبه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه. وأجيب: بأنه كلام مبني على محض الوهم والظن الضعيف، والخالق أعلم بما خلق. على أنه لو صح فوجه تخصيص الصلب والترائب بالذكر، كون الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليد المتي، ومنه التضاع في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهما أقرب إلى أوعية المتي: فلذلك خصاً بالذكر. وعلى هذا، فلا تختص الترائب بالمرأة.

والنسل: الولد.

والدواب: جمع دابة، وهي في الأصل مادب أي: سار من الحيوان، وغلب على ما يركب، وهو المراد هنا، وتطلق على الذكر والأنثى، والأنعام: جمع نعم بالتحريك، وقد يسكن.

وقال النووي في تحريره: النعم: الإبل والبقر والغنم، وهو اسم جنس، وجمعه أنعام (١).

ونقل الواحدي إجماع أهل اللغة على هذا كله (٢).

وقد بسطنا الكلام عليه في الروضة الأولى.

وأذنت له في الشيء - من باب علم -: أطلقت له فعله، وإذنه تعالى قيل: عبارة عن أمره، وقيل: عن إرادته، وقيل: عن إيجابه وإيجاده لشيء بتوسط فاعله المباشر له، كما في قوله تعالى لعيسى عليه السلام: «وثبّرئ الأكمّة والأبرص بإذني، وإذ تخرج

(١) تاج العروس: ج ٩ ص ٧٩ نقلاً عن كتابه.

(٢) تاج العروس: ج ٩ ص ٧٩.

الموتى بإذني» (١). وكلّ من هذه المعاني صحيح هنا، أي: لا تأمر سماءهم بقطر ولا أرضهم بنبات، أو لا تُرد قطر سمائهم ولا نبات أرضهم أو لا تُوجد لهم قطراً بتوسّط سمائهم، ولا نباتاً بتوسّط أرضهم.

وقال بعضهم: المراد بإذنه تعالى في أفعاله: أمره لها بالوجود بقوله: كُنْ، وفي أفعال خلقه: عدم إحداث المانع لهم عمّا أقدرُوا عليه وأعدُوا له من الفعل، كسلب الاعداد والقدرة وإبطال الآلة وإيجاد الضدّ، وإعدام الفاعل ونحو ذلك. وعلى هذا، فيكون المعنى: أحدث لسمائهم مانعاً عن القطر، ولأرضهم مانعاً عن النبات.

والمراد بسمائهم: الجهة المحاذية لهم من السماء، بناءً على أنّ المطر يبتدىئ منها إلى السحاب ومنه إلى الأرض، على ما دلّت عليه روايات كثيرة، أو السحاب المتكوّن في جوّ بلادهم؛ فإنّ كلّ عالٍ مظّلّ سحاب. والقطر: المطر، الواحدة: قطرة، مثل تمر وتمرّة. والنبات: كلّ ما نبت من الأرض من نجم أو شجر. ويحتمل أن يكون القطر والنبات مصدرين، أي: لا تأذن لسمائهم بأن تقطر، ولا لأرضهم بأن تنبت.

يقال: نبتت الأرض وأنبتت بمعنى، نصّ عليه في القاموس (٢). فإن قلت: كيف فصل جملة قوله: «لا تأذن» عمّا قبلها من الجمل المتعاطفة، مع وجود الجامع بين الكلّ من معنى الدعاء عليهم، وتناسبها في الإنشاء لفظاً ومعنى؟

قلت: تعيّن الفصل لكمال الاتّصال؛ لعدم المغايرة المفتقرة إلى الربط

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٥٨.

اللَّهُمَّ وَقُوْ بِذَلِكَ مِحَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَحَصَّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَثَمَّرْ بِهِ
أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْقِ بِكَ،
حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلَا تَعْقَرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ.

بالعاطف؛ إذ كانت هذه الجملة تأكيداً وتقريراً لما قبلها، من الدعاء عليهم
بالاستئصال بقطع نسلهم ونسل دوابهم ومواشيهم، أو بدلاً منه؛ لأنها أوفى بتأدية
المراد؛ إذ كان في منع القطر والنبات عنهم هلاك ذريتهم، وانقطاع
نسلهم ونسل دوابهم وأنعامهم وهلاكها، فهي أوفى بتمام المراد في عدم البقاء
عليهم وقطع دابرهم، والله أعلم.

توسيط النداء بين المتعاطفين لمزيد الضراعة، والإشارة بذلك إلى ما ذكر من
قطع حرثهم ونسلهم ومادة حياتهم.

والمحال على وزن كتاب: الكيد، والتدبير، والمكر، وطلب الأمر بالحيلة،
والقدرة، والقوة، والشدة، والجدال، والمعاداة، والأخذ بالعقاب، والنقمة،
والعذاب، ومنه قوله تعالى: «وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ» (١).

واختلفت عبارات المفسرين في تفسيره.

فقال عليّ عليه السلام: شديد الأخذ (٢)، وقتادة ومجاهد: شديد القوة (٣)،
والحسن: شديد النقمة (٤)، والزجاج: شديد القدرة والعذاب (٥)، والجبائي: شديد
الكيد للكفار (٦) والزمخشري: شديد الكيد والمكر لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث
لا يحتسبون (٧) وكلّ هذه المعاني يصحّ حمل لفظ الدعاء عليه كما لا يخفى.

وتكون المحال جمع محالة أيضاً وهي الفقرة، من فقر ظهر البعير.

قال في الكشف: ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقر، ويكون مثلاً في القوة

(١) سورة الرعد: الآية ١٣.

(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) مجمع البيان: ج ٥ - ص ٢٨٣.

(٧) تفسير الكشف: ج ٢ ص ٥٢٠.

والقدرة، كما جاء: فساعد الله أسدَّ وموساه أحد؛ لأنَّ الحيون إذا اشتدَّ محاله كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره، ألا ترى إلى قولهم: فقرته الفواق، وذلك أنَّ الفقار عمود الظهر (١)، إنتهى.

وجواز إرادة هذا المعنى ظاهرة في عبارة الدعاء أيضاً.

وفي نسخة ابن إدريس: «وقوبذلك محال أهل الإسلام» بفتح الميم وتشديد اللام على أنه جمع محلة، وهي المكان ينزله ويحمله القوم، من حلَّ البلد وبه حلولاً - من باب قعد - إذا نزل به.

وحصنه: جعله حصيناً أي: منيعاً.

والديار: جمع دار، وهي الموضع يجمع البناء، وتطلق على البلد أيضاً.

وثمر الله ماله تسميراً: أنماه وكثره.

وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك أي: خلصهم عن الشغل بمحاربتهم للتجرد لعبادتك، التي لا يشغل أسرارهم وقلوبهم عن مراقبتك والتوجه إليك بالكلية فيها شاغل.

والجهاد وإن كان عبادة إلا أنه ليس كالصلاة التي هي أم العبادات، وعمود الدين، ومعراج المؤمن، ومناجاة رب العالمين مثلاً، فإنها فضلت على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود، وشغل القلب واللسان بذكره تعالى، وحركات سائر الجوارح فيها جعلت دالة على ما في القلب واللسان، فهي ذاكرة له أيضاً، وليس كذلك الجهاد؛ فإنه إنما جعل ذريعة لإقامة الشريعة وغيره من عبادات الله تعالى، كما قال عز قائلًا: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» (٢).

والمنايذة: المخالفة والمكاشفة بالحرب.

قال الشهاب الفيومي: نابذتهم: كاشفتهم، ونابذتهم الحرب: كاشفتهم إيّاها وجاهرتهم بها (١).

وفي الأساس: نبذ إلى العدو: رمى إليه العهد ونقضه، ونابذه منابذةً وتنايذوا (٢).

وخلّا به يخلو خلوةً: تفرّد به.

قال أرباب القلوب: الخلوة بالله: محادثة السرّ مع الحقّ حيث لا أحد ولا ملك (٣).

وقال بعض المحقّقين: الخلوة: عبارة عن تفرّد العبد في موضع يخلو فيه عن جميع الشواغل بما سوى الله من المحسوسات الظاهرة والباطنة، ويصرف فيه همّته ونيّته إلى إقبال على الله والتبّتل إليه بكلّيته، فيحصل له الأنس به والوحشة من غيره (٤). قيل لبعضهم: إلى أيّ شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الأنس بالله (٥).

وقال بعضهم: لا بدّ لمن آثر الله على من سواه من العزلة في ابتدائه توحشاً من غير الله، ومن الخلوة في انتهائه أنساً بالله (٦).

وكان الفضيل يقول: إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت: أخلو برّبي، وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء من يشغلني عن ربّي (٧).

وقيل لبعضهم: أما تستوحش في هذه الدار وحيداً؟ فقال: ما كنت أظنّ أحداً

(١) المصباح المنير: ص ٨١٠. (٥) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ١٢، وآداب النفس: ج ١ ص ٥١.

(٢) أساس البلاغة: ص ٦١٣ (٦) آداب النفس: ج ١ ص ٤١.

(٣) لم تتحققه. (٧) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ١٢-١٣، وآداب النفس: ج ١ ص ٥١.

(٤) لم نعرّض عليه.

يستوحش مع الله (١).

وقيل لبعض العباد: ما أصبرك على الوحدة، فقال: ما أنا وحدي، أنا جليس الله عز وجل، إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه، وإذا شئت أن أناجيه صليت (٢). وقال ذوالنون: لم أر شيئاً أبعث لطلب الخلاص من الخلوة؛ لأنه إذا خلا لم ير غير الله، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكمه، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن شديد من أركان النجاة (٣).

قوله عليه السلام: «حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك» أي: كيلا يعبد.

والبقاع: جمع بقعة بالضم والفتح، وهي القطعة من الأرض.

وقال صاحب المحكم: البقعة بالفتح والبقعة بالضم: أعلى قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها، والجمع بفتح وبقاع، فجمع جمع بقعة كظلمة وظلم، وبقاع جمع بقعة كقصعة وقصاع، وقد يكون بقاع جمع بقعة بالضم كجفرة وجفار (٤)، إنتهى.

ولما كان فعل العبادة لا يجوز شرعاً وعقلاً إلا لله تعالى؛ لأن العبادة أعلى مراتب الخضوع والتذلل، ولا يستحق ذلك إلا من كان مولياً لأعلى النعم وأعظمها من الوجود والحياة وتوابعها، وهو الله سبحانه لا غير، جعل عليه السلام غاية دعائه بإضعاف أهل الشرك وتقوية أهل الإسلام، تخصيصه تعالى بالعبادة التي لا يستحقها غيره.

وعفوه عفوياً - من باب ضرب - وعفوه تعفيراً للمبالغة: ألزقه بالعفر محرماً وقد يسكن، وهو وجه الأرض.

وقال صاحب المحكم: العفر والعفر: ظاهر التراب، والجمع أعفار، وعفوه في

(١) آداب النفس: ج ١ ص ٤٢.

(٣) آداب النفس: ج ١ ص ٥٦.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ١٢، آداب النفس: ج ١ ص ٥٠. (٤) المحكم في اللغة: ج ١ ص ١٤٨.

اَللّٰهُمَّ اغْزُبِكُلَّ نَاحِيَةٍ مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ عَلٰى مَنۡ يَّازِئُهُمْ مِّنَ
الْمُشْرِكِيْنَ، وَاَمْدُدْهُمْ بِمَلَايِكَةٍ مِّنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِيْنَ، حَتّٰى يَكْشِفُوهُمْ اِلَى
مُنْقَطَعِ التُّرَابِ، قَتْلًا فِى اَرْضِكَ وَاَسْرًا، اَوْ يُقِرُّوْا بِاَنَّكَ اَنْتَ اللّٰهُ الَّذِى
لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

الله اب يعفّره عفرأ وعفّره فانعفز وتعفّر: مرّغه فيه أودسه (١)، إنتهى.

والجبهة من الإنسان قال الخليل: هي مستوى فيما بين الحاجبين (٢)، وقال
الأصمعي: هي موضع السجود (٣).

والمراد بتعفير الجبهة: السجود على التراب، أي: وحتى لا يسجد لأحد منهم
دونك؛ إذ كان السجود يحرم لغير الله؛ لأنّ وضع أشرف الأعضاء على أهون
الأشياء - وهو التراب - غاية الخضوع، وقد علمت أنّ غاية الخضوع وأعلى مراتبه
لا يجوز إلاّ لله عز وجل.

والضمير في «منهم»: عائد على المعبودين، دون الله سبحانه المدلول عليه بقوله:
«حتّى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك».

ودونك: أي سواك أو متجاوزاً إياك، وقد مرّ تحقيق ذلك *.

غزا العدو غزواً: سار إلى قتالهم وانتهابهم.

قال الفيومي: وإنّما يكون غزو العدو في بلادهم (٤).

وغزا يتعدى بنفسه، وإنّما عذاه هنا بعلی لتضمينه معنى الإغارة، وهي مباغطة
العدو للنهب أو القتل والأسر، أي: اغز، بكل ناحية من المسلمين مغيراً على مَن يازئهم من
المشركين والباء من قوله «بكل ناحية»: للتعدية، وهي
المعاقبة للهمزة في تعدية الفعل القاصر، كما تقول في ذهب زيد، وذهبت بزيد،

(١) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٨٢.

(٢) و(٣) المصباح المنير: ص ١٢٥ نقلاً عنها.

(٤) المصباح المنير: ص ٦١٢.

وأذهبته، أي: اغز كل ناحية أي: ابعثها للغزو، يقال: أغزى الأمير الجيش: إذا بعثه للغزو.

وفي إيثارة تعدية غزا بالباء دون الهمزة نكتة لطيفة، وهي ملاحظة ما في الباء من معنى المصاحبة، المقصود بها هنا كمال الحفظ والتوفيق والإمداد والنصرة، كما كان المقصود بالمعية ذلك في قوله تعالى: «إذ يُوحى ربك إلى الملائكة أنني معكم فثبتوا الذين آمنوا» (١)، وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: «لا تخافا إني معكما أسمع وأرى» (٢)، ومن ثم ذهب المبرد (٣) والسهيلي (٤) والزحشري إلى أن بين أذهبه وذهب به فرقاً، فعنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً، ومعنى ذهب به: استصحبه ومضى به (٥).

وقال صاحب المثل السائر: كل من ذهب بشيء فقد أذهبه، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به؛ إذ يفهم منه أنه استصحبه وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى، ولا كذلك أذهبه فهماً، وإن اشتركا في معنى التعدية، فلا يبعد أن ينظر صاحب المعاني إلى معنسي الهمزة والباء الأصليتين، أعني الإزالة والمصاحبة والإلصاق (٦)، انتهى.

هو صريح فيما ذكرناه.

والناحية: الجانب، فاعلة بمعنى مفعولة؛ لأنها تُنحى أي: تُقصد، من النحو بمعنى: القصد.

والمعنى على تقدير مضاف محذوف، أي: اغز بأهل كل ناحية، فهو من مجاز الحذف.

(٤) تاج العروس: ج ١ ص ٢٥٧.

(٥) أساس البلاغة: ص ٢١٠.

(٦) لم نعر عليه.

(١) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٢) سورة طه: الآية ٤٦.

(٣) مغني اللبيب: ص ١٣٨.

وفي شرح جامع الأصول لمؤلفه: وفي الحديث: فخيف على ناحيتها، هي المكان المنفرد، وناحية الإنسان: مكانه، وقد يُعبر بها عن ذاته، خفت على ناحيته أي: عليه (١)، إنتهى.

وعلى هذا، فهي مجاز مرسل من باب تسمية الشيء باسم محله، نحو: «فليدع ناديه» (٢) أي: مجلسه، أراد به أهله مجازاً؛ لحصولهم فيه. وفي نسخة ابن إدريس: «أعز» بقطع الهمزة وكسر العين المهملة وتشديد الزاي من الإعزاز، ولا يظهر له معنى إلا على دعوى زيادة الباء في المفعول، نحو: «وهزّي إليك بجذع النخلة» (٣)، وزيادتها فيه كثيرة، لكنها مع ذلك غير مقيسة، كما نص عليه المرادي في الجنى الداني (٤).

ويمكن أن يخرج على ماخرج عليه الزخشي الآية المذكورة، حيث قال: الباء في «بجذع النخلة»: صلة للتأكيد، كقوله: «ولا تلقوا بأيديكم»، أو على معنى افعلوا الهزبه، كقوله: يخرج في عراقبها نصلي (٥)، إنتهى.

يعني بالوجه الثاني أنه نزل «هزّي» مع كونها متعدياً منزلة اللازم للمبالغة، نحو: فلان يعطي ويمنع، ثم عُدي كما يعدي اللازم، كقوله: يخرج في عراقبها، أي: يفعل الجرح في عراقبها.

وكذا القول في اعز بكل ناحية، أي: افعل العز بهم، وتعديته بعلى إلى المفعول الثاني لما فيه من معنى الرفعة والشرف.

والإزاء بالكسر والمد: الحذاء، يقال: جلس إزائه وإزائه أي: بجذائه. وفي النهاية: الإزاء: المحاذاة والمقابلة (٦).

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) سورة العلق: الآية ١٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٤) لم نتحققه.

(٥) الكشف: ج ٣ ص ١٣.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٧.

وفي المصباح: هو يازائه: أي محاذيه (١).
 والمعنى: على من يحاذيهم ويقابلهم من المشركين.
 وأمددت الجيش بألف رجل: أعنته وقويته بهم. والأصل في الإمداد: إعطاء الشيء حالاً بعد حال.
 وفي القاموس: الإمداد: أن تنصر الاجناد بجماعة غيرك والاعطاء والإغاثة (٢).

وقال المفضل: ما كان منه بطريق التقوية والإعانة يقال فيه: أمدّه يمدّه إمداداً، وما كان بطريق الزيادة يقال فيه: مده يمدّه مدّاً (٣). ومنه: «والبحرُ يمدّه من بعده سبعة أبحر» (٤).

وقيل: المّد في الشرّ، كما في قوله تعالى: «وَيُمدّهم في طغيانهم يعمهون» (٥)، وقوله تعالى: «وَنُمدّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً» (٦)، والإمداد في الخير، كما في قوله تعالى: «وَأُمددناكم بأموالٍ وبنين» (٧).

وقيل: المّد: إعانة الرجل القوم بنفسه، والإمداد: إعانته إياهم بغيره، يقال: مّد زيد القوم مَدّاً أي: صار لهم ممدداً، وأمدّهم: أعانهم بمدد، وإلى هذا القول جنح صاحب القاموس، كما يظهر من تضاعيف كلامه (٨).

و«من» في قوله: «من عندك»: لا ابتداء الغاية مجازاً، متعلقة بأمدد فيكون الظرف لغواً، أو محذوف هو صفة للملائكة فيكون مستقراً. وأياً ما كان، فالتقييد به لتشريف الملائكة والدلالة على فضلهم.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥.
 (٦) سورة مريم: الآية ٧٩.
 (٧) سورة الأسراء: الآية ٦.
 (٨) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٣٧.

(١) المصباح المنير: ص ١٨.
 (٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٣٧.
 (٣) لم نعر عليه.
 (٤) سورة لقمان: الآية ٢٧.

ومردفين بكسر الدال: أي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفاً لأنفسهم، فيكون المراد بهم رؤساءهم المستتبعين لغيرهم، أو جاعلين أنفسهم رديفاً للمسلمين أو لملائكة آخرين، أو جاعلين بعضهم رديفاً لبعض المسلمين أو بعضهم لبعض.

كل ذلك من أردفته أياء إردافاً أي: أتبعته أياء وجعلته له رديفاً، فردفه هو. أو معناه تابعين لملائكة آخرين، أو تابعين للمسلمين، أو تابعاً بعضهم بعضاً، من أردفته بمعنى: ردفته بالكسر أي: تبعته وجئت بعده.

وفي نسخة: «مردفين» بفتح الدال، فإن حمل على الإرداف بالمعنى الأول، فعناه: مجعولين إردافاً للمسلمين وتابعين لهم، فيكونون على ساقية المسلمين ليكونوا على أعينهم وحفظهم.

وإن حمل على الإرداف بالمعنى الثاني، فعناه، مردوفين أي: متبوعين للمسلمين، فيكونون على مقدمة الجيش فيتبعهم المسلمون.

ويجوز أن يكون على الأول بمعنى مردفين لملائكة آخرين، وعلى الثاني بمعنى متبوعين لملائكة آخرين، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (١).

قرأ أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل بفتح الدال من مردفين، والباقون بكسرها (٢).

قال الزجاج: معناه: يأتون فرقة بعد فرقة (٣).

وعن ابن عباس وقتادة والسدي: معناه: مترادفين، وكانوا ألفاً بعضهم في أثر بعض (٤) وعن الجبائي: معناه: متبعين ألفاً آخر من الملائكة؛ لأن مع كل واحد منهم

(١) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٣) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٥٢٤.

(٢) راجع روح المعاني: ج ٩ ص ١٧٣.

(٤) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٥٢٥.

ردفأ له (١)، وعن أبي حاتم: معناه بألف من الملائكة جاؤوا على آثار المسلمين (٢)

وكشفت القوم كشفاً - من باب ضرب - هزمتهم فأنكشفوا، ومنه حديث: فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون (٣).

قال الكرماني في شرح البخاري: أي: انهزموا (٤)، ومنه: فلما حملنا عليهم انكشفوا، أي: انهزموا، وأصله من الكشف بمعنى: رفع شيء عما يواريه ويغطيه، يقال: كشف الغطاء: إذا رفعه عما تحته، ولما كان هزم القوم يستلزم رفعهم وإزالتهم عن مواقعهم التي واروها وغطوها بحصولهم ووقوفهم فيها سمي الهزم كشفاً، وهو إما استعارة بالكناية أو تبيعية أو تمثيلية، وقد تقدم بيان ذلك في نظيره.

وقول بعض المترجمين: يكشفوهم أي: يفضحوهم، جهل بمواقع ألفاظ العرب. والظرف من قوله: «إلى منقطع التراب»: متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يكشفوهم، وهو الضمير العائد فيه إلى المسلمين، أي: حتى يكشفوهم مبلتين وموصلين لهم إلى منقطع التراب، أو يكشفوهم مضمناً معنى الإيصال أو الإنهاء. ومنقطع الشيء بصيغة البناء للمفعول: حيث ينتهي إليه طرفه، نحو: منقطع الوادي والرمل والطريق.

والتراب: معروف، قال الفراء وجماعة: هو جنس لا يشئ ولا يجمع (٥).

ونقل أبو عمرو الزاهد في شرح الفصيح عن المبرد أنه قال: هو جمع واحدة ترابة (٦)

(١) و(٢) مجمع البيان: ج ٣-٤ ص ٥٢٥.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣.

(٤) شرح البخاري للكرماني: ج ١٢ ص ١٠٨.

(٥) تاج العروس: ج ٢ ص ١٥٧.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني ص ٤٠ نقلاً عن أبي عمرو.

وقال الجوهري: جمع التراب أتربة وتربان (١).
والمراد بمنقطع التراب: منتهى العمارة من الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً،
حيث لا تقع العين بعده على تراب.

وقوله عليه السلام: «قتلاً في أرضك وأسرًا» أي: حال كونهم يقتلونهم في
أرضك قتلاً ويأسرونهم أسراً، فيكون نصيبها على المصدريّة، أي: قاتلين لهم
وأسرين، فيكون على الحاليتة وهو مذهب الجمهور، وذهب بعضهم إلى أن نحو
ذلك على حذف مضاف، والتقدير: يكشفونهم كشف قتل وأسر، فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قال ابن هشام: وهذا تقدير حسن سهل (٢).

والظرف من قوله: «في أرضك»: متعلق بمحذوف وقع وصفاً للقتل إن جعل
مصدراً، وبالقتل نفسه إن جعل حالاً، فهو على الأول مستقرّ وعلى الثاني لغو،
وفائدته التعميم، أي: قتلاً عاماً في كل قطر من أقطار أرضك، وفي كل مكان منها
يكونون فيه، من حيث إن هذا القيد نسبته إلى القتل في كل موضع من الأرض
على السواء، فتأمله فإنه نفيس.

وإضافة الأرض إليه تعالى لبيان استحقاقهم للقتل والأسر؛ لأنّ المشرك بالله
حقّه أن لا يترك ويخلّى في أرض الله، بل يستحقّ القتل والأسر فيها.

وقوله عليه السلام: «أو يقرّوا» عطف على قوله: «يكشفوهم». وأقرّ بالشيء
إقراراً: اعترف به.

وأنت: ضمير موضوع للمخاطب، ومذهب البصريّين أن الضمير: أن، والتاء
حرفيّة مبنية للمخاطب (٣)، ومذهب الفراء: أن «أنت» بكماله الضمير، والتاء من
نفس الكلمة، وقيل: الضمير هو التاء ادغمت بأن لتستقلّ لفظاً (٤).

(١) الصحاح: ج ١ ص ٩٠.

(٣) و (٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٠.

(٢) لم نعرّ عليه.

وهو هنا ضمير فصل فائدتُه التوكيد والاختصاص، ولا محلّ له من الإعراب، قيل: لأنّه حرف، وقيل: لشدة شبهه بالحرف في أنّه لم يؤت به إلّا لمعنى في غيره. وقيل: بل له محلّ، فقال الفراء: محله مشارك لما قبله (١)، وقال الكسائي: مشارك لما بعده (٢)، وقيل: هو تأكيد للكاف كما في قولك: مررت بك أنت، وقيل: هو مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر أن.

وقوله: «لا إله» مبني مع «لا» في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف أي: لهم، أو في الوجود، أو مستحقّ للعبادة، أو ممكن، والضمير بعد «إلا» في محلّ رفع على البدل من محلّ لا إله، ولا يجوز أن يكون في محلّ نصب على الاستثناء؛ لأنّه لو كان كذلك لكان: إلا إياه. وجملة «لا إله إلا أنت» في محلّ رفع على أنها خبر ثانٍ لاسم «أنت»، أو صفة للخبر وهو اسم الجلالة.

ووحده: عند البصريين منصوب على المصدرية أو الحال، وعند الكوفيين على الظرف، وقد استوفينا الكلام عليه فيما سبق.

وقوله: «لا شريك لك» خبر ثالث لاسم «أنت»، أو صفة أخرى للخبر. وكلّ هذه الجمل الثلاث مقرّرة للوحدانية، ومؤكدة لما قبلها من حيث المعنى، ويمكن تخصيص كلّ منها بمعنى، فتكون الأولى لنفي الشريك في الألوهية، ومزيجة (٣) لما عسى أن يتوهم أنّ في الوجود إلهاً لكن لا يستحقّ العبادة، والثانية للإشارة إلى أنّه واحد في ذاته لا تركيب فيه، والثالثة للإشارة إلى أنّه لا شريك له في صفات الألوهية وصفات الكمال، والله أعلم.

(١) لم نعرّ عليه.

(٢) لم نعرّ عليه.

(٣) «ج»: مزيجته.

اَللّٰهُمَّ وَاغْمُمْ بِذٰلِكَ اَعْدَاءَكَ فِيْ اَقْطَارِ الْبِلَادِ، مِنْ الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ
وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالثُّوْبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ وَالْدِّيَالِمَةِ، وَسَائِرِ اُمَّمِ
الشِّرْكِ الَّذِيْنَ تُخْفِيْ اَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ اَخْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ،
وَاَشْرَقْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ.

عم الشيء، عموماً - من باب قعد - شمل الجميع، يقال: عتتهم بالإحسان أي:
أحسن إلي جميعهم.

والإشارة بذلك إلى ما تقدم من الدعاء على المشركين.
والمراد بأعدائه تعالى: الخارجون عن طاعته عناداً، والمخالفون لأمره مكابرة؛
لأن العدو لا يكاد ينقاد لأمر عدوه ولا يوافقه.

والمراد بهم: أعداء أوليائه وخواصه ومقربيه، أضافهم إليه تعالى تفخيماً
لشأنهم، وإيذاناً بأن عداوتهم عداوته (٢)؛ إذ العداوة على الحقيقة لا تصح إلا في
البشر؛ لأن العدو الذي يريد إنزال المضارب من عاداه، وهذا يستحيل في حقه تعالى.

والأقطار: جمع قطر بالضم مثل قفل وأقفال، وهو الجانب والناحية.

والبلاذ: جمع بلدة مثل قلعة قلاع، وهي بمعنى البلد وهو المصر الجامع.

قال العلامة الطبرسي: البلد والمصري والمدينة نظائر (٢).

وفي القاموس: البلد والبلدة: كل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو
غامرة (٣).

وقال الشهاب الفيومي: ويطلق البلد والبلدة على كل موضع عامراً كان أو
خلاءً (٤).

ومن: بيانية.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٧٨.

(٤) المصباح المنير: ص ٨٤.

(١) «ج»: تعالى.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٠٥.

والهند: جيل وأمة من الناس معروفة، أكثر الناس اختلافاً في الآراء والعقائد، منهم من يقول بالخالق دون النبي وهم البراهمة، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الأنهار الكبار، ومنهم من يعبد الأشجار العظام، إلى غير ذلك. ويطلق لفظ الهند على بلادهم أيضاً، وهي من الإقليم الأول، أحد حديها الصين والآخر السند، أكثر أرض الله جبلاً وأنهاراً، خصت بكرم النبات وعجيب الحيوان.

قال بعضهم: الهند بحرها در، وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر، وحشيشها دواء، وشتاؤها صيف، وصيفها ربيع.

ووصفها ابن القرية فقال: هي أرض شاسعة نائية، وبلاد كفر طاغية. والروم: قال الواحدي: جيل من ولد آدم بن عيص بن إسحاق، غلب اسم أبيهم عليهم فصار كالاسم للقبيلة (١). وقال النسوي في التهذيب: والروم: هم الذين تسميهم أهل هذه البلاد الإفرنج (٢)، انتهى.

وأكثرهم نصارى، وبلادهم بالإقليم السادس، وهي بلاد واسعة، أنزه الدواحي وأخصبها، وأكثرها خيراً، وأعذبها ماءً، وأصحها هواءً، وأطيبها تربةً، وهي في غاية البرودة؛ ولذلك يرى الغالب على ألوانهم البياض وعلى شعورهم الشقرة، والإبل لا تتولد بها، ومدينة رئاستهم تسمى رومية، قيل: دور سورها أربعة وعشرون ميلاً.

وفي القاموس: رومية: بلد بالروم، سوق الدجاج به فرسخ، وسوق البر ثلاثة فراسخ، وتقف المراكب فيه على دكاكين التجار في خليج معمول من النحاس،

(١) و(٢) التهذيب للنسوي: القسم الثاني: ج ١ ص ١٣٠.

ارتفاع سورة ثمانون ذراعاً عرض عشرين، فيما ذكر ابن خرداذبه، فإن يك كاذباً فعليه كذبه (١)، إنتهى.

والترك : جيل من أولاد يافث بن نوح عليه السلام، يمتازون عن جميع الأمم بكثرة العدد ووفور الشجاعة، عراض الوجوه، فطس الأنوف، عبل السواعد، ضيق الأخلاق والأعين، يغلب عليهم الغضب والظلم والقهر، أقسى خلق الله قلوباً، وأشدّهم بطشاً، وأقلهم رافةً، وأصبرهم على تحمل المشاق والمحن، وبلادهم بالإقليم الثالث، أولها من وراء نهر جيحون، وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبين خراسان، ويسمى نهر خوارزم ونهر بلخ؛ لأن كلاً منها في طرف منه، وتمتد بلادهم إلى أقاصي المشرق من حدود الصين.

وفي ربيع الأبرار عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت في السماء الرابعة قصرًا مزخرفًا حوالية قناديل من نور، فقلت: يا جبرئيل ما هذا القصر؟ قال: يا محمد هذا رباط ستفتحه أمتك بأرض خراسان حول جيحون، قلت: وما جيحون؟ قال: نهر يكون بأرض خراسان، من مات حول ذلك النهر على فراشه قام يوم القيامة شهيداً من قبره قلت: يا جبرئيل ولم ذاك؟ قال: يكون عدو لهم يقال لهم: الترك، شديد كلهم، قليل سلبهم، من وقع في قلبه فرقة منهم قام يوم القيامة شهيداً من قبره مع الشهداء (٢)، إنتهى.

والخزر بفتحيتين: قال في القاموس: اسم جيل خزر العيون (٣).

وقال الزمخشري في الأساس: رجل أخزر: ينظر بمؤخر عينه وقيل: هو الذي ضاقت عينه وصغرت، وامرأة خزراء، وقوم خزر، وبعينه خزر، وبه سمي الخزر جيل من الترك (٤)، إنتهى.

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٢٣.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٩.

(٢) ربيع الأبرار مخطوط: ص ٢٠.

(٤) أساس البلاغة: ص ١٦٠.

وقال بعضهم: بلاد الحزّر حوالي بحر جيلان، ويقال لبحر جيلان: بحر الحزّر. وفي نسخة ابن إدريس: «الحزّر» بالضمّ والسكون، وهولغة في الحزّر محرّكة. قال في زبدة شرح الشفاء لعياض عند قوله: «وقتل الروم والحزّر» وهو بضمّ المعجمة وسكون الزاي وفتحها فراء: جنس من الأمم (١). والحبش بفتححتين: جنس من السودان جلّهم نصاري، ويقال لبلادهم: الحبشة، وهي أرض واسعة تمتدّ من طرف بحر اليمن إلى الخليج البربري. والنوبة بالضمّ: جنس من السودان أيضاً، وملتهم النصرانية، وأرضهم واسعة، وهي شرقي النيل.

وفي القاموس: النوبة بالضمّ: بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد، منها بلال الحبشي (٢).

وقال صاحب عجائب البلدان: بلاد النوبة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربيّه، وهي بلاد واسعة، وأهلها أمة عظيمة، وهم على دين النصرانية (٣). قال صلى الله عليه وآله: خير سبيكم النوبة (٤).

والزنج بالفتح والكسر: صنف منهم أيضاً، وأرضهم مسيرة شهرين، شمالها اليمن، وجنوبها الفياقي، وشرقها النوبة، وغربها الحبشة.

قال القزويني: جميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام (٥). وبلاد الزنج شديد الحرّ جداً، وسبب سوادهم احتراقهم بالشمس، وقيل: إنّ نوحاً عليه السلام دعا على ابنه حام فاسودّ لونه. وبلادهم قليل المياه والأشجار، سقوف بيوتهم من عظام الخوت، زعم الحكماء أنّهم شرار الناس؛ ولهذا يقال لهم:

(١) معجم البلدان: ج ٤ ص ٨٢٠.

(١) لم نتحققه.

(٥) لم نتحققه.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٥.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

سباع الإنس.

قال جالينوس: الزنج خُصصوا بأمر عشرة: سواد اللون، وفلقة الشعر، وفطس الأنف، وغلظ الشفة، وتشقق اليد والعقب، ونتن الرائحة، وكثرة الطرب، وقلة العقل، وأكل بعضهم بعضاً، فإنهم في حروهم يأكلون لحم العدو، ومن ظفر بعدو له أكله، وأكثرهم عراة لا لباس لهم، ولا يُرى زنجي مغموماً، بل الطرب يشملهم كلهم (١).

قال بعض الحكماء: سبب ذلك اعتدال دم القلب منهم. وقال آخرون: بل سببه طلوع كوكب شهباء عليهم كل ليلة؛ فإنه يوجب الفرح.

والسقالبة وتبدل السنين صاداً فيقال: صقالبة، وهو المذكور في القاموس (٢). قال الخليل رحمه الله: كل سين وصاد تحي قبل القاف فللعرب فيه لغتان، فمنهم من يجعلها سيناً، ومنهم من يجعلها صاداً، لا يبالون أمتصلة كانت بالقاف أو منفصلة بعد أن يكونا في كلمة واحدة (٣)، انتهى. قال في القاموس: الصقالبة: جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزرين بلغر وقسطنطينية (٤).

وقال ابن الكلبي: روم وصقلب وأرمن وفرنج كانوا اخوة، وهم بنو النبطي بن كسلو أجيم بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، سكن كل واحد منهم بقعة من

(١) مروج الذهب: ج ١ ص ٩٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٩٣.

(٣) لسان العرب: ج ٨ ص ١٥٩.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٩٣، وفيه «بلغر».

الأرض فسميت باسمه (١).

والصقالبة: قوم كثيرون، صهب الثغور، حمراً ألوان، أولو صولة شديدة.

قال المسعودي: الصقالبة أقوام مختلفة، بينهم حروب، لولا اختلاف كلمتهم، لما قاومتهم أمة في الشدة والجرأة، ولكل فرقة منهم ملك لا ينقاد لغيره، فمنهم على دين النصرانية اليعقوبية، ومنهم على دين النسطورية، ومنهم من لا دين له ويكون معطلاً، ومنهم عبدة النيران (٢).

والديالة: جيل من الناس مشهورون بالظلم والجور، حتى قيل: هم أجور من الترك والديلم.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: فلان من الديلم (٣).

وهو ديلمى من الديالة أي عدو من الأعداء؛ لشهرة هذا الجيل بالشرارة والعداوة.

وبلادهم أرض الجبال بقرب قزوین، وهي ثغر أرض الديلم.

واعلم أن الصقالبة والديالة جمعان لسقلي وديلمي، والتاء فيهما للدلالة على أن واحدهما منسوب.

قال الرضي: تدخل التاء على الجمع الأقصى دلالة على أن واحدها منسوب، كالأشاعثه والمشاهدة في جمع أشعث ومشهدي، وذلك لما أرادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير وجب حذف ياء النسب؛ لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان، فلا يقال في النسبة إلى رجال: رجالي بل رجلي، فحذفت ياء النسبة، ثم جمع بالتاء؛ لتكون التاء كالعوض من الياء، كما عوضت من الياء في نحو

(١) معجم البلدان للحموي: ج ٣ ص ٤٠٥.

(٢) مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٣ ملخصاً.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٩٤.

اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِأَمْشُرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ،
وَاخْذُهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنْقِصِهِمْ، وَتَبْطِئُهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الْاِخْتِشَادِ عَلَيْهِمْ.

جحاجة جمع ججاج؛ لأن أصل جمعه ججاجيح، فحذفت الياء وعوّضت عنها التاء؛ ولذلك لا يثبتان معاً ولا يسقطان معاً (١).

قوله عليه السلام: «وسائر أُمم الشرك» إلى آخره، أي: باقيهم، والأُمم: جمع أمة، والمراد بها هنا: الصنف من الناس، أي: سائر أصناف الخلق المشركين. والشرك بالكسر: من أشرك بالله أي: كفر، وهو مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود والنصارى؛ فإن الشرع قد نصّ على شرك أهل الكتاب قاطبة. والمراد بأسمائهم: مادلّ على ذواتهم، وبصفاتهم: ما دلّ على شيء من أحوالهم. والواو من قوله: «وقد أحصيتهم» للحال، أي: والحال أنك قد أحصيتهم أي: علمتهم.

قال الفيومي: أحصيت الشيء بالألف: علمته (٢). وفي النهاية: في أسمائه تعالى المحصي: هو الذي أحصى كل شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفوته دقيق منه ولا جليل، والإحصاء: العّد والحفظ (٣)، إنتهى. والمراد بمعرفته تعالى: علمه، وهو يؤيد قول أهل اللغة وبعض أرباب الأصول والميزان من أنّها مترادفان.

وأشرف على الشيء، إشرافاً: اطلع عليه، وهو على التمثيل؛ لأن أصله النظر من شرف، وهو المكان العالي؛ إذ النظر منه إلى الشيء، أبلغ في الإحاطة به، والله أعلم. شغله شغلاً من باب نفع، والاسم: الشغل بالضم، وتُضمّ الغين وتسكن للتخفيف، وهو ضدّ الفراغ.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٣٩٧.

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) المصباح المنير: ص ١٩٢.

واختلف هل يتناول لفظ المشركين الكفار من أهل الكتاب أم لا؟ قال الأكثرون: نعم؛ لقوله تعالى: «وقالت اليهود غزيراً ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون» اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون» (١)؛ ولقوله تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك» (٢)، فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل أن يغفر الله لهم، وذلك باطل بالاتفاق، وأيضاً النصارى قائلون بالتثليث، وهو شرك محض.

وقال الأصم: كل من جحد رسالة محمد صلى الله عليه وآله فهو مشرك: من حيث إن تلك المعجزات التي ظهرت على يديه كانت خارجة عن قدرة غير الله تعالى، وهم أنكروها وأضافوها إلى الجن والشیاطين، فقد أثبتوا شريكاً لله سبحانه في خلق هذه الأشياء الخارجة عن قدرة البشر (٣).

واعترض عليه: بأن اليهودي مثلاً حيث لا يسلم أن ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وآله هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه، لم يلزم أن يكون مشركاً بسبب إضافة ذلك إلى غير الله تعالى.

وأجيب: بأنه لا اعتبار بإقراره، وإنما الاعتبار بالدليل، فإذا ثبت بالدليل أن ذلك المعجز خارج عن قدرة العباد، فمن أضاف ذلك إلى غير الله كان مشركاً، كما لو أسند خلق الحيوان والنبات إلى الأفلاك والكواكب.

احتج المخالفون: بأنه تعالى فصل بين المشركين وأهل الكتاب في الذكر، حيث قال: «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين» (٤)، «لم يكن الذين

(٣) لم نعر عليه.

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠-٣١.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٨.

كفروا من أهل الكتاب والمشركين» (١)، والعطف يقتضي المغايرة. وأجيب: بأن كفر الوثني أغلظ، وهذا القدر يكفي في العطف، أولعله خصّ أولاً ثم عمّم، وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وآله: أن كل من كان كافراً يُسمّى مشركاً (٢)، فظهر أن وقوع اسم المشرك عليهم إن لم يكن بحسب اللغة كان بحسب الشرع، وإذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم.

والمراد بشغله تعالى المشركين بالمشركين: أن يخطر ببال كل أمة منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن الأخرى، إما بسبب أهوائهم المختلفة في الدين، أو بسبب تنازع في أمور الدنيا، فتتبع العداوة والقتال بينهم، فيشتغل بعضهم ببعض عن تناول أطراف المسلمين.

والتناول في الأصل: أن يمد الإنسان يده إلى شيء فيأخذه، يقال: ناولته الشيء فتناوله، ثم استعمل في مطلق الأخذ والإقذار على الشيء وفي الاستيلاء عليه وفي الوصول إليه؛ إذ كان كل ذلك من لوازم معناه الأصلي.

والأطراف: جمع طرف بفتحيتين، وهو يكون بمعنى الجانب والناحية، ومنه: «أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها» (٣).

أي نواحيها وجوانبها، بأن نفتحها على المسلمين شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام، ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء.

ويكون بمعنى الطائفة من الشيء ومنه: «ليقطع طرفاً من الذين كفروا» (٤) أي: طائفة منهم بقتل وأسر. وكل من المعنيين محتمل في عبارة الدعاء.

فإن حمل على المعنى الأول فهو على حذف مضاف؛ أي: أطراف أرض

(١) سورة البينة: الآية ١.

(٣) سورة الرعد: الآية ٤١.

(٢) لم نعر عليه.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٧.

المسلمين، ويكون المراد بتناولها الاستيلاء عليها أو بلوغها والوصول إليها، يقال: تناولت بنا الركاب مكان كذا أي: بلغت ووصلت بنا إليه، قال ذو الرمة:

إذا لم نزرها من قريب تناولت بنا دار صيداء القلاص الطلائع (١)
وقال:

تصابيت واستعبرت حتى تناولت لحي القوم أطراف الدموع الذوارف
أي: بلغت أطراف الدموع لحي القوم لأنها لها وانصباها (٢).

وإن حمل على المعنى الثاني فالمراد بتناولها أخذها وإصابتها بقتل وأسر.
وإنما خصّ الأطراف بالذكر؛ لأنه لا يوصل إلى الوسط إلا بتناول الطرف؛
ولأنّ الطرف أقرب إليهم من غيرهم، كما قال تعالى: «قاتلوا الذين يُلُونكم من الكفار» (٣).

قوله عليه السلام: «وخذهم بالنقص عن تنقصهم» أخذه الله: أهلكه، وأخذه بذنبه: عاقبه عليه، وتعدية خذ بعن لتضمينه معنى الكف والمنع، أي: خذهم وأصبهم بالنقص مانعاً لهم عن تنقصهم المسلمين.
والنقص: أخذ شيء من الجملة، يقال: نقصته فنقص، يتعدى ولا يتعدى، أي: أذهبت منه شيئاً فذهب منه شيء.

والمراد بأخذهم بالنقص: إهلاكهم بنقصهم شيئاً فشيئاً حتى يأتي على جميعهم، وهذا هو معنى التنقص أيضاً.

قال العلامة الطبرسي: التنقص: هو أن يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى أحد (٤). وحمل بعضهم التنقص على معنى الثلب والوقية، بمعزل عن المقام.

وقوله عليه السلام: «وثبطهم بالفرقة من الاحتشاد عليهم» ثبطه عن الأمر

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

(٤) لم نعر عليه.

(١) ديوان ذي الرمة: ج ٢ ص ٨٧٧ رقم ٢٦.

(٢) ديوان ذي الرمة: ج ٣ ص ١٦٢٤ رقم ٤.

اللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَمْنَةِ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ، وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ
عَنِ الْإِحْتِيَالِ، وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ، وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ
الْأَبْطَالِ، وَأَبْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْدًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ بِبَاسٍ مِنْ بَاسِكَ، كَفِعْلِكَ
يَوْمَ بَدْرٍ، تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ، وَتَخْصُدُ بِهِ شُوكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ.

تشبيطاً: شغله وقعد به عنه.

والفرقة بالضم: اسم من افترق القوم افتراقاً: خلاف اجتماعوا. والاحتشاد:
الاجتماع، وفي القاموس: حشد القوم: خفوا في التعاون، أودعوا فأجابوا
مسرعين، أو اجتمعوا لأمر واحد، كأحشدوا واجتشدوا وتحاشدوا (١)، إنتهى.



وكل من هذه المعاني صحيح هنا.

أخليت الإناء إخلاءً: جعلته خالياً.

والأمنة محرّكة: الأمن، وهو عدم توقع مكروه، وفي نسخة ابن إدريس: «من
الأمنة» بسكون الميم، كأنها مرة من الأمن.

والقوة: تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة.

وذهل عن الشيء، يذهل - من باب منع - ذهولاً: غفل عنه أو نسيه لشغل،
والأكثر أن يعدي بالألف فيقال: أذهلني فلان عن الشيء، وعليه مشهور النسخ من
الصحيفة في ضبط أذهل بقطع الهمزة وكسر الهاء، وقد يتعدى بنفسه فيقال:
ذهلته، وعليه نسخة ابن إدريس في ضبطه بوصل الهمزة وفتح الهاء.

والاحتيال: طلب الحيلة، وهي الخدق في التدبير، وهو تقليب الفكر وإعماله
حتى يهتدي إلى المقصود.

والوهن: الضعف، وهن يهن - من باب وعد - أي: ضعف، والأجود أن يعدي
بالهمزة فيقال: أوهنه، كما وقع في الدعاء، وربما عدي بنفسه فقليل: وهنته فهو

موهون.

والأركان: جمع ركن، وهولغة: الجانب القوي من الشيء، وهو الذي يُستند إليه ويقوم به، والمراد بها هنا: الجوارح، ومنه حديث الحساب: ويقال لأركانه انطقي (١)، أي: جوارحه.

والمقارعة: مفاعلة من القرع وهو الضرب، قرعه قرعاً - من باب نفع - : ضربه.

قال صاحب المحكم: والمقارعة: مضاربة القوم في الحرب (٢).

وفي القاموس: المقارعة: أن يقرع الأبطال بعضهم بعضاً (٣).

والأبطال: جمع بطل بفتحين أي: شجاع، قال الفيومي: سمي بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته، أو لبطلان العظام به (٤).

وقال صاحب القاموس: رجل بطل - محركة - : شجاع تبطل جراحته فلا يعابها، أو تبطل عنده دماء الأقران (٥).

والبعث: الإرسال، بعثه يبعثه بعثاً - من باب منع - : أرسله.

قال الفيومي: كل شيء ينبعث من نفسه فإن الفعل يتعدى إليه نفسه فيقال: بعثته، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال: بعثت به (٦)، إنتهى.

وقال صاحب المحكم: بعثه: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره (٧).

والجند بالضم: العسكر والأنصار والأعوان وكل جماعة تصلح للحرب.

و«من» في قوله: «من ملائكتك»: ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لـ «جنداً»

(٥) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٣٥.

(٦) المصباح المنير: ص ٧٣.

(٧) المحكم في اللغة ج ٢ ص ٧٠.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٦٠.

(٢) المحكم في اللغة: ج ١ ص ١١٥.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٦٨.

(٤) المصباح المنير: ص ٧٢.

أي: كائناً من ملائكتك، وإضافة الملائكة إليه تعالى للتشريف والتنويه.

والباء من قوله: «ببأس»: للملابسة، متعلقة بمحذوف وقع حالاً من «جنداً» لتخصّصه بالصفة، أي: ملتبساً ببأس من بأسك، كقوله تعالى: «إهبط بسلام» فالظرف مستقر. ويحتمل أن تكون صلة الفعل من قوله: «وابعث»، كقولك: بعثت بهديتي أو كتابي زيداً، فيكون الظرف لغوياً.

والبأس: الشدة والقوة، وبأس الله: شدة عذابه، ومنه: «فجاءها بأُسنا بيّاتاً أوْهُمْ قائلون» (١)، وهو المراد هنا.

وقوله عليه السلام: «كفعلك» نعت لمصدر مؤكّد محذوف، أي: بعثاً مشبهاً بفعلك يوم بدر، وهو اليوم الذي أعزّاه الله فيه الإسلام وأهله وقع فيه الشرك محله. وبدر: اسم ماء. يذكر ولا يؤنث، وهو على ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة في طريق مكة، كان لرجل اسمه بدر بن كلفة فُسبب إليه، ثم غلب اسمه. وقيل: هي بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر بن قريش بن النضر بن كنانة، فسميت باسمه. وحكى الواقدي إنكار ذلك عن غير واحد من شيوخ بني غفار، قالوا: إنما هو من منازلنا ومياها، وما ملكها أحد قط (٢) يقال له: بدر، وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد. وقيل: سميت البئر به لصفاتها واستدارتها، فكأن البدر يرى فيها.

وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة، التقى رسول الله صلى الله عليه وآله والمشركون من قريش، وقد أقبلوا من مكة بخيلهم وخيلائهم يحادّون الله ورسوله، وهم ألف رجل، في سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة، وفيهم أبوجهل رئيس المشركين، ورسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، عدد أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر يوم جالوت، وكان معهم فرسان، وقيل: ما كان معهم إلا فرس واحد، فنصر

اللهُ رسولُه وأصحابه، وهزم الشرك وأحزابه؛ ولذلك قال الله تعالى ممتناً على المسلمين: «ولقد نصرَكُم الله بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» (١)، واتفق أهل السير والتفسير أنه تعالى أمدَّ نبيّه صلى الله عليه وآله والمسلمين بالملائكة يوم بدر، وأنهم قاتلوا الكفار (٢).

وعن ابن عباس: أنه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر، وفيما سواه كانوا عدداً وممدداً، لا يقاتلون ولا يضربون (٣).

ولعلّ هذا هو السر في تخصيصه عليه السلام يوم بدر بالذكر في الدعاء، مع كونه أعظم غزوات الاسلام، وبه كان يدمر إذلال المشركين وإعزاز المسلمين. وأما على القول بأن الإمداد بالملائكة لم يكن في سائر الحروب وإنما كان في يوم بدر، فتخصيصه بالذكر ظاهر.

واختلفوا في عدد المدد من الملائكة يوم بدر فقليل: كانوا ألفاً؛ لقوله تعالى في سورة الأنفال: «فاستجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (٤) وقيل: ثلاثة آلاف؛ لقوله تعالى في سورة آل عمران: «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ» (٥).

وقيل: كانوا خمسة آلاف؛ لقوله تعالى بعد الآية المذكورة: «بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» (٦)، وذلك أنهم أمدوا أولاً بألف، ثم زيد ألفان فصاروا ثلاثة، ثم زيد

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم: ج ١ ص ٢٦٦، والتفسير الكبير: للفخر الرازي: ج ٨ ص ٢١٣.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٨ ص ٢١٣.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

ألفان فصاروا خمسة. وقيل: كانوا ثمانية آلاف، أمدوا أولاً بثلاثة، ثم أمدوا بخمسة فصاروا ثمانية. وقيل: كانوا تسعة آلاف باعتبار الألف الأول.

وقيل: إن الملائكة لم تقاتل في بدر ولا في غيره، وإنما كانوا يكثرون السواد، ويشبّتون المسلمين بإشعارهم بأن النصر لهم، ويلقون الرعب في قلوب المشركين؛ وإلا فلو قاتل واحد من الملائكة جميع البشر لم يشبّتوا، ولا استأصلهم بأجمعهم ببعض قوته؛ فإن جبرئيل رفع مدائن قوم لوط - كما جاء في الخبر على خافقة من جناحه حتى بلغ بها إلى السماء، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (١)، فما عسى أن يبلغ قوة ألف رجل من قريش، ليحتاج في مقاومتها وحرها إلى ألف من ملائكة السماء أو أكثر؟ مضافين إلى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من بني آدم.

وأما قوله تعالى: «فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» (٢) فأمر للمسلمين لا للملائكة.

ولقائل أن يقول: قد كان الله عز وجل قادراً على تكثير سواد المسلمين في أعين المشركين، وأن يثبت قلوبهم، ويلقي الرعب في قلوب المشركين، من غير حاجة إلى إنزال الملائكة. فإن قيل: لعل في إنزالهم لطفاً للمكلفين، قلنا: ولعل في قتالهم ومحاربتهم لطفاً لهم أيضاً، فلا وجه لإنكار قتالهم.

وزاد أبو بكر الأصم على هذا القول، فأنكر إمداد الملائكة مطلقاً (٣) مع أن نص القرآن المجيد ناطق به، وأورد في ذلك شُبهاً لا يليق بنا ذكرها، وهي ممّا وسوس بها الشيطان الرجيم في صدره، ونفث بها على لسانه، نعوذ بالله من الخور بعد الكور.

(١) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٨ ص ٢١٣.

هذا، وقد ورد في الأخبار ما يقرب من التواتر في إنزال الملائكة وقتالهم يوم بدر.

روى علي بن ابراهيم في تفسيره: أن قريشاً لما أقبلت يوم بدر، رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى السماء، فقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت لا تعبد لا تعبد، ثم أصابه الغشي فسرى عنه وهو يسلم العرق عن وجهه، وهو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، فنظروا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقائل يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم، وسمعوا قعقة السلاح من الجحش (١).

وروى ثقة الإسلام بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كانت على الملائكة العمامم البيض المرسله يوم بدر (٢).

وحكى الواقدي قال: كان أبو أسيد الساعدي يحدث عن رجل من بني غفار حدثه، قال: أقبلت أنا وابن عم لي يوم بدر حتى صعدنا على جبل، ونحن يومئذ على الشرك، ننظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب، إذ رأيت سحابة دنت منا، فسمعت منها حممة الخيل وقعقة الحديد، وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فأنكشف قناع قلبه فمات، وأما أنا فكدت أهلك، فتماسكت واتبعت بصري حيث تذهب السحابة، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنت أسمع (٣).

قال الواقدي: وحدثني عبدالرحمن بن الحارث عن أبيه عن جده عبيد بن أبي عبيد عن أبي رهم الغفاري عن ابن عمه، قال: بينا أنا وابن عم لي على ماء، فلما

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٦١ ح ٣ باب العمامم.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٥٩.

رأينا قلة من مع محمد صلى الله عليه وآله وكثرة قريش، قلنا: إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه وانتهبنا، فانطلقنا نحو المحنبة اليسرى من أصحاب محمد ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش، فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا، فرفعنا أبصارنا لها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه: اقدم حيزوم، وسمعناهم يقولون: رويداً بتمام آخركم، فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم جاءت أخرى مثل تلك فكانت مع النبي صلى الله عليه وآله، فنظرنا إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وإذا هم على الضعف من قريش، فأت ابن عتي، وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي صلى الله عليه وآله بذلك وأسلمت (١).

وروى عبيد بن عمير قال: لما رجعت قريش من أحد، جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا، ويقولون: لم نرا الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر (٢).

وروي عن سهيل بن عمرو قال: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون (٣).

قال الواقدي: وكان أبو أسيد الساعدي يحدث بعد أن ذهب بصره، ويقول: لو كنت معكم الآن بيدرو كان معي بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لأشك فيه ولا أمترى (٤).

وعن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: كان أبولهب قد تخلف

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٦٠.

(٢) تفسير روح المعاني: ج ٤ ص ٤٧.

(٣) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٨١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٥٩.

عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، فلما قدم أبوسفیان بن الحرث بن عبدالمطلب، قال له أبولهب: هلّم إليّ يا ابن أخي فعندك الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ فقال: لا شيء والله إن كنا إلّا أن لقيناهم فنحنأهم أكتافنا يقتلون ويأسرون، وأيم الله مع ذلك ماألمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، ماتلق شيئاً ولايقوم لها شيء، قال أبورافع: فقلت: إنّ تلك الملائكة، فرفع أبولهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة (١).

وقال ابن الأنباري: كانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميين، فعلمهم الله بقوله: «فاضربوا فوق الأعناق» أي: على الرؤوس، «واضربوا منهم كلّ بئان» (٢).

قال ابن عطية: هو كلّ مفصل (٣).

قال السهيلي: جاء في التفسير: أنه ما وقعت ضربة إلّا في رأس أو مفصل، وكانوا يعرفون قتل الملائكة من قتلهم بآثار سود في الأعناق والبنان (٤).

وعن إمامة بن سهل بن حنيف قال: قال لي أبي: لقد رأيتنا يوم بدر، وإنّ أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف (٥).

وقال عكرمة: كان يومئذ ينذر رأس الرجل لا يُدرى من ضربه (٦).

وروي: أنّ رجلاً من الأنصار أتبع كافراً ليقتله، فقبل أن يصل إليه سمع صوتاً يقول: إقدام حيزوم، فرأى الكافر الذي قدأه وقع صريعاً، وقد شق صدره وجرح وجهه وانكسر أنفه، فجاء الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بما رآه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت فهو من مدد السماء (٧).

(١) مجمع البيان: ج ٣- ٤: ص ٥٢٨ مع اختلاف يسير في العبارة. (٦) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٨٣.

(٢) و(٣) و(٤) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٨٣. (٧) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٨٣.

(٥) الدر المنثور: ج ٣ ص ١٧١.

قال الواقدي: وكان عبدالرحمن بن عوف يقول: رأيت يوم بدر رجلين، أحدهما عن يمين النبي صلى الله عليه وآله والآخر عن يساره، يقاتلان أشد القتال (١).
وروى أبودبرة بن دينار قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤس فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله: أما اثنان فقتلتها، وأما الثالث فلإني رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه ضربة فتدهله أمامه فأخذت رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك فلان من الملائكة (٢).

قال الواقدي: وحدثني موسى بن محمد عن أبيه قال: كان السائب بن أبي حبيش الأسدي يحدث في زمن عمر بن الخطاب، فيقول: والله ما أسرفي يوم بدر أحد من الناس، فيقال: فمتن؟ فيقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض فأوثقني رباطاً، وجاء عبدالرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبدالرحمن ينادي في العسكر: من أسره هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرفني، حتى انتهى بي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لي رسول الله: يا ابن أبي حبيش من أسرك؟ قلت: لأعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أسره ملك من الملائكة كرم، إذهب يا ابن عوف بأسيرك، فذهب بي عبدالرحمن، قال السائب: وما زالت تلك الكلمة أحفظها، وتأخر إسلامي، حتى كان منه ما كان (٣).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً، وإنكار كل ذلك ضعف في الدين ووهن في اليقين.

وجملة قوله عليه السلام: «تقطع به دابرهم» في محل جر على أنها صفة أخرى لـ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٦١.

(٢) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٨١.

(٣) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٨١.

«بأس»، ويجوز أن تكون في محل نصب على أنها صفة أخرى لـ «جنداً» فالضمير في «به» على الأول راجع إلى البأس، وعلى الثاني عائد إلى الجند. وقول بعضهم: إنها في محل نصب على أنها مفعول مطلق لـ «ابعث»، نائب مناب بعثاً الذي عاد الضمير في «به» إليه، خبط صريح؛ فإن الجملة لا تقع مفعولاً مطلقاً إلا في باب الحكاية بالقول أو مرادفه على رأي ابن الحاجب (١)، خلافاً للجمهور في نحو: «قال إني عبدالله» وقد تقدّم بيان ذلك في شرح السند.

ودابر القوم: آخرهم، قال الجوهرى: قطع الله دابرهم أي: آخر من بقي منهم (٢).

وقال الأصمعي: الدابر: الأصل، يقال: قطع الله دابرهم أي: أصلهم (٣). وقال الزمخشري: الدابر: الآخر، فاعل من دبر: إذا أدبر، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال بحيث لم يترك منهم أحد (٤).

وحصدت الزرع بالحاء والصاد المهملتين حصداً - من باب ضرب وقتل -: قطعتة، فهو محصود وحصيد، وحصدتهم بالسيف: استأصلهم، والشوكة: شدة البأس والقوة في السلاح، وقال الزمخشري: الشوكة: الحدة، مستعارة من واحدة الشوك، ويقال: شوك القنال شباها (٥).

وهو حدها، أي: تستأصل به حذتهم وشدة بأسهم وقوتهم. وفي نسخة: «تخضد به شوكتهم» بالحاء والصاد المعجمتين، من خضدت العود رطباً أو يابساً - من باب ضرب - أي: قطعتة. وفرقت الشيء تفريقاً: بددته تبديداً. والمراد بعددهم: مقدار ما يعدّ منهم ومبلغه، والله أعلم.

(١) لم نعرّضه.

(٣) لسان العرب: ج ٤ ص ٢٦٨.

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٦٥٣.

(٤) و (٥) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٩٩.

اللَّهُمَّ وَأَمْزِجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَأَطْعِمْتَهُمْ بِالْأَذْوَاءِ، وَارْمِ بِلَادَهُمْ
بِالْخُسُوفِ، وَأَلِجْ عَلَيْهَا بِالْقُدُوفِ، وَأَفْرِغْهَا بِالْمُحُولِ، وَاجْعَلْ مِيرَهُمْ فِي
أَحْصَى أَرْضِكَ وَأَبْعَدِهَا عَنْهُمْ، وَأَمْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ، أَصْبِئَهُمْ بِالْجُوعِ
الْمُقِيمِ، وَالسَّقَمِ الْأَلِيمِ.

مزجت الشيء بالشيء مزجا - من باب قتل - : خلطته، ومزاج الشراب: ما يمزج به.

والمياه: جمع ماء؛ لأن أصله ماء، وقيل: مَوّه، تحركت الواو وانفتح ما قبلها
فقلبت ألفاً، وقلبت الهاء همزة لاجتماعها مع الألف وهما حرفان حلقيان،
ووقوعهما طرفاً، ولهذا يردّ إلى أصله في الجمع والتصغير، فيقال: مياه ومويه، ويجمع
على أمواه أيضاً مثل باب وأبواب، وربما قالوا: مباء وأمواء بالهمز على لفظ
الواحد (١)، كما وقع في نسخة ابن إدريس: «وآمزج مياههم». والوباء بالهمزة يمد ويقصر قيل: هو مرض عام، وقيل: موت ذريع، وقيل:
هو الطاعون.

وقال الشيخ البصير في النزهة المبهجة: الوباء: حقيقة تغير الهواء بالطوارئ
العلوية كاجتماع كواكب ذات أشعة، والسفلية كالملاحم وانفتاح القبور وصعود
أبخرة فاسدة، وأسبابه مع ما ذكر تغير فصول الزمان والعناصر وانقلاب الكائنات،
وعلاماته الحمى والجدرى والنزلة والحكة والأورام، ومنه الطاعون وهو قراح يقع
غالباً في المراق السخيفة كخلف الأذن والإبط والمغابن (٢)، إنتهى.

والأطعمة: جمع طعام، والمراد به هنا معناه العرقي، فإنه في العرف اسم لما
يؤكل، مثل الشراب اسم لما يُشرب، ويقع في اللغة على ما يساغ حتى الماء وذوق
الشيء.

(٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(١) وفي نسخة «الواو».

وفي التنزيل «وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي» (١)، وقال عليه السلام في زمزم: إنها طعام طعم (٢) بالضم أي: يشبع منه الإنسان. والأدواء: جمع داء، وهو المرض..

قال الفيومي: وهو مصدر داء الرجل والمضوي داء من باب تعب (٣). وخسف المكان خسفاً وخسوفاً - من باب ضرب -: غار في الأرض، وخسفه الله، يتعدى ولا يتعدى، قال تعالى: «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ» (٤).

ومعنى رميها بالخسوف: أن يُخسف بها، كما يقال: رماه الله بالعلة أي: أعله، وأصله في الأعيان وفيما يكون ذا صلاحية منها كالحجر والسهم والعصا، ثم استعمل في الأقوال والمعاني، فقليل: رماه بها حشة، ورماه بداهية؛ إيداناً بشدة التأثير والإيلام، وهي استعارة تبعية. وخفي هذا المعنى على بعض المترجمين، فظن أن الرمي لا يستعمل إلا في السهم، فقال: شبه الخسوف بالسهم فأثبت له الرمي، أي: ارم بلادهم بسهم الخسوف، وهو جهل منه بمصطلحات لغة العرب. وألح الرجل على الشيء إلحاحاً: دام عليه ولزمه مواظباً.

والقذوف: جمع قذف، وهي الرمي بالحجارة.

وقال الطيبي في شرح المشكاة في حديث: فإنه يكون بها خسف في الأرض وقذف، أي: ريع شديد بارد، أو قذف الأرض الموتى بعد الدفن، أو رمي بأمطار الأحجار (٥)، انتهى.

ومعنى ألح عليها بالقذوف أي: اجعل القذوف عليها دائمة، مواظبة لها، لا تنقطع عنها.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٨١.

(٢) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٣٩. (٥) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) المصباح المنير: ص ٢٧٨.

وفرعت رأسه بالسيف والعصا بالفاء والراء والعين المهملتين فرعاً. من باب نفع-. علوته ضرباً، والفرس باللجام: كبعته أي: جذبت لجامه ليقف. والمحول: جمع محل، وهو الجذب وانقطاع المطر، والمراد بفرعها بالمحول: القضاء عليها بأنواع الجذب والقحط وانقطاع الأمطار. وعبر عن ذلك بالفرع على طريق الاستعارة التبعية، سواء أخذناه من فرع الرأس بالسيف، أو من فرع الفرس باللجام.

ووجه الشبه على الأول شدة الإصابة؛ لأنه أراد أن يلحق شدة إصابة بلادهم بالمحول، بشدة إصابة الرأس بالسيف والعصا، ويجعله مساوياً له ومحسوباً في عداده. وعلى الثاني: شدة الكف والمنع، فيكون قد شبه القضاء على بلادهم بمنعها عن الإنبات والخصب بالمحول، بقصد الفرس وكبحه عن المشي باللجام في شدة الكف والمنع.

ولا يحسن جعل ذلك من باب الاستعارة المكنية؛ إذ لا يحسن ابتداء تشبيه البلاد بالرأس أو الفرس، ولا المحول بالسيف والعصا أو اللجام، نعم يلاحظ التشبيه في هذه الأمور تبعاً لذلك التشبيه في مصدر الفعل، فيجب أن تكون الاستعارة هنا تبعية لا غير.

وفي نسخة ابن إدريس رحمه الله: «وأفرغها» على صيغة فعل الأمر، من الإفراغ بالغين المعجمة بمعنى: الإخلاء، أي: اجعلها فارغة خالية من الزرع بسبب المحول. والمير: جمع ميرة بالكسر، وهي الطعام الذي يجلب من بلد إلى بلد.

والحص: في الأصل حلق الشعر، ومنه الحاصة، وهو داء يتناثر منه شعر الرأس، ويقال: حصت البيضة رأسه: إذا أذهبت شعره، وانحص شعره انحصاصاً أي: تناثر وذهب، ورجل أحص بين الحصص أي: قليل شعر الرأس، ثم استعير في الجذب وقلة الخير وعدم النبات، وقيل: سنة حصاء أي: جرداء مجذبة لا خير فيها، ومنه قوله

عليه السلام: «(في أحصّ أرضك)» أي: أكثرها محصوية على غير قياس، من حصّ الجذب الأرض: إذا أذهب نباتها، استعارة من حصّ الشعر كما ذكرنا. واستعمال أفعال التفضيل في المفعول وإن كان غير قياس، إلا أن المسموع منه كثير، نحو: أعذر وأشهر وألوم وأشغل، أي: أكثر معذورية ومشهورية وملومية ومشغولية، وقوعه في كلامه عليه السلام لا يحتاج فيه إلى السماع من غيره قطعاً؛ فإنه عليه السلام أفصح العرب في زمانه.

ويجوز أن يكون المعنى: أكثرها انحصاصاً، فيكون مبنياً للفاعل من انحصّ، على ما نقل عن الأخفش والمبرد، من جواز بناء أفعال التفضيل من جميع الثلاثي المزيد فيه كأنفعل واستفعل ونحوهما قياساً، ويكون وقوعه في كلامه عليه السلام حجة لهما.

وأبعد: أفعال التفضيل من بعد الشيء بعداً أي: شطّ ونسأى. والمعنى اجعل ميرهم في أبعد أرضك منهم؛ حتى لا يستميروها متى شاءوا ولا تتواتر عليهم. وفي بعض النسخ: «(وأبعدها)» بفتح الهمزة وكسر العين وسكون الدال، على صيغة فعل الأمر من الإبعاد، فيكون الضمير فيه عائداً إلى ميرهم، أي: واجعل ميرهم بعيدة.

وأمنع: اسم تفضيل من منع الحصن مناعةً على وزن ضحّم ضخامةً. أي صار منيعاً.

والحصون: جمع حصن بالكسر، وهو كلّ موضع حصين لا يوصل إلى جوفه، أي: واجعل ميرهم في أشدّ حصون أرضك مناعةً، حتى لا يقدرُوا على الوصول إليها.

وفي نسخة: «(وامنع حصونها منهم)» على صيغة فعل الأمر. ومنع الحصون: من منعت الشيء: إذا حجرتة عمن يريد، ومنه: فلان يمنع

الجارأي: يحميه من أن يراد بسوء.
والضمير في «حصونها» على هذه النسخة عائد إلى الأرض، والمعنى: وامنع
حصون أرضك منهم كيلا يتحصنوا بها، أو كيلا يقدرُوا على فتحها وأخذها.
وجملة قوله عليه السلام: «أصبحهم بالجوع المقيم» مؤكدة لمعنى ما قبلها؛ ولذلك
جاء بها مفصولة من غير عاطف لكمال الاتصال؛ إذ لا مغايرة تفتقر إلى الربط
بالعاطف.

والمراد بالجوع: الجذب والقحط مجازاً، من باب إطلاق المسبب على السبب،
أي: أصبحهم بقحط يتسبب عنه الجوع، ومنه قوله تعالى: «لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً» (١)
أي: مؤنة من مهر ونفقة ومالا بدلاً للمتزوج منه.
والمقيم: الدائم، ممن أقام بالمكان: دام، ومنه: «عذابٌ مُقيمٌ» (٢)، قال
المفسرون: أي: دائم ثابت لا يزول ولا يتحول. كما في قوله تعالى: «وَالسَّعِيرُ هُنَّ
وَالسَّقَمُ بِالضَّمَ وَالسَّكُونُ وَبِفَتْحَتَيْنِ: المرض.

وقال الفيومي: سقم سقماً - من باب تعب - طال مرضه، وسقم سقماً - من
باب قرب - مثله، فهو سقيم (٣).

والألیم قيل: فاعيل بمعنى مفعول بفتح العين لأنه من ألم يؤلم إيلاًماً فهو مؤلم، وألم
هو ألماً - من باب تعب - فهو ألیم، كما تقول: أوجعه يوجعه إيجاعاً فهو موجد، ووجع
هو وجعاً فهو وجيع. وصف به السقم للمبالغة كما وصف الله به العذاب في قوله:
«وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٤)، كما وصف الشاعر الضرب بالوجيع في قوله:

• تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ •

(١) سورة النور: الآية ٣٣.

(٣) المصباح المنير: ص ٣٨١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٦٣.

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَارَ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ
جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ، لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى، وَحِزْبُكَ الْأَقْوَى،
وَحَظُّكَ الْأَوْفَى، فَلَقَّهِ الْيُسْرَ، وَهَيَّأْ لَهُ الْأَمْرَ، وَتَوَلَّهِ بِالنَّجْحِ، وَتَخَيَّرْ
لَهُ الْأَصْحَابَ، وَاسْتَقْوِلْهُ الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي السَّنَقَةِ، وَمَتِّعْهُ
بِالنَّشَاطِ، وَأَطْفِ عَنهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَأَنْسِ
ذِكْرَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَأَثِّرْ لَهُ حُسْنَ النَّيَّةِ، وَتَوَلَّهِ بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحِبْهُ
السَّلَامَةَ، وَأَغْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَالْهَمَّةُ الْجُرْأَةُ، وَأَرْزُقْهُ الشَّدَّةَ، وَأَيِّدْهُ
بِالنُّصْرَةِ، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنهُ الرِّيَاءَ،
وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ فِيكَ وَلَكَ.

وهو على الإسناد المجازي نحو: جدّ جدّه؛ فإنّ الألم والوجع حقيقة للمولمّ
المضروب كما أنّ الجدّ للجادّ، *تكملة في بيان علوم رمزي*
وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول بكسر العين، كالسميع بمعنى المسمع والحريز بمعنى
المحرز وضعف: بأنّ فاعلاً بمعنى مفعول لم يثبت في اللغة، وإن ورد فشاذ لا يقاس
عليه، وسيأتي تمام الكلام على ذلك في الروضة السابعة والأربعين، في شرح دعائه
عليه السلام في يوم عرفة.

الواو: عاطفة للإشعار بأنّ ما بعدها من تسمّة الدعاء الأوّل.

وأي: اسم شرط؛ بدليل الفاء الرابطة: في الجواب.

وما: مزيدة لتأكيد إبهام أي وشياعها، وقيل: نكرة؛ وغاز: بدل منها.

وارتفاع «أَيُّمَا» على الابتداء، واختلف في الخبر، فقيل: هو جملة الشرط؛ لعدم
خلوها من الضمير في حال، بخلاف جملة الجواب في نحو: أَيُّهُمْ قَامَ قَتَ، وكلمة
الشرط إذا ارتفع على الابتداء فلا بدّ له من ضمير، فيتعيّن كون الخبر جملة الشرط
دون جملة الجواب، وهو اختيار الأندلسي ومحققي المتأخرين، وقيل: هو جملة الشرط

وجملة الجواب معاً؛ لصيرورتها بسبب كلمة الشرط كالجملة الواحدة، وقيل: هو جملة الجواب فقط، وقيل: اسم الشرط مبتدأ لا خبر له.

وما وقع لبعض المبتدئين من أن «أَيَّ» من «أَيُّهَا» موصولة، وجملة «غزاهم» صلتها، والفاء في قوله: «فلقاه» رابطة؛ لشبه الشرط بشبه الجواب، غلط صريح؛ لأن «أَيُّهَا» الموصولة لا تضاف إلى نكرة كما نص عليه الجمهور، وهي هنا مضافة إليها فتعين شرطيتها.

وتجوز بعضهم إضافة الموصولة إلى النكرة نحو: يعجبني أي رجل عندك، مردود بأنها حينئذ نكرة، والموصولات معارف.

وقوله: «غزاهم وجاهدهم» أي: أراد غزوهم وجهادهم، من باب التعبير بالفعل عن إرادته مجازاً، نحو: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» (١)، و«إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» (٢)، وعلى هذا فالمراد بالغازي والمجاهد مريد الغزو والجهاد مجازاً أيضاً، من باب تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه نحو: «أراني أعصرُ خمرًا» (٣).

والظرف من قوله: «من أهل ملتك»: متعلق بحذوف وقع صفة لغاز، أي: كائن من أهل ملتك.

والملة بالكسر: مآشرع الله لعباده على السنة أنبيائه عليهم السلام، وتستعمل في جملة الشرائع لافي آحادها، وقيل: الملة والذين يتحدان بالذات ويختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمى ملة، ومن حيث إنها يطاع بها تسمى ديناً.

وقوله: «أو مجاهد» معطوف على غاز، وإيثار «أو» الفارقة على الواو الجامعة؛

(١) سورة النحل: الآية ٩٨. (٢) سورة المائدة: الآية ٦. (٣) سورة يوسف: الآية ٣٦.

للاحتراز عن توهم اتحاد الغازي والمجاهد؛ إذ كان المجاهد أعم من الغازي؛ لأن الغزو إنما يكون في بلاد العدو والجهاد مطلق، فكل غاز مجاهد دون العكس. والجهاد لغة: قتال العدو، من جاهدته مجاهدةً وجهاداً: إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله، كذا قيل، والظاهر أن المفاعلة فيه على بابها؛ لأن كل واحد من الخصمين يجهد في الغلبة على صاحبه، وخص في الشرع بقتال الكفار ونحوهم في طاعة الله، وهو أقسام:

جهاد المشركين ابتداءً لدعائهم إلى الإسلام.

وجهاد من يدهم المسلمين من الكفار، بحيث يخافون استيلاءهم على بلادهم وأخذ مالهم وما أشبهه، وإن قل. وجهاد البغاة على الإمام. وجهاد من يريد قتل نفس محرمة أو أخذ مال أوسبي حريم مطلقاً. والمراد به هنا القسمان الأولان. والأتباع: جمع تبع بفتحيتين.

قال الفيومي: المصلي تبع لإمامه والناس تبع له، يكون واحداً وجمعاً، ويجوز جمعه على أتباع كسبب وأسباب (١)، إنتهى.

وهو في الأصل من تبع زيد عمرواً تبعاً. من باب تعب. إذا مشى خلفه، ثم أطلق على مطلق الاثتمام بالشيء، والافتداء به فعلاً واعتقاداً، ومنه: تبع القرآن أي: اتبعت به وعمل بما فيه، وهو المراد هنا.

وسنة الله: طريقته التي أمر بسلوكها واتباعها.

وقوله: «ليكون» ظرف لغو متعلق بغزاهم وجهادهم على سبيل التنازع.

والأعلى: اسم تفضيل من علا يعلو بمعنى: ارتفع.

وقال الفارابي (١) والجوهرى (٢): علا المكان يعلو علواً - من باب قعد - وعلا في الشرف يعلو على - من باب علم - والمراد به هنا: الارتفاع في الشرف والقدرة، أو هو من علا فلان فلاناً أي: غلبه وقهره، كقوله تعالى: «لَا تَخَفْ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» (٣) أي: الغالب الظافر.

وتعريفه بلام الجنس لإفادة القصر، أي: ليكون التفضيل في العلو مقصوراً على دينك لا يتجاوزه، وصورة التفضيل مجرّد التأكيد؛ إذ لا علو ولا فضل لغير دينه تعالى حقيقة.

والحزب بالكسر: الطائفة من الناس، وحزب الرجل: جنده وأصحابه الذين على رأيه، وحزب الله: أنصار دينه وعباده المتقون. وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط، وإذا أخبر عنه فقد يعتبر لفظه فيخبر عنه بالمفرد كعبارة الدعاء، وقد يعتبر معناه فيخبر عنه بالجمع كقوله تعالى: «فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ الْغَالِبُونَ» (٤).

والأقوى: أفعل تفضيل من القوة، والمراد بها: كمال القدرة وشدة الممانعة، ويقابلها الضعف.

والحظ يطلق على معنيين: أحدهما: الجدة بالفتح بمعنى البخت والإقبال في الدنيا، وهو أحد الوجوه التي فسرها قوله تعالى حكاية عن الجن: «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا» (٥).

قال الزمخشري: هو استعارة من الجدة الذي هو الدولة والبخت؛ لأن الملوك والأغنياء هم المجدون (٦). والثاني: النصيب، وهو الحصة، وكل من المعنيين يصح إرادته هنا. فالأول على الاستعارة كما علمت، والثاني على المجاز الذي

(١) لم نتحققه. (٤) سورة المائدة: الآية ٥٦.

(٢) الصحاح للجوهري: ج ٦، ص ٢٤٣٤. (٥) سورة الجن: الآية ٣.

(٣) سورة طه: الآية ٦٨. (٦) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٦٢٣.

يسمى مجازاً مرسلأ، فيكون المراد: ما يختص به سبحانه من الأمور الدينية؛ لكون النصيب لازماً لا اختصاصه بصاحبه، ولا حاجة إلى دعوى الحذف والتقدير على أن المعنى: وحظ أوليائك، كما زعمه بعضهم.

والأوفى: اسم تفضيل من وفى الشيء، يفي: إذ تم وكمل.

ولقاه الشيء، تلقية: أعطاه إياه، كأنه جعله ملاقياً له.

وفي القاموس: لقاه الشيء: ألقاه إليه (١).

ويسر الأمر يسراً - من باب قرب -: سهل فهو يسير، ويسره الله فيسر أي: سهل

عليه أموره، حتى لا يعسر ولا يشق عليه شيء منها.

وهيأت الشيء: أعددتَه وأصلحته ورتبته، وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء،

وهي صورته وشكله. والأمر: الحال، والمراد به: ما هو عليه من إرادة الغزو والجهاد، أو جميع أمره.

وتولاه الله: كان له ولياً أي: قائماً بأموره.

والنجح: بالضم اسم من أنجح الله حاجته، إنجاحاً: قضاها، وأنجح الرجل

أيضاً: قضيت له الحاجة، أي: كن له ولياً بقضاء حاجاته.

وتجئرت الشيء: اخترته وانتقيته، أي: قدر له أن يصحب خير الأصحاب، وفي

الحديث: تحيروا لنطفكم. قال الزمخشري في الفائق: أي: تكلفوا طلب ما هو خير

المناكح وأزكاها، وأبعدها من الخبث والفجور (٢).

واستقويت الدابة: طلبت أن تكون قوية، كما يقال: استكرم الشيء، أي: طلبه

كرماً، وفلان يستقره الدواب: يطلبها (٣) فارهاً أي: نشيطة خفيفة.

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٨٦.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج ١ ص ٤٠٣.

(٣) «الف» يستقره... يطلبها.

والظهر: المركوب من الدواب، سمي بذلك مجازاً، من باب تسمية الشيء باسم بعضه كالرقبة للإنسان، وخصّ الظهر لأنه موضع الركوب، وهو يطلق على الواحد من الدواب، ومنه حديث: دخل ابنة عبدالله وظهره في الدار (١) - أي: مركوبه - وهو يريد السفر للحج، وعلى الجمع منها، ومنه حديث: أتأذن لنا في نحر ظهرنا (٢)، أي: ركابنا ورواحلنا.

والمعنى: اطلب له الظهر القوي أي: يسر له راحلة قوية، وما قيل: من أن معناه قو ظهره، أو كن له ظهيراً ومقوياً، فيأباه الاستقواء.

وسبغت النعمة سبوغاً - من باب قعد: اتسعت، وأسبغها الله: وسعها وأفاضها، أي: وسع عليه في النفقة، ومنه حديث: أسبغوا لليتيم في النفقة (٣). قال ابن الأثير: أي: انفقوا عليه جميع ما يحتاج إليه، ووسعوا عليه فيها (٤). وفي: للظرفية المجازية، أي: أوقع الإسباغ في نفقته، كقوله تعالى: «وأصلح لي في ذريتي» (٥)، وقد سبق بيانه.

والنفقة بفتحيتين: اسم من الإنفاق، وهو صرف الدراهم فيما يحتاج إليه. ومثّعه الله بكذا تمتيعاً وأمتعته به إمتاعاً: أطال له الانتفاع به. ونشط في عمله ينشط - من باب تعب - خف وأسرع، وهو نشيط.

وفي الأساس: رجل نشيط: طيب النفس للعمل (٦). وطفئت النار تطفأ بالهمزة - من باب تعب - طفوءً على فعول: خمدت، وأطفأها إطفاءً: أخمدها.

(١) صحيح البخاري: ج ٢ ص ١٩١ و ١٩٢، باب ٧٦، مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٦٦.

(٣) و (٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٣٨.

(٦) أساس البلاء: ص ٦٣٣.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

والمروى في جميع نسخ الصحيفة الشريفة: «أطف» بدون همز، وهو على تخفيف الهمزة بإبدالها حرف علة وإحاق الكلمة بالمعتل؛ ولذلك حذفت الياء علامة للجزم، وهي لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وعليها قراءة أبي جعفر من العشرة: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» (١).

على وزن يعطوا، وأصله يطفئوا بهمزة مضمومة بعد الفاء. وهي قراءة ما عدا أبي جعفر، فأبدلت الهمزة ياءً لمناسبتها كسرة ما قبلها، فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان: هي وواو الجمع، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين؛ إلحاقاً لها بالمعتل الأصلي.

قال ابن التماس: إذا كان حرف العلة بدلاً من همزة، جاز فيه وجهان: حذف حرف العلة مع الجازم وبقاؤه، وهذان الوجهان مبنيان على أن إبدال حرف العلة، هل هو بديل قياسي أو غير قياسي؟ فإن قلنا: إنه بديل قياسي ثبت حرف العلة مع الجازم؛ لأنه همزة كما كان قبل البديل، وإن قلنا: إنه بديل غير قياسي صار حرف العلة متمحّضاً وليس همزة، فيحذف كما يحذف حرف العلة المحض في يغزو ويخشى ويرمي (٢)، إنتهى.

ولبعضهم تفصيل آخر في هذه المسألة، ذكرناه في شرح الصمدية فليرجع إليه (٣).

وما تكلفه بعضهم من جعل «أطف» في عبارة الدعاء من طفا الشيء فوق الماء أي: لم يرسب فيه، أو من مرّ الظبي يطفو؛ إذا خفت على الأرض واشتدّ عدوه، أو من الطفاوة بمعنى: الشيء اليسير، فهو من ضيق العطن والتعسف الذي لا يليق

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٣) الحدائق الندية: ص ٤٢٧.

(٢) لم نعر عليه.

بالمقام.

والشوق قيل: هو اهتياج القلب إلى لقاء المحبوب، وقيل: وجدان لذة المحبة اللازم لفرط الإرادة الممزوج بألم المفارقة.

والمراد بحرارته: إقامته وكلفته وشدته، استعارة من حرارة النار بجامع الإضرار المزعج، وإما الحرارة المنبعثة عن القلب بسببه؛ فإنه موجب لحركة النفس المثيرة للحرارة الغريزية، فتنبعث منتشرة لطلب الوصول إلى المحبوب ولقائه، كما بين في محله.

والمراد بإطفائه تعالى عنه حرارة الشوق: إلهامه الصبر على مفارقة من يحبه ويشاق إليه؛ لأن الشوق يحصل من أمور ثلاثة: الشعور بكمال المطلوب، وعدم القدرة على الوصول إليه، وقلة الصبر على المفارقة. وأجابه: أمنه وحفظه.

والغم: ما يلحق الإنسان بسبب مكروه نزل به، حتى كأنه يغمى عليه. والوحشة: الخلو والانفراد عمن يأنس به.

وأنسيه ذكر الأهل والولد أي: امح عن قلبه حضور أهله وولده بهاله، حتى لا ينكل عن الغزو والجهاد، ألا تفرهته عما نواه.

وأثرت الحديث أثراً - من باب قتل - : نقلته ورويته، ولما كان نقل الحديث وروايته يستلزم الإعلام به والإرشاد لمضمونه، عبر عليه السلام عن إرشاده إلى حسن النية وإعلامه بها بنقلها وروايتها له.

ولاشك أن المراد برواية حسن النية: رواية فضائلها، وماورد فيها من التأكيد في إخلاصها والاعتناء بصدقها، فيكون قد شبه الإعلام والإرشاد بالنقل والرواية في بيان تفاصيل فضلها، ثم أدخل الإعلام والإرشاد في جنس الأثر الذي هو بمعنى الرواية بالتأويل المذكور، فاستعار له لفظ الأثر، ثم اشتق منه الفعل على طريق

الاستعارة التبعية.

والمعنى: ألهمه وأرشده إلى فضائل حسن النية، حتى تحسن وتصدق نيته في الغزو والجهاد وتخلص لله تعالى.

وأما قول بعضهم: إنَّ المعنى: واخترله حسن النية، فلا يصح؛ لا تفاق النسخ على ضبط «واثر» بوصل الهمزة وضمّ الثاء المثناة على وزن «أقتل»، ولو كان بمعنى «إختر» لضبط بقطع الهمزة ومدّها وكسر الثاء المثناة، على وزن «قَاتِل» بصيغة الأمر، من أثره إشاراً بمعنى: اختاره.

وأصله «أأثر» بتحقيق الهمزتين من باب أكرم، فليئت الهمزة الثانية استثقلاً لاجتماع الهمزتين، ولم يسمع أثره أثراً من باب قتل بمعنى أثره إشاراً، فلا معدل عما ذكرناه.

وقوله: «بالعافية» أي: كن له ولياً بالباسه العافية، وهي دفاع الله عن العبد. وأصبحته الشيء، أصحاباً جعلته له صاحباً، أي: واجعل السلامة، وهي الخلوص من الآفات، لازمة له لزوم الصاحب لصاحبه. وأعفاه الله بمعنى: عافاه.

قال الجوهري: عافاه الله وأعفاه بمعنى والاسم العافية (١). وفي القاموس: عافاه الله من المكروه معافاةً وعافيةً: وهب له العافية من العلل والبلايا كأعفاه (٢).

والجبن بالضم وبضمّتين -: رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة، يقال: جبن جبناً - على وزن قرب قرباً - وجبانةً فهو جبان أي: ضعيف القلب. وألهمه الله الخير: ألقاه في روعه.

والجرأة بالضم: الشجاعة، وهي صرامة القلب على الأهوال وربط الجأش في المخاوف، وهي فضيلة: بين التهور والجبن، فالتهور: هو الثبات المذموم في الأمور المعطبة، والجبن: هو الفرع المذموم من الأمور المعطبة. وإنما قدم عليه السلام سؤال عافيته من الجبن على سؤال إلهامه الجرأة؛ لأنّ التخلية مقدمة على التحلية.

وارزقه الشدة أي: اعطه القوة في البدن والنفس؛ ليكون شديداً على الكفار كما قال تعالى: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (١). وأيده الله تأييداً: قواه.

والنصرة بالضم: اسم من نصره على عدوه نصراً - من باب قتل - : أعانه. وفي القاموس: النصر: حسن المعونة (٢). وعلمه أي: وقفه للتعليم بإعداده له بالفهم الثاقب، والسمع الواعي، والقلب المراعي، وتقييض للمعلم الناصح. والتعليم حقيقة: عبارة عن فعل يترتب عليه العلم غالباً؛ وتعليمه سبحانه لعباده يطلق على معنيين:

أحدهما: ما يكون بدون واسطة بشر، وذلك كحال الأنبياء، فإنه يفيض عليهم العلوم والمعارف إما بواسطة ملك، أو بدونه بأن يلقي في روعهم، أو يخلق فيهم علماً ضرورياً بما يريد تعليمهم إياه، ومنه: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (٣)، و«وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» (٤)، و«عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً» (٥).

والثاني: ما يكون بواسطة بشر، وذلك كحال سائر الناس، ومنه: «فَاذْكُرُوا اللَّهَ

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ٦٥.

كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» (١)، «وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ» (٢).

والسيرة جمع سيرة، وهي في اللغة الطريقة، يقال: سار في الناس سيرة حسنة أو قبيحة.

والمراد بالسيرة هنا: أحكام الجهاد، ويستفاد منه أن تغليب اسم السيرة على أحكام الجهاد اصطلاح قديم وقع في الصدر الأول؛ فإن الفقهاء إذا أطلقوا السيرة أرادوا بها المغازي.

قال الفيومي: وغلب اسم السيرة في السنة الفقهاء على المغازي (٣)، إنتهى.

ولذلك ترجم بعضهم كتاب الجهاد بكتاب السيرة (٤).

قال الرافعي: ترجموه بذلك لأن الأحكام المذكورة فيه متلقاة من سير رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، ومقصودهم به الكلام في الجهاد وأحكامه (٥).

والسُنن: جمع سنة، والمراد بها: الطريقة المحمدية فرضاً أو ندباً عملاً أو عقيدة، وقد تطلق السنن على المعلومات التي يتعلّق بها العمل.

قال الراغب: المعلوم العملي: ما يجب أن يُعلم ثم يُعمل، ويسمى تارة السنن والسياسات، وتارة الشرايع، وتارة أحكام الشرع ومكارمه، وذلك حكم العبادات، وحكم المعاملات، وحكم المطاعم، وحكم المناكح، وحكم المزاجر (٦)، إنتهى.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) المصباح المنير: ص ٤٠٦.

(٤) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٥٩.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٥٩ نقلاً عن الرافعي.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١١١.

وسدده أي: وفقه للسداد، وهو الصواب في الحكم وهو القضاء.
وعزلت الشيء عن غيره عزلاً - من باب ضرب -: نخيته عنه.

والرياء: مصدر راءاه مراءاة ورياء: إذا رأى كلّ منها الآخر، ثم غلب استعماله في القصد بالطاعة لأن يراه الناس، وذلك لأن المرائي لا يعمل إلا إذا رأى الناس وراؤه، حتى إذا كان في موضع لا يرى فيه أحداً ولا يراه أحد لم يعمل، فالمفاعلة في الرياء على بابها.

وقال الزمخشري: هي مفاعلة من الإراءة؛ لأن المرائي يُرى الناس عمله وهم يرونه الشاء عليه والإعجاب به (١)، انتهى.

وفيه نظر، فإن قولهم: وضع فاعلٌ لنسبة أصله - وهو مصدر فعله الثلاثي - إلى الفاعل متعلقاً بغيره، مع أن الغير فعلٌ مثل ذلك، وقولهم: إن فاعلٌ أصله فعل، زيدت بين الفاء والعين منه ألف، صريحٌ في أن المفاعلة لا تكون إلا من ثلاثي، فتأمل، فإن أكثر المفسرين تبعوا الزمخشري في ذلك، ولم يتنبه أحد منهم لما ذكرناه.

وأما قول صاحب القاموس: رأيت مراءاة ورناء: أريته على خلاف ما أنا عليه (٢)، فهو بيان لحاصل المعنى لبيان للمفاعلة.

فإن قلت: قد قالوا: عاطاه معاطاة أي أعطى كلّ منهم الآخر، وهو رباعي، فكيف تصحّ دعوى انحصار بناء المفاعلة من الثلاثي؟

قلت: ليس المعاطاة مفاعلة من أعطى، بل من عطى الثلاثي اللازم بمعنى تناول، لكنّه لما نُقل إلى فاعل صار متعدّياً لأجل تعلّقه بالآخر، فهو مثل كارمته من كرم، وماشيته من مشى.

قال العلامة الجاربردي في شرح الشافية: ولأجل تعلق فاعل بالأمر الآخر جاء

(١) الكشف: ج ٤ ص ٨٠٥.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٣١.

غير المتعدي إذا نقل إلى فاعل متعدياً، نحو: كآرمته؛ فإن أصله لازم وقد تعدي هاهنا (١).

وخلصت الشيء تخلصاً: ميّزته عن غيره.

والسمعة بالضم والفتح، يقال: فعل ذلك رياءً وسمعةً أي: ليراه الناس ويسمعوا به.

والمعنى: اصرف عنه وخلصه من قصد الرياء والسمعة في عمله؛ ليكون خالصاً لله، فيستعد لتلقي رحمته وقبول فضله، بالتوجه إليه والانقطاع عما سواه.

وأما العامل للرياء والسمعة، أي: ليراه الناس ويسمعوا بحاله؛ كي يعود إليه منهم ما يتوقعه من مال أو جاه أو ثناء، ونحوه من الأغراض الباطلة والأغراض الزائلة، فهو محجوب عن قبول فضل الله تعالى، مستوجب للخيبة والحرمان، من حيث التفات نفسه إلى ما سواه تعالى، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم (٢)، وعنه صلى الله عليه وآله قال: الرياء أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الأسود (٣)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإن من عمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له (٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنما يطلب تزكية الناس، يشتهي أن يسمع به الناس،

(١) شرح الشافية: ص ١٥ نقلاً بالمعنى. (٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٨٠٥.

(٢) الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٥٦. (٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٧ ح ١٧ مع اختلاف يسير في العبارة.

فإذا صافَّ عدوكَ وعدوَّةُ قَلِيلُهُمْ في عَيْنِهِ، وصَغُرْشَانُهُمْ في قلبِهِ،
وأَدِلَّ لَهُ مِنْهُمْ، وَلَا تُدِلُّهُمْ مِنْهُ، فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ

فهذا الذي أشرك بعبادة ربّه (٣).

قال بعض العارفين: كنت لا أزال أجد من نفسي شوقاً زائداً ومنازعةً شديدةً
إلى الجهاد، وأن أُقتل في سبيل الله، فحمدت من نفسي ذلك، وقلت: إنَّ الجهاد
والقتل ليس من الأمور التي يكون فيها حظُّ للنفس، فأخذت في أهبة الغزو، ثم
اتَّهمت نفسي وقلت: إنها لا تدعو إلى خير أبداً، ولا بدَّ لها في ذلك من دسيسة،
فجعلت أتأمل السبب الداعي لها إلى ذلك، حتَّى وقفت على أنها راغبة في أن
يقال: قُتل فلان في سبيل الله ومات شهيداً، فخالفتها ورجعت عما نويت.

ومن هنا قال العلماء: اجتناب الرياء من أصعب الأمور، إلَّا على من راضٍ
نفسه وملكها بالإخلاص، ولا يحصل ذلك إلَّا لمن أخذت يد العناية بزمامه.

قوله عليه السَّلام: «واجعل فكره وذكره ووطنه وإقامته فيك ولك» الذكر:
حضور معنى الشيء في النفس، ثم يكون تارةً بالقلب وتارةً باللسان.

والفكر: تردّد القلب بالتدبّر لطلب المعاني، وقيل: هو ترتيب أمور معلومة
ليتوصل بها إلى أمور مجهولة.

والظعن بفتحين: اسم من ظعن ظعنًا - من باب نفع - أي: ارتحل.

والإقامة: مصدر أقام بالمكان أي: مكث فيه.

وفيك ولك: أي كائناً في سبيلك ولأجل رضاك؛ حتَّى لا يشوب شيئاً من
أعماله غرض آخر، والله أعلم.

الفاء: للتفريع والترتيب.

وصافَّ أي: قابل، مفاعلة من الصف، يقال: صاففنا العدو في القتال أي:

بِالشَّهَادَةِ، فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوُّكَ بِالْقَتْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الْأَسْرُ، وَبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُؤَلَّى عَدُوُّكَ مُذْبِرِينَ.

رتبنا وقابلنا صفوفنا بصفوفهم، ومنه حديث: كان صلى الله عليه وآله مصافف العدو، أي: مقابلهم (١).

وعدوك وعدوه أي: المشركين، وصفهم أولاً: بعبادة الله تعالى لإثباتهم الشرك به وإبطال كلمته، وثانياً: بعبادة المسلم لإظهار عداوته وقصدتهم لمحاربتهم وهلاكه، كما قال تعالى: «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (٢).

وتقليلهم في عينه: بأن يراهم قليلاً؛ ليقوى قلبه على محاربتهم ولا يهابهم، وإنما يُتَصَوَّرُ ذلك بصدده تعالى العين عن رؤية بعض دون بعض مع التساوي في الشروط، لأن الرؤية وسائر الإدراكات محض خلق الله تعالى لا تجب عند تحقق ما يجعله الفلاسفة شرطاً، ولا تمتنع عند فقد بعضها، وقد فعل تعالى ذلك يوم بدر، فقلل المشركين في أعين المسلمين تثبيطاً لهم، حتى قال ابن مسعود لمن إلى جنبه: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة، قال: فأسرنا منهم رجلاً فقلنا له: كم كنتم؟ فقال: ألفاً (٣).

وقلل المسلمين في أعين المشركين ليجترؤوا عليهم ولا يستعدوا لهم، حتى قال أبو جهل: إن محمداً وأصحابه أكلة جزور، وذلك حيث يقول عزم قائل في محكم كتابه: «وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَقُّمِ فِي أَغْيُنِكُمْ قَلِيلاً، وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» (٤).

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً؟ قلت: بأن يستراهم عنهم بعضه بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون له الكثير، كما أحدث في أعين الحول ما يرون له الواحد اثنين.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج ٨ ص ٢٢.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٤٤.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٧-٣٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

قيل لبعضهم: إنَّ الأحول يرى الواحد اثنين، وكان بين يديه ديك واحد، فقال: مالي لا أرى هذين الديكين أربعة؟ (١) إنتهى.

وصغر شأنهم في قلبه أي: حقره وأذهب مهابته، من الصغار بالفتح: وهو الحقارة والذل والمهانة، لا من الصغر كعنب: وهو خلاف العظيم في الجرم.

وشأنهم بهمز العين: أي أمرهم وحالهم، وهو ما هم عليه من شدة البأس وقوة الشوكة وكثرة العدد والعُدَد، حتَّى لا يصدّه الالتفات إلى شيء من ذلك عن الإقدام عليهم.

وأدل له منهم ولا تدلهم منه أي: اجعل الكرة والنصر والغلبة له عليهم، ولا تجعل الكرة والنصر والغلبة لهم عليه.

قال الزمخشري: أدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه (٢)، ومجازه: نزع الدولة من عدوهم وآتاهم إياها.

وقال ابن الأثير: في الحديث: ثقيف ندال عليهم ويدالون علينا، الإدالة: الغلبة، يقال: أدبل لنا على أعدائنا أي: نصرنا عليهم، ومنه حديث أبي سفيان وهرقل: ندال عليه ويدال علينا، أي: نغلبه مرة ويغلبنا أخرى (٣).

وإنما عدَّى أدل في الأول باللام، مع أنَّ أصله يتعدَّى بنفسه، كما وقع في قوله «ولا تدلهم»؛ لتضمينه معنى الانتصار، أي: وانتصر له مديلاً منهم.

وفائدة ذلك تأكيد الإدالة للغازي والمجاهد؛ لأنَّ فائدة التضمين أن يدل بكلمة واحدة على معنى كلمتين؛ ولذلك لم يأت باللام في قوله: «ولا تدلهم منه»، بل جاء به على أصله.

يدلُّك على هذا قول الزمخشري: الفرق بين سمعت فلاناً يتحدَّث وسمعت إليه

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ١٤١.

(١) الكشف: ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) الأساس: ص ١٩٨.

يتحدّث، أنّ المعدّي بنفسه يفيد الإدراك، والمعدّي بالي يفيد الإصغاء مع الإدراك (١).

وأما قول بعضهم: إنّ اللام في «أدل له» لتقوية العامل، فلا يعول عليه؛ لأنّ لام التقوية إنّما تزداد لتقوية عامل ضعيف، إمّا بتأخّره نحو: «إنّ كنتم للرؤيا تعبّرون» (٢)، أو بكونه فرعاً في العمل نحو: «مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ» (٣)، وأما العامل السقوي فلا يؤتى بهامعه إلّا شاذّاً نادراً، نحو:

«ولا الله يعطي للعصاة منها»

وتخريج كلام المعصوم عليه السلام على الشاذّ النادر لا وجه له.

قول عليه السلام: «فإن ختمت له بالسعادة» أي: ختمت له حياته بالسعادة، وإنّما حذف المفعول لتعنيته، ولأنّ الغرض هو ذكر المختوم به. والمراد بالسعادة: الشهادة، كما يفسره قوله بعده: «وقضيت له بالشهادة»، وسمي الشهادة سعادة مجازاً من باب تسمية الشيء باسم سببه؛ لأنّ الشهادة سبب لحصول السعادة المطلقة التي هي حسن الحياة في الآخرة، وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعلم بلا جهل، وقدرة بلا عجز، وغنى بلا فقر، وإيّاهما قصد تعالى بقوله: «وأما الذين سُعدوا في الجنّة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلّا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ» (٤).

وقوله عليه السلام: «ختمت» أي: أردت الختم؛ بقريضة جواب الشرط، وهو من باب إطلاق ما وضع للمسبب على السبب؛ لكون الختم مسبباً عن إرادته.

قال السيّد الشريف: والتعبير بالفعل عن إرادته نوع كثير الموارد شائع

(٣) سورة البقرة: الآية ٩١.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٨.

(١) الكشف: ج ٤ ص ٣٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٤٣.

الاستعمال (١).

قال ابن هشام: وأكثر ما يكون ذلك بعد أداة الشرط، نحو: «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط»، «وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به» (٢)، وأمثله كثيرة. قوله عليه السلام: «وقضيت له بالشهادة» أي: حكمت، أو أمضيت الحكم، أو أتممت وأكملت له عمره؛ فإن القضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى امضاء الحكم وبمعنى الاتمام والاكمال.

والشهادة: القتل في سبيل الله تعالى، سمي شهادة لأن الله تعالى شهد لصاحبه بالجنة أولاً ثم ملائكة الرحمة شهدت نقل روحه إلى الجنة، أو لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، أو لأن عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً وهو الدم؛ فإنه يُبعث يوم القيامة وأوداجه تشخب دعاءً، وقيل غير ذلك، وقد تقدم في آخر الروضة الأولى. قوله عليه السلام: «فبعد أن يحتاج عدوك بالقتل» الفاء: رابطة لجواب الشرط، والظرف متعلق بمحذوف أي: فليكن ذلك من الختم له بالسعادة والقضاء له بالشهادة بعد أن يحتاج عدوك أي: يهلك عدوك ويستأصله بالقتل.

قال ابن الأثير في النهاية: في الحديث: إن أبي يريد أن يحتاج مالي، أي: يستأصله ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً، وهو افتعال من الجائحة، وهي آفة تهلك الأموال والثمار، وكل مصيبة عظيمة، وفتنة مبيرة جائحة (٣).

وقال الزمخشري في الفائق: الجائحة: اسم فاعل من جاحته تجوحه: إذا استأصلته، وهي المصيبة العظيمة في المال التي تهلكه (٤).

وينبغي أن يؤول قوله عليه السلام: «بعد أن يحتاج عدوك»، إما بحمل الاجتياح على مشارفته، أي: بعد أن يشارف أن يحتاج عدوك، والتعبير بالفعل

(١) لم نعر عليه.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٣١١.

(٢) مغني اللبيب: ص ٩٠٣.

(٤) الفائق في غريب الحديث ج ١ ص ٢٤٢.

عن مشارفته شائع الاستعمال، ومنه: «وليسخس الذين لوتركوا من خلفهم» (١) أي: لوشارفوا أن يتركوا، وأما بحمل العدو على أكثرهم؛ ليكون منهم من قضيت الشهادة للغازي أو المجاهد على يديه، وآلا إذا حمل على ظاهره من الاجتياح بمعنى الاستئصال لجميعهم حقيقة تعذرت الشهادة؛ لأن المراد بها في هذا المصاف، ولا يتصور ذلك مع استئصال العدو.

وإن فسرنا الاجتياح بالإصابة بعظيم المكروه، كما قال أبو سليمان الخطابي: اجتاحتهم الزمان: إذا أصابهم بمكروه عظيم (٢)، فلا حاجة إلى التأويل؛ إذ هو أعم من الاستئصال.

قوله عليه السلام: «وبعد أن يجهد بهم الأسر» قيل: الواو هنا بمعنى أو، كما يدل عليه سياق الكلام. ولا حاجة إلى ذلك؛ لأن الواو قد تعطف الشيء على لاحقه، فيجوز أن يكون الأسر قبل القتل والقتل لاحق به، وقدمه في الذكر للاعتناء والاهتمام بوقوعه.

وأما البعدية فهي متعلقة بالختم والقضاء كالأولى، لا بالاجتياح حتى يكون مفادها الترتيب.

وجهده الأمر والمرض جهداً - من باب نفع -: بلغ منه المشقة.

والباء في قوله: «بهم»: إما زائدة في المفعول نحو: «فليتمدّد بسبب إلى السماء» (٣)، وإما لتضمين الجهد معنى الإضرار.

والأسر: الأخذ بالقهر، وأصله الشدة يقال: أسره أسراً - من باب ضرب -: إذا شده بالإسار ككتاب، وهو القد الذي يشد ويوثق به الأسير.

وفي نسخة ابن إدريس: «وبعد أن يديخهم الأسر» وضبط بسكون الياء المثناة

(٣) سورة الحج: الآية ١٥.

(١) سورة النساء: الآية ٩.

(٢) تهذيب الأسماء: الجزء الأول القسم الثاني ص ٥٧ نقلاً عنه.

قبل الحاء المعجمة من باب الإفعال، وبتشديدها من باب التفعيل، وكلاهما بمعنى يذلّهم ويقرهم، من داخ أي: ذلّ وخضع.
قال ابن الأثير: في الحديث: أداخ العرب ودان له الناس: أي: أذلّهم. من داخ أي: ذلّ وأدخته أنا (١).

وفيه: ففتح الكفرة وديّخها، أي: أذلّها وقهرها، يقال: ديّخ ودوّخ بمعنى واحد، ومنه حديث الدعاء: بعد أن يديّخهم الأسر، وبعضهم يرويه بالذال المعجمة، وهي لغة شاذة (٢) إنتهى كلام ابن الأثير.
وفي القاموس: داخ: ذلّ، والبلاد: قهرها واستولى على أهلها، كدوّخها وديّخها (٣).

قوله عليه السلام: «وبعد أن تأمن أطراف المسلمين» الأطراف: جمع طرف بفتحين، وهو هنا إما بمعنى الطائفة أي: طوائف المسلمين، ومنه قوله تعالى: «ليقطع طرفاً من الذين كفروا» (٤) أي: طائفة منهم، قيل: شبه من قُتل منهم بطرف يُقطع من البدن، وفي الحديث: فال طرف من المشركين على النبي صلى الله عليه وآله، أي: قطعة عظيمة منهم (٥).

وإما بمعنى الناحية، فيكون على حذف مضاف أي: أطراف بلاد المسلمين.
قال في الأساس: تفرّقوا في أطراف الأرض أي: نواحيها (٦).
واسناد الأمن إليها حينئذٍ مجاز حكمي، والمعنى: بعد أن يأمن أهل النواحي من بلاد المسلمين.

قوله عليه السلام: «وبعد أن يولّي عدوك مدبرين» وليّ وتولّى: انصرف

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ١٣٨، وفيه: أنا فداخ.
(٢) النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٧.
(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٥٩.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٧.
(٥) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١١٩.
(٦) أساس البلاغة: ص ٣٨٨.

اللَّهُمَّ وَإِيَّامَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِيًا أَوْ مُرَابِطًا فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعَتَادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ اتَّبَعُهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً، فَأَجْرُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ وَزَنًا بَوَازَنَ، وَمِثْلًا بِمِثْلٍ، وَعَوَاضُهُ مِنْ فِعْلِهِ عَوَاضًا حَاضِرًا، يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعُ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أَتَى بِهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا أُجْرِيَتْ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدَتْ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ.

ذاهباً، وقيل: ذهب هارباً.

وأدبر بمعنى: ولى، واشتقاقه من الدبر بالضم وبضمّتين، وهو من كل شيء عقبه ومؤخره؛ لأنّه إذا أدبر عن الشيء فقد جعله عقبه.

ومدبرين: حال مؤكدة لعاملها معنى؛ لأنّ الإدبار والتولية بمعنى، وإنّما يقال: ولى مدبراً: إذا انهزم ومنه قوله تعالى: «وَلْيُؤَدِّ الْعَسْكَرَ» (١) أي: ذهب منهزماً؛ لأنّ تولية الدبر كناية عن الانهزام.

قال الفيومي: ولأه دبره كناية عن الهزيمة (٢).

وقال بعضهم: ولا يقال: ولى مدبراً إلا إذا رجع إلى ورائه، حتّى لو انهزم يميناً أو شمالاً لا يقال: إنّه ولى مدبراً. وهذا هو الصحيح الذي يقتضيه معنى الإدبار، والله أعلم به.

خلف فلان فلاناً - من باب قتل - خلافة: إذا صار خليفته، يقال: خلفه في قومه: إذا أقام بعده فيهم وقام عنه بما يفعله، ومنه قوله تعالى: وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي» (٣) أي: كن خليفتي والقائم مقامي.

وفي نسخة ابن إدريس: «خلف» بالتشديد، وكأنّه للمبالغة في الخلف، كقتله

قتلاً وقتله تقتيلاً. وأما حمله على معنى تركه بعده، فلا وجه له.
 والمُرابط: اسم فاعل من رابط مرابطة ورباطاً. من باب قاتل -: إذا لازم ثغر العدو، وأصله من الربط وهو الشد؛ لأنّ كلاً من الفريقين يربطون خيولهم في ثغورهم، وكلّ معدّ لصاحبه فسّمى ملازمة الثغر رباطاً ومرابطةً.
 وتعهدت الشيء: ترددت إليه وأصلحته، وحقيقته تجديد العهد به، وتعهدته: حفظته.

قال ابن فارس: ولا يقال: تعاهدته؛ لأنّ التفاعل لا يكون إلا عن اثنين (١).
 وقال صاحب المحكم: تعهد الشيء، وتعاهده واعتده: تفقده وأحدث العهد به (٢).

وقال الفارابي: تعهدته أفصح من تعاهدته (٣).
 وخالفه: جمع خالف، من خلف عن أصحابه أي: تخلف يريد من أقام بعده من أهله وتخلف عنه.
 وقد اتفقت نسخ الصحيفة الشريفة على ضبط خالفه بالياء المثناة من تحت، على أنّه جمع مذكّر سالم لخالف، حذفت النون للإضافة.
 وفي نهاية ابن الأثير: أيما مسلم خلف غازياً في خالفته (٤)، بالتاء المثناة من فوق، وهو بمعنى الخالف المذكور أولاً، والتاء فيه للمبالغة مثلها في الخليفة.
 وإنما نسبنا على ذلك؛ لئلا يتوهم متوهم أن إحدى اللفظين تصحيف من الآخر.

والطائفة: القطعة من الشيء.
 والعتاد بالفتح: ما أعده الرجل من السلاح والدواب أو آلة الحرب.

(٣) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٤٤٣.
 (٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٦٩.

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٤ ص ١٦٩.
 (٢) المحكم في اللغة: ج ١ ص ٦٣.

وفي الأساس: هو عتاد لكذا أي: عُدة (١).
وشحذته على كذا: حملته على ارتكابه وسقته إليه، وأصله من شحذت
السكين شحذاً من باب نفع- أي: أحددتها.

وفي القاموس: الشحذ: السوق الشديد والإلحاح في السؤال (٢).
ومعنى شحذه على الجهاد: إمضاء همته وتأكيد عزمته عليه، إِمَّا يقول كترغيبه
له فيه بذكر ما فيه من عظيم الأجر والثواب، أو بفعل كقطع عوائقه والقيام له بما
يحتاج إليه.

وأتبعته الشيء: جعلته له تابِعاً، وألحقته به.
والوجه: الجهة وما يتوجه إليه الإنسان من عمل وغيره، أي: في جهته وناحيته
التي توجه إليها واستقبلها، أو في مقصده الذي توجه إليه.
والدعوة بالفتح: المرة من الدعاء.
ورعيت أمره: حفظته.

والحرمة بالضم: ما وجب القيام به وحرَمَ التفريط فيه.
وفي القاموس: الحرمة: مالا يحل انتهاكه (٣).
ومن ورائه: أي من خلفه.

وأجريت الشيء: جعلته جارياً.

وفي الأساس: ومن المجاز: أجرى له ألف دينار، وأجرى عليهم الرزق (٤).
وفي نسخة ابن إدريس: «وأجر» بوصل الهمزة وضَمَّ الجيم، من أجره الله أجراً
من - باب قتل - أي: أثابه، ويقال: أجره يأجره بالكسر من باب ضرب أيضاً،
وأجره بالمد يوجره لغة ثالثة.

(٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٩٤.

(٤) أساس البلاغة: ص ٩١.

(١) أساس البلاغة: ص ٤٠٨.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٥٤.

وعداه باللام لتضمينه معنى أوجب.

والأجر: الجزاء على العمل.

ووزن الشيء: مقداره في الخفة والثقل، وانتصاب «وزناً» على الحال من المضاف والمضاف إليه من قوله: «مثل أجره»، وبوزن: بيان لوزن. قال سيبويه: كما كان لك في «سقياً لك» بياناً أيضاً، وهذا جارٍ في الأمثلة التي فيها المجرور (١)، إنتهى.

قال ابن هشام: فيتعلق بمحذوف استئناف للبيان (٢)، انتهى.

والتقدير: هو بوزن، فيكون ظرفاً مستقراً متعلقاً بمحذوف، أي: هو كائن بوزن؛ إذ لا يطلق الاستئناف إلا في الجمل، وفيه معنى المفاعلة أي: متساويين في الوزن، كقولهم: بعته يداً بيد أي: متقابضين، وأخذته رأساً برأس أي: متماثلين.

قال بعض المحققين: وتحريره: أن الأصل في هذه الأمثلة أن يكون المنصوب منها مرفوعاً على الابتداء باعتبار مضاف، أي: ذو وزن بذني وزن، وذو يد بذني يد، أي: المقدار بالمقدار والنقد بالنقد، ثم لما كان ذلك في معنى متساويين ومتقابضين، انمحي عنه معنى الجملة لما فهم منه معنى المفرد، فلما قامت الجملة مقام المفرد في تأدية معناه، أعرب ما قبل الإعراب منها وهو الجزء الأول إعراب المفرد الذي قامت مقامه، إنتهى. وقس على ذلك.

قوله عليه السلام «ومثلاً بمثل» وهو من عطف العام على الخاص؛ فإن المثل بمعنى الشبيه، وهو أعم من أن يكون شبيهاً في الكم أو الكيف أو غير ذلك، والوزن خاص بالكم، وكل من هاتين الحالين مؤكدة لصاحبها في التماثل. وعوضت زيدا بالتشديد: أعطيته العوض، وهو البدل.

و «من» في قوله: «من فعله»: بدلية أي: بدل فعله.

وعوضاً: إمّا مصدر، أو اسم مصدر، أو اسم عين، وعلى الأولين يتعين نصبه على المفعولية المطلقة، وعلى الثالث يحتمل ذلك نحو: «والله أنبتكم من الأرض نباتاً» (١)، ويحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً لعوضه، كقوله: عوض زيداً من درهمه ديناراً.

ويتعجل به أي: يأخذه بسرعة، يقال: عجلت إليه المال فتعجله، أي: أسرعت إليه بحضوره فأخذه بسرعة، والجملة صفة ثانية لـ «عوضاً».

وفي نسخة ابن إدريس: «يتعجل» بالجزم على أنه جواب شرط محذوف دل عليه الطلب، أي: إن تعوضه يتعجل.

ونفعه الشيء نفعاً: إذا حصل له التوصل به إلى المطلوب.

وقدم زيد خيراً أي: عمل عملاً صالحاً يثاب عليه في الآخرة التي هي قدامه، ومنه قوله تعالى: «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله» (٢).

وسره الشيء يسره بالضم سروراً: أفرجه.

وقال الراغب: السرور: انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة النفس عاجلاً وآجلاً، والفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة (٣).

وأتى بالحسنة: جاء بها وعملها أي: نفع ما أسلفه من الإحسان وعمله من الخير مع الغازي.

وانتهى به إلى كذا: وصل به إليه ولم يتجاوزه كأنه بلغ به النهاية، وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه.

(١) سورة نوح: الآية ١٧.

(٢) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٧٦.

والوقت: مقدار من الزمان مفروض لأمر ما، والمراد به هنا: مدة حياته المفروضة لبقائه في الدنيا.
وأجريت له: جعلته جارياً أي: داراً متصلاً لا ينقطع، وذلك غير حاصل في الحال، فالمراد: أنه حكم له بحصوله وإجرائه، وحكم الله بالحصول كنفس الحصول. وأعددت له أي: هيأته له.

تنبيهان

الأول: يستفاد من قوله عليه السلام: «وعوّضه من فعله عوضاً حاضراً» إلى آخره، أن الأعمال الصالحة قد يُستحقّ بها الثواب في الدنيا والآخرة معاً، وهو ظاهر قوله تعالى: «فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة» (١). ومن زعم أن الثواب لا يكون إلا في الآخرة، وأن المراد بثواب الدنيا في الآية: ما آتاهم تفضلاً منه أو لطفاً بهم، وتسميته ثواباً على المجاز والتوسع، فقد تكلف. على أن الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام مستفيضة بأن من الأعمال ما يوجب الثواب في الدنيا والآخرة.

فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسي في الأجل (٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعجل الخير ثواباً صلة الرحم (٣).

وبسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من أغاث أخاه المؤمن

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٨، (٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠ ح ٤، (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٢ ح ١٥

اللَّهُمَّ وَأَيُّا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرَ الْإِسْلَامِ، وَأَحْزَنَهُ تُحَرُّبُ أَهْلِ الشَّرْكِ عَلَيْهِمْ، فَتَوَى غَزَوًا، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ، فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ، فَاسْتَبَدَّ اسْمُهُ فِي الْعَابِدِينَ، وَأَوْجَبَ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ، وَأَجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

اللهفان اللهشان عند جهده، فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله عز وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله (١).
والروايات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

الثاني: قوله عليه السلام: «إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما أجريت له من فضلك» يدل بظاهره على أن الروح بعد فراق البدن تتصل بما أعد الله لها من الثواب قبل البعث والحشر، وذلك في مدة البرزخ، فتتسعم باللذات التي أوجبها ثواب أعمالها، وهو الذي دلت عليه الأخبار المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطاً في الروضة الأولى، فليرجع إليه *.

أهمه الأمر: أقلقه، وهمه همًا - من باب قتل - مثله.
وأحزنه: أحدث له حزنًا، وهو حالة نفسانية تحصل لتوقع مكروه، أو وقوعه، أو فوات محبوب في الماضي.

وفي نسخة: «حزنه» يقال: أحزنه إحزانًا وحزنه حزنًا - من باب قتل - بمعنى قال اليزيدي: أحزنه لغة تميم، وحزنه لغة قريش (٢)، وعليها بني مخزوم.
وتحزب القوم: صاروا أحزابًا، أي: فرقًا وطوائف كل حزب من قبيلة يجتمعون

لقتال ونحوه.

وقال الجوهري: تحزّبوا: تجمّعوا، والأحزاب: الطوائف التي تجمع على محاربة الأنبياء (١).

والضمير في «عليهم»: عائد إلى المسلمين؛ لدلالة أمر الإسلام عليهم، ومن جوز عوده إلى أهل الشرك فقد أغرب.

والفاء من قوله: «فنوى»: للعطف والترتيب والسببية، ونوى الشيء: ينويه: قصده.

وهم بالشيء همّاً - من باب قتل - : أراده. والمراد بالجهاد هنا: جهاد من يريد الاستيلاء على بلاد المسلمين من المشركين، أو أخذ ما لهم، أو سبي حريمهم، كما يدل عليه السياق.

وقعد به عن حاجته: شغل، وأقعدته: منعه. وقال ابن السكيت: ما يقعد بي عن ذلك الأمر إلا شغل، أي: ما يجلسني (٢). والضعف: النقصان في القوة.

وأبطأ عن الحضور: تأخر مجيؤه ولم يسرع. قال الزجاج: بطؤ الرجل بطوءً من باب قرب، وأبطأ إبطاءً (٣).

والفاقة: الفقر والحاجة.

والحادث: الأمر يحدث ويتجدد وجوده بعد أن لم يكن.

وعرض له مانع - من باب ضرب - أي: اعترض له فنهه من المضي.

ودون إرادته أي: قبل حصول مراده، من باب إطلاق المصدر على اسم

(١) الصحاح: ج ١ ص ١٠٩.

(٢) تاج العروس: ج ٢ ص ٤٧٣، نقلاً عن ابن السكيت، وفيه: ما حبسني.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني: ص ٢٨، نقلاً عن الزجاج.

المفعول.

فاكتب اسمه في العابدين: أي: مع أسماء العابدين، ففي بمعنى «مع» نحو «ادخلوا في أمم» (١)، أو في جملة أسمائهم، فهي للظرفية مجازاً وإنما قال: في العابدين لأن الجهاد أحد العبادات الخمس.

وفي نسخة: «في الغازين» وهو الأنسب، وكتابة اسمه مجاز عن الأمر بكتابه، بأن يظهر ذلك للملك ويأمره بإنفاذه وكتابه في كتاب المحو والإثبات، أو في ديوان العابدين وصحائف أعمالهم، أو عن تعلق الحكم به وإيجابه نحو: «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي» (٢) أي حكم وقضي وأثبت وأوجب وعبر عن ذلك بالكتابة لأنها أدوم وأثبت.

والثواب: هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل، وثواب المجاهدين هو الموعود به في القرآن من جنات وعيون ورزق كريم. والنظام العقد المنظوم من الجوهر ونحوه، ويطلق على السلك الذي ينظم به، وعلى الصف من الجراد.

قال في الأساس: جاءنا نظم من جراد ونظام منه (٣).

وكل من هذه المعاني محتمل هنا على الاستعارة.

وعطف الصالحين على الشهداء من عطف العام على الخاص. ومدار هذا الفصل من الدعاء على طلب إثابة من نوى غزواً أو جهاداً ولم يفعله لعذر، ثواب من عمله وباشره بجوارحه، وإثابة المؤمن بنيته أمر متفق عليه بين الأمة.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه

(٣) أساس البلاغة: ص ٦٤١.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢١.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُوْلِكَ وَاٰلِ مُحَمَّدٍ، صَلَاةً عَالِيَةً
عَلَى الصَّلَوَاتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلَاةً لَا يَنْتَهِي أَمْدُهَا، وَلَا يَنْقَطِعُ

الخير، فإذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم (١).

وروى مسلم في صحيحه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من طلب الشهادة صادقاً أعطيا ولولم تصبه، (٢) وبإسناد آخر عنه صلى الله عليه وآله قال: من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه (٣)

وفي نهج البلاغة: أن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قال له لما أظفره الله سبحانه بأصحاب الجمل: وددت أنا أخى فلاناً كان شاهداً؛ ليرى مانصرك الله به على أعدائك، فقال عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، والله لقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان (٤).

قال بعض الشارحين لكلامه عليه السلام: قوله: فقد شهدنا، حكم بالحضور بالقوة، أو بحضور نفسه وهمة على تقدير محبته للحضور، وكم إنسان يحصل بحضور همة - وإن لم يحضر ببدنه - كثير نفع، إما باستجلاب الرجال، أو بتأثير الهمة في تفريق أعداء الله كما تفعله هم أولياء الله، بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من أبدان كثيرة حاضرة وإن قويت وعظمت (٥)، انتهى.

ختم الدعاء بالصلاة على محمد وآله صلى الله وسلم عليهم؛ لما ورد في الصحيح: لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى على محمد وآله (٦).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٥ ح ٣.

(٢) و (٣) صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٥١٧ ح ١٩٠٨/١٥٧ و ١٩٠٩/١٥٧.

(٤) نهج البلاغة: ص ٥٥ الخطب ١٢.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ج ١ ص ٢٨٨.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٨٥ ح ٣.

عَدَّهَا، كَأَنَّكُمْ مَاضِيٌ مِنْ صَلَوَاتِكْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَاثِكَ، إِنَّكَ
الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ، الْمُبْدِيُ الْمُعِيدُ، الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيدُ.

والمشهور أنَّ الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء.

قال بعض المحققين: والتحقيق أنَّها تستعمل في قدر يشترك بينها وهو الإمداد؛
لأنَّ المدد كما يصل من فوق بالإفاضة يصل من تحت بالاستفاضة (١)
وآل محمد عندنا: عترته الطاهرة من أهل العصمة عليهم السلام، ولا وجه
لتخصيص الشهيد الثاني بأمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسين
عليهم السلام (٢).

وللعامة اختلافات، فقليل: آل: أئمة، وقيل: عشيرته، وقيل: من حرم عليه
الزكاة من بني هاشم وعبد المطلب. *مختصر في معرفة رتبته*
وقوله: «عالية على الصلوات» أي: مرتفعة عليها في الشرف والرتبة والقدر (٣).
ومشرفة أي: مرتفعة، من أشرف الموضع أي: ارتفع فهو مشرف.
والتحيات: جمع تحية، وهي تفعلة من الحياة، يقال: حيَّاك الله أي: أبقاك
حيًّا، ثم استعملت التحية في مطلق الدعاء والسلام.
ومعنى علّوها على الصلوات وإشرافها على التحيات: اختصاصها بمزيد فضل
منه تعالى، يميّزها عن سائر الصلوات والتحيات، كما اختص المدعولة بمزيد فضل
ميّزه عن غيره من الأنبياء والمرسلين.

وانتهى الأمر: بلغ النهاية، وهو أقصى ما يمكن أن يبلغه.
والأمد: الغاية، يقال: انتهى أمده، أي: بلغ غايته.
وانقطع الكلام: وقف. وعددها أي: عدّها وإحصاؤها، أو مبلغها ومقدارها.

(١) لم نعر عليه.

(٢) و(٣) راجع الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ٢٣١.

وطلب نفي انتهاء أمدها وانقطاع عددها من باب نفي الشيء بنفي لازمه، كما تقدم بيانه في الروضة الأولى.

وقوله: «كأتم ماضى» ظرف مستقر متعلق بمحذوف، إما صفة ثانية للصلاة، أو حال منها لتخصيصها بالصفة، أو نعت لمصدر مؤكد محذوف، أي: صلاة كأتم ماضى.

وما: نكرة أو موصولة، ومن: بيانية، أي: كأتم شيء ماضى من صلواتك، أو كأتم الذي ماضى من صلواتك، وقد تقدم الكلام على نظير هذا التشبيه في آخر الروضة العشرين، فليرجع إليه.

قوله عليه السلام: «إِنَّكَ الْمَتَّانُ الْحَمِيدُ» إلى آخره، تذييل للكلام السابق، وتعليل لاستدعاء الإجابة، من حيث إن اتصافه بالصفات المذكورة مستدع لها. وقصر الصفات عليه لإظهار اختصاص دعائه عليه السلام به تعالى، وانقطاع رجائه عما سواه بالكلية.

والمَتَّان: صيغة مبالغة من المَنَّ، قال ابن الأثير: المتان: هو المتعم المعطي، من المَنَّ بمعنى: العطاء، لا من المَنَّة (١).

وكثيراً ما يراد المَنَّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه.

قال البرهان الرشيدى: إن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز؛ لأنها موضوعة للمبالغة، ولا مبالغة فيها؛ فإن المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله منزّهة عن ذلك (٢) واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٦٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ٥٠٧.

وقال الزركشي في البرهان: التحقيق أنَّ صيغ المبالغة قسمان: أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل، والثاني: بحسب تعدد المفعولات. ولا شك أنَّ تعددها لا يوجب للفعل زيادة؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين، وعلى هذا تنزل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال (١)، إنتهى.

والحميد: المحمود على كل حال، فعيل بمعنى مفعول.

والمبدئ المعيد معناه: الموجد، لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله سمي إبداءً؛ لتعلقه بالأشياء ابتداءً من غير سابق مثال، وإذا كان مسبوقاً بمثله سمي إعادة، والله تعالى بدأ الخلق ثم هو الذي يعيدهم، أي: يعيدهم يوم القيامة، قال الله تعالى: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» (٢) «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ» (٣).

والفعل لما يريد: الذي لا يتخلف عن إرادته مراد ولا يمنعه عنه مانع؛ إذ لاحكم لأحد عليه البتة، والمبالغة كما مر من أنها بحسب تعدد المفعولات وكثرتها؛ إذ كان ما يفعله ويريده في غاية الكثرة.

وقيل: معنى المبالغة فيه أنَّ ما يريدُه فإنه يفعلُه البتة، لا يصرفه عنه صارف، قال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» (٤)، والله أعلم.

هذا آخر الروضة السابعة والعشرين من رياض السالكين، وقد وفق الله تعالى للفراغ من تحريرها صبيحة يوم الأربعاء، لأربع خلون من ذي القعدة الحرام سنة إحدى ومائة وألف، والله الحمد .

(١) البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ٥٠٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٣) سورة البروج: الآية ١٣.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٧.



الروضة الثامنة والعشرون



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَائِدَةٍ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُقَرَّبًا إِلَى سَبْعِ حُلُوفٍ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْلَصْتُ بِإِقْطَاعِي إِلَيْكَ وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ وَصَرَفْتُ
وَهْجِي عَنْ بَحْتِجَائِي إِلَى رِفْدِكَ وَقَلْبِي مُسَلِّئِي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَعِنْ بِعَرْصِكَ
وَرَأَيْتُ أَنَّ طَلِبَ الْمُحْتَاجِ إِلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهُ مِنْ زَايِدِ وَضَلَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ فَكَمْ قَدْ
رَأَيْتُ يَا إِلَهِي مِنْ أَنَايِسٍ طَلَبُوا الْعَرْشَ فَبَدَّلُوا أَمْوَالَهُمْ مِنَ الثَّرْوَةِ مِنْ سِوَاكَ فَتَمَرُّوا
وَحَاوَلُوا الِارْتِفَاعَ فَانْضَعُوا فَيَصْغَحُ بِمِثَالِهِمْ حَارِمٌ وَقَفَّ اعْتِبَارُهُ
وَأَرْشَدَهُ إِلَى طَرِيقِ صَوَابٍ اخْتِيَارُهُ فَانْتَهِى أَمْوَالَهُ عَنْ كُلِّ مَسْئُولٍ وَخُجِعَ
مُسْتَلْبِي قَدُونِ كُلِّ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ لِيُجَابِيَ أَحْتِجَاتِ الْمُخْصُوصِ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُودٍ بِمَنْحِهِ
لَا يَشْرُكَكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي وَلَا يَنْفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دَعَائِي وَلَا يَنْظِمُهُ
وَلَا يَاكُ نِدَائِي يَا إِلَهِي وَخِدَائِيَّةُ الْعَدَدِ وَمَلَكَهُ الْفُتْرَةُ الْقَصْدُ وَالْقَصْلَةُ
الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةُ وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ
مَقْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ مُخْتَلِفٌ فِي الْحَالَاتِ مُنْقَلَبٌ فِي الصِّفَاتِ
فَتَعَالَيْتَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَضْدَادِ وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْأَنْدَادِ فَجَعَلْتَ

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فاز بالأمان من تفرّع إليه، وحاز منتهى الأمان من أقبل بكمّله عليه، والصلاة والسلام على من نهج لنا به سبيل الرشاد، وعلى أهل بيته الذين أسس بهم بنيان الحق والإرشاد.

أمّا بعد فهذه الروضة الثامنة والعشرون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدین، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملأه راجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسينيّ، جعله الله من الفائزين يوم الفرع الأكبر بأمانه، وهداه إلى حقّ اليقين في معرفته وإيمانه، آمين.

شرح الدعاء الثامن والعشرين

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَفَرِّعاً إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ.
قال صلوات الله وسلامه عليه:

اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَخْلَصْتُ بِاِنْقِطَاعِيْ اِلَيْكَ، وَاَقْبَلْتُ بِكُلِّيْ عَليْكَ،

فرع إليه فرعاً - من باب فرح - بالجماء إليه واعتصم به، وهو مفرع أي: ملجأ، ومن كلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين صلوات الله عليه: فإذا اشتد الفرع فإلى الله المفرع (١)، أي: إذا اشتد الخوف فإلى الله الالتجاء والاستعانة، ومنه حديث الكسوف: فافزعوا إلى الصلاة، أي: ألقاوا إليها واستغيثوا بها في دفع الأمر الحادث (٢).

وتفرع إلى الله: جهد في الفرع إليه، وكلف نفسه إيّاه، فهو متفرع، فالتفعل فيه للتكلف والمعاقاة.

أخلص لله إخلاصاً: صفى قلبه عن شوب الالتفات إلى غيره، وأصله من الخلوص، وهو صفاء الشيء عن كل ما يشوبه، وقد تقدم الكلام عليه مبسوطاً. وانقطع إليه: لزمه وترك غيره. قال في الأساس: هو منقطع إلى فلان (٣). وتعديته بـ «إلى» لتضمينه معنى التوجه، كأنه قطع عن غيره فانقطع عنه متوجّهاً إلى من لزمه.

وأقبلت على الشيء: وجهت وجهي نحوه.

(٣) أساس البلاغة: ص ٥١٤.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٨ ح ٢.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٤٤.

وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّنْ يَخْتِاجُ إِلَى رِفْدِكَ ، وَقَلَّبْتُ مَسْأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ

و«كل» إذا أضيفت إلى مفرد معرف - كما وقعت هنا - افادت استغراق أجزائه، أي: أقبلت بجميع جوارحي وحواسي الظاهرة والباطنة عليك.

ومعنى انقطاعه إليه تعالى وإقباله بكلمه عليه عز وجل: إفراده سبحانه بالرجاء والسؤال، وعدم الالتفات إلى غيره من الوسائط والأسباب بوجه من الوجوه، وهو من باب الاستعارة التمثيلية، شبه حاله بحال من انقطع إلى شخص فلزمه ولم يتردد إلى غيره وقد وجه وجهه إليه، وعول في حصول مطلبه عليه.

وصرفت وجهي عن الشيء: حوّلته عنه، وهو هنا كناية عن قطع الرجاء والأمل عن غير الله تعالى، فإن من قطع أمله عن أحد صرف وجهه عنه ولم يلتفت إليه.

وقوله: «عَمَّنْ يَخْتِاجُ إِلَى رِفْدِكَ» أي: غيرك؛ فإن كل من سواه محتاج إلى ريفه سبحانه، أي: صلته وإعطائه؛ إذ ثبت أن كل ممكن وموجود فهو مفتقر ومحتاج إليه. وقلبه قلباً - من باب ضرب -: حوّلته عن وجهه.

والمسألة: السؤال، يقال: سألت الله العافية أي: طلبتها، سؤالاً ومسألة.

عن فضلك: أي خيرك وإحسانك، وكل من سواه غير مستغن عن فضله وإحسانه تعالى، إذ ثبت أن كل الموجودات أسيرة في رق الإمكان والحاجة إليه تعالى شأنه، وهو المفيض على كل قابل ما يستحقه ويستعد له من الخيرات والفضل.

ورأيت: أي اعتقدت، من الرأي بمعنى الاعتقاد، أو بمعنى العلم وهي الرؤية القلبية، والجملة ساذة مسد مفعولي رأيت. وطلبت إلى الله: رغبت إليه وسألته.

والسفه بفتحيتين: النقص في العقل، وقيل: رذيلة تقابل الحلم، وتعود إلى الطيش وقلة الثبات، وقيل: هو القبيح الذي يقع من متمكن من التحرر عنه. الرأي: البصيرة، وهي للقلب بمثابة البصر للنفس، يقال: رجل ذورأي أي:

يَسْتَعْنِ عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنَّ ظَلَبَ الْمُحْتَاجُ إِلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأْيِهِ، وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ.

بصيرة وعلم بالأمور.

والضَّلَّةُ بالفتح: المرة من الضلال، وهو سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، أو هي بمعنى الحيرة أي: عدم الاهتداء إلى الصواب، كما نص عليه صاحب القاموس (١).

وقال الجوهري: يقال: فلان يلومني ضلّة: إذا لم يوفق للرشاد في عدله (٢). والعقل هنا: قوة نفسانية به يدرك الإنسان حقائق الأشياء، ويميز بين الخير والشر. ومدار هذا الفصل من الدعاء على إظهار صدق توكله عليه السلام على ربه عز وجل، والتوسل به إلى الله تعالى. قال بعض أرباب القلوب: التوكل هو صدق الانقطاع إلى الله، وصدق الانقطاع إلى الله هو أن لا يكون لك حاجة إلى غير الله (٣). وقال بعضهم: من التوكل أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله، ولا لرزقك قاسماً غير الله، ولا لعملك شاهداً غير الله (٤).

وقال آخر: الحمد لله الذي قطع العلائق من المنقطعين إليه، ووهب الحقائق للمتصلين به والمتوكلين عليه (٥).

وإنما قال عليه السلام: «ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه»؛ لأن العقل والرأي اللذين سلما من آفة النقص والضلال، قاضيان بأن تأميل العاجز عاجزاً مثله، وإناخة مطايا الطلب بساحة فقير مشبهه، لا يكون إلا عن سفه وضلال في الرأي والعقل هـ.

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٥، نقلاً بالضمون.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٧٤٨.

(٣) لم نتحققه.

(٤) لم نعر عليه.

(٥) لم نعر عليه.

فَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ يَا إلهي مِنْ أَنْاسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بغيرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا
الثَّرَوَةَ مِنْ سِوَاكَ فَافْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الْإِرْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا، فَصَحَّ بِمُعَايِنَةِ
أَمْثَالِهِمْ حَازِمٌ، وَفَقَّهٌ اغْتِيبَارُهُ، وَأَرْشَدُهُ إِلَى طَرِيقِ صَوَابِهِ اخْتِيَارُهُ،
فَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ ذُوْنَ كُلِّ مَسْئُولٍ مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي، وَذُوْنَ كُلِّ مَطْلُوبٍ
إِلَيْهِ وَلِيٌّ حَاجَتِي، أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي، لَا يَشْرُكَكَ
أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي وَلَا يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ يَدَائِي.

الفاء: للسببية؛ لأنَّ ما بعدها، وهو كثرة رؤيته عليه السَّلام لأناس طلبوا العزَّ
بغير الله سبحانه فذلُّوا إلى آخره، سبب لما قبلها، وهو اعتقاده أنَّ طلب المحتاج إلى
المحتاج سفه من رأيه وضلَّة من عقله، وأغرب من قال: إنها للاستئناف.

وكم: خبرية بمعنى: كثير، وهي في موضع نصب بـ «رأيت»، ووجب تقديمها
للزومها الصدر من حيث تضمينها للمعنى الإنشائي في التكثير، كما أنَّ «رُبَّ»
تضمنت المعنى الإنشائي في التقليل، ووجب لها صدر الكلام.

و«من» في قوله: «من أناس»: لبيان الجنس، وأناس: تمييز لـ «كم»، وجيء
بها لثلاً يلبس بمفعول رأيت.

قال الرضي رضي الله عنه: إذا فصل بين كم الخبرية ومميزها بفعل متعدٍ وجب
الإتيان بـ «من»، لثلاً يلبس التمييز بمفعول ذلك الفعل المتعدي، نحو: «كَمْ تَرَكُوا
مِنْ جَنَابٍ» (١) «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ» (٢) (٣).

وأناس بضم الهمة، اسم جمع للإنسان، وهو لغة في الناس.
وقال الزمخشري: يمكن أن يكون أصله الكسر على أبنية الجموع، ثم ضم
للدلالة على زيادة قوَّة كما في سكارى (٤).

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٩٧.

(١) سورة الدخان: الآية ٢٥.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٦٩. مامضونه.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٨.

وقيل: هو أصل للناس، حذفت همزته تخفيفاً وعوض عنها حرف التعريف؛
ولذلك لا يكاد يجمع بينهما، وأما قوله:

« إِنَّ الْمَنَايَا يُطْلَعْنَ عَلَى الْإِنْسَانِ الْأَمْنِيْنَا »

فشاذ.

وجملة قوله: «(طلبوا العزَّ)» في محل جر صفة لأناس.

وطلبت الشيء - من باب قتل - طلباً بفتحين: حاولت وجوده. والباء في قوله
عليه السلام: «(بغيرك)»: للاستعانة.

وذلة ذلاً - من باب ضرب -: إذا ضعف وهان، والاسم الذل بالضم، وهو
خلاف العز.

ورمت الشيء، أرومه روماً ومراماً: طلبته.
والثروة: كثرة المال، وأثرى أثراً استغنى، والاسم منه الثراء بالفتح والمد.
وافقر: صار فقيراً.

وحاولت الشيء، محاولة: أردته.

والارتفاع والارتضاع: إفتعال من الرفع والضعف، وهما في الأجسام حقيقة في
الحركة والانتقال، وفي المعاني محمولان على ما يقتضيه المقام، فالمراد بهما هنا في
القدر والمنزلة.

والفاء في المواضع الثلاثة من قوله: «(فذلوا)» ونظيره: للترتيب والتعقيب
والسببية، نحو: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ».

قال الرضي: إذا عطفت الفاء جملة على جملة، أفادت كون مضمون الجملة
التي بعدها عقيب مضمون الجملة التي قبلها بلا فصل، نحو: قام زيد فقعد عمرو (١).

(١) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٦٥.

وإنما كان طلب العز وروم الثروة ومحاولة الارتفاع من غير الله تعالى سبباً للذل والافتقار والاتضاع؛ لما ثبت أن الله تعالى هو المفيض لكل خير، والمعطي لكل طالب ما طلب بحسب استعداده، إما بسبب أو بدونه، فإذا توجه الإنسان إلى غيره، والتفت بقلبه وقاله إليه، وعول في نجاح طلبته عليه، فقد ترك الاستعداد لحصول مطلوبه ونيل بغيته، بل استعد بذلك للحرمان وخيبة الرجاء؛ فإن من اعتقد جزماً أو ظناً بأن أحداً غير الله تعالى، ممن ينسب إليه التأثير والقدرة، هو المتمكن من الفعل، وأنه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به، فإن ذلك أقوى الأسباب المدة لأن ينعه الله إفاضته، ويقطع عنه أسباب مواهبه، ومن منع الله منه خيره، وقطع عنه سبب فضله، كان أذل من كل ذليل، وأفقر من كل فقير، وأوضع من كل وضع، لاجرم كان طلب الإنسان إلى غير الله سبحانه سبباً لحرمانه وحصول عكس مطلوبه؛ ولذلك ورد في الحديث القدسي: أن الله سبحانه وتعالى يقول: وعزّي وجلالي ومجدي، وارتفاعي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس، ولا كسوته ثوب المذلة عند الناس، ولا نحيته من قربي، ولا أبعدته من فضلي (١). وقد ذكرنا الحديث بتمامه في الروضة الثالثة عشرة (٢).

وفي معناه ما رواه أبو القاسم النيسابوري في المجلس السادس والخمسين من كتاب خلق الإنسان، قال: روى سيّدنا موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده محمد، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال الله جلّ جلاله: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه، فإن دعاني لم أجبه، وإن سألتني لم أعطه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت

السموات والأرض رزقه، فإن سألتني أعطيته، وإن دعاني أجبتة، وإن استغفرتني غفرت له (١).

قوله عليه السلام: «فصح بمعينة أمثالهم حازم» إلى آخره، الفاء: للسببية، أي: فبسبب ذلك صح.

والباء من قوله: «بمعينة أمثالهم»: للملابسة، أي: متلبساً بها، أو للسببية تصريحاً بمدلول الفاء.

والصحة: ذهاب المرض والبراءة من كل عيب، صح يصح - من باب ضرب - فهو صحيح.

وعاينت الشيء عياناً ومعينة: إذا رأيته بعينك. والمراد بأمثالهم: ذواتهم، أي: بمعينتهم، وإنما أقحم لفظ الأمثال للمبالغة، فهو نحو: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب (٢)، أي: الأمير يحمل.

قال السعد التفتازاني: لفظ المثل كناية عن أضيف إليه؛ لأنه إذا ثبت الفعل لمن يسه مسده، ومن هو على أخص أوصافه، وأريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل كذا، لزم الثبوت لذاته بالطريق الأولى (٣)، انتهى.

وكذا الكلام هنا؛ فإنه إذا صح الحازم بمعينة من يسه مسدهم ويكون على أخص أوصافهم، فصحته بمعينة ذواتهم أولى، وقد كشف أبو الطيب قناع الكناية بالمثل في قوله يخاطب عضد الدولة ويعزبه بعمته.

مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع من عزبه
ولم أقل مثلك أعني به سواك يا فرداً بلا شبه (٤)

(٣) لم نعر عليه

(١) لم نعر عليه.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) الكشكول: ص ٢١٦.

وإسناد الصّحة إلى الحازم باعتبار براءته من عيب الطلب إلى غير الله، ويجوز أن يكون حذف مضاف، أي: صَحَّ حزم حازم، بمعنى ثبت وتحقق. والحزم: إتقان الرأي وضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة.

والمراد بالحازم: نفسه عليه السلام على سبيل التجريد، جرد من نفسه الكريمة صفة الحزم، وجعلها شخصاً آخر متصفاً بها؛ لقصد المبالغة في الحزم، كما جرد الشاعر من نفسه صفة الكرم فقال:

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كرم (١)
يعني بالكرم: نفسه، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه؛ ولذلك لم يقل: أو أموت، وقد مرّ تعريف التجريد في الروضة الثانية عشرة، فليرجع إليه. والتوفيق: جعل لإرادة العبد وفعله موافقاً لما يحبّه الله ويرضاه، وإسناده إلى الاعتبار مجاز عقلي من باب إسناد الفعل إلى مسببه، وإلا فالموثق حقيقة هو الله سبحانه.

ويطلق الاعتبار على معنيين:

أحدهما: الاختبار والامتحان، مثل: اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفاً. الثاني: الاتعاظ، ومنه قوله تعالى: «فأعتبروا يا أولي الأبصار» (٢)، والعبرة بالكسر: اسم منه.

قال الخليل: العبرة: الاعتبار بما مضى (٣)، أي: الاتعاظ والتذكّر (٤). والفعل منه بالمعنى الأول يعدى بنفسه فيقال: اعتبرت الشيء، أي: اختبرته، وبالمعنى الثاني يعدى بالباء فيقال: اعتبرت بالشيء، أي: اتعظت به. وأصله بالمعنيين من العبور، وهو النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر؛ فإنّ المعبر

(١) أنوار الربيع: ج ٦ ص ١٥٥.

(٣) كتاب العين: ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) سورة الحشر: الآية ٢.

(٤) المصباح المنير: ص ٥٣٢.

للشيء الممتحن له يعبر من الجهل به إلى العلم به، والمعتبر بالشيء المتعظ به تارك جهله وواصل إلى علمه بما اعتبر به.

إذ عرفت ذلك فحمل الاعتبار في الدعاء على كل من المعنيين صحيح فعناه على الأول: وفقه امتحانه للأموار واختباره لها حتى عرف خيرها من شرها، وعلى الثاني: وفقه اتعاضه بآراءه من حال من سأل غير الله ورغب إليه.

ويأتي الاعتبار بمعنى: الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم، نحو: لا اعتبار بشهادة الواحد.

وإرادة هذا المعنى هنا صحيحة أيضاً، فيكون المعنى: وفقه اعتداده بما رأى من حال الطالبين إلى غير الله في صرف وجهه وقلب مسألة من غيره سبحانه.

وأرشده إلى الطريق إرشاداً: هداً إليه، ودله عليه.
وطريق صوابه أي: الموصول إلى مقصده من غير خطأ ولا ضلال.
والصواب: مصادفة المقصود.

واختباره بالباء الموحدة بمعنى: امتحانه للأموار والنظر فيها ليصل إلى المعرفة بها، كأنه يصيب خبرها. ويروى: «اختياره» بالياء المثناة من تحت، أي: إرادته لما هو خير، يقال: خيّرته بين الشيئين فاختر أحدهما، والاختيار والإيثار بمعنى واحد.

والمعنى: هداه إلى طريق صوابه، وهو الانقطاع إلى الله تعالى، اختياره أي: توصله إلى معرفة سبيل الصواب من الخطأ، أو اختياره لما هو خير له، من لزوم الحق والانحراف عن الباطل.

قوله عليه السلام: «فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي» الفاء: فصيحة، أي: إذا كان الأمر كذلك فأنت يا ربّي أو يا مالكي أو يا سيدي أو يا منعماً على كل، فكل هذه المعاني ثابتة للمولى دون كل مسؤول، أي: متجاوزاً

كلّ مسؤول.

فدون: ظرف مستقر متعلّق بمحذوف وقع حالاً من «أنت»، وقد تقدّم أنّ «دون» مما اتّسع فيه، فاستعمل في كلّ تجاوز حدّاً إلى حدّ، وتخطّي أمر إلى أمر.

والموضع: مكان الوضع، وأصله في الأجسام، يقال: وضعت الشيء في المكان أي: أثبتته فيه، وذلك المكان موضع له، ثمّ استعمل في المعاني فقليل: وضعت عنده سرّي: إذا أسرّقه إليه، ومنه حديث: واضع العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازير الجواهر (١)، أي: معلّم العلم غير أهله، فعنّى موضع مسألتي: من أسأله وأوجّه إليه سؤالي.

ووليّ حاجتي أي: القائم بها ومتولّي قضائها، من وليه: إذا قام به، فهو فاعل بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول، أي: من أوليه حاجتي، من ولاه الأمر أي: قلّده إياه، وهو الأنسب بسياق الكلام.

وخصصته بكذا أخصّه خصوصاً - من باب قعد -: جعلته له دون غيره. وقبل كلّ مدعوّ أي: قبل أن أدعو غيرك من المدعوين. والدعوة: اسم من دعوت الله أدعوه دعاءً: إذا ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير.

وجملة «أنت المخصوص» مؤكّدة لما قبلها؛ ولذلك لم يعطفها عليه؛ لكمال الاتصال المستغنى به عن الرابط.

وشركته في الأمر أشركه - من باب تعب - شركاً بكسر الأوّل وسكون الثاني: إذا صرت له شريكاً.

والجملة حالية أي: أنت المخصوص بدعوتي حال كونك لا يشركك أحد في

لَكَ يَا إلهي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفَضِيلَةُ الْحَوْلِ
وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ، وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى
أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ، مُخْتَلِفٌ الْحَالَاتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ،
فَتَعَالَيْتَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْأَنْدَادِ،
فَسُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

رجائي، أو تأكيد لما قبلها، أو استئناف مؤكد لما سبق.

والإتفاق: المساواة في أمر من الأمور، يقال: اتفقت مع زيد في المذهب: إذا
ساويته فيه، أي: لا يساويك أحد في دعائي.

ونظمت اللؤلؤ نظماً - من باب ضرب - جعلته في سلك، وهو يستلزم الجمع،
فالمعنى: لا يجمعه وإياك

ندائي: أي: دعائي، يقال: ناديته مناداةً ونداءً - من باب قاتل -: إذا دعوته،
أي: طلبت إقباله.

ومفاد الجمل الثلاث كلها: التأكيد في إفراده تعالى بالرغبة إليه والإقبال
عليه.

تقديم المسند لإفادة قصر المسند إليه، أي: لك وحدانية العدد لا تتخطاك إلى
غيرك.

ووحْدَانِيَّةُ الشَّيْءِ: كونه واحداً؛ لأنه ياء النسب إذا لحقت آخر الاسم وبعدها
هاء التانيث أفادت معنى المصدر كالألوهية والربوبية، والألف والنون مزيدتان
للمبالغة.

والعدد: قيل: هو كثرة الآحاد، وهي صورة تقطيع في نفس العادة من تكرار
الآحاد، وعلى هذا فالواحد ليس عدداً. وقيل: هو ما يقع جواباً لـ «كم»، فيكون
الواحد عدداً.

وقد اختلف أقوال الأصحاب في معنى قوله عليه السلام: «لَكَ يَا إلهي وحدانية العدد» لمنافاتها ظاهراً وجوب تنزيهه تعالى عن الوحدة العددية نقلاً وعقلاً.

أما النقل فستفيض من أخبارهم عليهم السلام، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: الواحد بلا تأويل عدد (١).

وقوله في خطبة أخرى: واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد (٢).

ومنه ما رواه رئيس المحدثين في كتاب التوحيد: إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أقول: إن الله واحد؟ فحمل الناس عليه، وقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي، إن القول بأن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان مثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد، يقصد باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا مالا يجوز لأنه تشبيه، وجل ربنا عن ذلك وتعالى، وأما الوجهان اللذان يشبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له من الأشياء شبيه، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربنا جل وعز (٣). وأما العقل، فلأن الوحدة العددية إنما تتقوم بتكررها الكثرة العددية، ويصح بحسبها أن يقال: إن المتصف بها أحد أعداد الوجود، أو أحد آحاد الموجودات، وعز جنابه سبحانه أن يكون كذلك، بل الوحدة العددية والكثرة العددية التي هي في

(٣) التوحيد: ص ٨٣ ح ٣.

(١) نهج البلاغة: ص ١٢، الخطب ١٥٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٦٩ الخطب ١٨٥.

مقابلتها، جميعاً من صنع وحدته المحضة الحقيقية التي هي نفس ذاته القيّومة، وهي وحدة حقّة صرفة وجويّة قائمة بالذات لا مقابل لها، ومن لوازمها نفي الكثرة، كما أشار إليه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المذكور آنفاً: أنّه أحدي المعنى لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم.

وإذا عرفت ذلك، ظهر لك أنّ قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد» ليس مراداً به الوحدة العددية، بل لا بدّ من معنى آخر يصحّ تخصيصه به تعالى وقصره عليه، كما يقتضيه تقديم المسند على المسند إليه. فقال بعضهم: المراد به: نفي الوحدة العددية عنه تعالى لا إثباتها له، وهو غير ظاهر.

وقيل: معناه: أنّ لك من جنس العدد صفة الوحدة، وهو كونك واحداً لا شريك لك ولا ثاني لك في الربوبية.

وقيل: معناه: إذا عددت الموجودات كنت أنت المتفرد بالوحدانية من بينها.

وقيل: أراد به: أنّ لك وحدانية العدد بالخلق والإيجاد لها؛ فإنّ الوحدة العددية من صنعه وفيض وجوده. ولا يخفى أنّه بمعزل عن المقام.

وقال بعضهم: أراد بوحدانية العدد: جهة وحدة الكثرات وأحادية جمعها، لا إثبات الوحدة العددية له تعالى.

وقيل: معناه: أنّه لا كثرة فيك، أي: لا جزء لك ولا صفة لك يزيدان على ذاتك، وهو أنسب المعاني المذكورة بالمقام.

وتوضيح المرام: قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد» يفسّر قوله عليه السلام: «ومن سواك مختلف الحالات متنقل في الصفات»، فإنّه عليه السلام قابل كلّ فقرة من الفقرات الأربع المتضمنة للصفات التي قصرها عليه سبحانه بفقرة متضمنة لخلافها، فن سواه على طريق اللف والنشر الذي يسميه أرباب البديع معكوس الترتيب، وهو أن يذكر متعدّد تفصيلاً، ثم تذكر أشياء على عدد

ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به، ويكون الأول من النشر للآخر من اللق، والثاني لما قبله وهكذا على الترتيب، كعبارة الدعاء؛ فإن قوله عليه السلام: «مختلف الحالات متشقل في الصفات» راجع إلى قوله: «لك يا إلهي وحدانية العدد»، وقوله: «مقهور على شأنه» راجع إلى قوله: «وملكة القدرة الصمد»، وقوله: «مغلوب على أمره» راجع إلى قوله: «وفضيلة الحول والقوة»، وقوله: «مرحوم في عمره» راجع إلى قوله: «درجة العلو والرفعة».

إذا علمت ذلك، ظهر لك أن المراد بوحداية العدد له تعالى معنى يخالف معنى اختلاف الحالات والتشقل في الصفات لغيره سبحانه، فيكون المقصود إثبات وحدانية ما تعدد من صفاته وتكثر من جهاته، وأن عددها وكثرتها في الاعتبار والمفاهيم لا يقتضي اختلافاً في الجهات والحيثيات، وتركيباً من الأجزاء، بل جميع نعوته وصفاته المتعددة موجودة بوجود ذاته، وحيثية ذاته بعينها علمه وقدرته وسائر صفاته الإيجابية، فلا تعدد ولا تكثر فيها أصلاً، بل هي وحدانية العدد موجودة بوجود واحد بسيط من كل وجه؛ إذ كل منها عين ذاته، فلو تعددت لزمت كون الذات الواحدة ذاتاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهذا معنى قولهم: واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات، فجميع صفاته الإيجابية عين ذاته من غير لزوم تكثر.

فإن قلت: كيف تكون صفاته عين ذاته، ومفهوم الصفة غير مفهوم الذات؟ وأيضاً فإن مفهوم كل صفة غير مفهوم صفة أخرى، فكيف تتحد بالذات؟

قلت: قد تكون المفاهيم المتعددة موجودة بوجود واحد، فالصفات بحسب المفهوم وإن كانت غير الذات، وبعضها يغير بعضها، إلا أنها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذات، أعني أن ذاته الأحدية تعالى شأنه هي بعينها صفاته الذاتية،

بمعنى أنّ ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر، وهي أيضاً موجود عالم قادر حيّ سميع بصير، يترتب عليها آثار جميع الكمالات، ويكون من حيث ذاته مبدأ لها، من غير افتقار إلى معان أخر قائمة به تسمى صفاتاً تكون مصدراً للآثار؛ لمنافاته الوحدة والغناء الذاتيين والاختصاص بالقدم، فذاته صفاته وصفاته ذاته، لازائدة عليها كصفات غيره المخلوقين، فإنّ العلم مثلاً في غيره سبحانه صفة زائدة على ذاته مغايرة للسمع فيه، وفيه نفسه تعالى وهو بعينه سمعه، وقس على ذلك سائر الصفات الثبوتية، فتبين أنّ المراد بقصر وحدانية العدد عليه تعالى هذا المعنى المخالف لصفات من سواه وحالاته، فإنّها كصفات نفسانية انفعالية وحالات متغيرة ومعان مختلفة له؛ إذ كان يسمع بغير ما يبصر ويبصر بغير ما يسمع، إلى غير ذلك من صفاته المتعددة المتكثّرة التي توجب اختلاف الحالات والتنقل في الصفات.

وبالجملة: فمعنى قصر وحدانية العدد عليه سبحانه: نفي التعدّد والتكثّر والاختلاف عن الذات والصفات على الإطلاق، وهذا المعنى مقصور عليه تعالى لا يتجاوزه إلى غيره، والله أعلم بمقاصد أوليائه، وفي المقام كلام طويل طويلاه على غرة.

قوله عليه السّلام: «وملكة القدرة الصمد» الملكة بفتحين: القيام بالممالك، وما يملك من ذات اليد، وفي الحديث: «حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم» (١) أي: لك القيام بالقدرة الصمد، فتكون من باب الإضافة إلى المفعول، ويجوز أن يكون من باب الإضافة إلى الفاعل على أنّ المعنى: بك قيام القدرة الصمد بكلّ شيء.

وعرفوا القدرة بأنّها الصفة التي يتمكن معها الحيّ من الفعل وتركه بالإرادة والإختيار.

(١) هكذا في الأصل، ولكنّ الصحيح: «حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم»، راجع سنن أبي داود:

وقدرته تعالى تعود إلى اعتبار كونه مصدراً لآثاره.

والصمد بالخفض: نعت للقدرة، كآته ممّا يستوي في الوصف به المذكّر والمؤنث كعزب بفتحين: وهو من الرجال من لا زوج له ومن النساء أيضاً من لا بعل لها، يقال: رجل عزب وامرأة عزب كذلك، قال الشاعر:

ينا من يدلّ عزباً على عزب عليّ ابنة الشيخ الحمارس الأزب (١)

ويجوز أن يكون وصف القدرة بالصمد من حيث إنّ قدرته تعالى عين ذاته، وأن يكون المراد بالقدرة: القادر، بذكر المشتق منه مقام المشتق.

واختلفت أقوال العلماء في معنى الصمد، فقيل: هو فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه: اذاقصده، أي: المصمود إليه في الحوائج، قال الشاعر:

ألا بگر الساعي بخير بني أسد بعمر بن مشعود وبالسيد الصمد (٢)

وهذا المعنى مروى عن أبي جعفر عليه السلام، أيضاً، روى ثقة الإسلام بسنده عن داود بن القاسم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير (٣).

وعنه عليه السلام أنه قال: الصمد: السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر وناهي (٤).

وعنه عليه السلام قال: حدّثني: أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن عليّ سيّد الشهداء أنه قال: الصمد: الذي لا جوف له، والصمد: الذي انتهى سؤده، والصمد، الذي لا يأكل ولا يشرب، والصمد: الذي لا ينام، والصمد: الدائم الذي لم يزل ولا يزال. (٥)

(٤) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣.

(٥) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣.

(١) لسان العرب: ج ١ ص ٥٩٦.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١٨١.

(٣) المحرر الثقلين: ج ٥ ص ٧١٠.

وعنه عليه السلام قال: سئل عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد، فقال: الصمد، الذي لا شريك له، ولا يؤده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء (١).

وعنه عليه السلام قال: كان محمد بن الحنفية يقول: الصمد: القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره: الصمد: المتعالي عن الكون والفساد، والصمد: الذي لا يوصف بالتغاير (٢).

وعن الصادق عليه السلام: هو الذي يغلب ولا يُغلب (٣). وقال وهب بن وهب القرشي: قال زيد بن عليّ عليها السلام الصمد: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، والصمد: الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرّد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند (٤).

وعن زين العابدين عليه السلام: الصمد: الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٥).

وقيل: هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (٦). وعن الحسن: هو الذي صمدت إليه الأمور، فلا يقضي فيها غيره ولا تقتضي دونه (٧).

وروى رئيس المحدثين في كتاب التوحيد بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن

- | | |
|---|--|
| (١) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣. | (٥) التوحيد: ص ٩٠ ح ٥. |
| (٢) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣. | (٦) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١٨١. |
| (٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١٨٢. (٧) لم نتحققه. | |
| (٤) التوحيد: ص ٩٠ ح ٤. | |

أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: ما الصمد؟ قال: الذي ليس بمجوف (١).
وبسنده أيضاً عن أبي الحسن قال: الصمد الذي لاجوف له (٢).
وأنكر ثقة الإسلام قدس الله روحه وسره في كتاب الكافي هذا التأويل، قال:
لأن ذلك لا يكون إلا من صفة الجسم، والله جلّ ذكره متعال عن ذلك (٣).
وتعقبه بعض أصحابنا المتأخرين فقال: بل هذا التأويل له معنى صحيح
ووجه ظاهر، إذ الجوف كما يطلق على فرجة في الباطن كذلك يطلق على الباطن
وإن لم تكن له فرجة، كما إذا قيل: هذا في جوف ذاك أي: تحته، فالجوف من
الصفات اللازمة للجسم، فنفيه كناية عن نفي الجسميّة عنه تعالى، بل لا يبعد أن
يكون هذا التأويل تنزيهاً له عن التشبيه على الإطلاق، وعن أن يكون له جزء
وجود وصفات زائدة وكمال بالقوة؛ إذ كلّ ما كان له أحد هذه الأمور كان له
فرجة عقلية وجوف معنوي، يستقر فيه وجه التشبيه والأجزاء والصفات واستعداد
الكمال، وبالجمله؛ فيه إشارة إلى التوحيد المطلق، ونفي التشبيه بشيء من مخلوقاته؛
إذ كلّ مخلوق فهو ذو جوف وفرج، بماله من الماهيّة والأجزاء والوجود
والاستعداد (٤)، انتهى.

وقال النظام النيسابوري: قيل: الصمد: هو الذي لاجوف له، ومنه قولهم
لسداد القارورة: صمّاد، وشيء مصمد أي: صلب ليس فيه رخاوة، قال ابن
قتيبة: يجوز على هذا التفسير أن تكون الدال بدل التاء من مصمت، وقال بعض
التأخرين من أهل اللغة: الصمد: هو الملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء،
ولا يخرج منه شيء، ولا يخفى أنّ هذين المعنيين من صفات الأجسام حقيقة، إلا أنّ
وصف الله سبحانه به يمنع من حمله عليها حقيقة؛ لأنّ كلّ جسم مركّب، فوجب

(١) التوحيد: ص ٩٣ ح ٨. (٢) الكافي: ج ١ ص ١٢٤. (٣) التوحيد: ص ٩٣ ح ٧. (٤) شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ٤ ص ٨٢-٨٣.

الحمل على المجاز، وهو أنه لوجوب ذاته ممتنع التغير في وجوده وبقائه وسائر صفاته؛ ومن هنا اختلفت عبارات المفسرين في تأويله (١)، إنتهى.

قلت: والمعاني المذكورة للصمد كلها يمكن حمل الصمد الموصوف به القدرة عليها، من حيث إن قدرته عز وجل عين ذاته وذاته عين قدرته، إلا أن الأنسب حمله على معنى المصمت الذي لا جوف له، ويكون من باب التمثيل في استحكام القدرة وشدتها، بحيث لا يتطرق إليها خلل أو ضعف؛ لأن الشيء إذا كان مصمتاً كان منعوتاً بشدة القوة والاستحكام والاضطلاع بما يضعف عنه غيره لصلابته وعدم رخاوته، ألا ترى أنهم إذا مدحوا الرمح قالوا: رمح أصم أي: صلب مصمت لا رخاوة فيه ولا يلحقه وهن واعوجاج، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وفضيلة الحول والقوة» الفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، وهو ضد النقص.

وقال الجوهري: الفضل والفضيلة: ضد النقص والنقيصة (٢)

والحول: القدرة على التصرف.

والقوة: مبدأ الأفعال الشاقة، وقوته تعالى تعود إلى تمام قدرته تعالى، فهو تعالى قوي بمعنى: بالغ القدرة تامها.

قوله عليه السلام: «ودرجة العلو والرفعة».

الدرجة في الأصل: المرقاة، ثم استعملت بمعنى المنزلة والمرتبة الرفيعة، ومنه قوله تعالى: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً» (٣) أي: منزلة عالية.

والعلو والرفعة في اللغة بمعنى، وهو الفوقية، ولك تخصيص العلو هنا بعلوه تعالى

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٣ ذيل الآية «الصمد» من سورة التوحيد.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٣) الصحاح: ج ٥ ص ١٧٩١.

على الخلق بالقدرة عليهم، والرفعة بارتفاعه عن الأشياء والاتصاف بصفاتهم وبالعكس.

والمعنى: لك درجة علو السلطان ورفعة الشأن؛ إذ كان سبحانه أشرف الموجودات رتبة، من جهة استغنائه في وجوده عن كل ماسواه، وافتقار ماسواه إليه، كما قال تعالى: «رفيع الدرجات» (١).

قال الغزالي في المقصد الأسنى: العلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل، وذلك إما في درجات محسوسة كالدرج والمراقى وجميع الأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض. وإما في المراتب المعقولة للموجودات المترتبة نوعاً من الترتيب العقلي، فكل ماله الفوقية في المكان فله العلو المكاني، وكل ماله الفوقية في الرتبة فله العلو في الرتبة. والتدرجات العقلية مفهومة كالتدرجات الحسية، ومثال الدرجات العقلية هو التفاوت الذي بين السبب والمسبب، والعلة والمعلول، والفاعل والقابل، والكامل والناقص، فإذا قدرت شيئاً هو سبب لشيء ثان، وذلك الثاني سبب لثالث، والثالث لرابع إلى عشر درجات مثلاً، فالعاشر واقع في الرتبة الأخيرة فهو الأسفل الأدنى، والأول واقع في الدرجة الأولى من السببية فهو الأعلى، وتكون الأولى فوق الثانية فوقية بالمعنى لا بالمكان، والعلو عبارة عن الفوقية فإذا فهمت معنى التدرج العقلي، فاعلم أن الموجودات لا يمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة في العقل، إلا ويكون الحق تعالى في الدرجة العليا من درجات أقسامها، حتى لا يتصور أن يكون فوقه درجة، وذلك هو العلي المطلق، وكل ماسواه فيكون علياً بالإضافة إلى مادونه، ويكون دنياً وسافلاً بالإضافة إلى ما فوقه، ومثال قسمة العقل أن الموجودات تنقسم إلى ما هو سبب وإلى ما هو مسبب، والسبب فوق المسبب

فوقية بالرتبة، فالفوقية المطلقة ليست إلا لمُسَبَّب الأسباب. وكذلك ينقسم الموجود إلى ميت وحي، والحي ينقسم إلى ما ليس له إلا الإدراك الحسي وهو البهيمية، وإلى ما له مع ذلك الإدراك العلمي، والذي له الإدراك العلمي ينقسم إلى ما يعارضه في معلوماته الشهوة والغضب وهو الإنسان، وإلى ما يسلم إدراكه عن معارضة المكدرات، والذي سلم ينقسم إلى ما يمكن أن يتلي به ولكنه رزق السلامة كالملائكة، وإلى ما يستحيل ذلك في حقه وهو الله تعالى فوق الكل فهو العلي المطلق، فإنه الحي المحيي العالم المطلق الخالق لعلوم العلماء، المنزه المقدس عن جميع أنواع النقص. فقد وقع الميت في الدرجة السفلى من درجات الكمال، ولم يقع في الطرف الآخر إلا الله تعالى، فهكذا ينبغي أن تفهم فوقيته وعلوه ورفعته، فإن هذه الأسماء وضعت أولاً بالإضافة إلى إدراك البصر وهو درجة العوام، ثم لما تنبه الخواص لإدراك البصائر ووجدوا بينها وبين الأبصار موازنات، استعاروا منها الألفاظ المطلقة وفهمها الخواص، وأنكرها العوام الذين لم يجاوز إدراكهم الخواص وهي رتبة البهائم، فلم يفهموا عظمتها إلا بالمساحة، ولا علواً إلا بالمكان، ولا رفعة ولا فوقية إلا به. فإذا فهمت هذا، فهمت معنى كونه تعالى فوق العرش؛ لأن العرش أعظم الأجسام وهو فوق جميعها، والموجود المنزه عن التحدد والتعدد بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلها في الرتبة، ولكن خصّ العرش بالذكر لأنه فوق جميع الأجسام، فما كان فوقه كان فوق جميعها، وهو كقول القائل: الخليفة فوق السلطان، تنبيهاً على أنه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان.

والعجب من الحشوي الذي لا يفهم من فوق إلا المكان، ومع ذلك إذا سئل عن شخصين من الأكابر، وقيل له: كيف يجلسان في الصدور والمحافل؟ فيقول: هذا يجلس فوق ذلك، وهو يعلم أنه ليس يجلس إلا بجانبه، وإنما يكون جالساً فوقه

لوجلس على رأسه، ولوقيل له: كذبت ماجلس فوقه ولا تحته ولكنه جالس بجنبه، اشماز وتغير من هذا الإنكار، وقال: إنما أعني به فوقية الرتبة والقرب من الصدر، فإن الأقرب من الصدر-الذي هو المنتهى- فوق بالإضافة إلى الأبعد، ثم لا يفهم هذا أن كل ترتيب له طرفان، يجوز أن يطلق على أحد طرفيه اسم الفوق وعلى الطرف الآخر ما يقابله (١)، إنتهى.

وقال بعضهم: علوه تعالى علو عقلي مطلق، بمعنى أنه لارتبة فوق رتبته ولا رتبة تساوي رتبته. وبيان ذلك: أن أعلى مراتب الكمال العقلية هو مرتبة العلية، ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلته التي لا يتصور النقصان فيها بوجه من الوجوه، لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب، ودرجته أرفع الدرجات العقلية، وله الفوق المطلق في الوجود، والعلو العالي عن الإضافة إلى شيء دون شيء، وعن إمكان أن يكون أحد يساويه في العلو أو يكون أعلى منه.

وقوله عليه السلام: «ومن سواك مرحوم في عمره» قيل: «سوى» هنا ظرف لوقوعها صلة، وليست بمعنى غير؛ لأن غير لا تدخل ها هنا إلا والضمير قبلها، فلا يقال: إلا من هو غيرك، فتعين كون سوى ظرفاً، والتقدير، ومن استقر مكانك.

وأجيب بتقدير «سوى» خبراً له «هو» محذوفاً أي: من هو سواك أي: غيرك، أو حالاً معمولاً له «ثبت» مضمراً، وذو الحال الضمير العائد إلى الموصول وهو فاعل ثبت، أي: ومن ثبت حال كونه سواك أي: غيرك مرحوم، أي: يرق له ويتعطف عليه من يعلم بحقيقة حاله من ذلّه في رق الافتقار والحاجة والإمكان، وحقارته في أسر العبودية.

وقوله عليه السّلام: «(في عمره) أي: في مدّة حياته لا ينفكّ عنه الذلّ والمهانة يوماً من أيّام وجوده، أو مرحوم من أجل كون عمره في قبضة غيره، فهو ذليل حقير في ملكه.

وإنّما فسرناه بذلك فإنّ هذه الفقرة مقابلة لما قبلها من قوله عليه السّلام: «(ولك درجة العلوّ والرفعة)»، ويؤيّد ما وقع في نسخة ابن إدريس رضي الله عنه وفي نسخة قديمة أيضاً: «(ومن سواك مرحوم في قدره)» بدل «(عمره)» أي: مقداره ورتبته.

قوله عليه السّلام: «(مغلوب على أمره)» أي: مستولى علىّ حاله؛ لأنّه مسخّر تحت حكم بارئه وقدرته، لا حول ولا قوّة إلّا به، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً دونه. وقيل: أي: ليس له تمام الاختيار في أمره، فلا يلزم أن لا اختيار له أصلاً، وما ذكرناه أولى؛ لأنّ هذه الفقرة مقابلة لقوله عليه السّلام: «(ولك فضيلة الحول والقوّة)».

قوله عليه السّلام: «(مقهور على شأنه)» الشّأن: الأمر والحال، من شأنت شأنه، أي: قصدت قصده، مصدر بمعنى المفعول، أي: مغلوب علىّ حاله، لا قدرة له علىّ شيء من أمره استقلالاً؛ لأنّ قوّته وقدرته ومشيتته وإرادته إلى غير ذلك من شؤونه وأحواله مخلوقة فيه، لها صانع غيره، ولم تحصل فيه باختياره، ولم توجد فيه من نفسه، بل خلقه الله تعالى وخلقها فيه كيف أراد، فهو مسلوب القدرة لذاته، عاجز عن أمور نفسه، من إيجاد وإفناء وإعزاز وإذلال وتقوية وإضعاف.

وهذه الفقرة كما مرّ مقابلة لقوله عليه السّلام: «(ولك ملكة القدرة الصمد)».

قوله عليه السّلام: «(مختلف الحالات متنقل في الصفات)» الاختلاف: هو امتناع أحد الشّيئين أن يسدّ مسدّاً آخر فيما يرجع إلى ذاته، كالسواد الذي لا يسدّ مسدّاً البياض، وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة والحالات المتفاوتة.

والحالات: جمع حالة مؤنث حال، وهي الهيئة التي يكون عليها الشيء حال

وجوده، وقد تطلق على الكيفية النفسانية التي لا تكون راسخة في موضوعها، كصناعة الكتابة للمبتدئ، وهي هذا المعنى مقابلة للملكة، والمراد بها هنا: المعنى الأول. وقد يعبر عنه بالأمر العارض للشيء..

والتنقل: تفعل من النقلة، وهي خروج الجسم من مكان إلى مكان، وهو هنا مجاز عن الاتصاف بالصفات المختلفة حالاً بعد حال.

والصفات: جمع صفة، وهي المعنى القائم بالذات.

ومعنى اختلاف حالاته: كونها غير متماثلة، سواء كانت متضادة كالنوم واليقظة، والفرح والحزن، والعز والذل، والرضا والغضب، أو متقابلة في الجملة كالحياء والعفة، والشجاعة والحلم، والتواضع والزهد، والصدق والسخاء، إلى غير ذلك من الحالات.

ومعنى تنقله في الصفات: كونه لا يستمر ولا يدوم على صفة واحدة، لا بحسب خلقه ولا بحسب عوارضه، بل هواتارات وأطوار، فهو بحسب خلقه متنقل من العنصرية إلى كونه غذاءً، إلى كونه دماً، إلى كونه نطفةً، إلى كونه علقةً، إلى مضغة، إلى كونه عظماً ولحماً، إلى كونه خلقاً آخر، ثم من الطفولية إلى الشبيبة، إلى الكهولة إلى الشيخوخة.

وأما بحسب عوارضه، فهو متنقل تارةً من العلم إلى الجهل، وتارةً من الفقر إلى الغنى وبالعكس، وطوراً من الصحة إلى المرض وبالعكس إلى غير ذلك من الصفات.

وهذا الاختلاف والتنقل يستلزم التركيب والكثرة، التي هي خلاف الوحدانية المختصة بالله سبحانه؛ ولذلك جعل هذه الفقرة مقابلة لقوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد».

وقوله عليه السلام: «فتعاليت عن الأشباه والأضداد» الفاء: للترتيب

الذكرى، مثلها في نحو قوله تعالى: «وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَسَبَوُا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» (١)، فإن ذكر مدح الشيء يصح بعد ذكره، ويحتمل أن يكون لترتيب ما قبلها على ما بعدها، فإنه لما ذكر صفاته العليا المختصة به، وقابلها بما يخالفها من صفات من سواه، صح أن يرتب على ذلك تعالىه وتكبره عن أن يكون له شبه وضد ونذ ومثل.

وإنما عدى قوله عليه السلام: «تعاليت» و«تكبرت» بـ «عن»، والأصل فيهما أن يتعديا بـ «على»؛ لتضمنيهما معنى تقدست وتنزهت.

والأشباه: جمع شبه بفتحين كسبب وأسباب، أو جمع شبه بالكسر فالسكون كحمل وأحال، وكلاهما لغة بمعنى المثل. وقد نخص المشابهة بالاتحاد في الكيف، والمماثلة بالاتحاد في الحقيقة، فيكن في المثل زيادة قرب لا تكون في الشبه، ويكون المراد بتعاليه عن الأشباه: تعالىه عن الأشياء المشاركة له في صفاته، وبتكبره عن الأمثال: تكبره عن الأشياء الموافقة له في حقيقة ذاته.

والأضداد: جمع ضد، وهو يطلق تارة على المساوي في القوة للمانع، وتارة على النظير والمثل، والأول هو المشهور.

قال الفيومي: الضد هو النظير والكفو، والجمع أضداد (٢).

وقال أبو عمرو: الضد: مثل الشيء، والفسد خلافه (٣).

والأنداد: جمع نذ، وهو المثل المنادي أي: المعادي، من ناداه بمعنى: عاداه.

قال الزمخشري: النذ: المثل، ولا يقال إلا للمثل المخالف المنادي، من ناددت

الرجل: خالفته ونافرته، ونذ ندوداً: نفر (٤).

(١) سورة الزمر: الآية ٧٤.

(٢) و(٣) المصباح المنير: ص ٤٩٠.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٩٥.

قال الراغب: الند: المشارك في الجوهر. أي: في الحقيقة (١).

وقال النظام النيسابوري: معنى قول الموحّد: «ليس لله ند ولا ضد»: نفى ما يستد مسدّه ونفى ما ينافيه (٢).

قوله عليه السّلام: «فبِحانك لا إله إلا أنت» الفاء: للإشارة إلى أن ما فصل من شؤونه تعالى موجب لتنزّهه وتنزيهه أكمل إيجاب، أي: إذا كنت على هذا الوجه من الوصف بالوحدانيّة والاعتدال، والحول والقوة والعلو والرفعة، والتعالى عن الأشباه والأضداد والأمثال والأنداد، فبِحانك، أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بشأنك الأقدس وجنابك الأعلى من صفات المخلوقين.

وعنى بذلك تسييحاً ناشئاً عن كمال طمأنينة النفس والإيقان بكونه تعالى على ما ذكر، أو تنزهت عن ذلك تنزهاً ناشئاً عن ذاتك المقدّسة. وإيراده قبل قوله: «لا إله إلا أنت» أي: لا مستحقّ للعبادة سواك، تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالتنزه عن لواحق الإمكان ولوازم الحدوث، والله أعلم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على رسوله هادياً وسراجاً وحاشراً، وعلى آله سيّما أخيه وأبي بنيه، الذي شرف بالنسب وكان له صهراً، عليّ قانع الكفّار، عليهم سلام الله والتسليمات كثيراً وافراً. سنة ١٢٦٩ هـ.

(١) المفردات: ص ٤٨٦، نقلاً بالمعنى ج ١ ص ٦٦.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج ١ ص ٦٦.



الروضة التاسعة والعشرون

مركز بحوث ودراسات



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَائِدَةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَسَمَ عَلَيْهِ الرِّزْقَ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَنَيْتَنَا فِي أَرْضٍ أَقْنَا بِسُوءِ الظَّنِّ وَفِي جَالِنَا بِطَوْلِ الْأَمَلِ
حَتَّى التَّمَسُّنَا أَرْضَكَ مِنْ عَيْدِ الْمَرْزُوقِينَ وَطَعْنَنَا بِأَمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُغْمَرِينَ
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لَنَا يَقِينًا صَادِقًا تَكْفِينًا بِهِ مِنْ مَوْنَةِ الْطَلَبِ
وَأَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُغْنِيَانَا هَاهُنَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ وَاجْعَلْ مَا صَرَحْتَ
بِهِ مِنْ عِدَّتِكَ فِي وَحْيِكَ وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ قِيمَتِكَ فِي كِتَابِكَ فَاطِعًا لِأَهْمِنَا
بِالرِّزْقِ الَّذِي كَفَّلْتَ بِهِ وَحَمْلًا لِلْإِسْتِغْنَاءِ بِمَا صَوَّبْتَ الْكِبَاهَةَ لِقَوْلِكَ
وَقَوْلِكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُ وَأَقْسَمْتَ وَقَمَّكَ الْأَبْرَارُ الْأَوْفَى وَفِي السَّمَاءِ آتَاكُمْ

وَمَا تُوْعَدُونَ ثُمَّ قُلْتَ قُورِبِ السَّمَاءِ وَ

الْأَرْضِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِثْلَ مَا أَتَاكُمْ

تَنْطِقُونَ



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله قاسم الأرزاق والآجال، الفاسح للآمال أفسح مجال، والصلاة والسلام على نبيه المنزل عليه الكتاب هدى للمتقين، وعلى أهل بيته الهادين السالكين إلى الحق اليقين.

وبعد فهذه الروضة التاسعة والعشرون من رياض السالكين، تتضمن شرح الدعاء التاسع والعشرين من صحيفة سيد العابدين، صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملأ العبد الراجي فضل ربه السني علي صدرالدين الحسيني الحسيني، عامله الله تعالى بلطفه الحقي وبره الحفي.

شرح الدعاء التاسع والعشرين

وكان من دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قُتِرَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ.

قُتِرَ عَلَيْهِ قُتْرًا وَقُتُورًا - من بابي ضرب وقعد - وأقتر إقتاراً وقُتِرَ تَقْتِيرًا: ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي النِّفْقَةِ، وَمِثْلُهُ: قَدَّرَ بِالْإِدَالِ - مِنْ بَابِ ضَرْبٍ -، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «اللَّهُ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ» (١).

وَالرِّزْقُ اسْمٌ لِمَا يَسُوقُهُ اللَّهُ إِلَى الْحَيَوَانِ فَيَسْتَفِيعُ بِهِ، فَيَكُونُ مَتَنَاوِلًا لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، هَذَا قَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ.

وَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَمْلُوكٍ يَسْتَفِيعُ بِهِ الْمَالِكُ، فَلَا يَكُونُ الْحَرَامُ رِزْقًا. وَقَدْ أَسْلَفْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي الرَّوْضَةِ الْأُولَى فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَبْتَلِي أَنْبِيََاءَهُ وَأَوْلِيَائَهُ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِتَقْتِيرِ الرِّزْقِ؛ لَوَجْوهٍ مِنَ الْحِكْمَةِ وَضُرُوبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، اقْتَضَتْهَا عَنَايَتُهُ سَبْحَانَهُ بِهِمْ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ صَحِيحُ الْخَبَرِ وَمُسْتَفِيزُ الْأَثَرِ.

مِنْهَا: إِكْرَامُهُمْ وَصِيَانَتُهُمْ عَنِ الْإِشْتَغَالِ بِالْدُنْيَا وَقَنِيَائِهَا وَالتَّنَعُّمِ بِطَيِّبَاتِهَا؛ لِمَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ضَرْكَانِ، بِقَدَرِ مَا يَقْرُبُ مِنْ إِحْدَاهُمَا يَبْعُدُ مِنَ الْأُخْرَى (٢). وَالْأَنْبِيََاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا أَكْمَلَ الْخَلْقِ نَفُوسًا، وَأَقْوَاهُمْ اسْتِعْدَادًا لِقَبُولِ الْكِمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى الرِّيَاضَاتِ النَّاقَةِ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا، وَهُوَ الزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ، وَإِلَى تَطْوِيعِ نَفُوسِهِمُ الْأَمَّارَةَ لِنَفُوسِهِمُ الْمُطْمَئِنَّةِ بِالْعِبَادَةِ النَّاقَةِ، كَمَا هُوَ الْمَشْهُودُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ

صلوات الله عليهم؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يربط على بطنه حجراً من الجوع، وكان يسميه بالمشبع (١). وإلى ذلك أشار من قال:

وشد من سغب أحشائه وطوى
تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: وأيم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله،

لأروض نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً (٢)

وليس ذلك منهم عليهم السلام إلا زهداً في الدنيا، وإعراضاً عن متاعها

وزينتها؛ لما كان ذلك شرطاً في بلوغهم درجات النبوة والرسالة، ومراتب الوحي

والولاية، فلو فتحت لهم أبواب الدنيا، واشتغلوا بنعيمها وانغمسوا في لذاتها،

لانقطعوا عن حضرة جلال الله، وبعدوا عن ساحة القرب منه والوصول إليه.

ومنها: إعظام مثوباتهم على الصبر والقناعة، وظلف أنفسهم عن النزوع إلى

الدنيا وشهواتها؛ لأنه كلما كانت المحنة أعظم كانت المثوبة عليها أجزل.

ومنها: ابتلاء المتكبرين وأرباب الدنيا بهم؛ إذ لو وسع الله عليهم أرزاقهم،

فأتسعوا في القنيات الدنيوية من الكنوز والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة

والخيل المسومة والأنعام والحرث، لكانت طاعة الناس لهم أسرع، والانحياش إليهم

أقرب، كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبته القاصعة: فإن الله سبحانه

يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل

موسى بن عمران ومعه أخوه عليها السلام على فرعون، وعليها مدارع الصوف

وبأيديهم العصي، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه، فقال: ألا تعجبون من

هذين؟ يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما ياترون من حال الفقر والذل،

فهلأ ألقيا عليها أساور من ذهب؟ إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه،

(١) مجموعة ورام: ج ١ ص ١٥٣، نقلاً بالمعنى. (٢) نهج البلاغة: ص ٤١٩ الرسائل ٤٥.

ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقبان ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طير السماء ووحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء (١)

ومنها: ابتلاؤهم بالمتكبرين والمكذبين؛ لأنهم لو كانوا على الحالة الموصوفة من الاتساع في الدنيا، لسقط بلاؤهم بالصبر على أذى المسكنة من المكذبين لهم والمستخفين بشأنهم، كما قال أهل مدين لشعيب عليه السلام: «يا شعيب ما نفقة كثير أممّا تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير» (٢) ومنها: تأسي المسلمين واقتداء المؤمنين بهم عليهم السلام، في العزوف عن الدنيا والإعراض عن زخرفها وزبرجها؛ إذ كانوا هم القدوة للخلق ومحل الأسوة لهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كافي لك في الأسوة، ودليل على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مجازها ومساوئها؛ إذ قبضت عنه أطرافها، ووظئت لغيره أكنافها، وفطم من رضاعها، وزوي عن زخارفها. وإن شئت ثبّت بموسى كليم الله عليه السلام، حيث يقول: «ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير» (٣)، والله ما سأله إلاّ خبزاً يأكله؛ لأنه كان يأكل بقلّة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه؛ لهزّاله وتشذب لحمه. وإن شئت ثلثت بدّاود عليه السلام، صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة، ولقد كان يعمل سفائف الخوص، ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجُه بالليل القمر، وصلّاه في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ماتنبت الأرض

(١) نهج البلاغة: ص ٢٩١ الخطب ١٩٢. (٢) سورة هود: الآية ٩١. (٣) سورة القصص: الآية ٢٤.

للبيهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله، دأبته رجلاه، وخادمه يداه، فتأس بنبيك الأطهر صلى الله عليه وآله؛ فإن فيه أسوة حسنة لمن تأسّى، عزاء لمن تعزّى، وأحب العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّن لأثره. إلى أن قال عليه السلام: ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه، فقد كذب العظيم، وإن قال: أكرمه؛ فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه، فتأسّى متأسّي بنبيّه، واقتصّن أثره وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً صلى الله عليه وآله علماً للساعة، ومبشراً بالجنة، ونذيراً بالعقوبة، وخرج من الدنيا خيصة، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منة الله علينا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه، والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك فقلت: اعزب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى (١).

ومنها: إشارته سبحانه لهم بالحضور في حضرته المقدسة، بالدعاء والابتهال والتضرّع والسؤال، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله يبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرّعه (٢).

وعن ذلك كان يقول بعض أرباب القلوب: الدعاء يوجب الحضور، والعطاء يوجب الصرف، والمقام على الباب أشرف من الانصراف بالمبار (٣).

وعلى هذا ما روي عنه صلى الله عليه وآله من طريق العاقبة والخاصة، أنه

(١) نهج البلاغة: ص ٢٢٤-٢٢٩ الخطب ١٦٠.

(٢) مجموعة ورام: ج ٢ ص ٢٣٧، نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) لم نتحققه.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ، وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الْأَمَلِ،
حَتَّى التَّمَسَّنَا أَرْزَاقَنَا مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ، وَظَمِعْنَا بِأَمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ.

قال: عرض عليّ ربّي أن يجعل لي بطحاء مَكَّةَ ذهباً، فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جمعت تضرّعت إليك وذكّرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك (١). ودعاء سيّد العابدين عليه السلام إذا قرع عليه الرزق داخل في هذا الباب، والله أعلم.

الابتلاء: الاختبار، وابتلاء الله تعالى عبارة عن معاملته لعباده معاملة المبتلي المختبر؛ لأنّه سبحانه عالم الخفيات والسرائر وما كان وما يكون، فلا يتصوّر في حقّه الاختبار حقيقةً، وقد تقدّم بيان ذلك مبسوطاً في الروضة الأولى والروضة السادسة، فليرجع إليه.

وسوء الظنّ هنا: عبارة عن عدم اليقين بأنّ الأرزاق إنّما تكون من الله سبحانه وتعالى، وأنّها صادرة عن قسمته الربّانية، المكتوبة بقلم القضاء الإلهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كلّ شيء، كما قال عزّ شأنه في محكم كتابه: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (٢)، وأنّ حصولها إلى المرزوقين بمقتضى قسمته تعالى، كما قال الله سبحانه وتعالى: «وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِشْدَانُ خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» (٣)، فلا يزيد فيه حيلة محتال، ولا ينقص منه عجز عاجز، فعدم اليقين بذلك إمّا شكّ فيه، أو اعتقاد راجح بأنّ الأمر على خلاف ذلك، وكلّ منهما سوء ظنّ ناشئ من ضعف القلب لاستيلاء مرض الوهم عليه؛ فإنّ الوهم كثيراً ما يعارض اليقين، كمن تراه لا يبيت وحده مع ميّت وهو يبيت مع جماد، مع علمه بأنّ

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٢٥٤، هذا من طريق العامة. وأمّا من طريق الخاصة:

بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٧٩ ح ١١٨، وص ٢٢٠ ح ١٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٣) سورة الحجر: الآية ٢١.

الميت أيضاً جماد، فيبيعه ذلك على عدم الثقة بالله جلّ جلاله في حصول رزقه من غير اهتمام واكتساب، وعلى الاعتماد على الكسب والطلب والتعب والنصب، فيحمله ذلك على ذلك السؤال ورذيلة الاكتساب، وقد صرح أمير المؤمنين صلوات الله عليه بهذا المعنى في قوله: اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد، وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته، أكثر مما سمي له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته، وبين أن يبلغ ماسمي له في الذكر الحكيم، والعارف لهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة، والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلاً في مضرة (١). وفي هذا المعنى أخبار كثيرة.

والآجال: جمع أجل بفتحين، وقد علمت أنه يطلق على مدة العمر، وعلى الوقت الذي ينقرض فيه. والأمل: توقع حصول محبوب للنفس في المستقبل، والمراد بطول الأمل في الآجال: توقع امتداد مدة العمر، أو تأخر الوقت الذي تنقرض فيه.

و«حتى» هنا: حرف ابتداء، مثلها في قوله تعالى في الأعراف: «ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ» (٢).

قال الرضي: معنى كونها حرف ابتداء: أن ما بعدها جملة استثنائية لا تتعلق من حيث الإعراب بما قبلها، ولانعني بكونها حرف ابتداء أن ما بعدها مبتدأ مقدر، أي: نحن التمسنا وهم عفوا؛ لأن ذلك لا يطرّد في نحو قوله سبحانه وتعالى: «وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ» بالرفع، فإن حتى فيه ابتدائية قطعاً (٣)، إنتهى.

قال ابن الحاجب: إذا كانت «حتى» حرف ابتداء وجبت السببية؛ لأن الاتصال اللفظي زال بسبب الاستئناف، فشرطت السببية التي هي موجبة

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٤٣.

(١) نهج البلاغة: ص ٥٢٣ الحكم ٢٧٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٥.

للاّ اتصال المعنوي، فإنّ السبب متّصل بالمسبّب معني؛ جبراً لما فات من الاتّصال اللفظي (١)، إنتهى.

والسبب هنا ظاهرة؛ فإنّ الالتماس مسبّب عن الابتلاء، كما أنّ العفوأي: الكثرة مسبّب عن التبديل.

قال ابن هشام: وزعم ابن مالك أنّ «حتّى» هذه جارة، وأنّ بعدها «أنّ» مضمرة، ولا أعرف في ذلك سلفاً، وفيه تكلف إضمار من غير ضرورة (٢)، إنتهى.

وقال السيوطي: الأكثرون على خلاف ما ادّعاه ابن مالك. (٣)

ومن العجيب ما وقع لبعضهم أنّ «حتّى» في عبارة الدعاء عاطفة، وخفي عليهم أنّ شرط العطف بحتّى كون معطوفها بعضاً مما قبلها أو كبعض منه، ولا يتأتّى ذلك إلّا في المفردات، مع أنّ العطف بحتّى قليل جدّاً، حتّى أنّ أهل الكوفة ينكرونه البتّة، والله الهادي إلى سبيل الصواب.

والالتماس: طلب الشيء ممّن يساوي الطالب رتبةً على سبيل التلطف، كقولك لمن يساويك: إفعل كذا أيّها الأخ.

وإضافة الأرزاق إلى ضمير المخاطب وهو الله سبحانه، باعتبار أنّها فعله، وإلى ضمير المتكلّم مع غيره، كما في نسخة ابن إدريس، باعتبار اختصاصها بهم.

قوله عليه السّلام: «من عند المرزوقين» أي: من الذين رزقتهم، أو من الناس الذين من شأنهم أن يرزقوا.

والتعرّض لعنوان المرزوقيّة للإشعار بأنّ المرزوق من شأنه أن يسأل هو الرزق، لأن يسأل منه الرزق.

وهذه الفقرة متعلّق معناها بسوء الظن في الأرزاق؛ إذ لولاه لكان العقل

(٣) مع الهوامع للسيوطي: ج ٢ ص ٢٤.

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) مفتي الليب: ص ١٧٤.

حاكماً بأن طلب الرزق من المرزوق لا وجه له، مع ما في ذلك من الذل والخضوع للمطلوب إليه، ومهانة النفس، واشتغالها عن التوجه إلى الرازق، وكل ذلك مما يقضي العقل بقبحه، وما أحسن ما قيل:

من لم يكن لله متهماً
لم يمس محتاجاً إلى أحد
قوله عليه السلام: «وطمعنا بآمالنا في أعمار المعمرين» طمع في الشيء طمعاً - من باب تعب -: حرص عليه ورجاه.

والمعمرين: جمع معمر، اسم مفعول من عمره الله تعميراً أي: أطال عمره. وهذه الجملة متعلقة بطول الأمل في الآجال، أي: طمعنا بسبب آمالنا الطويلة في أن نعمر مثل أعمارهم، وهذا المعنى أيضاً باعث على الاهتمام بتحصيل الرزق وطلبه، والكدة والجهد في كسبه وجمعه.

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

فائدة

قال ابن دريد: لا تعد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً (١).

قال الطبيعئون: العمر الطبيعي للإنسان مائة وعشرون سنة؛ لأن التجربة دلت على أن غاية سن النمو ثلاثون سنة، وغاية سن الوقوف عشرة، فهذه أربعون، ويجب أن تكون غاية سن النقصان ضعف الأربعين المتقدمة، فيكون نهاية العمر مائة وعشرين سنة، قالوا: وإنما صار زمان الفساد ضعف زمان الكون، أما من السبب المادي، فلأن في زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن فتتمسك بالقوة، وأما من السبب الفاعلي، فلأن الطبيعة تتأدى إلى الأفضل، وتتحامى عن الأنقص.

وزعم بعض المنجمين: أن سبب كون نهاية العمر مائة وعشرين سنة، هو أن قوام العالم بالشمس، وسنوها الكبرى مائة وعشرون سنة. وتعقب بعضهم ذلك بأنه ليس في قول الطائفتين برهان قطعي يدل على أن نهاية عمر الإنسان هذا القدر أو قدر معين غيره، وقد جاءت الكتب الإلهية بإثبات الأعمار الطويلة للامم السالفة، قال الله تعالى في حق نوح عليه السلام: «قَلْبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا» (١)، والتوراة والإنجيل مطابقان للقرآن العظيم في إثبات الأعمار الطويلة للادميين، والإصرار على إنكار ذلك دليل على الجهل. وقال الشيخ أبو الريحان البيروني في الكتاب المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية: وقد أنكر بعض أعمار الحشوية والذهريّة ما وصف من طول الأعمار الخالية، وخاصة فيما وراء زمان إبراهيم عليه السلام، وذكر شيئاً من كلام المنجمين، ثم حكى عن ما شاء الله أنه قال في أول كتابه في المواليد: يمكن أن يعيش أصحاب سني القران الأوسط إذا اتفق الميلاد عند تحويل القران إلى الحمل ومثلثاته، وكانت الدلالات على ما ذكرناه أن يبقى المولود سني القران الأعظم وهي تسعمائة وستون سنة بالتقريب، حتى يعود القران إلى موضعه (٢). انتهى.

وقال النظام النيسابوري في تفسيره: قال بعض الأطباء: العمر الطبيعي للإنسان مائة وعشرون سنة، فاعترض عليه بعمر نوح عليه السلام وغيره، وذلك أن المفسرين قالوا: إن نوحاً عليه السلام عمّر ألفاً وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين سنة، ولبت في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد ستين، وعن وهب

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٤.

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية: ص ٧٨. ٧٩ أوفست مطبعة المشي بغداد طبع سنة ١٩٢٣

ميلادي برلين.

أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة.

ويمكن أن يقال: إنهم أرادوا بالطبيعي: ما كان أكثرياً في أعصارهم، ولا ينافي هذا كون بعض الأعمار زائداً على هذا القدر بطريق خرق العادة، على أن العادة قد تختلف باختلاف الأعصار والأدوار؛ ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين (١)، إنتهى.

وقال الشريف المرتضى قدس سره: إن قيل: إن كثيراً من الناس ينكر تطاول الأعمار وامتدادها، ويقول: إنه لا قدرة عليه ولا سبيل إليه، ومنهم من ينزل في إنكاره درجة فيقول: إنه وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان فإنه مما يقطع على انتفائه؛ لكونه خارقاً للعوادات، وإن العادات إذا أوثق الدليل بأنها لا تنخرق إلا على سبيل الإبانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء عليهم السلام، علم أن جميع ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع، ولا يلتفت إلى مثله.

قلنا: أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الإمكان، فقله ظاهر الفساد؛ لأنه لو علم ما العمر في الحقيقة، وما المقتضي لدوامه إذا دام، وانقطاعه إذا انقطع، لعلم من جواز امتداده ما علمناه. والعمر: هو استمرار كون من يجوز أن يكون حياً وغير حياً حياً، وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حياً؛ احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى؛ لأنه تعالى ممن لا يوصف بالعمر وإن استمر كونه حياً، وقد علمنا أن المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما يحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل، ولا يدخل إلا تحت مقدوره تعالى، كالرطوبة وما يجري مجراها، فتسبب فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية، وهي مما لا يجوز عليه البقاء، وكذلك ما يحتاج إليه، فليست تنتفي

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٣ ذيل الآية ١٤ من سورة العنكبوت.

إلا بضد يطرأ عليها، أو بضد ينفي ما يحتاج إليه، والأقوى أنه لا ضد لها في الحقيقة، وإنما ادعى قوم أنه انتفاء ما يحتاج إليه.

ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما قصدناه في هذا الباب، فهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما تحتاج إليه، ولا نقض ناقض بنية الحي، استمر كونه حياً.

ولو كانت الحياة أيضاً لا تبقى على مذهب من رأى ذلك، لكان ما قصدناه صحيحاً؛ لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالاً فحالاً، فيوالي بين فعلها وفعل ما يحتاج إليه، فيستمر كون الحي حياً.

فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن، وتناقص بنية الإنسان، فليس ممّا لا بد منه، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان، ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر على أن لا يفعل لما أجرى العادة بفعله.

وإذا ثبت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحي حياً موجب عن طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة، متى انتهيا إليه انقطعتا أو استحال أن تدوما، ولو أضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة.

فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها، فلا شك في أن العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة، يعد الزائد عليها خارقاً للعادة، إلا أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً.

ويجب أن يراعى في العادة إضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت، وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف، ولا أن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على

خلاف فيه، وإذا صبح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتداول الأعمال وامتدادها، ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عاداته الآن جارية بخلافه، وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة (١). وهذه جملة فيما أردناه كافية.

ذكر جملة من المعمرين فمنهم:

لقمان بن عاديا، قال الإخباريون: كان لقمان بن عاديا بن لجين بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، أطول الناس عمراً، عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة، ويقال: إنه عمّر عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ النسر الذكر فيجعله في الجبل، فيعيش النسر ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فرباه، حتى كان السابع وكان أطولها عمراً فسماه لبداً. ولبداً بلسانهم: الدهر. فلما انقضى عمر لبداً رآه لقمان واقعاً، فناداه انهض لبداً، فذهب لينهض فلم يستطع فسقط، ومات لقمان معه، فضرب به المثل، فقليل: طال الأبد على لبداً (٢) و (٣).

ومنهم عمرو بن عامر الملقب بـ «مزريقاء» ملك أرض سبا، روى الأصهباني وغيره أنه عاش ثمان مائة سنة، أربع مائة سنة: سوقة في حياة أبيه، وأربع مائة سنة ملكاً، وكان في سنّي ملكه يلبس في كلّ يوم حلّتين، فإذا كان بالعشيّ مزّق الحلتين لئلا يلبسها غيره، فسُمّي «مزريقاء» (٤).

ومنهم جهلمة بن ادد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن

(١) السيد المرتضى: ج ١ ص ٢٧٠-٢٧٢، مع اختلاف يسير في بعض اللفاظ.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج ٢ ص ٥٥٩.

(٣) مجمع الأمثال: ج ١ ص ٤٢٩.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ج ٢ ص ٥٦٠.

يعرب، ويقال لجهلمة: طي، وإليه تنسب قبيلة طي كلها، وكان له ابن أخ يقال له: يحابر بن ملك بن ادد، وكان قد أتى على كل واحد منها خمسمائة سنة، وقع بينهما ملاحاة بسبب المرعى، فخاف جهلمة هلاك عشيرته، فرحل عنه وطوى المنازل، فسَمِّي طياً، وهو صاحب «أجأ» و«سلمى» وهما جبلان بطيء (١).

ومنهم دويد بن نهد (٢) بن زيد بن سود بن أسلم بضم اللام بن الحاف بن قضاة، قال أبو حاتم: عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وخمسين سنة (٣) ومنهم: عبد المسيح بن بقبيلة الغساني، ذكر الكلبي وغيره: أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان نصرانياً، وخبره مع خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة معروف (٤).

ومنهم: الحرث بن مضاض الجرهمي، عاش أربعمائة سنة، وهو القاتل: كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر نعم نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر (٥) ومنهم: ربيع بن ضبع بن وهب، روي أنه عاش ثلاثمائة وأربعين سنة، فأدرك النبي صلى الله عليه وآله فلم يسلم (٦).

وروي أنه عاش إلى أيام عبد الملك بن مروان، فدخل عليه فقال له عبد الملك: فصل لي عمرك، قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى، ومائة وعشرين سنة في

(١) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٩١.

(٢) هكذا في الأصل، ولكن الصحيح: دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود.

(٣) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٢٣٦. بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٦٥ وفيها: أربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة.

(٤) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٢٦٠، بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٨٠-٢٨١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٨٩.

(٦) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥٦١.

الجاهلية، وستين في الإسلام، فقال له: لقد طلبك جد غير عاثر (١).

ومنهم: عمرو بن لحي، وهوزبيعة بن حارث بن عمرو مزريقيا، وهو الذي سنّ السائبة والوصيلة والحام، ونقل هبل ومناة من الشام إلى مكة، فوضعها للعبادة، وقدم بالنرد، وهو أول من أدخلها مكة، فكانوا يلعبون بها في الكعبة غدوة وعشية (٢)، وهلك وهو ابن ثلاثمائة سنة وخمس وأربعين سنة (٣).

ومنهم: المستوغب بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة، عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة حتى قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها
مائة أتت من بعدها مائتان لي
هل مابقي إلا كما قد فاتنا
ومنها: أكرم بن صيفي الأسدي، عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة، وكان ممن أدرك زمن النبي صلى الله عليه وآله وآمن به، ومات قبل أن يلقاه، وله أخبار وحكم وأمثال (٤)، وكان والده صيفي بن رياح بن أكرم أيضاً من المعمرين، عاش مائتين وسبعين سنة لا ينكر من عقله شيء (٥).

ومنهم: عمرو بن حمزة الدوسي، عاش أربعمائة سنة، وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتى كآتني
فما الموت أفناني ولكن تتابعت
ثلاث مئات قد مررن كواملاً
والمعمر من العرب دون هؤلاء كثيرون لا نطوّل بذكرهم.

(٤) أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٢٣٤.

(١) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) و (٦) كمال الدين وتعام النعمة: ص ٥٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٩١.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٨٩.

(٣) مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً، تَغْضِينَا بِهِ مِنْ مُوَوَّنَةِ الطَّلَبِ وَأَلْهَمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً، تُغْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ.

وأما الفرس فإنها تزعم أنَّ من ملوكها فيما تقدّم جماعة طالت أعمارهم، فيروون أنَّ الضحك صاحب الحيتين عاش ألفاً ومائتي سنة (١)، وإفريدون العادل عاش فوق ألف سنة، ويقولون (٢): إنَّ الملك الذي أحدث المهرجان عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة، استتر منها عن قومه ستمائة سنة (٣).

وروى أصحاب الأخبار: أنَّ سلمان الفارسي رضي الله عنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، وقال بعضهم: بل عاش أكثر من أربعمائة سنة (٤)، وقيل: إنه أدرك عيسى عليه السلام، وتوفي سنة خمس وثلاثين من الهجرة (٥) والله أعلم *.

اليقين: هو العلم بالشيء ضرورة واستدلالاً بعد أن كان صاحبه شاكاً فيه، ولذلك لا يوصف الباري تعالى بأنه متيقن ولا يقال: تيقنت أن السماء فوقي.

وقيل: هو العلم بالحق مع العلم بأنه لا يكون غيره، ولذلك قال المحقق الطوسي: وهو مركّب من علمين (٦) وقد أسلفنا الكلام عليه مبسوطاً (٧).

والمراد باليقين الصادق: المستقرّ الراسخ في القلب؛ إذ إطلاقه على غير الراسخ كاذب، وقيل: هو قيد للاحتراز عن العلم بالباطل، فإنه يقين عند الجهلة غير صادق، ولا يخفى ما فيه.

والإغضاء في الأصل: إدناء الجفون، ثم استعمل في التغافل والصدود. وفي القاموس: أغضى عنه طرفه: سده أو صدّه (٨).

(١) و(٢) و(٣) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢٩٠.

(٤) كشف الغمة: ج ٣ ص ٣٣٢.

(٥) لم نعرّ عليه.

(٦) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٣، نقلاً عنه.

(٧) في الروضة العشرين: ص ٢٧.

(٨) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٧٠.

والمعنى هنا: تصلنا به عن مؤونة الطلب.
وفي رواية: «تكفيننا به من مؤونة الطلب».
والمؤونة على وزن فعولة مهموزة: الثقل، وقد تخفف فيقال: مؤونة على وزن
سورة.

والطلب: محاولة وجود الشيء، وأخذه.
والإلهام: ما يلقي في الروح بطريق الفيض.
والثقة: الائتمان، يقال: وثقت به أثق بالكسرفيها: إذا ائتمنته.
والخالصة: التي لا يشوبها شك أو وهم.
والإعفاء: الإقالة، يقال: استعفيت من الأمر فعفاني أي: طلبت الترك
فأجابني.

وفي ديوان الأدب: يقال: إعفني من الخروج معك أي: دعني منه (١).
والنصب: كالتعب وزناً ومعنى.

ولما كان كل من اليقين الصادق والثقة الخالصة، سبباً للإقلاع من علاقة
الأسباب والانقطاع عن الوسائط، والراحة من تحمل ثقل الطلب وشدة التعب في
تحصيل الرزق والتردد في اكتسابه، استوهب عليه السلام ربه اليقين الصادق،
واستلهمه الثقة الخالصة، الموجبين للاطمئنان والاستراحة من الاضطراب والمشقة.
وبيان ذلك: أنه إذا حصل لأحد بالبرهان أو الهداية الخاصة أو الكشف
بتصفية النفس، اليقين بالله ووحديته، وعلمه وقدرته، وتقديره للأشياء وتديره
فيها، وحكمته التي لا يفوتها شيء من المصالح، ورأفته بالعباد وإحسانه إليهم ظاهراً
وباطناً وتقديره كمالات الأعضاء الظاهرة والباطنة، وتدير منافعها بلا استحقاق

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

ولا مصلحة منهم ومن غيرهم، وإيصال الأرزاق إليهم حيث لا شعور لهم بطرقها، ولا قدرة لهم على تحصيلها واكتسابها، مع عدم وجوده بوجه من الوجوه، علم أن من كان كذلك كان قادراً على مستقبل أموره ومهمات، وإيصال رزقه ومطلوبه، فلا ينظر إلى الأسباب والوسائط، ولا يتعلق قلبه بها أصلاً، فيستريح من مؤونة الطلب.

وكذلك من حصلت له ثقة خالصة بالله تعالى في جميع أموره اعتمد عليه، ووثق بكفايته، وتمسك بحوله وقوته، وترقب التوفيق والإعانة منه، دون الاعتماد على نفسه وحوله وقوته وقدرته وعلمه وما يظنه من الأسباب الضرورية والعادية وغيرها، فلا ينصب كل النصب في السعي لاكتساب الرزق، وهذا معنى التوكل على الله سبحانه.

لكن ينبغي أن يعلم أن التمسك بالأسباب لا ينافي اليقين، والثقة بالله جلّت عظمته والتوكل عليه؛ إذ ليس معنى ذلك رفع اليد عن الأسباب والوسائط رأساً، بل معناه عدم الاعتماد عليها والوثوق بها، ومن ثم اشتهر أن التمسك بالأسباب لا ينافي التوكل، فلو طلب طالب للرزق مثلاً رزقه من أسبابه المشروعة، كالتاجر من التجارة والزارع من الزراعة، ولم يكن اعتمادهما على عملهما، بل على الله سبحانه، وعلى أن الرزق عليه إن شاء رزقهما من عملهما هذين، وإن شاء رزقهما من غيرهما، حتى لو فسد العمل لم يحزنا، لم يكن ذلك منافياً لليقين والثقة بالله والتوكل عليه. ومثل ذلك حمل الخائف من العدو السلاح، وقفل الخارج من البيت بابه، وشرب المريض الدواء، فإنه إذا لم يكن اعتماده على السلاح والباب والدواء؛ إذ كثيراً ما يغلب العدو مع السلاح، ويسرق السارق بكسر القفل، ولا ينفع الدواء، بل اعتمداهم على الله عز وجل، لم يكن ذلك خارجاً عن حد اليقين والثقة بالله والتوكل عليه.

وَاجْعَلْ مَا صَرَّخْتُ بِهِ مِنْ عِدَّتِكَ فِي وَحْيِكَ، وَاتَّبَعْتُهُ مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ، قَاطِعاً لاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ، وَحَسْماً لِلِإِشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَهُ.

وبالجملة: قلب الموقن الواثق المتوكل متوجه إلى الله جلّ جلاله، وتوجهه إلى الأسباب والوسائط باعتبار أن العالم عالم الأسباب، وأن الله تعالى أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها، كما قال تعالى: «فامشوا في مناكبها وكلّوا من رزقه» (١) فالظاهر منه متحرك، والباطن ساكن مطمئن موقن بأن الرزق بيد الله تعالى، يوصله إلى عباده على حسب ما تقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان، لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كره كاره، فهو ساكن مستريح من تعذيب القلب والجسم بشدة الانتظار والجهد الجهد في كسبه؛ ثقةً منه بأن ما قسم له لا يجاوز، وما جاوز لا يصيبه، فيريح بيقينه وثقته راحة القلب وسكونه عن القلق والاضطراب، وراحة البدن وفراغه عن شدة النصب والإتعاب، وفي الحديث عنهم عليهم السلام: أن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (٢) .

صرّح به تصريحاً: كشفه وبيّنه بلفظ صريح، وهو ما انكشف المراد منه في نفسه، أي: بالنظر إلى كونه لفظاً مستعملاً سواء كان المعنى المراد فيه معنئ حقيقياً أو مجازياً، وقيد «في نفسه» للاحتراز عن استتار المراد فيه بواسطة غرابة اللفظ، أو ذهول السامع عن الوضع أو عن القرينة أو نحو ذلك، هذا هو التحقيق. وقال بعضهم: صرّح به أي: أذهب عنه احتمالات المجاز والتأويل. والعدة: الوعد. ومن: بيانية.

والوحي: مصدر وحيته إليه الكلام: إذا ألقىته إليه ليعلمه، وأوحيت إليه بالألف: مثله، وهي لغة القرآن الفاشية، ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقي إلى الأنبياء من عند الله، والمراد به هنا: الموحى، كالقول بمعنى القول، أي: فيما أوحيته. وجعله بعضهم من أسماء القرآن؛ لقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» (١).

وأتبعته الشيء: قفيته به، أي: جعلته تابعاً له.
والقسم بفتحين: اسم من أقسم بالله: إذا حلف.
والقطع: في الأصل للأجسام، وهو إيالة بعضها عن بعض فصلاً، ثم استعمل في المعاني فقل: قطعه عن العمل أي: منعه منه، وهو المراد هنا.
واهتم بالأمر اهتماماً: أعتنى به واحتفل.
وتكفلت بالمال: التزمت به، والتزمت نفسي.
والحسم: القطع، ومنه قيل للسيف: حسام؛ لأنه قاطع لما يأتي عليه، وقول العلماء: حسماً للباب أي: قطعاً للوقوع قطعاً كلياً.
واسناد القطع والحسم للعدة والقسم مجاز عقلي، أي: اجعلها سبباً لها.
والاشتغال: مصدر اشتغل بأمره فهو مشغول بالبناء للفاعل.
وقال ابن فارس: ولا يكادون يقولون: اشتغل بالبناء للفاعل، وهو جائز (٢).
وقد تقدم الكلام على ذلك بأبسط من هذا.
وفي نسخة: «وحسماً للاستعمال».
وضمنت المال ضماناً: التزمته.
والكفاية: مصدر كفاه الأمر: إذا قام مقامه.

فَقُلْتُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُ، وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمْتَ الْأَبْرُّ الْأَوْفَى:
وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، ثُمَّ قُلْتُ: فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ.

واللام في قوله: «له»: للتقوية متعلقة بالمصدر أعني الكفاية، والظرف لغو،
وزاد اللام لتقوية العامل الذي هو المصدر؛ لأنه فرع في العمل كقولك: ضربي لزيد
حسن .٥

الفاء: عاطفة، ومفادها هنا الترتيب الذكري، وهو عطف مفصل على مجمل،
ومثله قوله تعالى: «وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي» (١)، وقوله: «فَقَدْ
سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» (٢).

وجملة «وقولك الحق» معترضة بين القول ومقوله لا محل لها من الإعراب،
وفائدتها تقرير مضمون الجملة وإعرابها حالاً كما زعم بعضهم يأباه المقام، لأن
الحال مقيدة، فيراد بقوله الحق: هذا القول.

وعلى تقدير الاعتراض لا يختص به بل المطلق، أي: كل قول تقوله حقّ وصدق
لا يتطرق إليه الكذب. وأيضاً يراد الدوام على تقدير الاعتراض دون الحال. وكذا
الكلام في قوله: «وقسمك الأبرُّ الأوفى».

وأقسم يقسم إقساماً: حلف وبرّ في يمينه وقوله.

يبرّ براً - على وزن علم يعلم علماً -: صدق.

ووفى بعهده: ضدّ غدر.

قوله عليه السلام: «وفي السماء رزقكم» في محل نصب على المفعولية؛ لأنه
مقول القول، أي: أسباب رزقكم، بأن يرسل سبحانه الرياح فتثير السحاب،
فيبسطه في السماء، وينزل الغيث والمطر، فيخرج به من الأرض أنواع الأقوات

والملابس والمنافع. وقيل: معناه: وفي السماء تقدير رزقكم، أي: ما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب الذي هو في السماء.

وفي حديث أهل البيت عليهم السلام: أرزاق الخلائق في السماء الرابعة، تنزل بقدر وتبسط بقدر (١)

وقيل: المراد بالسماء: السحاب، وبالرزق: المطر، وهو المروي عن الصادق عليه السلام قال: الرزق: المطر ينزل من السماء فيخرج به أقوات العالم (٢).

وقوله: «وما تواعدون» قيل: هو الجنة فوق السماء السابعة وتحت العرش، وقيل: هو الثواب والعقاب؛ لأن الأعمال وجزاءها مكتوبة مقطرة في السماء، وعن الصادق عليه السلام: هو أخبار القيامة والرجعة، والأخبار التي في السماء (٣).

قوله: «ثم قلت فثوب السماء والأرض إنه لحق» هذا هو القسم المشار إليه سابقاً، أقسم سبحانه بنفسه أن ما ذكره من أمره الرزق الموعود حق لا شك فيه. والضمير في «إنه»: راجع إليه على أنه مستعار لاسم الإشارة.

قوله تعالى: «مثل ما أنكم تنطقون» (٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم سوى حفص «مثل» بالضم على أنه صفة لحق، والباقون بالنصب على الحالية من المستكن في الحق، أو على أنه وصف لمصدر محذوف، أي: إنه لحق حقاً مثل نطقكم (٥).

وقيل: إنه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن، وهو «ما» إن كانت عبارة عن شيء، وإن بما في حيزها إن جعلت «ما» زائدة، وعمله الرفع على أنه صفة

(١) تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص ١٢٤ ح ٢٥.

(٢) و(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٢٣.

(٥) تفسير روح المعاني: ج ٢٧ ص ١٠، مع تقديم وتأخير.

الحق، وثبوته القراءة بالرفع (١).

والمعنى كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون، ينبغي أن لا تشكوا في حقيقة ما ذكر (٢).

قال الزمخشري: وهذا كقول الناس: إن هذا الحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك هاهنا (٣).

وقال العلامة الطبرسي رضي الله عنه: شبه الله سبحانه تحقُّق ما أخبر عنه بتحقُّق نطق الآدمي ووجوده، فأراد أنه الحق كما أن الآدمي ناطق، والمعنى: أنه في صدقه وتحقُّق وجوده كالذي تعرفونه ضرورة (٤).

قيل: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلكت بنو آدم، أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم.

ونقل جارا الله في الكشاف عن الأصمعي، قال: أقبلت من جامع البصرة، وطلع أعرابي على قعود، فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصم، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: اتل عليّ، فتلوت والذاريات، فلما بلغت قوله تعالى: «وفي السماء رزقكم» قال: حسبك فقام إلى ناقته فنحرتها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولّى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفرّ فسلم عليّ، واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير ذلك؟ فقرأت «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ»، فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى

(١) و(٢) تفسير روح المعاني: ج ٢٧ ص ١٠، مع تقديم وتأخير.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٠.

(٤) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ١٥٦.

حلف؟ لم يصدّقوه بقوله حتّى ألقأوه إلى اليمين، قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه، والله أعلم (١).

هذا آخر الروضة التاسعة والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، وقد وفق الله سبحانه لإتمامها عصر يوم الأربعاء، سابع ذي الحجة الحرام آخر شهر سنة ثلثمائة وألف، بدار السرور برهانپور، على يد مؤلفها العبد صدر الدين عليّ بن أحمد الحسيني تقبّل الله أعماله وبلغه آماله.



مركز تحقیق و نشر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمُعَوِّذَةِ عَلَى قِصَا الدِّينِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي الْعَافِيَةَ مِنْ دَهْنِ تَخْلُقُ بِهِ وَنَجِي وَ
يَحَارِفُهُ ذَهْنِي وَتَشْعَبُ لَهُ فِكْرِي وَتَطُولُ عِمَارَتُهُ شُغْلِي وَاعُوذُ
بِكَ مِنْ هَمِّ الدِّينِ وَفِكْرِهِ وَشُغْلِ الدِّينِ وَسَهْمِهِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَاعِزَّنِي مِنْهُ وَأَسْتَجِيرُكَ يَا رَبِّ مِنْ ذَلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ وَمِنْ عَذَابِهِ
بَعْدَ الْوَفَاةِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَجِرْنِي مِنْهُ بِوَسْعِ فَضْلِكَ
كَهَافٍ وَاصِلِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَخْبِئْنِي عَنِ السَّرَفِ الْأَذْيَالِ
وَقَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَالْإِقْصَادِ وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ وَاقْضِنِي بِطُغْيَانِ
التَّهْدِيرِ وَآخِرِ مِنْ أَسْبَابِ التَّحْلَالِ أَرْزَاقِي وَوَجْهِي فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ الْإِقْلَاقِ
وَأَزِوَعْنِي مِنَ الْمَالِ مَا يَحْدِثُ لِي مَحْيِلَةً أَوْ نَادِيًا لِي بَغْيٍ أَوْ مَا اتَّعَقَبَ
مِنْهُ طُغْيَانًا اللَّهُمَّ حَبِّبْ لِي مَعْبَةَ الْفُقَرَاءِ وَأَعِزَّنِي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ
الصَّبْرِ وَمَا زَوَّبْتَ عَنِّي مِنْ مَسَاعِ الدُّنْيَا الْعَافِيَةِ فَأَذْخِرْ لِي فِي خَزَائِنِكَ
الْبَاقِيَةَ لِجَلِّ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ خَطَايَا وَعَجَلْتَنِي مِنْ مَسَاعِيهَا بُلْغَةً إِلَى جِوَارِكَ
وَوُضْلَةٍ إِلَى قُرْبِكَ وَذَرِيعَةً إِلَى جَنَّتِكَ إِنَّكَ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الديان، المنعم المنان، المستعان به على قضاء الحقوق، المستعاذ به من الآثام والفسوق، والصلاة على نبيه الذي ربح بهديه المحقون وخسر المبطلون، وعلى أهل بيته الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

وبعد فهذه الروضة الثلاثون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الهادين، إملاء العبد الراجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسيني، منحه الله معونته وكفاه بطوله مؤونته.

شرح الدعاء الثلاثين

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى قَضَائِ الدِّينِ .
قال عليه السلام:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي، وَيَحَارُ فِيهِ ذَهْنِي،

المعونة: اسم من استعان به فأعانه، ووزنها مفعلة بضم العين، وبعضهم يجعل الميم أصلية ويقول: هي فعولة مأخوذة من الماعون، وهو مأخوذ من المعن، وهو السهل اليسير لسهولة وتيسيره * .

والقضاء هنا: بمعنى الأداء، يقال: قضيت الدين أقضيته قضاءً أي: أديته أداءً، ومنه قوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ» (١)، «فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ الصَّلَاةُ» (٢) أي: أدّيتموها.

والمراد بالدين هنا: ما ثبت في الذمة من مال لآخر سواء كان مؤجلاً أم لم يكن، فيشمل السلف والقرض.

وقال في القاموس: الدين: ماله أجل، وما لا أجل له فقرض. وقيل: هو كل معاملة يكون أحد العوضين فيها مؤجلاً، وأما القرض: فهو إعطاء شيء ليستعيد عوضه وقتاً آخر من غير تعيين للوقت، ولا يخفى أن المقصود من الدين هنا هو المعنى الأعم الذي ذكرناه أولاً * .
عاذ بالله عياداً ومعاذاً: اعتصم.

وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمارَسَتِهِ شُغْلِي.

وأخلفت الثوب إخلاقاً: جعلته خلقاً بفتحين أي: بالياء، يقال: خلق الثوب بالضم: إذا بلى وقد يقال: أخلق أيضاً، فيكون الرباعي لازماً ومتعدياً، ثم استعير لبذل الوجه في سؤال أودين ونحوهما.

قال الزمخشري في الأساس: يقال للسائل: أخلفت وجهك (١).

ومن العجيب جعل بعض طلبة العجم الإخلاق هنا من أخلقه: إذا كساه ثوباً خلقاً، ثم قال: معناه: إني أعوذ بك من دين تلبسني بسببه ثوباً خلقاً، ولم يتفطن لإيقاع الفعل على الوجه.

وحار في أمره يحار خيراً- من باب تعب- وحيرة: لم يدروا وجه الصواب، فهو حيران وهي حيرى.

وقال الأزهرى: وأصله أن ينظر الإنسان إلى شيء يغشاه ضوءه فيصرف بصره عنه (٢). وعرفوا الذهن بأنه قوة للنفس تشمل على الحواس الظاهرة والباطنة معدة لاكتساب العلوم.

وفي القاموس: الذهن: الفهم والعقل وحفظ القلب والفطنة (٣).

وتشعب الأمر: تفرق، كأنه صار ذا شعب أي: فروع.

ومارسه بممارسة: عالج.

قال في الأساس: مارس قرنه عالج، ومارس الأمور والأعمال وما زال يزاوها ويمارسها (٤). والشغل بضم الشين وتضم الغين وتسكن للتخفيف: اسم من شغله الأمر شغلاً- من باب نفع- فالأمر شاغل وهو مشغول. ولما كان الدين يهم صاحبه ويقلقه، وكان صاحبه لا يزال متفكراً في دفع همته بقضائه وأدائه، استعمل فيه الممارسة التي تقتضي أن تكون من فاعلين يفعل أحدهما بصاحبه ما يفعله هو به، وهو

(١) أساس البلاغة: ص ١٧٣.

(٢) تهذيب اللغة: ج ٥ ص ٢٣١.

(٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٢٦.

أساس البلاغة: ص ٥٨٩.

وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدِّينِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدِّينِ وَسَهَرِهِ،
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْزِدْنِي مِنْهُ.
وَأَسْتَجِيرُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ تَبَعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ،
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهُ بِوَسْعِ فَاضِلٍ، أَوْ كَفَافٍ وَاصِلٍ.

من باب الاستعارة بالكناية، والممارسة ترشيح لها .

الهم: الحزن، يقال: همته الأمر همماً وأهمته بالألف: إذا حزنه وأثقله. وفرق بعضهم بينه وبين الغم بأن الهم ما يقدر الإنسان على إزالته كالإفلاس، والغم ما لا يقدر على إزالته كموت الولد.

والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، وليس في الأمر فكر أي: نظروروية.

وفي القاموس: الفكر بالكسر: إعمال النظر في الشيء كالفكرة (١).

والمراد بفكر الدين: تردد القلب والتدبر وإعمال النظر في أدائه، ووجوه الحيلة في قضائه.

والسهر: عدم النوم في الليل كله أو بعضه، يقال: سهر الليل كله أو بعضه: إذا لم ينام فيه، فهو ساهر وسهران، وأسهرته بالألف.

وإضافته إلى ضمير الدين من باب إضافة الشيء إلى سببه .

استجاره واستجار به: طلب أن يحميه فأجاره، والأصل في الاستجارة: طلب المجاورة وهي الملاصقة في السكن؛ لأن العرب تحمي جاريها وتمنع عنه المكروه وتنقذه منه، فكثرت حتى استعمل في مطلق طلب الحماية والإنقاذ من المكاره.

والذلة بالكسر: الهوان، ذلة يذل ذلاً - من باب ضرب - والاسم الذل بالضم والذلة والمذلة.

والتبعة على وزن كلمة: الظلامة، سميت بذلك لأن صاحبها يتبع بها ظالمه.
وفي محكم اللغة: التبعة: والتباعة: ما أتبعته به صاحبك من ظلامة ونحوها،
والتبعة والتباعة أيضاً: ما فيه إثم يتبع فيه (١)، إنتهى.

والوسع بالضم: الغنى والثروة، من وسع الله عليه رزقه: بسطه وكثره.
والفاضل: الزائد، من فضل فضلاً - من باب قتل - بمعنى: زاد، ومنه: خذ
الفضل أي: الزيادة.

والكفاف بالفتح من العيش والنفقة: ما ليس فيه فضل: يقال: قوته كفاف أي:
مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقصان؛ لأنه يكف عن الناس ويغني عنهم.
وواصل: أي موصل في غير منقطع عني، من قولهم: وصلته وصلاً وصلة: ضد
هجرته، وواصله وصالاً ومواصله - من باب قاتل - بمعنى: هجرته.
قال في الأساس: وصلني بعد الهجر وواصلني وصرمني بعد الوصل والصلة
والوصال (٢).

أو هو من أوصلت زيدا البلد فوصله.

تنمة

تشتمل على مسائل:

الأولى: في استعاذته عليه السلام من الدين ووصفه له بما وصفه أولاً، ثم
استعاذته من همته وفكره وشغله وسهره ثانياً، ثم استجارته من ذلته في الحياة وتبعته
بعد الوفاة، دليل واضح على فطاعة أمر الدين وشدة شناعته، وهو يرشد إلى تأكيد
اجتنابه، وقد ورد بذلك أحاديث كثيرة.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله: لا وجمع الآ وجمع العين، ولا هم إلا هم الدين (١).
وبسنده عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدين ربة الله في الأرض، فإذا أراد أن يذلّ عبداً وضعه في عنقه (٢).

وبسنده عن عبدالرحمن بن الحجاج عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: تعوذوا من غلبة الدين وغلبة الرجال وبوار الأيم (٣).

وبسنده عن الباقر عليه السلام قال: كلّ ذنب يكفره القتل في سبيل الله إلا الدين لا كفارة له إلا أدائه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحق (٤).

وبسنده عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليه السلام، قال: إياكم والدين، فإنه مذلة بالنهار مهمة بالليل، وقضاء في الدنيا وقضاء في الآخرة (٥).
الثانية: أجمع أصحابنا على شدة كراهية الاستدانة مع عدم الحاجة، إلا بالصالح فإنه ذهب إلى تحررها.

قال العلامة شهاب الدين بن فهد في المهذب البار (٦): إياك ثم إياك والتجري على الدين؛ فإنه مجلبة للهيم، ومشغلة للذمة، ومشئت للفكر، وهو في الدنيا مذلة وفي الآخرة تبعه. وحمل إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ميت، فقال: على ميتكم دين؟ فقالوا: نعم درهمان يا رسول الله، قال: تقدّموا فصلّوا على ميتكم، فقال عليّ عليه السلام: ضمنتهما عنه يا رسول الله، فقال: فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك، ثم تقدّم فصلّى عليه (٧).

وقد ورد رخصة في إباحته إذا كان له ولي يقضيه أو مال يؤدى عنه، والأفضل

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٠١ ح ٤ باب في آداب اقتضاء الدين. (٥) الكافي: ج ٥ ص ٩٥ ح ١١ باب الدين.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٠١ ح ٥ باب في آداب اقتضاء الدين. (٦) المهذب البار: مخطوط.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٩٢ ح ١ باب الدين. (٧) وسائل الشيعة: ج ١٣ ص ١٥١ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٩٤ ح ٦ باب الدين.

تركه والطلب إلى الله تعالى بالغنى عنه بالتسبب والتمعيش ؛ ففيه مع تفرغ الذمة من حقوق المخلوقين والراحة من الفكر، مواساة الصالحين والفوز بثواب الكاذبين، حيث يقول عليه السلام: الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله (١).

وقال عليه السلام: من بات كالأب في طلب الحلال غفر له (٢)، إنتهى.

وقال العلامة الحلبي قدس سره في التذكرة: وتخف الكراهة مع الحاجة، وإن اشتدت زالت، ولو خاف التلف ولا وجه إلا الاستدانة وجبت (٣).

قال الرضا عليه السلام: من طلب هذا الرزق من حلّ ليعود به على عياله ونفسه كان كالمجاهد في سبيل الله، فإن غلب عليه فليستدن على الله عز وجل وعلى رسوله ما يقوت به عياله، فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه كان عليه وزره؛ إن الله تعالى يقول: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين» فهو فقير مسكين مغرم (٤).

الثالثة: يجب على المستدين نية القضاء؛ لأنها واجبة من غير خلاف.

قال الصادق عليه السلام: من استدان ديناً فلم ينوقضاه كان بمنزلة السارق (٥). وعنه عليه السلام: من كان عليه دين ينوي قضاءه كان معه من الله حافظان يعينانه على الأداء عن أمانته، فإن قصرت نيته عن الأداء قصراً عليه من المعونة بقدر ما يقصر من نيته (٦).

الرابعة: يجب على المدين المبادرة إلى قضاء الدين، ولا يحل تأخيرها مع حلوله

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٨ باب من كذّب على عياله ح ١.

(٢) عوالي اللئالي: ج ٣ ص ٢٠٠.

(٣) التذكرة: ج ٢ ص ٢.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٩٣ باب الدين ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٥ ص ٩٩ باب الرجل يأخذ الدين وهو لا ينوي قضاءه ح ٢.

(٦) الكافي: ج ٥ ص ٩٥ باب قضاء الدين ح ١، مع اختلاف يسير.

وتمكنه من الأداء ومطالبة صاحب الدين، فإن أُنْخِرَ والحال هذه كان عاصياً، ووجب على الحاكم حبسه؛ لأنَّ الصادق عليه السَّلام قال: كان عليّ عليه السَّلام يحبس الرجل إذا أتى على غرمائه، ثم يأمر فيقسم ماله بينهم بالحصص، فإن أبى باعه فقسّمه بينهم يعني ماله (١).

إذا ثبت هذا، فلو أصرَّ على الالتواء كان فاسقاً، لا تقبل شهادته ولا تصحَّ صلاته في أول الوقت بل إذا تضيّق، ولا يصحَّ منه شيء من الواجبات الموسعة المنافية للقضاء في أول أوقاتها، وكذا غير الديون من الحقوق الواجبة كالزكاة والخمس، وإن لم يطالب بها الحاكم؛ لأنَّ أربابها في العادة مطالبون، قاله العلامة الحلّي في التذكرة (٢).

الخامسة: لومات المدين ولم يتمكن من القضاء ولم يخلف شيئاً البتة، لم يكن معاقباً إذا لم ينفقه في المعصية، ولو أنفقه في المعصية أو لم يكن في عزمه القضاء كان مأثوماً.

قال عبد الغفاري الجازي: سألت الصادق عليه السَّلام عن رجل مات وعليه دين، قال: إن كان أتي على يديه من غير فساد لم يؤاخذ به الله عز وجل إذا علم من نفسه الأداء، إلّا من كان لا يريد أن يؤدي عن أمانته فهو بمنزلة السارق، وكذلك الزكاة أيضاً، وكذلك من استحلَّ أن يذهب بمهور النساء (٣) قاله في التذكرة أيضاً (٤).

السادسة: يستحب لصاحب الدين إبراء المدين إذا مات معسراً، فعن الصادق عليه السَّلام: أن له بكلِّ درهم عشرة دراهم إذا حلَّه، فإن لم يحلَّه فإنما بدل درهم

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٠٢ باب إذا أتى الذي عليه الدين على الغرماء ح ١.

(٢) التذكرة: ج ٢ ص ٢.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٩٩ باب الرجل يأخذ الدين وهو لا ينوي قضاءه ح ١.

(٤) التذكرة: ج ٢ ص ٢-٣.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالْإِزْدِيَادِ،
وَقَوِّمْنِي بِالْبَدَلِ وَالْإِقْتِصَادِ، وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَأَقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ
التَّبْذِيرِ.

بدرهم (١)، والله أعلم هـ.

حجبه حجباً - من باب قتل - منعه ومنه قيل للبواب: حاجب؛ لأنه يمنع من
الدخول، وللستر: حجاب؛ لأنه يمنع من المشاهدة.

والسرف بفتحيتين: اسم من أسرف إسرافاً: إذا جاوز القصد وتباعد عن حد
الإعتدال مع عدم المبالاة، وهو يجري في كل أمر، وإن اشتهر في إنفاق المال؛ ولذلك
عرفه بعضهم بمجاوزة الحد في النفقة.

وقيل: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس.

وازداد الشيء ازدياداً: زاد، وازددت من الشيء، ازدياداً أيضاً: زدته لنفسي على
ما كان، وهذا المعنى هو المراد هنا، أي: واحجبنني من أن أزيد في الإنفاق.

وقومته تقوياً فتقوم بمعنى: عدلته فتعدل، ومنه القوام بالفتح بمعنى: العدل.

وبذله بذلاً - من باب قتل - : سمع به وأعطاه، وبذل له: أباحه عن طيب

نفس.

وقصد في الأمر قصداً واقتصد اقتصاداً: توسط وطلب الأسد ولم يجاوز الحد.

وفي هاتين الفقرتين تلميح إلى قوله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواماً» (٢).

قوله عليه السلام: «وعلمني حسن التقدير» التعليم: عبارة عن فعل يترتب عليه

العلم بلا تحلف عنه، ولا يحصل ذلك بمجرد إفاضة العلم، بل يتوقف على استعداد
المتعلم بقبول الفيض وتلقيه من جهته، فعنى تعليمه تعالى إياه: أن يخلق فيه بموجب

(١) الكافي: ج ٤ ص ٣٦ ح ١، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) سورة: الفرقان: الآية ٦٧.

استعداده علماً ضرورياً بحسن التقدير، أو يلقي في روعه أن حسن التقدير هكذا ينبغي أن يكون، والمراد بالتقدير هنا: تقدير المعيشة، وهي الإنفاق على مقدار جدته لا يزيد عليها ولا ينقص عنها، ولعل المراد بحسن التقدير: الإنفاق دون الجدة والوسع، كما يدل عليه ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن معتب مولى الصادق عليه السلام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام وقد تزيد السعر بالمدينة: كم عندنا من طعام؟ قال: قلت عندنا ما يكفيننا شهراً كثيرة، قال: أخرجه وبعه، قال: قلت: وليس بالمدينة طعام؟ قال: بعه، فلما بعته قال: إشر مع الناس يوماً بيوم، وقال: يا معتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة، فإن الله عز وجل يعلم أنني واجد أن اطعمهم الحنطة على وجهها، ولكنني أحب أن يراني الله وقد أحسنت تقدير المعيشة (١)، والله أعلم.

وقد ورد في مدح التقدير وحسنه روايات كثيرة، ففي حديث أهل البيت عليهم السلام: لا مال لمن لا تقدير له (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: الكمال كل الكمال في ثلاثة، وذكر في الثلاثة، التقدير في المعيشة (٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: علامات المؤمن ثلاث: حسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائية، والتفقه في الدين (٤).

وعن داود بن سرحان قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يكيل تمرأ بيده، فقلت: جعلت فداك لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك ليكيفيك، فقال:

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٦٦ ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٧ باب إصلاح المال وتقدير المعيشة ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٣٧٦ ح ٢.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٢٣٦ ح ١٠٢٨.

يادود إنه لا يصلح المرء المسلم إلا ثلاثة، التفقه في الدين، والصبر على النائية، وحسن التقدير في المعيشة (١).

قوله عليه السلام: «واقبضني بلطفك عن التبذير» القبض في الأصل: الإمساك باليد، ثم توسع فيه فقيل: قبضه عن الأمر- من باب ضرب-: إذا كفّه عنه، كما قيل: أمسكه عن الشيء أي: حبسه عنه. ولطفه تعالى قيل: هو تربيته لكل فرد حتى يصل إلى كماله اللائق به بحسب استعدادة.

وقيل: هو تصرفه في الذوات والصفات تصرفاً خفياً، بفعل الأسباب المعدة لها لإفاضة كمالاتها، وقيل غير ذلك. وقد سبق الكلام عليه في الروضة السابعة. والتبذير: مأخوذ من يذر الحب، وهو إلقاؤه وتفريقه في الأرض، واختلفوا في معناه.

فقيل: هو تفريق المال على وجه الإسراف.

وقيل: تفريقه في غير المقصد.

وقيل: هو الإنفاق في محرم أو مكروه أو على من لا يستحق.

وعن مجاهد: لو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً (٢)، ومن ثم قال بعضهم: الفرق بين الإسراف والتبذير أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير: صرف الشيء فيما لا ينبغي (٣). وبعبارة أخرى: الإسراف: تجاوز الحد في صرف المال، والتبذير: تفريقه في غير موضعه.

وكفى التبذير ذمّاً قوله تعالى: «وَأَيُّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّ الْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٧ ح ٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٥ ص ٦١١.

(٣) فروق اللغات: ص ٤٤.

وَأَجْرَمِينَ أَشْبَابَ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي، وَوَجَّهَ فِي أَبْوَابِ الْبَرِّ إِنْفَاقِي،
وَأَزْوَعَنِي مِنَ الْمَالِ مَا يُخَدِّثُ لِي مَخِيلَةً، أَوْ تَأْتِيًّا إِلَى بَغْيِي، أَوْ مَا تَعَقَّبُ
مِنْهُ طُغْيَانًا.

وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا» (١) *.

أَجْرِي عَلَيْهِ الرِّزْقُ إِجْرَاءً: جَعَلَهُ جَارِيًا أَي: دَارًا مُتَّصِلًا، وَمِنْهُ: الْأَرْزَاقُ
جَارِيَةٌ أَي: دَارَةٌ مُتَّصِلَةٌ (٢).

وَالْأَسْبَابُ: جَمْعُ سَبَبٍ، وَأَصْلُهُ الْحَبْلُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَاءِ، فَاسْتَعِيرَ لِكُلِّ
مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ.

وَالْحَلَالُ: كُلُّ شَيْءٍ لَا يَعْاقِبُ عَلَيْهِ بِاسْتِعْمَالِهِ.

وَالْأَرْزَاقُ: جَمْعُ رِزْقٍ وَهُوَ عِنْدُنَا وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ: كُلُّ مَا صَحَّ انْتِفَاعُ الْحَيَوَانِ بِهِ، سِوَاهُ كَانَ
بِالتَّغْذِي أَوْ بغيره، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَنَعُهُ مِنْهُ، فَلَيْسَ الْحَرَامُ رِزْقًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ
عَلَى ذَلِكَ مُبَسَّوْطًا.

وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ إِلَى جِهَةٍ تَوْجِيهًا: صَرَفْتُ وَجْهَهُ إِلَيْهَا وَجَعَلْتَهُ تَلْقَاءَهَا، وَمِنْهُ:
وَجَّهْتُ فَلَانًا فِي حَاجَةٍ أَي: أَرْسَلْتَهُ، وَوَجَّهَ الْأَمِيرُ الْجَيْشَ أَي: بَعَثَهُمْ.

وَمَعْنَى تَوْجِيهِ الْإِنْفَاقِ فِي أَبْوَابِ الْبَرِّ: جَعَلَهُ مُصْرُوفًا فِيهَا.

وَالْأَبْوَابُ: جَمْعُ بَابٍ، وَهُوَ فِي تَقْدِيرِ فَعْلٍ بِفَتْحَتَيْنِ؛ وَلِهَذَا قُلِبَتْ الْوَاوُ أَلْفًا

وَأَبْوَابُ الْبَرِّ: أَنْوَاعُهُ وَوُجُوهُهُ، كَأَنَّ كُلَّ نَوْعٍ مِنْهَا بَابٌ يَدْخُلُ إِلَى الْبَرِّ مِنْهُ.

وَالْبَرُّ بِالْكَسْرِ: اسْمُ جَامِعٍ لِلطَّاعَاتِ وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَالْإِنْفَاقُ: إِخْرَاجُ الْمَالِ، يُقَالُ: أَنْفَقَ مَالَهُ: إِذَا أَخْرَجَهُ مِنْ مَلِكِهِ، وَفِي هَاتَيْنِ

الْفَقْرَتَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى حَسَنِ تَوْفَرِ الْأَرْزَاقِ وَسَعَتِهَا مِنَ الْحَلَالِ، وَإِنْفَاقِهَا فِي وَجْهِ الْبَرِّ.

ويدلّ على ذلك أيضاً ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لا خير فيمن لا يحبّ جمع المال من حلال، يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه (١).
وعنه عليه السلام: نعم العون الدنيا على الآخرة (٢).

وعن عبدالله بن يعفور قال: قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: والله إنّنا لنطلب الدنيا ونحبّ أن نؤثّاها، فقال: تحبّ أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعودها على نفسي وعيالي وأصل بها واتصدق بها وأحجّ وأعتمر، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة (٣).

وفي كلام بعض الأكابر: سلامة الدين والدنيا بالمال، يؤخذ من حقّه ويوضع في مستحقّه (٤). والآثار في هذا المعنى أكثر من أن تحصي.
قوله عليه السلام «وازرو عني من المال ما يحدث لي غيلة» زواه عنه يزويه: نخاه وقبضه.

وحدث الشيء حدوثاً. من باب قعر: تجدد وجوده بعد أن كان معدوماً، ويتعدّى بالألف فيقال: أحدثته.

والغيلة: الخلاء، وهي الكبر والإعجاب.

ولمّا كان المال الكثير كثيراً ما يحدث للنفوس الدنية تكبراً وإعجاباً، حتّى يترفع صاحبه عن حسن عشرة الجار والصديق والصاحب والزائر؛ لفرط الإعجاب بما أوتي من حطام الدنيا، الذي هو نهب المنون وميراث القرون، سأل عليه السلام ربه أن يصرف عنه من المال ما يكون سبباً للكبر والعجب؛ لأنّه قبيح في العقل؛ لدلالة العقل على أنّ الشرف لا يحصل للإنسان بأن يكون كثير الحطام، ولا الدناءة

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ ح ١٠.

(٤) لم نعر عليه.

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ ح ٥.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ ح ٨.

بأن يكون قليلاً، وأنه لا يوجب استخفافاً لمن حرمه بل المواساة له والبرّ به.
 قوله عليه السّلام: «أو تأدياً إلى بغى» التأدي: مطاوع أذاه تأديّة بمعنى:
 أوصله، ومنه: أدّى الأمانة أي: أوصلها، والاسم الأداء، يقال: أدّيته فتأدّى أي:
 أوصلته فوصل، وتأدّى إليه الخبر: أي بلغه ووصل إليه، ومعناه: أووصولاً إلى بغى.
 والبغى يأتي لمعان، يقال: بغى بغياً: إذا سعى في الفساد، وبغى على الناس:
 إذا ظلم واعتدى، وبغى عليه: استطال وتكبر، وبغى: خرج عن طاعة من تجب
 طاعته.

قال ابن الأثير: وأصل البغى: مجاوزة الحد (١).
 وقيل: أصله الطلب، من بغى الشيء ببغيه: إذا طلبه؛ ولذلك قال بعضهم:
 حقيقة البغى: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية.
 وقال الزمخشري في الأساس: بغى علينا فلان: خرج علينا طالباً أذاًنا
 وظلمنا (٢).

وفسر البغى في قوله سبحانه وتعالى: «وينهى عن الفحشاء والمنكر
 والبغى» (٣) بالاستعلاء والتطاول على الناس.
 قال في الكشاف: هو طلب التطاول بالظلم (٤).

وقال النيسابوري: النهي عن الفحشاء: عبارة عن المنع من تحصيل اللذات
 الشهويّة الخارجة عن إذن الشريعة، والنهي عن المنكر: عبارة عن الإفراط الحاصل
 في آثار القوة الغضبيّة، من إيذاء الناس وإيصال الشرّ إليهم من غير ما استحقاق،
 والنهي عن البغى: إشارة إلى المنع من إفراط القوة الوهميّة، كالاستعلاء على الناس

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٦٢٩.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٤٣.

(٢) أساس البلاغة: ص ٤٦.

والترفع وحب الرئاسة، (١) إنتهى.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض»: بغيمهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة، ودابة بعد دابة، وملبساً بعد ملابس (٢). ولما كان الغنى والثروة موجبا في الغالب للاستطالة والاستعلاء على الناس وللظلم والفساد بطراً، سأل عليه السلام ربه أن يزوي عنه من المال ما يوصل إلى التحلي بهذه الخصلة الذميمة.

قوله عليه السلام: «أوما اتعقب منه طغياناً» التعقب: تفعل من العقب في قولهم: عقب زيدا عقباً - من باب قتل -: إذا جئت بعده، يقال: تعقب فلان من كذا خيراً أو شراً واستعقب أي: وجد بذلك خيراً أو شراً بعده. قال الزمخشري في الأساس استعقب من أمره الندامة وتعقبها (٣). وقال الفارابي في ديوان الأدب: تعقب رأيه أي: وجد عاقبته إلى خير (٤). والمعنى: وازوعتي من المال ما أجد بعد حصوله طغياناً.

والطغيان: مجاوزة الحد في كل أمر، وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان فهو طاغ، من قولهم: طغى السيل: إذا ارتفع حتى جاوز الحد في الكثرة. وفي هذه الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: «إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» (٥)، أي: يطغى لأن رأى نفسه مستغنياً، قيل: معناه: أنه يتجاوز الحد في مأكله ومشربه ونحو ذلك.

قال قتادة: إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيان (٦).

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٤٣٢.

(٤) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٤٣٨.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٠.

(٥) سورة العلق: الآية ٧ و ٦.

(٣) أساس البلاغة: ص ٤٢٩.

(٦) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٥١٥.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وَأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ.

وقيل: معناه: أن الإنسان قد ينسى فضل الرب وعنايته في حالة الاستغناء، ويرى أن ما حصل له بسبب جهده وكثته، فينسب ذلك إلى كفايته لا إلى عناية الله، ولم يدرك أنه كم من باذل وسعه في الحرص لم يحصل إلا على خفي حنين، وأنه تعالى قد يرجع الغني آخر الأمر إلى حالة الفقر؛ ليتحقق أن ذلك الغني لم يكن بفعله وكسبه، بل بحول الله وقوته.

حَبِّبْ إِلَيْهِ الشَّيْءَ: جعله محبوباً لديه، ولما كان في التحبيب معنى إنهاء المحبة وإيصالها إليه استعمل بكلمة «إلى»، أي: ألهمني بلطفك محبة صحبتهم أي: معاشرتهم والارتباط بهم.

ولما كانت النفوس البشرية مجبولة على بغض الفقر وكراهيته، نافرة من صحبة الفقراء ومعاشرتهم، سأل عليه السلام ربه أن يحبب إليه صحبتهم، بأن يجعلها ملائمة لقلبه ليكون مائلاً إليها؛ إذ كانت المحبة ميل القلب إلى ما يلائمه؛ وذلك لما في صحبتهم من رياضة النفس وتحليتها بالتواضع والتذلل، والتأسي بهم في القناعة باليسير من حطام الدنيا، والرضا بالقليل من متاعها، وصيانة النفس عن الانهماك في شهواتها ولذاتها، وترك طلب المنزلة والجاه والكرامة فيها، وقلة الحرص على طلب الحاجات والأوطار منها، وترك الخلطة مع أبناء الدنيا الراغبين فيها، والتفرد في الخلوات، وكثرة ذكر الموت وفناء نعيم الدنيا وزوال ملكها، والنظر إلى آثار القرون الماضية، والاعتبار بها وبالمباني الخربة والمنازل الدارسة والمعالم العافية للأمم الخالية؛ لنزولهم بها غالباً، واعتباراتهم تصاريف الزمان ونوائب الحداث، واليقين بأمر المعاد، وشدة الشوق إلى نعيم دار القرار مع الأبرار، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً؛ ولذلك أمر الله سبحانه حبيبه المختار من خيار خلقه، بصبره نفسه معهم وحبسها على صحبتهم ومجالستهم،

فقال في محكم كتابه: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً» (١).

قال المفسرون: المراد بهم: فقراء المؤمنين، مثل عمار وخباب وسلمان وأبي ذر وغيرهم، وقيل: أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل.

قيل: إنه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله: نَحْ هَوْلَاءِ الموالى الذين كان يحبهم ربح الضان حتى نجالسك، كما قال قوم نوح عليه السلام: «أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ»، فنزلت الآية (٢).

وروي عن سلمان وخباب قتالا: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن الحصين الفزاري، وعباس بن مرداس، وذو وهب من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله صلى الله عليه وآله حقروهم، فأتوه صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - وكانت عليهم جباب من صوف - جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك، فقال صلى الله عليه وآله: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا فيه العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبدة - يعنون فقراء المسلمين -، فإذا نحن جئناك فائقهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال صلى الله عليه وآله: نعم، قالوا: فاكتب لنا بذلك كتابا، فدعا بالصحيفة وبعلي عليه السلام ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من

حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين»، فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا إفاًتينا وجلسنا عنده، وكنا نندومنه حتى تمس ركبتنا ركبتته، وكان يقوم عنا إذا أراد القيام، فنزلت «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم» الآية، فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن اصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم الحياة ومعكم الممات (١).

وفي حديث ليلة المعراج: يا أحمد أن المحبة لله هي المحبة للفقراء والتقرب إليهم، قال: يا رب ومن الفقراء؟ قال: الذين رضوا بالقليل، وصبروا على الجوع، وشكروا على الرخاء، ولم يشكوا جوعهم ولا ظمأهم، ولم يكذبوا بألسنتهم، ولم يفضبوا على ربهم ولم يفتنوا على ما فاتهم، ولم يفرحوا بما آتاهم (٢).

وكان من دعائه عليه السلام: اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، وأحشني مع المساكين (٣).

وكان سليمان عليه السلام مع ما أوتي من الملك يجالس الفقراء والمساكين، ويقول: مسكين جالس مسكيناً (٤).

وكان علي بن الحسين عليه السلام - صاحب الدعاء - كثير المجالسة للفقراء، حتى قال له نافع بن جبیر: إنك تجالس أقواماً دوناً، فقال له عليه السلام: إنني أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني (٥).

(١) مجمع البيان ج ٣-٤ ص ٣٠٥-٣٠٦، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١-٢ باب ٥٤ ص ٢٠٠-٢٠١.

(٣) هكذا في الأصل، ولكن في سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٨١ ح ٤١٢٦، وفي سنن الترمذي: ج ٤ ص ٥٧٧ ح ٢٣٥٢: واحشني في زمرة المساكين.

(٤) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٨٣ ح ٢٨.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦١.

تذنيب

يشتمل على فوائد:

الأولى: الفقير والمسكين: من لا يفي ماله وكسبه بمؤنته ومؤونة عياله. وهل الفقير أسوأ حالاً أم المسكين؟ خلاف، والحق أن المسكين أسوأ حالاً؛ لما ورد في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: الفقير: الذي لا يسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم (١).

الثانية: ورد في فضل الفقر والفقراء أخبار كثيرة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته (٢). وعنه عليه السلام: المصائب منح من الله، والفقر مخزون عند الله (٣).

وعنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الفقر أزين للمؤمن من العذار على خد الفرس (٤).

وعنه عليه السلام: أن فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً (٥).

وعنه عليه السلام: أن الله جل ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزتي ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك

(١) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٠٤ ح ٢٩٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٠ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٢٦٥، وفيه: أزين للمؤمن.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٠ ح ١.

عليّ، فارفع هذا السحف فانظر إلى ما عوّضتك من الدنيا، قال: فيرفع، فيقول: ما ضرّني ما منعتني مع ما عوّضتني (١)

وعنه عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم، فيقول: وعزّتي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم، فمن زود منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فادخلوه الجنة، قال: فيقول رجل منهم: يا رب إنّ أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب اللينة وأكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدواب، فاعطني مثل ما أعطيتهم، فيقول تبارك وتعالى، لك ولكلّ عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا إلى أن انقضت الدنيا سبعون ضعفاً (٢).

وعنه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السماوات والأرض (٣).

وعنه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا معشر المساكين طيبوا نفساً، واعطوا الرضا من قلوبكم يشبكم الله عزّ وجلّ على فقركم، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم (٤).

الثالثة: قال بعض العلماء: اعلم أنّ في إيجاد هذه الطائفة - أعني الفقراء - حكمة جليّة، تخفى على كثير من العقلاء والمترفين من أبناء الدنيا. فمنها: ما ورد في الحديث: لولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة (٥) وفيه إشارة إلى معان:

أحدها: أنّ نجاة الأغنياء منحصرة في رعاية أحوال الفقراء والإحسان إليهم.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٤.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٢٠.

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٦٤ ح ١٨.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٦١-٢٦٢ ح ٩.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٣.

ثانيها: أنهم رحمة للأغنياء وإذكار لأرباب النعم؛ ليكون كل عاقل منهم إذ فكّر فيهم واعتبر بأحوالهم، علم بأن الذي أعطاه هو الذي منعهم، ويعلم أنه لم يكن للغني عند الله يدواحسان كافأه بها، ولا لواحد من هؤلاء الفقراء عند الله ذنب جازاه عليه، فإذا فكّر الأغنياء واعتبروا أحوال الفقراء عرفوا حسن مواقع النعم عندهم، فيزدادون الله شكراً يستوجبون به المزيد في الدنيا والأجر في الآخرة.

ثالثها: أن أهل الدين ومن يؤمن بالآخرة من الأغنياء، إذا نظروا إليهم واعتبروا أحوالهم يزدادون يقيناً بالآخرة، ويعلم كل عاقل منهم أن من بعد هذه الحياة الدنيا داراً أخرى، يجازى فيها هؤلاء المؤمنون بما صبروا على مصائب أمور الدنيا، كما قال سبحانه: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (١).

ومن الحكمة في إيجادهم أنهم أشد يقيناً بأمر الآخرة من غيرهم من المترفين، وأنهم أسرع الناس إجابة لدعوة الأنبياء من غيرهم من أرباب النعم والأغنياء، وأنهم أخف مؤونة وأقل حوائج وأقنع باليسير، وأنهم أكثر لذكر الله في السر والعلانية، وأرق قلوباً. عند الذكر وأخلص في الدعاء لله سبحانه في السراء والضراء، وخصال أخر كثيرة لو عددناها لطال الخطاب بها، وإنما ذكرنا طرفاً من ذلك، لأن كثيراً من الناس ولا سيما المترفين، إذا نظروا إليهم ظنّوا بالله ظنوناً فاسدة.

فمنهم من يرى أن الصواب كان أنهم لم يخلقوا وكان ذلك خيراً لهم، ومنهم من يرى أن الذي نالهم من الفقر والبؤس لسوء حظهم وشؤمهم وخذلانهم، ومنهم من يرى أنهم معاقبون بما سلف منهم في الأدوار الماضية من الذنوب، وهذا رأي أصحاب التناسخ، ومنهم من يرى أن ذلك من هوانهم على الله سبحانه، وأنه ليس

يعبأ بهم ولا يهتبه أمرهم، وآلا كان قادراً على أن يغنيهم، أو يميتهم ويريحهم مناهم فيه من الجهد، ومنهم من يرى أن هذا ليس يجري بعلم عالم وحكمة حكيم، بل هو اتفاق لا تدبير فيه، ومنهم من يرى أن هذا من موجبات أحكام الفلك، من غير قصد قاصد ولا صنع صانع، نعوذ بالله من الاعتقادات الفاسدة والآراء الباطلة.

الرابعة: قال بعض المشايخ: الفقراء على طبقات: فقراء الأغنياء، وهم السائلون عند الفاقات القانعون بالكفايات، وهم ظهرة الأغنياء والذين جعل الله لهم في أموال الاغنياء نصيباً.

والطبقة الثانية: فقراء الفقراء، وهم المتحققون بالفقر المختارون للفقر المؤثرون له على الغنى، لا يتبدلون في السؤال ولا يتعرضون بالمقال، يرجون العمر بالميسور من القوت، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم بين محروم حرم السعي في الدنيا، ومحارف انحرفت عنه الأسباب، وقانع بما يصل إليه، ومعتز رضي بما يعتريه.

والطبقة الثالثة: أغنياء الفقراء، وهم الأجواد الأسخياء أهل البذل والعطاء، لا يستكثرون ولا يذخرون، وإن منعوا شكروا المانع فصار منعه عطاء، وإن ضيق عليهم حمدوا الواسع؛ لأنه هو المحمود فصار ضيقه رخاء، وإن أعطوا بذلوا وآثروا.

وكان بشر الحافي يقول: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لم يأخذ فهذا مع الروحانيين، وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فهو مع المقربين في جنات النعيم، وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين (١).

وحكي أنه دفع إلى إبراهيم التيمي ستون ألفاً وكان عليه دين وبه حاجات إليها فردّها، فعاتبوه في ذلك فقال: كرهت أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بستين ألفاً (٢).

قيل لبعضهم وقدرني عليه أثر الجوع والضر: لِمَ لا تسأل الناس يطعمونك؟ فقال: عساهم يمنعون فلا يفلحون، وقد بلغني الحديث: لو صدق السائل ما أفلح من منعه (١).

قوله عليه السلام: «وأعني على صحبتهم بحسن الصبر» الصبر: قوة ثابتة وملكة راسخة بها تقدر النفس على تحمل الأمور الشاقة ومقاومة الهوى؛ ولذلك قيل: الصبر صبران: صبر على البلاء ومنه الرضا بالقضاء، وهو الذي يستوجب به العبد من ربه الثواب، وصبر في النعماء وعمّا يدعو إليه الهوى مع القدرة عليه والتمكّن منه، وهو صبر يدرأ عنه العذاب ويهون عليه الصعاب.

والمراد بحسن الصبر: انشراح الصدر له واطمئنان النفس به، بحيث لا يخالطه اضطراب وانزعاج، هذا.

ولما كان كثير من المترفين وأرباب النعم من يتكلف ويتجشّم صحبة الفقراء والزهاد، بتقريبهم وإجلالهم بمقدار ما يعدّون من جملة الأخيار، من غير أن يتخلّقوا بأخلاقهم ويتأدّبوا بآدابهم ويقوموا بحقوق صحبتهم، فهم يرضون من الجسم بالاسم ومن الحميم بالشميم، سأل عليه السلام ربه إعانته بحسن الصبر على صحبتهم؛ إذ كان فيها من المشاقّ ما لا يخفاء به؛ فإنّ من حقّ الصحبة مع الأصحاب مطلقاً طلاقة الوجه والبشاشة، والكلام والسلام، والمصافحة والمعانقة والمواكلة، وتحصيل ما يحتاجون إليه، ودفع ما يغتمون منه، ومخالفة من خالفهم، ومرافقة من رافقهم، وتعظيمهم وتوقيرهم، وعدم التهجم عليهم، والصفح عن عثراتهم، ومداراتهم، وأن لا يحتجب عنهم ولا يهجرهم، ويبسط لهم معروفه، ويعاشرهم ببسط الكفّ، وصدق الوعد، ودوام العهد، وحفظ الأسرار، وإيثار الإرفاق، وقبول العذر، واحتمال

الأذى، وصدق الوفاء ونشر المحاسن، وستر القبائح، وبذل النصيحة وقبولها منهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكرم كل أحد منهم على قدره، ويسترسل على سجيته، ويكون طوع أمره ونهيه ووفق قوله وفعله، ويعود من مرض منهم، ويشهد جنازة من مات منهم، وبعض هذه الحقوق لا يقوم به كثير من كفاة الرجال في صحبة أكفائهم وأقرانهم، فكيف بها في صحبة الفقراء والمساكين؟ على أن رعايتها في صحبتهم أوجب؛ لكي لا يستشعروا إهانة واستخفافاً بهم، فتكسر قلوبهم فيكون الهلاك.

وعن ابراهيم بن شيان قال: كنا لانصحب من يقول: نعلي (١).
وعن أحمد القلانسي وكان من مشايخ الجنيد: صحبت أقواماً بالبصرة فأكرموني، فقلت مرة لبعضهم: أين لازاري فسقطت عن أعينهم (٢).
وعن أبي علي الرباطي قال: صحبت عبدالله المروزي، وكان يدخل البادية قبل أن أصحابه بلازاد، فلما صحبتته قال لي: أيما أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا؟ فقلت: لا بل أنت الأمير، قال: وعليك الطاعة؟ قلت: نعم، فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره، فإذا قلت له: أعطني حتى أحملها، قال لي: الست أنا الأمير؟ فعليك الطاعة، قال: فأخذنا المطر ليلة، فوقف على رأسي طول الليل إلى الصباح وعليه الكساء وأنا جالس بمنع عني المطر، فكنت أقول في نفسي: ليتني مت ولم أقل له: أنت الأمير (٣)، ثم قال: إذا صحبتك إنسان فأصحبه يا أخي كما رأيتني صحبتك أو انفرد.

وكان شرط ابراهيم بن أدهم مع من يصحبه أن يكون الخدمة والاذان له، وأن يكون يده في جميع ما يفتح الله به عليهم من الدنيا كيدهم (٤).

(١) (الف): فعلي.

(٣) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٣٥.

(٢) لم نعر عليه.

(٤) لم نعر عليه.

وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَادْخُرْهُ لِي فِي خَزَائِنِكَ
الْبَاقِيَةِ.

ويحكى أنه سعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء، فأمر بضرب رقابهم
وبينهم أبو الحسين النوري، فبادر إلى السياف ليكون أول مقتول، ف قيل له في ذلك،
فقال: أحببت أن أؤثر اخواني بالحياة ولو بلحظة، فكان ذلك سبب تجافي الخليفة
عنهم (١).

وبالجملة: فحقوق الصحبة لا يقوم بها إلا من أعانه الله ووفقه، وإلا فالأمر فيها
صعب جداً.

ووي عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه،
فاجتنى منها مسواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه،
فقال: يا رسول الله كنت أحق بالمستقيم مني، فقال صلى الله عليه وآله: ما من
صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته، هل أقام فيه
حق الله أم أضاعه (٢)، والله المستعان.

المتاع في اللغة: كل ما ينتفع به، كالطعام والبر وأثاث البيت، وأصل المتاع:
ما ينتفع به من الزاد، وهو اسم من متعة بالتحليل: إذا أعطيته ذلك.

وفي المحكم: المتاع: المال والأثاث، والجمع أمتعة (٣).
ونعت الدنيا بالفانية للذم، ومفعول زويت محذوف أي: وما زويته، والمفعول
يكثر حذفه إذا كان عائداً على الموصول نحو: «أهذا الذي بعث الله رسولاً» (٤) أي:
بعثه.

والفاء من قوله: «فادخره»: رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط.
وذخرت الشيء ذخراً - من باب نفع -: إذا عددته لوقت الحاجة إليه، والاسم

(١) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣١٩.

(٢) قوت القلوب: ج ٢ ص ٢٣٢.

(٣) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٤٧.

(٤) سورة الفرقان الآية ٤١.

الذخر بالضم.

وخزائنه تعالى: عبارة عن مقدوراته أي: ماتحويه قدرته من النعم والخيرات التي يكرم بها عباده المتقين في الدار الآخرة؛ ولذلك وصفها بالباقية.

ولا بد في قوله عليه السلام: «فاذخره لي» من إضمار، أي: فاذخر عوضه لي؛ لأنّ ذخره عين مازواه عنه غير مطلوب، فهو كقوله تعالى: «وما تُقدِّمُوا لأنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ» (١) أي: تجدوا ثوابه كما أجمع عليه المفسرون.

والحقّ أنّه لا إضمار في الآية بناءً على تجسّم الأعمال في النشأة الأخروية. كما قال بعض المحققين في قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا» (٢): ليس المراد أنّها تجد جزاءه، بل تجده بعينه لكن ظاهراً في جلباب آخر، فإنّ الروح والريحان والخور والثمار هي الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقّة التي برزت في هذا العالم بهذا الزي وأُتِسمت بهذا الاسم؛ إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف المواطن، فتستحلي في كلّ موطن بحلية. وأمّا عبارة الدعاء فلا غناء عن الإضمار فيه.

ومما يناسب هاتين الفقرتين ما روي في الحديث عن عمر بن الخطاب، قال: استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت عليه في مشربة أمّ إبراهيم، وإنّه لمضطجع على خصفة وإنّ بعضه على التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، فسلمت عليه ثمّ جلست، فقللت: يا رسول الله أنت نبيّ الله وصفوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقصر على الذهب وفرش الديباج والحرير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أولئك قوم عجّلت طيبتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنّما أخرت لنا طيبتنا (٣) .

(٣) لم نعر عليه.

(١) سورة البقرة: الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

وَأَجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وَعَجِّلْ لِي مِنْ مَتَاعِهَا، بُلْغَةً إِلَى جَوَارِكَ، وَوَصْلَةً إِلَى قُرْبِكَ، وَذَرِيعَةً إِلَى جَنَّتِكَ.

خوله الله مالاً: أعطاه.

والحطام بالضم ما تكسر من يابس النبات استعير لمقتنيات الدنيا، ووجه الاستعارة سرعة ذهابها وفنائها، كما يتناثر ويتطاير المتكسر من يابس النبات ويذهب في أسرع وقت.

وقال الرمنشري في الأساس: طارت الريح بحطام التبن، وهذا حطام البيض لكساره، ومنه: حطام الدنيا، شبه بالكسار تخسيساً له (١).

وعجلت إليه المال أي: أسرعت إليه بحضوره، ومنه قوله تعالى: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء» (٢)، وقوله تعالى: «وقالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب» (٣).

قيل: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وعد الله للمؤمنين الجنة، فقالوا على سبيل الاستهزاء: عجل لنا نصيبنا منها (٤).

والبلغة بالضم هنا: بمعنى ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب كالبلاغ، لا بمعنى ما يكتفى به من العيش، وإن اشتهرت في هذا المعنى.

والجوار بالضم والفتح: اسم من جاوره مجاورة - من باب قاتل - إذا لاصقه في السكن، وأما الجوار بالكسر فهو مصدر كالقتال. وقد وردت الرواية في الدعاء بالحركات الثلاث.

والمراد بجواره تعالى: الحلول محل الزلفة لديه حيث تناله غواشي رحمته وفضله، لا الملاصقة في السكن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والوصلة: كالبلغة لفظاً ومعنى، وهي ما يتوصل به إلى المقصود.

(١) أساس البلاغة: ص ١٣١، وفيه: تخسيساً له.

(٢) سورة ص: الآية ١٦.

(٤) لم نتحققه.

(٢) سورة الاسراء: الآية ١٨.

وقربه تعالى: عبارة عن مقام كرامته الدائمة، الذي لا يتغير صاحبه بعلّة القهر ولا يزول عنه بالستر والحجاب، كما قال تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ» (١).

والذريعة: الوسيلة، كالذريعة بالضم.

قال صاحب المحكم: وأصل الذريعة: من الجمل الذي يسمونه ذريعة، وهو جمل يختل به الصيد، يمشي الصياد إلى جنبه فيرمي الصيد إذا أمكنه، وذلك الجمل يستب أولاً مع الوحش حتى تألفه (٢).

وأعلم أن متاع الدنيا ومقتنياتهما كماتكون سبباً للشّر والشقاوة، تكون سبباً للخير والسعادة ونيل المنزلة والزلّفى عند الله تعالى، وذلك باعتبار تناولها وانفاقها فيما يذم ويحمد، فن تناولها على أي وجه اتفق، راكمنا إلى المال غير متفكر في المال، منهمكاً في الدنيا غرملتفت إلى العقبى، كما قال تعالى: «رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا» (٣)، فهو لا يؤثر بما في يديه منها إلا قضاء الأوطار والتمتع بالمسار، يأكل كما تأكل الأنعام ويلعب كما يلعب الغلام، فذلك الذي يكون متاع الدنيا سبباً لشقاوته السرمديّة وخسارته الأبديّة، ومن تناولها من حلّها وأنفقها في محلّها، متحرّياً رضا الله ووجهه فيما يأخذ وينفق منها، فذلك الذي تكون مقتنيات الدنيا سبباً لسعادته الأخرويّة، وذريعة لنجاته وفوزه بالمقامات السنيّة، بل وسيلة لنيل الفضائل الفاخرة في الدنيا والآخرة.

كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: من آتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب فإن فوزاً بهذه الخصال

(٣) سورة يونس: الآية ٧.

(١) سورة القمر: الآية ٥٤-٥٥.

(٢) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٥٨.

إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

شرف مكارم الدنيا وفصائل الآخرة (١).

وروي أنه عليه السلام دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعود، فلما رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة أحوج؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة (٢).

وعلى ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: نعم العون على تقوى الله الغنى (٣).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: نعم العون الدنيا على طلب الآخرة (٤).

إذا عرفت ذلك، علمت أن غرض سؤاله عليه السلام في هذه الفقرات من الدعاء، طلب التوفيق لإنفاق ما منحه الله تعالى من متاع الدنيا، في السبيل التي تؤديه إلى الفوز بالجنة ومنازل المتقين ومقامات المقربين، والله ولي التوفيق *.

ذو: بمعنى صاحب.

والفضل: الإحسان.

والعظيم: نقيض الحقير، قال بعضهم: الشيطان إذا اشتركا في معنى ثم كان أحدهما زائداً على الآخر في ذلك المعنى، سمي الزائد عظيماً والناقص حقيراً، سواء كانت تلك الزيادة في المقدار أو في معنى من المعاني.

والجواد: الكثير الإحسان والإنعام. والفرق بينه وبين الكريم. أن الجواد الذي يعطي مع السؤال، والكريم يعطي من غير سؤال، وقيل بالعكس. والحق الأول،

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٧١ ح ١.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٧٣ ح ١٤.

(١) نهج البلاغة: ص ١٩٨ الخطب ١٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٢٤ الخطب ٢٠٩.

لوصفه عليه السلام الجواد بالكرم.

وقيل: الكرم: هو المقتدر على الجود، وقيل: معناه: العليّ الرتبة، ومنه: كرائم المواشي، لنفائسها.

والجملتان تعليل لاستدعاء المسائل السابقة منه تعالى ومزيد استدعاء للإجابة، وأكد الجملة الأولى لغرض كمال يقينه بمضمونها، وعرف المسند في الثانية بلام الجنس؛ لإفادة قصر الجود والكرم عليه سبحانه إما تحقيقاً، وهو التحقيق؛ إذ المراد بالجود والكرم هنا: فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله، وهذا المعنى ليس إلاّ الله سبحانه وتعالى، وإما مبالغة في كماله ونقصان من عداه ممن يتصف بالجود والكرم حتى التحق بالعدم، فصار الجنس منحصراً فيه، إذا جعل الجود والكرم مقولين بالزيادة والنقصان على من يتصف بهما، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثلاثين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين وإمام الزاهدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الخلفاء الراشدين، وقد وفق الله لإنهاؤها صبيح يوم الجمعة الأغر، ثاني عشر ذي الحجة الحرام آخر شهر سنة ثلاث ومائة وألف، على يد مؤلفها العبد عليّ بن أحمد الحسيني، كان الله لها.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



الروضة الواحد والثلاثون
مركز بحث وتطوير علوم إسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ التَّوْبَةِ طَلِبَهَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ وَيَا مَنْ لَا يَجَاوِزُهُ رَجَا
الزَّاجِحِينَ وَيَا مَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ
الْعَابِدِينَ وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ هَذَا مَقَامُ مَنْ نَذَاوَلَتْهُ
أَيْدِي الذُّنُوبِ وَقَادَتْهُ أَرْوَاقُ الْخَطَايَا وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَقَصَرَ
عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَقَرُّطًا وَتَعَاطَى مَا هَيَّيْتَ عَنْهُ تَغَرُّبًا كَأَلْجَائِلٍ يُقَاتِلُونَ
عَلَيْهِ أَوْ كَالْمُنْكَرِ قَضَلَ إِنْجَانُكَ لِي وَحَقِّي إِذَا انْفَجَعَ لَهُ بَصَرُ
الْهُدَى فَتَقَسَّتْ عَنْهُ سَحَابُ الْعَوَى أَخَصُّ مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسُهُ وَ
تَكْرَمِيَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ فَرَأَى كِبَرَ عِضْيَانِهِ كِبَرًا وَجَلِيلًا مُخَالَفِي جَلِيلًا
فَأَقْبَلَ تَحَوُّكَ مُؤْمِلًا لَكَ مُسْتَحِيًّا مِنْكَ وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً
بِكَ فَأَمَلَكَ بِطَمَعِهِ يَقِينًا وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلَاصًا فَدَخَلَ طَمَعُهُ
مِنْ كُلِّ مَطْشُوعٍ فِيهِ غَيْرُكَ وَأَفْرَجَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ تَحَدُّدٍ مِنْهُ سِوَاكَ
فَنَسَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعًا وَغَمَضَ بَصَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ مُتَحَسِّعًا وَطَاطَأَ رَأْسَهُ
لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلًا وَأَبْثَكَ مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعًا وَعَدَدَةً
مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْضَى لَهَا خُشُوعًا وَاسْتِغَاثًا بِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا وَقَعَ

يَدِي فِي عَمَلِكَ وَبِهِج مَا فَصَّحَهُ فِي حُكْمِكَ مِنْ ذُنُوبٍ أَدْبَرْتَ لَهَا أَفْقَةً
وَأَقَامْتَ نِعْمَانَهَا فَلَزِمْتَ لَا يَنْكَرُ يَا إِلَهِي عَذْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ وَلَا يَسْتَغْطِمْ
عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحْمَتُهُ لِأَنَّكَ لَرَبُّ الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَبْغِظُ ظِمْرَ
غُفْرَانِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ اللَّهُمَّ هَذَا مَا دَخَلْتُكَ مُطِيعًا لِأَمْرِكَ فِيمَا
يُرِي مِنَ الدُّعَاءِ مُسْتَخِيرًا وَعَدَّتْ فِيمَا وَعَدْتَ بِرِي مِنَ الْإِجَابَةِ إِذْ تَقُولُ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلِهِ وَالْقَبِيحَ عَفِّفْ عَنْكَ كَمَا لَفَيْتَ
بِإِقْرَارِي وَأَرْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتَ لَكَ نَفْسِي وَاسْتَرْفَعْنِي
بِسِرِّكَ كَمَا أَنْتَ بِنِي عَنِ الْإِنْقِيَامِ مِنِّي اللَّهُمَّ وَثِّبْ فِي طَاعَتِكَ بِنِعْمَتِي وَ
أَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بِصَبْرِي وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْنِيْلِي بِهِ دَلِيلَ الْحَقِّ يَا
عَنِّي وَتَوْفِّقْنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا تَوَقَّيْتُ اللَّهُمَّ
إِنِّي أُوْبُلُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا وَبَوَاطِينِ
سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا وَسَوَالِفِ رُلَايِي وَخَوَادِثِهَا تَوَبَّعْتُ مِنْ لَا يُجْدِي نَفْسَهُ
بِمَعْصِيَةٍ وَلَا يَقْضِي بِعَوْدٍ فِي خَطِيئَةٍ وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلَهِي فِي حُكْمِكَ
كَمَا بَلَغْتَ نَفْسَ التَّوْبَةِ عَنْ عِبَادِكَ وَتَقَوُّوْا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَتُحِبُّ
التَّوَابِينَ فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ وَاعْفُ عَنِّي سَيِّئَاتِي كَمَا حَمِيتُهَا وَاجِبُ

لِيُحِبَّتَكَ كَمَا شَرِطْتَ وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي إِلَّا أَعُوذُ فِي مَكْرُوهِكَ
صِمَامِي إِلَّا أَرْجِعْ فِي مَذْمُومِكَ وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ اللَّهُمَّ
إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَأَغْفِرْ لِي مَا عَمِلْتُ وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ
اللَّهُمَّ وَعَلَى نِعَمَاتِكَ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ وَنِعَمَاتُكَ قَدْ نَسِيتُهُنَّ وَكَلِّمْ لِي بِعَيْنِكَ
الْبَئِي لَا تَسَامُ وَعِلْمُكَ الَّذِي لَا يَنْشَى فَعَوِضْ مِنْهَا أَهْلَهَا وَاخْطُطْ عَنِّي قِذْرَهَا
وَحَافِ عَنِّي ثَقِيلَهَا وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أَقَارِفَ مِثْلَهَا اللَّهُمَّ وَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ
لِي بِالتَّوْبَةِ إِلَّا بِعِصْمَتِكَ وَلَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنْ الْخَطَايَا إِلَّا عَنْ قُوَّتِكَ
فَقُوْنِي بِقُوَّتِكَ كَافِيَةً وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَتِكَ مَا يَعِدُ اللَّهُمَّ إِنَّمَا عَبْدٌ ذَابٌّ إِلَيْكَ
وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاصْبِرْ لِنُوبَتِهِ وَعَائِدْ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ
فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ فَاجْعَلْ تَوْبَتِي مِنْهُ تَوْبَةً لَا أَحْتِجُ
بَعْدَهَا إِلَى تَوْبَةٍ تَوْبَةً مُوجِبَةً لِحُجْرٍ مَا سَلَفَ وَالسَّلَامَةُ فِيهَا بَقِي
اللَّهُمَّ إِنِّي اعْتَدْتُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي وَأَسْتَوْهِبُكَ سَوْءَ فِعْلِي فَاصْخِمْهُ
إِلَى كُفِّ رَحْمَتِكَ نَطْوُلًا وَاسْتَرْزِ بِسِرِّ عَافِيَتِكَ تَفْضُلًا اللَّهُمَّ
وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ رَادَتَكَ وَزَالَ عَنْ مُحِبَّتِكَ مِنْ
خَطَرَاتِ قَلْبِي وَخَطَرَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي تَوْبَةً نَسِيتُ بِهَا كُلَّ

جَارِحَةٍ عَلَى حَيَاتِهَا مِنْ شِعَائِكَ نَاْمُنُ بِمَا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ لَيْلِمُ سَطْوَاتِكَ
 اللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَخَدِّقِي بَيْنَ يَدَيْكَ وَوَجِّبْ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ فَاضْطَرَّ
 أَزْكَائِي مِنْ هَيْبَتِكَ ضَدًّا فَاْمَسْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ
 فَإِنْ سَكَتُ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ اللَّهُمَّ
 صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَشَفِّعْ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ وَعُدْ عَلَى سَيِّئَاتِي
 بِعَفْوِكَ وَلَا تَجْعَلْنِي فِي جَزَائِي مِنْ عِقَابِكَ وَأَبْطِ عَلَى طَوْلِكَ وَجَلِّبْنِي
 بِسِرِّكَ وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَمْرِى نَصْرَ عَالِيَةِ عَبْدُ ذَلِيلٍ فَرَحِمَهُ أَوْ غَنِي تَعَمُّرَ
 لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَتَعَمَّمَهُ اللَّهُمَّ لَا تَخْضِرْ لِي مِنْكَ فَلْيَخْضِرْ لِي عِرْكَ وَلَا شَفِّعْ
 لِي لَيْتَكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلَكَ وَقَدْ أَوْجَلْتَنِي خَطَايَايَ فَلْيُوَفِّي عَفْوَكَ
 فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ بِجَهْلِ مَنِي لِسْوَةٍ أَرَى وَلَا لِسَانٍ لِي أَسْبَقُ مِنْ ذَمِّهِ
 فَعَلِي لَكِنْ لَتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَنْ فِيهَا وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتَ
 لَكَ مِنَ النَّدَمِ وَجَاءَتْ لَيْتَكَ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ
 بِرَحْمَتِي لِسْوَةٍ مَوْفَى أَوْ لَنْدِكَ الرِّقَّةُ عَلَى لِسْوَةٍ حَالِي فَيَا لَيْتَ مِنْهُ بِدَعْوَةٍ
 مَنِي أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْ كَدِّ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ
 بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَقُوَّتِي بِرِضَاكَ اللَّهُمَّ إِنْ بَكَرَ النَّدَمُ تَوْبَةُ

إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ
الْمُنِيبِينَ وَإِنْ يَكُنِ الْإِسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَأَنَا لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ
اللَّهُمَّ مَعَا أَمَرْتُ بِالتَّوْبَةِ وَصُمَمْتُ الْقَبُولَ وَحَثَّتْ عَلَى الدُّعَاءِ وَ
وَعَدْتَ الْإِجَابَةَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَقْبَلْ تَوْبَتِي وَلَا تَرْجِعْنِي مِنْ
الْحَيَاةِ مِنْ رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ وَالرَّحِيمُ
لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا هَدَيْتَنَاهُ
وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا اسْتَقْدَسْنَاهُ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
صَلَاةً تَسْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ إِلَيْكَ
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ

يَسِيرٌ



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، المتفضل على من تاب وآمن وعمل صالحاً بتبديل سيئاتهم حسنات، غافر الذنب وقابل التوب، ومقيل العثرة وسائر الحوب، محبّ التوابين ومكرم الأوابين، والصلاة والسلام على نبيّه، شفيع المذنبين وهادي المنيبين، محمد سيّد المرسلين وعصمة المتوسّلين وعلى أهل بيته الأئمة الهادين والخلفاء الراشدين.

وبعد، فهذه الروضة الحادية والثلاثون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الحادي والثلاثين من أدعية صحيفة سيّد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الماجدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسينيّ، تاب الله تعالى عليه وجعله من المنيبين إليه.

شرح الدعاء الواحد والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام في ذكر التوبة وطلبها.

ذكر الشيء: حضور معناه في النفس، ثم تارة يكون بالقلب وتارة باللسان، يقال: ذكرته بلساني وبقلبي، واجعلني منك على ذكر وذكر بالكسر والضم، وأنكر الفراء الكسر في القلب، والأول نص عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة (١).
وطلب الشيء طلباً بالتحريك: حاول وجوده وأخذه، والمراد بطلب التوبة: إما طلب التوفيق لها أو طلب قبولها، ففي الكلام إضمار.

ويحتمل عود الضمير إلى نفس التوبة من غير إضمار، على طريقة الاستخدام الذي هو من محاسن البديع؛ إذ التوبة بالمعنى اللغوي - وهو الرجوع - تنسب تارة إلى العبد، ومعناها الرجوع عن المعصية إلى الطاعة، وتارة تنسب إلى الله سبحانه، ومعناها الرجوع عن العقوبة إلى اللطف والتفضل، فتكون التوبة المضاف إليها الذكر بالمعنى المنسوب إلى العبد أو بالمعنى الاصطلاحي الآتي بيانه، وأعاد الضمير عليها مراداً بها المعنى المنسوب إلى الله عز وجل، وهذا معنى الاستخدام، لأنهم قالوا: هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه، ثم يؤتى بضمير مراد به المعنى الآخر، كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غصباً
أراد بالسماء: الغيث، وبالضمير العائد من رعيناه: النبات.

ولا بأس قبل الكلام على شرح الدعاء بتقديم مباحث:

الاول: التوبة لغة: الرجوع، واصطلاحاً: الندم على الذنب لقبحه، فخرج الندم على شرب الخمر مثلاً لإضراره بالجسم، وبيان المناسبة بين المعنيين: أن الله سبحانه هو الذي ابتداءً بالنعمة على عبد قبل الاستحقاق، وفطر العبد على طاعته في الابتداء، فإذا ندم العبد على إساءة بدرت منه فقد رجع إلى الله فيما كانت فطرته عليه، ورجع الله له إلى ما كان من إحسانه إليه، فسمي الندم إذا كان تلافياً للعقاب توبة.

وإنما قلنا: فطر العبد على طاعته؛ لأن الذنب بمنزلة المرض العارض في النفس، والتوبة بمنزلة معالجتها حتى تعود إلى صحتها، فكما أن الغالب على أصل الأمزجة في الأنفس هو الصحة، وإنما يعرض المرض بأسباب مغيرة وعلل مؤذية، فكذلك كل إنسان يولد على الفطرة ويدرك على الصلاح والرشد، والله أعلم.

الثاني: قال بعض العلماء: التوبة تنظم من امور ثلاثة: علم وحال وعمل. أما العلم فهو اليقين بأن الذنوب سموم مهلكة وحجاب بين العبد ومحجوبه، وهذا اليقين يثمر حالة ثانية هي التآلم لفوات المطلوب والتأسف من فعل الذنوب، ويعبر عن هذا الحالة بالندم، وهي ثمر حالة ثالثة هي ترك الذنوب في الحال، والعزم على عدم العود إليها في الاستقبال، وتدارك في الماضي من حقوق الله تعالى، مثل الصلاة والصيام والزكاة ونحوها، ومن حقوق الناس، مثل رد المال إلى صاحبه أو وارثه، وطلب الإبراء في الغيبة، وتسليم النفس في القصاص إلى وليه ليقتص منه أو ليعفونه، ولولم يمكنه ذلك كان عليه أن يكثر من العبادة؛ ليبقى له قدر الكفاية في القيامة بعد أخذ حقوقهم منها.

وهذه الأمور مترتبة في الحصول، ويطلق اسم التوبة تارة على مجموعها، وتارة على الندم وحده ويجعل العلم كالمقدمة والترك كالثمره، فيكون الندم محفوفاً

بالطرفين، الطرف الأول مثمر الندم، والطرف الآخر ثمرته، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الندم على الشريد يدعو إلى تركه (١)، وترتب هذه الأمور غير مختص بالتوبة، بل انتظام الصبر والشكر والتوكل والرضا وغير ذلك من المقامات الدينية ينتظم من علم وحال وعمل.

وهذه الأمور الثلاثة إذا قيس بعضها إلى بعض لاح للناظرين إلى الظواهر أن العلوم مطلقاً إنما تراد للأحوال، والأحوال إنما تراد للأعمال. وأما أهل البصائر وأولوا الألباب فالأمر عندهم بالعكس، فإن الأعمال عندهم تراد للأحوال، والأحوال تراد للعلوم، فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال؛ لأن كل مراد لغيره يكون ذلك الغير لا محالة. أفضل منه (٢).

وقال بعضهم: للتوبة شروط وأوصاف، أما شروطها فأربعة: الندم على ماسلف، وترك مثل ذلك في الحال، والعزم على أن لا يعود في الاستقبال، ونصب الذنب أمامه بحيث لا ينبذ الندم وراء ظهره ولا ينسى إساءته طول عمره.

وأما أوصافها المتممة لأربعة أيضاً: انتباه القلب عن رقدة الغفلة، والإصغاء إلى ما يهيج في خاطر من الصوارف والزواجر، وهجران أصدقاء السوء وأصحاب الشر، وملازمة إخوان الخير استضاءة بأنوارهم واستنزاع بظلالهم.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أن التوبة يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظالم واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي (٣).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٧ ح ٧.

(٢) شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٦٩.

الثالث: قال شيخنا البهائي قدس سره: لا ريب في وجوب التوبة على الفور، فإن الذنوب بمنزلة السموم المضرة بالبدن، وكما يجب على شارب السم المبادرة إلى الاستفراغ تلافياً لبدنه المشرف على الهلاك، كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة إلى تركها والتوبة منها تلافياً لدينه المشرف على الاضمحلال (١).

قال: ولا خلاف في أصل وجوبها سمعاً؛ للأمر الصريح بها في القرآن، والوعيد الحتم على تركها فيه، قال تعالى: «يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً» (٢)، وقال: «وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (٣).

وإنما الخلاف في وجوبها عقلاً، فأثبتته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب، وهذا كما لا يخفى لا يدل على وجوب التوبة عن الصغائر ممن يجتنب الكبائر؛ لأنها تكفره حينئذ؛ ولهذا ذهب البهشمية إلى وجوبها عن الصغائر سمعاً لا عقلاً، نعم الاستدلال بأن الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعم القسمين.

وأما فوريت الوجوب فقد صرح به المعتزلة، وقالوا: يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر تجب التوبة منه أيضاً، حتى أن من أخر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين، وساعتين أربع كبائر، الأوليان وترك التوبة عن كلّ منها، وثلاث ساعات ثمان كبائر، وهكذا. وأصحابنا يوافقونهم على وجوب الفورية، لكنهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلامية.

الرابع: قال بعض أرباب القلوب: الناس في التوبة على أحوال: رجل مسوف بالتوبة مدافع بها، اغتر بطول الأمل ونسي هجوم الأجل، فهذا متى أدركه الموت أدركه على الإصرار فهو هالك.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١١.

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٦٨.

(٢) سورة التحريم: الآية ٨.

وأخر تائب مالم يجد شهوة، فإذا وجد ركب هواه وأضاع المحاسبة لنفسه، فهذا مستوجب للعقوبة من الله.

ورجل تائب بقلبه، ألا أن نفسه تدعوه إلى الشيء مما يكره، فهذا يحتاج إلى الأدب لنفسه، وفائدته على قدر مجاهدته.

ورجل مديم للحساب قد قام على ساق مقام الخصم، فهذا مستوجب للعصمة من الله.

ورجل قد هام به خوفه من ذنوبه ولم تبق فيه باقية، فهذا المتوحد بولاية الله. وقال شيخنا البهائي قدس سره: من أهل المبادرة إلى التوبة وسوقها من وقت إلى وقت فهو بين خطرين عظيمين، إن سلم من واحد فله لا يسلم من الآخر:

أحدهما: أن يعاجله الأجل، فلا يتنبه من غفلته إلا وقد حضره الموت، وفات وقت التدارك، وانسدّت أبواب التلافي وجاء الوقت الذي أشار إليه سبحانه بقوله: «وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» (١)، وصار يطلب المهلة يوماً أو ساعة فلا يجاب إليها، كما قال تعالى: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ» (٢).

قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: إن المحتضر يقول عند كشف الغطاء: يا ملك الموت أخرني يوماً أعتذر فيه إلى ربي وأتوب إليه وأتزود صالحاً، فيقول: فنيت الأيَّام، فيقول: أخرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات، فيخلق عنه باب التوبة، ويغرغر بروحه إلى النار، ويتجرع غصة اليأس وحسرة الندامة على تضييع العمر، وربما اضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال.

وثانيهما: أن تتراكم ظلم المعاصي على قلبه، إلى أن تصير ريناً وطبعاً فلا يقبل

المحو، فإنَّ كلَّ معصية يفعلها الإنسان تحصل منها ظلمة في قلبه، كما تحصل من نفس الإنسان ظلمة في المرأة، فإذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت ريناً، كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرأة صداءً، وإذا تراكم الرين صار طبعاً، فيطبع على قلبه كالخبت على وجه المرأة إذا تراكم بعضه فوق بعض وطال مكثه وغاص في جرمها وأفسدها فصارت لا تقبل الصقل أبداً، وقد يعبر عن هذا بالقلب المنكوس والقلب الأسود، كما روي عن الباقر عليه السلام: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إنَّ القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتَّى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله (١).

وعنه عليه السلام: ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإنَّ تاب ذهب ذلك السواد، وإنَّ تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتَّى يغطي البياض، فإذا غطي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عز وجل: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٢).

فقوله عليه السلام: لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً يدل على أنَّ صاحب هذا القلب لا يرجع عن المعاصي ولا يتوب منها أبداً، ولو قال بلسانه: تبت إلى الله يكون هذا القول منه مجرد تحريك اللسان من دون موافقة القلب، فلا أثر له أصلاً، كما أنَّ قول الغسل: غسلت الثوب لا يصير الثوب نقيّاً من الأوساخ، وربّما يؤول صاحب هذا القلب إلى عدم المبالاة بأوامر الشريعة ونواهيها، فيسهل أمر الدين في نظره، ويزول وقع الأحكام الألهية من قلبه، وينفر عن قبولها طبعه، وينجر ذلك إلى اختلال عقيدته وزوال إيمانه، فيموت على غير الملة، وهو المعبر عنه بسوء الخاتمة،

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٨ باب الذنوب ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٣ باب الذنوب ح ٢٠.

نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (١)، إنتهى كلامه رفع في عليين مقامه.
ومن كلام بعضهم: اغتنموا التوبة قبل أن يصير القريب نائياً والمقيم ماضياً،
وقبل أن يكون المحصول ندماً والموجود عدماً، وقبل أن يضرب الأذبار على المصرين
سرادق الخسار، فلا إقالة عثار ولا توفيق إناية واعتذار.

ذكر العتيبي أنه قيل لرجل عند الوفاة: قل: لا إله إلا الله، فقال:

أه ويلى على الشباب وفي أي زمان فقدت شرح الشباب
حين مات الغيور وارتخص المهر وغاب الحجاب عن كل باب
وقيل لآخر وقد قرب خروج نفسه وانقطاع نفسه: قل: لا إله إلا الله، فقال:
لهف نفسي على الزمان وفي أي زمان دهستني الأزمان
حين ولّى الشتاء واستقبل الصيف وطاب المدام والريحان
واحتضر آخر فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال:

برد الليل وطاب الماء والتذ الشراب ومضى عنا حزينان وتموز وآب
ثم قضى لوقته وقالت امرأة لرجل كان منزله قريباً من حمام منجباب ببغداد:
يا رجل أين الطريق إلى حمام منجباب؟ فأومى إليها وأرشدتها إلى طريق غيره في
سكة خراب لا منفذ لها، وتبعها إليها ففجرها، فلما حضرته الوفاة قيل له: قل: لا إله
إلا الله، فقال:

يا ربّ قائلة يوماً وقد لغبت (٢) أين الطريق إلى حمام منجباب
ومات لوقته. هكذا يدرك سوء الخاتمة، وتهوي بالمخذولين مدرجة العاقبة،
نعوذ بالله من ذلك.

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٦٨.

(٢) لغب لغباً من باب قتل: تعب وأعيا.

الخامس: صرح أكثر علمائنا باستحباب الغسل للتوبة بعدها، سواء كان عن كفر أو فسق، وسواء كان الفسق عن صغيرة أو كبيرة. بل صرح الشهيد الثاني قدس سرّه في شرح اللمعة باستحبابه للتوبة عن مطلق الذنب وإن لم يوجب الفسق كالصغيرة النادرة (١).

وخصّه المفيد بالتوبة عن الكبائر (٢).

قيل: ولعلّ ملحوظه أنّ الذنوب كلّها كبائر لا شراكها في الخروج عن طاعة الله، وإنما يطلق الكبر والصغر على الذنب بالإضافة إلى ماتحته ومافوقه، فالقبلة صغيرة بالنسبة إلى الزنا وكبيرة بالنسبة إلى النظر. وقد نسب الشيخ أبو علي الطبرسي رحمه الله القول بذلك إلى أصحابنا رضوان الله عليهم (٣).

السادس: قال بعض الناصحين: إذا أردت التوبة فبرى نفسك من التبعات وقلبك من الذنوب، ووجه وجهك الى علام الغيوب بعزم صادق ورجاء واثق، وعد أنّك عبد آبق من مولى كريم رحيم يحبّ عودك إلى بابه واستجارتك به من عذابه، وقد طلب منك العود مراراً عديدة وأنت معرض عن الرجوع إليه مدة مديدة، مع أنّه وعدك ان رجعت إليه وأقلعت عمّا أنت عليه بالعفو عن جميع ما صدر عنك والصفح عن كلّ ما وقع منك، وقم واغتسل احتياطاً، وطهر ثوبك، وصل بعض الفرائض وأتبعها بشيء من النوافل، ولتكن تلك الصلاة على الأرض بخشوع وخضوع واستحياء وانكسار وبكاء وفاقّة وافتقار، في مكان لا يراك فيه ولا يسمع صوتك إلا الله سبحانه، فإذا سلمت فعقب صلاتك وأنت حزين مستحي وجلّ راج، ثمّ

(٣) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٣٨.

(١) شرح اللمعة: ج ١ ص ٦٨٧.

(٢) المقنعة: ص ٦.

قال صلوات الله عليه:

اَللّٰهُمَّ يَا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِيْنَ، وَيَا مَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِيْنَ، وَيَا مَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِيْنَ، وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَىٰ خَوْفِ الْعَابِدِيْنَ، وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِيْنَ.

أقرأ الدعاء المأثور عن زين العابدين عليه السلام الذي أوله: يا من برحمته يستغيث المذنبون ويا من إلى ذكر إحسانه يفرح المضطرون ثم ضع وجهك على الأرض واجعل التراب على رأسك، ومرغ وجهك الذي هو أكرم أعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وأنت تقول: عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك، تكرر ذلك وتعد ما تذكره من ذنوبك، لاثماً نفسك موبخاً لها نائحاً عليها نادماً على ما صدر منها، وأبق على ذلك ساعة طويلة، ثم قم وارفع يديك إلى التواب الرحيم وقل: إلهي عبدك الآبق رجع إلى بابك، عبدك العاصي رجع إلى الصلح، عبدك المذنب أتاك بالعدو، وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، ثم تدعو ودموعك تنهل بالدعاء المأثور عن زين العابدين عليه السلام، وهو الذي أوله: اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين إلى آخره، واجهد في توجه قلبك إليه وإقبالك بكليتك عليه، مشعراً نفسك سعة الجود والرحمة، ثم اسجد سجدة تكثرفها البكاء والعويل والانتحاب بصوت عال لا يسمعه إلا الله تعالى، ثم ارفع رأسك وإثاقاً بالقبول فرحاً ببلوغ المأمول والله ولي التوفيق. ولنشرع الآن في شرح الدعاء هـ.

الوصف والنعت مترادفان.

قال الفيومي: وصفته وصفاً من باب وعد: نعته بما فيه (١).

وفرق بعضهم بينهما أن الوصف ما كان بالحال المنتقلة كالقيام والقعود،

والنعت بما كان في خلق أو خلق كالبياض والكرم.

وإنما لا يصفه سبحانه نعت الواصفين لأن الإحاطة بمعرفة كنه صفاته سبحانه وتعالى غير مقدورة لغيره عز وجل.

قال بعض المحققين: كما لا يجوز لغيره سبحانه الإحاطة بمعرفة كنه ذاته تعالى، فكذلك لا يجوز له الإحاطة بمعرفة كنه صفاته تعالى، وكل ما وصفه به العقلاء، فإنما هو على قدر أفهامهم وبحسب وسعهم، فإنهم إنما يصفونه بالصفات التي ألفوها وشاهدوها في أنفسهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم بنوع من المقايسة، ولو ذكر لهم من صفاته تعالى ما ليس لهم ممّا يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه، كما لم يفهموا ذاته التي هي وجود بلا ماهية لأنه ليس لهم ذلك، فوصفهم إياه ونعتهم له إنما هو على قدرهم لا على قدره، وبحسبهم ليس بحسبه، جلّ جلاله عما يصفون وتعالى شأنه عما يقولون، «وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» (١).

كيف؟ وقد قال سيّد الخلق صلوات الله عليه وآله: لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٢).

وما أحسن ما قال الإمام الباقر عليه السلام: هل سميّ عالماً وقادراً إلاّ لأنه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين، وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار تتوهم أنّ الله زبانيّتين فإنّهما كما لها، تتوهم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يكونان له، هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به فيما أجسب وإلى المفزع، إنتهى كلامه عليه السلام (٣).

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ج ٣- ٤ ص ٢٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص ١١٠، شرح مسألة العلم: ص ٤٣.

وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في أوائل الروضة الأولى، فليرجع إليه. ويحتمل أن يكون المعنى: لا يني بوصفه نعت الواصفين، فيكون نعتاً جامعاً لمطلق ما يوصف به حاصراً له، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود (١).

قال بعض العارفين: لم يعرف عباده من صفاته ونعوته الا على مقاديرهم، ولم يعرفهم كلية صفاته. قوله عليه السلام: «ويا من لا يجاوزه رجاء الراجين» جاوزت الشيء وتجاوزته: تعدّيته.

والرجاء لغة: الأمل، وعرفاً: تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل. والمعنى: أنه غاية كل رجاء، لا مرجو فوقه فيتعدى إليه رجاء الراجين، بخلاف من سواه من المرجوّن، اذ لا مرجو سواه إلا وفوقه مرجو يتجاوز إليه الرجاء، حتى ينتهي إليه سبحانه فيقف عنده إذ لا غاية وراءه، كما قال تعالى: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» (٢).

قال ابن عباس: فوق كلّ عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى (٣). أو أنّ رجاء الراجين لا يخيّب لديه فيجاوزه إلى غيره. أو أنّه الغاية التي لا يتعدّاه رجاء الراجين عند انقطاعه من جميع من دونه. أو أنّه المحبوب الذي لا يتعلّق القلب بمحصول محبوب سواه عند حصوله، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ويا من لا يضيع لديه أجر المحسنين» ضاع الشيء يضيع

(١) نهج البلاغة: ص ٣٩ الخطب ١.

(٣) مجموعة من التفاسير: ج ٣ ص ٤٣٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٦.

ضبعةً وضباعاً بالفتح: هلك وتلف، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أضاعه أضاعةً، وضيعه تضييعاً.
والأجر: الثواب.

والإحسان: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير.
وإنما لا يضيع لديه سبحانه أجر المحسنين، لأنّ إضاعة الأجر إنّما يكون للعجز أو للجهل أو للبخل، وكلّ ذلك ممتنع في صفته تعالى. وفيه تلميح إلى قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (١).

قوله عليه السلام: «ويا من هو منتهى خوف العابدين» إلى آخره، الخوف: توقع حلول مكروه.

والخشية: خوف يشوبه تعظيم الخشي مع المعرفة به؛ ولذلك قال تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء». وقد تقدّم الكلام على الفرق بين الخوف والخشية بأبسط من هذا.

والعبادة: فعل اختياري مبين للشهوات البدنية، يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعةً للشرعة.

والتقوى: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته. ولها مراتب أدناها الاحتراز بإظهار الشهادتين عن العذاب المخد، ويتلوها الاحتراز عن كلّ ما يوجب إثماً من فعل أو ترك، وهذا المعنى هو المعروف باسم التقوى في عرف الشرع، وأعلاها الاحتراز عن كلّ ما يشغل القلب عن الحق والرجوع إليه، وهو الخاصّ الخاصّ.

وكونه تعالى منتهى خوف العابدين وغاية خشية المتقين يحتمل وجوهاً؛ أحدها: أنّ خوفهم وخشيته ينتهيان إليه تعالى عند كمال معرفتهم. وبيان

ذلك : أنَّ السالك لا يزال ينتقل في درجات المخاوف بحسب أحواله، حتى ينتهي إلى درجة الخوف من جلال الله تعالى فيقف عندها؛ إذ لا غاية فوقها. قال النظام النيسابوري: الخوف إما من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر، وإما من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب، والأول يزول والثاني لا يزول (١). وقال المحققون: الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله، كما أنَّ الحب لله مغاير لحب ثواب الله (٢)، قال الله تعالى: «ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ» (٣)، أي: خافني وخاف وعيد، والمقام مقحم مثل: سلام الله على المجلس العالي.

الثاني: أنَّ خوفهم وخشيتهم منه تعالى أشدَّ من خوفهم وخشيتهم من كلِّ ما يخاف ويخشى.

الثالث: ما قاله بعضهم: يمكن أن يكون المنتهى والغاية باعتبار أنَّ العابدين والمتقين إذا خافوا بسبب شيء كان منتهى خوفهم وغايته منه تعالى لا من ذلك الشيء بخلاف غيرهم فإنَّ خوفهم قد يكون لذلك الشيء، فلا ينتهي جميع خوفهم أو خشيتهم إليه تعالى.

الرابع: أنَّهم إذا انتهوا إليه تعالى زال خوفهم وخشيتهم وتبدلاً بالأمن والطمأنينة. وبيان ذلك: أنَّ السالك مادام في سيره إلى الحق يكون مضطرباً غير مستقر الخواطر؛ لخوف العاقبة وما يعرض في أثناء الطريق من العوارض العاتقة عن الوصول، فإذا هبت نسيم العناية الأزليَّة، وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانيَّة، واندكت جبال التعينات الرسميَّة، وفاز بالوصول على محلِّ الوصول، تنور القلب

(١) رغائب القرآن وغرائب الفرقان: ج ١ ص ٩٨.

(٢) رغائب القرآن وغرائب الفرقان: ج ٢ ص ٣٨٢ ذيل الآية ١٤ من سورة إبراهيم.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٤.

هَذَا مَقَامٌ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَرْمَةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ تَفْرِيطاً، وَتَعَاطَى مَا نَهَيْتْ عَنْهُ تَغْرِيراً، كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أَوْ كَالْمُنْكَرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ.

بنور العيان، وحصلت الراحة والاطمئنان، وزال الخوف وظهرت تباشير الأمن والأمان، وهذا المقام من مقامات أصحاب النهايات لامن أحوال أرباب البدايات، «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (١)، واللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَقَاصِدِ أَوْلِيَائِهِ .

قام يقوم قوماً وقياماً انتصب، واسم الموضع المقام بالفتح، وأقته إقامة واسم الموضع المقام بالضم، وقد وردت الرواية في الدعاء بالوجهين.

وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة.

والكلام استعارة بالكناية، شبه الذنوب بالقوم بجامع التصرف، واثبت لها الإيدي تخيلاً، ورشح ذلك بالتداول.

وقاد البعير قوداً - من باب قال - وقياداً بالكسر: جره خلفه.

والأزمة: جمع زمام، وهو ما يوضع في أنف البعير من حبل أو ميرليقاده. وإضافتها إلى الخطايا كإضافة الأيدي إلى الذنوب، فالكلام استعارة مكنية، كأن كل خطيئة وضعت في أنفه زماماً فهي تقوده بزمامها.

وإسناد القود إلى الأزمة مجاز عقلي لملازمة الزمام للقائد. ويحتمل أن يكون من باب التشبيه كلجين الماء، أي: قادته الخطايا التي هي في التذليل كالأزمة.

واستحوذ عليه الشيطان: غلبه واستماله إلى ما يريد منه واستولى عليه.

وقصّر عن الأمر تقصيراً وأقصر إقصاراً: انتهى وكف عنه. وفي رواية: «فيا

أمرته»، وهو من قصر في الحاجة تقصيراً أي: تواني فيها.

وفرط في الأمر تفريطاً: قصر فيه وضيقه. ونصبه على الرواية المشهورة وهي «عمّا أمرت» بحرف المجاوزة على المفعولية لأجله، أي: كفت عمّا أمرت به لأجل التفريط والتواني لا للعجز عن القيام به، أو على المصدرية، أي: تقصير تفريط، فحذف المصدر وأنيب المضاف إليه منابه.

وعلى الرواية الثانية وهي «فما أمرت به» على المصدرية فقط، نحو: قعدت جلوساً.

ومذهب سيبويه (١) في مثل هذا- أعني فيما إذا كان المصدر غير ملاق للفعل المذكور في الاشتقاق- أنه منصوب بفعل مقدر، أي: قصر وفرط تفريطاً وقعدت وجلست جلوساً.

ومذهب المازني والمبرد أنه منصوب بالفعل الظاهر (٢).

قال الرضي: وهو أولى؛ لأن الأصل عدم التقدير بلا ضرورة ملجئة إليه (٣).

وجعل بعضهم التفريط مرادفاً للتقصير على الرواية الأولى، غلط منشأ اشتباه التقصير عن الشيء، بالتقصير فيه، وقد عرفت اختلاف معنيهما.

وقول بعضهم: الفاء في «فقصر» للسببية إن كان انتصاب تفريطاً على المصدرية وجعل التقصير تفريطاً، أو للتعقيب على تقدير انتصابه بتقدير اللام فيكون علة للتقصير، لا وجه له، بل الفاء سببية على كل تقدير والتعقيب لازم لها.

والحامل له على هذا التفصيل توهم أن التقصير إذا كان معللاً بالتفريط لا يكون مسبباً استحواذ الشيطان، فلا تكون الفاء سببية على هذا التقدير؛ لئلا يجتمع باعثنان على فعل واحد من غير عطف. وما علم أن المسبب عن الاستحواذ حينئذ هو التقصير المقيّد لا المطلق، فكأنه قال: فسبب ذلك قصرت عمّا أمرت به

تقصيراً ناشئاً عن تفريط مني، فالمعلّل بالتفريط هو التقصير المطلق، والمعلّل باستحواذ الشيطان هو التقصير المقيّد وأحدهما غير الآخر، ونظير ذلك قوله تعالى: «يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ» (١).

قال ابن هشام: زعم عصريّ أن «من» متعلّقة بحذر أو بالموت، وفيها تقديم معمول المصدر، وفي الثاني أيضاً تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، وحامله على ذلك أنه لو علّقه يجعلون وهو في موضع المفعول له، لزم تعدّد المفعول له من غير عطف؛ إذ كان حذر الموت مفعولاً له. وقد أجبنا بأن الأول تعليل للجعل مطلقاً، والثاني تعليل له مقيّداً بالأوّل، والمطلق والمقيّد غيران، والمعلّل متعدّد معنى وإن اتّحدا في اللفظ، انتهى (٢)، والله الموفق للصواب.

وتعاطى فلان كذا: أقدم عليه وفعله.

وفي محكم اللغة: التعاطى: تناول ما لا يحق، وتعاطى أمراً قبيحاً: ركبه (٣).

وغرّر بنفسه تغريراً: حملها على الغرر وهو الخطر.

وقال الزمخشري في الفائق: غرّره: إذا ألقاه في الغرر (٤).

وفي القاموس: غرّر بنفسه تغريراً وتغرة عرضها للهلكة، والاسم الغرر (٥).

وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه حديث الدعاء: وتعاطى ما نهيت عنه تغريراً،

أي: مخاطرة وغفلة عن عاقبة أمره (٦).

وانتصابه إمّا على المصدرية أي: معاطاة تغريراً، أو على المفعول لأجله أي:

لأجل التغريير بنفسه.

وقوله عليه السلام: «كالجاهل»: في محل نصب على الحالّة، أي: مماثلاً

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ١٤٠.

(٢) لم نتحققه.

(٥) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٠١.

(٣) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٢٢٤.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٥٦.

حَتَّىٰ إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَىٰ، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَابُ الْعَمَىٰ،
أَخْصَىٰ مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفَكَّرَ فِيمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأَىٰ كَبِيرَ عِصْيَانِهِ
كَبِيرًا، وَجَلِيلَ مُخَالَفَتِهِ جَلِيلًا.

للجاهل بقدرتك عليه، أو ممثلاً للمنكر زيادة إحسانك إليه؛ فإن من يقصر عن
أوامر الله تفريطاً ويتعاطى نواهيه تفريراً، لا يكون إلا جاهلاً بقدرته تعالى عليه، أو
منكراً لفضل إحسانه إليه، وإن لم يكن جاهلاً ولا منكراً لذلك، بل كان عالماً
ومعترفاً به، فلم يخف ولم يشكر بل ركب ذلك الفعل القبيح، فقد فعلَ فعلَ الجاهل
أو المنكر، فصدق أنه شبيه له ومماثل إياه.

وغرضه عليه السلام من هذا التشبيه الاعتراف باجترانه على ما ارتكب مع
العلم بقدره الله عليه، والاعتراف بفضل إحسانه إليه حتى كأنه جاهل أو منكر
لذلك. وحاصله: مزيد الإقرار بالذنب والعصيان، المندوب إليه عند طلب العفو
والغفران.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام من خطبة له في نهج البلاغة: وإن العالم
العامل بغير علمه كالجاهل الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم،
والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم (١) هـ.

حتى: غاية لقوله: «فقصر»، وقد تقدم الكلام عليها مبسوطاً في الروضة الثانية
عشرة، عند قوله عليه السلام: «حتى إذا رأى مدة العمل قد انقضت»، فليرجع
إليه.

وانفتح بصر الهدى له: عبارة عن تنبيهه لمشاهدة الحق بعين بصيرته بعد أن
كان عاشياً عنه.

وتقشع سحاب العمى عنه: عبارة عن زوال غفلات الضلال عنه بعد غشيانها له.

وكل من الفقرتين استعارة ظاهرة، وقد مرّ نظيرها مراراً، والانفتاح والتشعّع ترشيح.

يقال: تشعّع السحاب: إذا ألقع وانكشف.

وقال صاحب المحكم: انقشع عنه الشيء وتشعّع: غشيه ثم انجلي عنه، كالظلام عن الصبح والهَمّ عن القلب والسحاب عن الجوّ (١).

والعمى هنا هو المشار إليه بقوله تعالى: «فإنّها لا تَعْمى الأَبصارُ ولكنْ تَعْمى القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ» (٢). وهو استعارة حسنة، إذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر، ووجه المشابهة: أنّ الأعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدم، كذلك أعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة؛ لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده.

وأحصى الشيء: عدّه وضبطه. كقوله تعالى: «وَأَحْصَى الشَّيْءَ عَدَّهُ وَضَبَطَهُ».

وما ظلم به نفسه: عبارة عن المعاصي التي أقدم عليها، فإنّه عرض نفسه للعقاب باقترافها.

وفكر في الشيء: أجال فكره فيه، وهو تخيل عقلي في الإنسان.

قال الراغب: والتفكر لا يكون إلّا فيماله ماهية ممّا يصحّ أن يجعل له صورة في القلب مفهوماً، ولأجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: تفكّروا في آلاء الله ولا تفكّروا في الله، وقال تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٣).

وقال بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة، فقال: الفكرة: أن تجعل الغائب حاضراً، والعبرة، أن تجعل الحاضر غائباً.

(٣) المفردات: ص ٣٨٤ نقلاً بالمضمون

(١) المحكم في اللغة: ج ١ ص ٧٩.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٦.

فَأَقْبَلَ نَحْوَك مَوْمِلاً لَكَ مُسْتَخِيئاً مِنْكَ ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً

وفي التعرّض لعنوان الربوبية مزيد تعظيم لما ارتكبه من المعاصي .
والفاء من قوله : «فرأى» : للسببية .

والرؤية هنا : بمعنى العلم ، أي : فعلم كبير عصيانه كبيراً ، يقال : رأيته عالماً ، يستعمل بمعنى العلم والظن فيتعدى إلى مفعولين ، ورأيت زيدا : أبصرته ، يتعدى إلى مفعول واحد ؛ لأن أفعال الحواس إنما تتعدى إلى مفعول واحد ، فإن رأيته على هيئته نصبت على الحال وقلت : رأيته قائماً :

وفي رواية ابن إدريس : «فرأى كثير عصيانه كثيراً» بالثاء المثلثة في الموضعين .
والفرق بين الكبير والكثير : أن الكبير بالموحدة بحسب الشأن والخطر كالجليل والعظيم ، والكثير بالمثلثة بحسب الكمية والعدد . وأيضاً الكبير نقيض الصغير ، والكثير نقيض القليل .

والمعنى : أنه بسبب إحصائه ما ظلم به نفسه ، وتفكره فيما خالف به ربه ، علم كبر كبير عصيانه أو كثرة كثيره ، وعلم جلالة جليل مخالفته ، بعد جهله بذلك أو غفلته عنه ؛ لعدم ضبطه له وتفكره فيه .

ويحتمل أن يكون التنكير في قوله : «كبيراً» و«جليلاً» للتهويل والتعظيم ، والمعنى : أنه علم كبير عصيانه الذي كان يعلم كبره ، وجليل مخالفته الذي كان يعلم جلالته ، كبيراً هائلاً مخوفاً وجليلاً فظيماً بالغاً في الجلالة حدّاً لا يعرف .

قال بعضهم : ويمكن أن يكون المعنى : رأى الكثير الذي كان يعرف كثرة أكثر بإضافة ما كان مانعاً من رؤيته وتركه ، أو رأى ذلك الكثير أكثر باعتبار التوجه إلى تركه والإقلاع عنه ، وهذان يظهران من التنكير ، ومثله كبير كما في الأصل وجليل ، انتهى ، والله أعلم .

أقبل : خلاف أدبر ، أي : توجه .

والنحو في الأصل : مصدر بمعنى القصد ، يقال : نجوت نحوك أي : قصدت

بك، فَأَمَّاكَ بِطَمَعِهِ يَقِينًا، وَقَصْدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلَاصًا، قَدْ خَلَا ظَمَعُهُ
مِنْ كُلِّ مَظْمُوعٍ فِيهِ غَيْرُكَ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَخْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ .

قال ابن جني: وقد استعمله العرب ظرفاً، أنشد أبو الحسن:

يُحْدِثُهَا لِكُلِّ فِتْيَاتٍ وَهَنْ نَحْوِ الْبَيْتِ قَاصِدَاتٍ (١)
أي: جهة البيت، وهذا المعنى هو المراد هنا.
وأملته أملاً: من باب طلب، وهو ضد اليأس، وأملته تأملاً مبالغة وتكثير، وهو
أكثر استعمالاً من الخفف.

واستحييت منه واستحييته بمعنى، يقال: استحييت بياء بن وهو الأصل، وهي
لغة الحجازوها ورد التنزيل، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ
مَثَلًا» (٢)، وعليها عبارة الدعاء، واستحييت بياء واحدة، اسقطوا الياء الأولى
وألغوا حركتها على الحاء، وهي لغة تميم (٣).

قال الواحدي: قال أهل اللغة: أصل الاستحياء من الحياة، واستحياء الرجل
من قوة الحياة لشدة علمه بمواقع عيبه، فالحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة (٤).
وقال ابن الأثير: الحياء: تغير وانكسار يعرض للإنسان من تخوف ما يعاب به
ويذم، واشتقاقه من الحياة، فكأن الحي جعل منتكس القوة منتقص الحياة لما
يعتريه من الانكسار والتغير (٥).

ووجهت الشيء إلى كذا: جعلته إلى جهته.

والرغبة: مصدر رغبت في الشيء إذا أردته، والهاء لتأنيث المصدر.

ووثق به يثق بالكسوف فيها ثقة اعتمد على وفائه، ونصب ثقة يحتمل المصدرية

(١) الخصائص: ج ١ ص ٣٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٦.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) و(٥) تهذيب الأسماء واللغة: القسم الثاني: ج ١ ص ٧٩ و ٨٠ نقلاً عنها.

والحالّة والمفعولية لأجله، أي: توجيه ثقة أو وثاقاً أو للثقة.
وأتمه أتماً - من باب قتل - : قصده.

والطمع: تعليق النفس بما يظن من النفع، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله.
والباء من قوله: «بطمعه»: للملا بسة، أي: ملتبساً به، كقوله تعالى: «اهبط
بسلام منّا» (١)، ومثله قوله عليه السلام: «وقصدك بخوفه».
واليقين في اللغة: العلم الذي لا شك فيه، وفي الاصطلاح: اعتقاد مطابق
ثابت لا يمكن زواله، وهو في الحقيقة مؤلف من علمين: العلم بالمعلوم والعلم بأن
خلاف ذلك العلم محال (٢).

وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان.
وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.
والإخلاص في اللغة: ترك الرياء في الطاعات، وفي الاصطلاح: تخلص
القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاه، وقيل: هو تصفية العمل عن ملاحظة
المخلوقين حتى عن ملاحظة النفس فلا يشهد غير الله، وحتى من شهد في إخلاصه
الإخلاص احتاج إخلاصه إلى الإخلاص. ونصب «يقيناً» و«إخلاصاً» يحتمل
الأوجه الثلاثة، أي: قصد يقين وقصد إخلاص، أو ذايقين وذا إخلاص، أو
لليقين وللإخلاص. و«قد»: هنا: للتحقيق، أي: تحقق خلوّ طمعه.

وخلا: بمعنى برئ من قولهم: خلا من العيب خلواً أي: برئ منه فهو خلّي.
وغيرك: بالجر في الرواية المشهورة صفة لمطموع، وبالنصب في رواية أخرى على
الاستثناء، لأنّ «غير» إذا وقعت استثناء أعربت إعراب الاسم التالي له «إلا».
والمعنى على الأول: قد خلا طمعه من كلّ مطموع فيه مغاير لك، وعلى الثاني: من

(١) سورة هود: الآية ٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٣.

كل مطموع فيه إلا أنت.

وقس على ذلك قوله عليه السلام في الفقرة الثانية: «كل محذور سواك»، إلا أن الإعراب في «سواك» مقدر. وأفرخ أي: ذهب وانكشف.

والروع بالفتح: الفرع، يقال: راعني الشيء روعاً - من باب قال - أي: أفرعني. والمعنى: زال عنه ما يرتاع له ويخاف وذهب عنه وانكشف.

قال الزمخشري في الأساس: أفرخت البيضة: خرج فرخها، ومن المجاز: أفرخ روعك بالضم أي: خلا قلبك من الهم خلوا البيضة من الفرخ، وأما أفرخ روعك بالفتح فوجهه أن يراد زوال ذلك من القلب، جعل المتوقع الذي هو متعلق الروع من الروع بمنزلة الفرخ من البيضة، وكثر حتى صار في معنى انكشف. قال ذو الرمة:

• جذلان قد أفرخت من روعه الكرب •

انتهى (١).

والحاصل: أن أفرخ يستعمل بمعنىين: يقال: أفرخت البيضة: إذا خرج فرخها، وأفرخ الطائر: إذا خرج من البيضة، فن قال: أفرخ روعك بالضم فالروع هنا بمعنى القلب، ومعناه: خلا قلبك من الخوف خلوا البيضة من فرخها، ومن قال: أفرخ روعك بالفتح فالروع بمعنى الفرع والخوف، ومعناه: خرج الفرع من قلبك خروج الطائر من البيضة. والرواية في الدعاء أنها هي بالفتح. وحذرت الشيء - من باب تعب -: خفته فهو محذور.

وجملة قوله عليه السلام: «قد خلا طمعه» تحتمل أن تكون حالاً فهي في محل

(١) أساس البلاغة: ص ٤٦٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

فَمَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً ، وَغَمَضَ بَصَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ مُتَخَشِعاً ،
وَوَظَّاطاً رَأْسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً .

النصب، أي: أملك بطمعه يقيناً حال كونه قد خلا طمعه من كل مطمouc فيه غيرك ، والجملة المعطوفة عليها حال أيضاً، متعلق معناها بقوله: «وقصدك بخوفه إخلاصاً»، أي: قصدك بذلك حال كونه قد أفرخ روعه من كل محذور سواك .

ويحتمل الكلام الاستئناف البياني، كأنه سئل عليه السلام كيف أم بطمعه يقيناً وقصد بخوفه إخلاصاً؟ فقال: قد خلا طمعه من كل مطمouc فيه غيرك ، وأفرخ روعه من كل محذور سواك فجملية «قد خلا» على هذا لا محل لها من الإعراب، والمعطوفة عليها تابعة لها، والله أعلم .

مثل بين يديه مثولاً - من باب قعد: انصب قائماً .

وبين اليدين: عبارة عن الإمام؛ لأن ما بين يدي الإنسان أمامه، وهو هنا من باب التمثيل، وقد تقدم الكلام على بيان ذلك مبسوطاً في أوائل الروضة العاشرة، فليرجع إليه .

ومتضرِّعاً: حال من فاعل مثل، والتضرع: التذلل، وهو إظهار ذل النفس والانقهار، وخلع أردية التعزز والاستكبار. قال تعالى: «أذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً» (١)، وذلك لما فيه من الاعتراف بذل العبودية وعزة الربوبية .

وغَمَضَ بصره تغميضاً وأغمضه إغماضاً: أطبق أعضانه، وعداه بإلى لتضمينه معنى الإمالة، أي: غمض بصره ميلاً له إلى الأرض، أو أمال بصره إلى الأرض مغمضاً له، على ما تقدم من طريق إبراز التضمين في مقام التفسير .

والخشوع: الإخبات والتواضع والسكون .

وفي القاموس: الخشوع: الخضوع أو قريب من الخضوع، أو هو في البدن

وَأَبْتَكْ مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعاً، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا

والخشوع في الصوت والبصر (١).

وقال صاحب محكم اللغة: خشع يخشع خشوعاً وأخشع وتخشع: رمى ببصره نحو الأرض وحفض صوته.

وقيل: الخشوع قريب من الخضوع، إلاً أن الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر كقوله تعالى: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» وقوله: «وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ» (٢)، إنتهى ملخصاً. ولا يخفى مناسبة تفسيره الأول لعبارة الدعاء.

وقال القاضي في تفسيره: الخشوع: الإخبات، والخضوع: اللين والانقياد؛ ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب، إنتهى (٣).

وطأ طأ رأسه: صوبه وخفضه.

والعزة: الرفعة والامتداع والشدة والغلبة، وفي التنزيل: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» (٤)، أي: من كان يريد بعبادة غير الله العزة فإنها العزة لله وحده لا لغيره، عزة الدنيا وعزة الآخرة جميعاً، فليطلبها منه لا من غيره.

والتذلل: الاستكانة والخضوع، ولما كانت الهيئات المذكورة في الفقرات الثلاث من لوازم الطامع الخائف، جعلها عليه السلام مترتبة على ما قبلها من قصر طمعه وخوفه عليه تعالى ٥.

بث السرّ بثاً: أذاعه ونشره، وبشّته سرّي وأبشّته بالألف: أظهرته له وأطلعته عليه.

والسر: ما يكتّم، وهو خلاف الإعلان، ومنه قيل للنكاح: سرّ؛ لأنه يلزمه غالباً.

(١) القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٨.

(٢) المحكم في اللغة: ج ١ ص ٦٨.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ٥٤.

(٤) سورة فاطر. الآية ١٠.

أَنْتَ أَحْصَىٰ لَهَا خُشُوعًا، وَاسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمِ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ،
وَقَبِيحِ مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ، مِنْ ذُنُوبٍ أَدْبَرَتْ لَذَاتُهَا فَذَهَبَتْ،
وَأَقَامَتْ تَبَعَاتُهَا فَلَزِمَتْ.

و«من» في قوله: «(من سره)» و«(من ذنوبه)»: مبيّنة لـ«ما» في الموضعين، قدّمت
على المبهم المبيّن جوازاً، نحو: عندي من المال مايكفي.

قال الرضّي: وإنما جازا تقديم «(من)» المبيّنة على المبهم في نحو: أنا من خطئه في
روضة، ومن رعايته في حرم، وعندي من المال مايكفي، ومن الخيل عشرون؛ لأنّ
المبهم الذي فسّر بـ«(من)» التبيينيّة مقدّم تقدير، كأنك قلت: أنا في شيء من خطئه
في روضة، وعندي شيء من المال مايكفي، فالمبيّن في كلّ ذلك محذوف، والذي بعد
«(من)» عطف بيان له، حذف المعطوف وأقيم المعطوف عليه مقامه، كما يحذف
المستثنى منه ويقام المستثنى مقامه في نحو: ما جاءني إلا ريد، كلّ ذلك ليحصل
البيان بعد الإبهام (١)، انتهى ملخصاً.

ونخضوعاً وخشوعاً منصوبان على المصدرية لبيان نوع العامل، أو على المفعولية
لأجله تصرّحاً بفائدة إثبات سره من هو أعلم به منه، وتعدد ذنوبه لدى من هو
أحصى له منه.

وأحصى: أفعال تفضيل بمعنى أضبط، من أحصاه إحصاءً: بمعنى ضبطه، وفيه
شاهد على بناء أفعال التفضيل من أفعال الرباعي قياساً وهو مذهب سيبويه (٢)
والمحقّقين من أصحابه، واختاره في التسهيل وشرحه (٣).

قال صاحب الكشف: وليس بعيداً عن الصواب؛ لكثرة ما جاء من هذا

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٣٤٣.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢١٣.

(٣) تسهيل الفوائد: وتكميل المقاصد لابن مالك: ص ١٣٣-١٣٤.

الباب (١).

وقال الرضي ويؤيده كثرة الاستعمال كقولهم: هو أعطاهم للدراهم وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان (٢).
ومفعول أحصى محذوف مع من، أي: أحصى له منه؛ للدلالة قوله: «ما أنت أعلم به منه» عليه، ونظيره من التنزيل قوله تعالى: «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً» (٣).

واستغاث به: طلب إغاثة أي: إغاثة ونصره.
ووقع به: أهلكه وأوهنه، من قولهم: وقعت بالقوم وقعة: إذا قتلهم وأثخنهم، أي: أوهنتهم بالجراحة وأضعفتهم، وهي لغة أهل الحجاز، وتميم تقول: أوقعت بهم بالأنف (٤).

قال الجوهرى: وقعت بالقوم في القتال وأوقعت بهم بمعنى (٥).
وقوله عليه السلام: «في علمك»: ظرف للوقوع به، على تشبيه علمه تعالى بما يكون محلاً للشيء، كما تقول: قتلت القوم في المحل الفلاني.
والغرض الاستغاثة من الذنوب التي هي في علم الله مهلكة لمقترفها وهو لا يعلم بذلك أو يظنها هينة لا توجب هلاكاً، كما قال تعالى: «وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» (٦).

وعن بعضهم أنه جزع عند الموت، فقليل له في ذلك، فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم.

(٤) المصباح المنير: ص ٩٢١.

(٥) الصحاح: ج ٣ ص ١٣٠٢.

(٦) سورة النور: الآية ١٥.

(١) لم نعر عليه.

(٢) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢١٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٤.

وفي النصائح الكبار: لا تقولن لشيء من سيئاتك: حقير، فلعله عند الله تعالى نخلة وهو عندك نقيير، وهي النكته في ظهر النواة.

وإضافة عظيم إلى «ما» من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ويجعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس. وقس على ذلك قوله عليه السلام: «وقبّح ما فضحه في حكمك».

والمراد بالحكم هنا معناه اللغوي، أي: قضاؤك.

وقد خفي معنى قوله عليه السلام: «من عظيم ما وقع به» على كثير من المترجمين، ففستروه بما لا يناسب المقام.

فقال بعضهم: «الباء» من قوله: «وقع به» بمعنى من، والمعنى: من عظيم ما وقع أي: صدر منه في علمك.

قال: ويحتمل أن يكون الظرف من قوله: «في علمك» متعلقاً بعظيم، والمعنى: استغاث من وقوع ذنب منه عظيم في علمك. قال بعضهم: «الباء» بمعنى على، والمراد بوقوعه عليه في علمه تعالى وبفضيحته في حكمه سبحانه: أنه جرى في علمه تعالى وقوع ذلك عليه وحكم سبحانه في الأزل بأن هذا القبيح يفضحه.

وقال بعضهم: المعنى: سقط به في علمك، فجعل الوقوع بمعنى السقوط، والضمير في «وقع» عائد إلى الداعي، والباء للسببية.

ولا يخفى أن كل ذلك وإن كان في نفسه صحيحاً، غير أن الذوق يشهد هنا بتجافيه، وكلّ إناء ينضح بما فيه.

قوله عليه السلام: «من ذنوب أدبرت» إلى آخره، «من»: مبيّنة لما وقع به وما فضحه.

وأدبر الشيء إدباراً: ولّى وانقضى، ومنه: «وَاللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ» (١).

لَا يُتَكَبَّرُ يَا إِلَهِي عَدْلَكَ إِنَّ عَاقِبَتَهُ وَلَا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ
وَرَحِمَتُهُ، لَأَنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَتَعَاظَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ.

وذهب الشيء، ذهاباً بالفتح: مرّ ومضى.

واللذات: جمع لذة بالفتح اسم من لذ الشيء، يلذّ - من باب تعب - لذاذاً ولذاذةً
بالفتح أي: صار شهياً.

وعرفوا اللذة بأنها إدراك الملائم من حيث إنه ملائم كالصوت الحسن عند
حاسة السمع، وقيد الحيثية للاحتراز عن الالتذاذ بالدواء المر النافع من حيث إنه
نافع لا من حيث إنه مرّ.

وأقام بالموضع إقامةً: سكن به ولم ينتقل عنه.

والتبعات: جمع تبعة على وزن كلمة: ما تطلبه من ظلامة ونحوها.

ولزم الشيء يلزم لزوماً: من باب تعب: ثبت ودام، ومنه: لزمه المال: إذا ثبت
ووجب عليه، والله أعلم.

أنكرته إنكاراً جهلته كنكرته من باب تعب، وفيه ردّ على من زعم أن نكر
بالقلب وأنكر بالعين. والإنكار: الجحود أيضاً، ويحتمل ارادة هنا. وأنكر عليه فعله
إنكاراً أيضاً: عابه، وهذا المعنى محتمل هنا أيضاً.

وفي رواية يُنكر بضمّ أوله وفتح الكاف على البناء للمفعول، ورفع عدلك على
أنّه مفعول مالم يسمّ فاعله، ومثله روي في يستعظم عفوك.

والعدل: خلاف الجور، وعرفوه بالتوسط في الأفعال والأقوال بين طرفي التفريط
والإفراط، وإذا نسب إلى الله عز وجل فالمراد أن أفعاله سبحانه واقعة على وفق الحكمة
والنظام الأكمل.

وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقاباً: أخذه به.

وجملة جواب الشرط محذوفة وجوباً بالدلالة المتقدّم عليه، والتقدير: إن عاقبته
فلا ينكر عدلك، وليس المتقدّم بجواب عند جمهور البصريين؛ لأنّ أداة الشرط لها

اللَّهُمَّ فَهَذَا إِذَا قَدْ جُسْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ،
مُتَنَجِّزاً وَعَدَّكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ، إِذْ تَقُولُ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ.

صدر الكلام ولا يتقدم عليها الجواب.

وذهب الكوفيون والمبرد إلى أنه لا حذف والمتقدم هو الجواب (١)، وقس على ذلك.

قوله عليه السلام: «إن عفوت عنه ورحمته» واستعظم الشيء: رآه عظيماً. ونفي استعظام عفوه تعالى إنما هو بالنظر إلى عظيم عفوه وسعة رحمته، لا من جهة أنه في نفسه غير عظيم؛ ولذلك علّله بقوله عليه السلام: «لأنك الرب الكريم... إلى آخره»، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله للإيدان بعليته المعفوع عنه والرحمة له، كما يؤذن بذلك التعرض لعنوان الكريم، وليس يرتب على ذلك الوصف بعدم تعاظم غفران الذنب العظيم له تعالى، ويدخل فيه غفرانه سبحانه للداعي دخولا أولاً.

وتعاظمه الأمر: عظم عليه.

وغفر الله له غفراً - من باب ضرب - وغفراناً بالضم: صفح عنه.

ها: للتنبيه، ومدخولها ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة أصالة.

وقيل: إنها كانت داخلة على الإشارة فقدمت. ورد بنحو: «ها أنتم هؤلاء» (٢).

وجملة «قد جُستك» قيل: في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى التنبيه أو الإشارة.

وقيل: مستأنفة مبيّنة للجملة الأولى

وقيل: في محل رفع على أنها خبر المبتدأ وهو «أنا»، واسم الإشارة تأكيد للمبتدأ. وكأنَّ القائل بذلك توهم التأكيد اللفظي بإعادة المرادف.

وقيل: خبر ثان.

والصحيح أنَّ «ذا» هو الخبر والجملة بيان، كأنه لما قال: ها اناذا، قيل له: كيف أنت، فقال: قد جئتُك. ولك أن تجعلها مبيّنة من غير تقدير سؤال.

فإن قلت: كيف يحمل «ذا» على «أنا» وهما عبارة عن ذات واحدة هنا، والحمل يقتضي التغاير؟

قلت: إنما حمل عليه باعتبار التغاير الآتي من قبيل البيان بقوله «قد جئتُك»، تنزيلاً لتغاير الصفة منزلة تغاير الذات؛ فإنَّ قوله: «ها اناذا» معناه: فيها أنا بعد ذلك المنيب الراجع إليك؛ لدلالة الكلام من قوله: «قد جئتُك» عليه، فوضع اسم الإشارة الموضوع للذات موضع الصفة؛ للإيذان بالمبالغة في إنابته ورجوعه، حتّى كأنه شخص آخر غير ذلك الشخص الذي كان متصفاً بتلك الصفات، ألا ترى أنك تقول لمن خرج من عندك بوصف ورجع إليك بوصف آخر: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به، أي: رجعت على صفة غير الصفة التي خرجت بها، وغرضك بذلك الكناية عن تغاير الذات، كأنك تقول: ذهب بك وجي، بغيرك، وما ذلك إلّا بحسب الوصف مبالغة.

ومعنى مجيئه إليه تعالى: إنابته إليه وإقباله عليه وإخلاصه له تعالى على طريقة التمثيل، كما قال تعالى: «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (١). ومطيعاً لأمره أي: ممتثلاً له.

قال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه إطاعة، وإذا وافقه فقد طاعه (٢).

(١) سورة الصافات: الآية ٨٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ٤٣١ مع تقديم وتأخير.

وقوله عليه السلام: «فيا أمرت به» بيان لمحل الإطاعة أو محل الأمر، وعلى الأول هو لغو، كقوله تعالى: «لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمْرِ» (١)، وعلى الثاني مستقر، أي: لأمرك كائنًا فيا أمرت، وقس عليه قوله عليه السلام: «متنجزاً وعدك فيما وعدت».

وإيثار التعبير بذلك على أن يقول: مطيعاً لأمرك بالدعاء، أولاً أمرت به من الدعاء، سلوك لطريق الإيهام ثم التفسير، الدال على التفخيم والتعظيم كما قرر في محله، مع مافيه من بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب.

وتنجز الوعد: استنجزه أي: طلب وفاءه، كما يقال: تكبر واستكبر. ونصب متنجزاً على الحال كما انتصب عليها مطيعاً، إلا أن مطيعاً حال من فاعل جئتك، ومتنجزاً حال من الضمير في مطيعاً، وهو العامل فيها، وهذه هي الحال المسماة بالمتداخلة.

ومعنى التداخل: أن تكون الحال الثانية حالاً من ضمير في الحال الأولى، هذا عند من منع تعدد الحال مع اتحاد عاملها وصاحبها قياساً على الظرف، وهو الفارسي وابن عصفور وجماعة، وأجازه الأخفش وابن جني، ووافقهما جمهور المتأخرين كابن مالك والرضي وابن هشام، وعليه فلا تداخل.

غير أن متنجزاً على كل تقدير حال مقدرة، وهي المستقبلية، بمعنى أن زمان عاملها قبل زمانها، ومطيعاً حال مقارنة لعاملها؛ لأن الإطاعة مقارنة للمجيء، وتنجز الوعد لا يكون إلا بعد إطاعة الأمر بالدعاء، ألا ترى من قال لك: جئتني أكرمك، لا تنتجز منه الوعد بالإكرام إلا بعد المجيء، فكذا قوله تعالى: «أدعوني استجب لكم» (٢) لا تطلب منه إجابة إلا بعد الدعاء.

(١) سورة الحجرات: الآية ٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

إذا عرفت ذلك فقله عليه السلام: «متنجزاً وعدك» أي: مقدراً تنجز وعدك، كقوله تعالى: «ادخلوها خالدين» (١)، أي: مقدرين خلودكم؛ لأن زمن الخلود لا يتصور مقارنته للدخول، فلم يبق إلا تقديره.

وقد أحسن من عبّر عن الحال المقدرة بأنها ما يصحّ تقديرها بالفعل ولام كي، نحو: رقى زيد المنبر خاطباً، أي: ليخطب، وكذلك الآية المذكورة؛ فإن التقدير فيها: أدخلوها لتخلدوا، وهذا ينكشف معنى التقدير الذي ذكرناه في متنجزاً؛ إذ حاصل معناه: لانال) منك الإجابة وفاءً بالوعد.

قوله عليه السلام: «إذ تقول ادعوني أستجب لكم» إذ: اسم زمان للماضي، وهي هنا ظرف للأمر والوعد من قوله: أمرت به ووعدت به، فهما العاملان فيها على طريق التنازع، والفعل المستقبل بعدها ماضٍ في المعنى، أي: إذ قلت، جاء بصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها حتى كأن الأمر والوعد وقعا الآن بحضوره، ومثله في التنزيل كثير كقوله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» (٢)، «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ» (٣)، «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ» (٤)، «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ» (٥)، فالفعل في كل ذلك مستقبل لفظاً لا معنى.

وجملة «تقول» في محل جر بإضافة «إذ» إليها، والجملة المحكية بالقول - أعني قوله تعالى: «ادعوني أستجب لكم» - في محل نصب بتقول.

والآية في سورة المؤمن، واتفق أن المحكي بالقول منها هنا وقع محكيّاً بالقول في الآية أيضاً، وهي قوله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (٦). وقد وقع فيها الأمر بالدعاء

(١) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

(٣) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٤) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

(٦) سورة الأنفال: الآية ١١.

والوعد بالإجابة معاً.

والاستجابة: بمعنى الإجابة.

وقال تاج القراء: الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المسؤول (١).

تنبيه

قال بعض أكابر السادة في تعليقه على الصحيفة الشريفة ينبغي في نظائر هذه المقامات مراعاة لجادة سنن الآداب، إِمَّا الوقف على «تقول» ثم البداءة بقوله عز من قائل: «أدعوني»، وإِمَّا الوصل مع إظهار الهزة المضمومة على سبيل الحكاية، من غير إسقاطها في الدرج وإن لم تكن هي هزة قطع؛ لينفصل كلام الخالق عن كلام المخلوق، ولا يتصل تنزيله الكريم بعبارة البشر والفاظ الآدميين، انتهى بنصه. وتبعه على ذلك غير واحد.

وأنا أقول: أمَّا ما ذكره من الوقف على «تقول» ثم الابتداء بما بعده، فإنما كان يلزم لو أدَّى الوصل إلى إيهام أن كلام الخالق من جملة كلام المخلوق، أو اشتباه أحدهما بالآخر، كما لزم الوقف على «قولهم» من قوله تعالى: «فَلَا يَخْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يُغْلِبُونَ» (٢)؛ إذ لو واصل الكلام ولم يوقف على «قولهم» لأوهم أن ما بعده مقول الكفار، أمَّا إذا كان كلامه تعالى محكيًا بعد القول فلا داعي إلى الوقف أصلاً، لعدم تصوّر فساد في الوصل.

على أن لزوم الوقف ليس مخصوصاً بهذه الصورة، بل هو حيث كان الوصل مغيراً للمرام ومشتعاً للكلام، ألا ترى أن الوقف لازم على «مؤمنين» من قوله

(١) لم نتحققه.

(٢) سورة يس: الآية ٧٦.

تعالى: «وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ» (١)؛ إذ لو وصل بقوله: «يخادعون الله»، توهم أن الجملة صفة لقوله: «بمؤمنين»، فأنفى الخداع عنهم وتقرر الإيمان خالصاً عن الخداع، كما تقول: ما هو بمؤمن مخادع، حتى لو تعمّد التالي الوصل وقصد هذا المعنى كفر.

فتحقّق أن ما استحسّنه قدس سرّه من الوقف على «تقول» لا وجه له، بل هو داخل في قسم الوقف الذي نصّ الفراء على قبّحه؛ لعدم تمام الكلام عنده. قال ابن الجزري: الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري؛ لأنّ الكلام إمّا أن يتمّ أولاً، فإن تمّ كان اختياريّاً، وإن لم يتمّ كان اضطراريّاً وهو المسمّى بالقبيح، لا يجوز تعمّد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه؛ لعدم الفائدة أو لفساد المعنى، انتهى ملخصاً (٢).

فإن قلت: هذا إنّما يجري في تلاوة القرآن المجيد، ولم ينصّ أحد على اطّراده في كلّ كلام.

قلت: بل هو جار في كلّ كلام فصيح، لاستيحاء الحديث والخطب والأدعية الماثورة عن أرباب العصمة عليهم السلام؛ إذ بمراعاة ذلك تظهر بلاغة الكلام ونظمه وسلاسته ورونقه، وبعدها خلاف ذلك، كما يدلّ عليه تفسيرهم لفصل الخطاب من قوله تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ» (٣) بأنّه الكلام البيّن المملخص الذي بيّنه المخاطب على المرام، من غير التباس لما قد روعي فيه من مظانّ الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار؛ ولهذا المعنى روعيت الوقوف في التلاوة، وإلا فلا خلاف في أنّه ليس في القرآن وقف واجب

(١) سورة البقرة: الآية ٨ و ٩.

(٢) النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) سورة ص: الآية ٢٠.

ولا حرام.

قال ابن الجزري: قولهم: لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا الموصول دون صلته، ولا الفعل دون مفعوله ونحو ذلك، إنما يريدون به الجواز الأدائي، وهو الذي يحسن في القراءة ويروق في التلاوة، ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكروه، اللهم إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى، فإنه يكفر فضلاً عن أن ياثم، انتهى (١).

وأما ما ذكره قدس سره من الوصل مع إظهار الهمزة على سبيل الحكاية من غير إسقاطها في الدرج، فهو كلام عجيب ما كان ينبغي أن يصدر عن بعض تلامذته فضلاً عن مثله؛ فإن قطع همزة الوصل في الدرج مختص بضرورة الشعر ولا يرتكبا فحول الشعراء، فكيف تقطع في كلام أفصح الناس في عصره من غير ضرورة؟ وما ادعاه من الحكاية ليس بصحيح؛ لأن الحكاية على ما عرفوها إيراد لفظ المتكلم على حسب ما أورده في كلامه، ولفظ ادعوا في كلام الله سبحانه لم يقع مقطوع الهمزة بل موصولها كما رأيت في الآية، فكيف يكون إيراده بقطع الهمزة حكاية له؟

وأما قوله قدس سره: لينفصل كلام الخالق عن كلام المخلوق، فكلام لاحقة له ولا يرجع إلى محصل، وقد حكى الله في كلامه المجيد من كلام الكفار وغيرهم جملاً مبدوءة بهمزة الوصل فلم يقطعها، ولا نص أحد على استحسان قطعها للغرض المذكور، كقوله تعالى: «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ» (١)، «قَالُوا أَظْهَرْنَا بِكَ» (٣)، «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ» (٤)، «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا» (٥)، «وَقَالُوا

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٦.

(٥) سورة الصافات: الآية ٩٧.

(١) النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٨.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٧.

اَللّٰهُمَّ فَصِّلْ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّآلِهٖ، وَالْقِنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقَيْتَكَ
بِاِقْرَارِي، وَاَرْقِنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتَ لَكَ نَفْسِي، وَاسْتُرْنِي
بِسِرِّكَ كَمَا تَأْنِيْتُنِي عَنِ الْاِنْتِقَامِ مِنِّي.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ» (١)، «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقْنَا
وَعْدَهُ» (٢)، ولا فرق بين كون كلامه تعالى حاكياً وكونه محكياً إذا كان ما ذكره هو
الغرض. وإنما بسطنا الكلام على ذلك مع ظهور سقوطه؛ لأن كثيراً من المتسمين
بالفضل استحسنته، وظن أنه نكتة لم يتنبه لها سواه، والله يقول الحق وهو يهدي
السييل.

الفاء: فصيحة، أي: إذا كان أمري على ما ذكرت فصل على محمد وآله، ومن
هنا شرع عليه السلام في الدعاء الذي امثل فيه قوله تعالى: «أدعوني استجب
لكم»، كما تدل عليه الفاء الفصيحة. والقي بمغفرتك أي: استقبلي وواجهني بمغفرتك كما استقبلتك وواجهتك
بإقراري.

يقال: لقيته ألقاه لقاءً من باب تعب: إذا استقبلته وواجهته.

قال في المصباح: كل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه (٣).

وكل شيء جعلته تلقاء وجهك فقد استقبلته.

والباء: للملابسة، أي: ملتبساً بمغفرتك كما لقيتك ملتبساً بإقراري.

ولقاؤه تعالى بمغفرته له عبارة عن إيصال مغفرته إليه، على تمثيل تلك الحال
بحال عبد مذنب أقبل على سيده ولقيه بالإقرار والاعتراف بذنوبه، فاستقبله سيده
بالصفح عنه والمغفرة له.

(١) سورة فاطر: الآية ٣٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٤.

(٣) المصباح المنير: ص ٧٦٦.

والكاف: إما للتعليل عنده من أثبتته، أي: للقاء إياك بإقرارى كقوله تعالى: «وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ» (١)، أو للتشبيه، أي: القني بمغفرتك لقاءً شبيهاً بلقائي لك بإقرارى، ووجه الشبه حينئذ التخصيص أو التحقق: وإلا لزم كون المشبه به دون المشبه وهو باطل. ويحتمل كونها للمقارنة، وهي التي تكون بمعنى مقارنة الفعلين بوجود الفعلين، نحو: أدخل كما يسلم الإمام، وكما قام زيد قعد عمرو. وعبر ابن هشام عن هذا المعنى بالمبادرة، قال: وذلك إذا اتصلت بـ «ما» في نحو: سلم كما تدخل، وصل كما يدخل الوقت (٢).

قال الشريف العلامة في شرح المفتاح: هذه الكاف للقرآن في الوقوع، يقال: كما جاء زيد جاء عمرو، أي: تقارن مجيئيهما (٣). وعلى هذا فعنى عبارة الدعاء: قارن بلقائي بمغفرتك لِقائِي إِيَّاكَ بإقرارى، والله أعلم.

فإن قلت: الذي يظهر من تمثيلهم للكاف بهذا المعنى أن يكون مدخولها بعد الطلب مستقبلاً وهو في الدعاء ماضٍ، فيتعين أحد الوجهين الأولين. قلت: مدخولها في الدعاء مستقبل معنى وإن كان ماضياً لفظاً، فهو كقول صاحب المحرر: ويشغل المؤذن بالأذان كما جلس (٤). وقال النواوي في الدقائق: ولقظة «كما» ليست عربية، ويطلقها فقهاء العجم بمعنى عند، انتهى (٥).

ودعواه أنها ليست عربية غير صحيح؛ فقد نقل ابن هشام في المغني أن هذا المعنى ذكره ابن الخطّاب في النهاية، وأبو سعيد السيرافي وغيرهما (٦).

(٤) لم نعر عليه.

(٥) لا يوجد لدينا كتابه.

(٦) مغني اللبيب: ص ٢٣٧.

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٢) مغني اللبيب: ص ٢٣٧.

(٣) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

وذكره الرضوي في شرح الحاجبية (١)، والبلخي في الوافي، فلا عبرة بقول النواوي.

ورفعه رفعاً من باب منع -: ضد وضعه.

والمصارع: جمع مصرع، اسم مكان من صرعه صرعاً - من باب نفع -: إذا طرحه بالأرض، واشتهر في موضع سقوط القتيل، يقال: هذه مصارع القوم، أي: مواضع سقوطهم قتلى. ولكن إضافتها إلى الذنوب ليس بهذا المعنى، بل من باب إضافة المكان إلى من أوقع فيه الفعل، نحو: مجالس القوم، أي: المواضع التي تصرع فيه الذنوب أربابها. وجعل المصراع مصدراً ميميّاً تكلف.

والكاف في «كما» مثلها فيما تقدم.

وسُتِرت الشيء سترأ - من باب قتل -: حجبته عن المشاهدة، والستر بالكسر: ما يستر به، وستره تعالى عبارة عن صوته للعبد من الفضيحة، أو عدم المحاسبة له على المعصية وترك ذكرها كي لا يطلع غيره عليها. والكاف: للتشبيه.

وتأتى في الأمر تأنيياً: تمهل وتمكث ولم يعجل، والاسم منه الأناة على وزن حصة.

وقال الجوهري: تأتي في الأمر: تنظر وترقق، واستأنى به أي: انتظر به، يقال: تأتيتك حتى لأناة بي، انتهى (٢).

وتعدية التأني بـ «عن» لتضمينه معنى التجاوز، أي: تأتيتني متجاوزاً عن الانتقام مني.

وانتقمته منه انتقاماً: عاقبته على ذنبه، والله أعلم.

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٧٣، وفيه تقديم ترقق.

اللَّهُمَّ وَثِّبْتُ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي، وَأُحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي،
وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الْخَطَايَا عَنِّي، وَتَوْفِّقْنِي عَلَى
مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا تَوَفَّيْتَنِي.

ثبت الشيء ثبت ثبوتاً: دام واستقر فهو ثابت، وثبت الأمر: صح، ويعدى بالهمزة
والضعيف، فيقال: أثبتته اثباتاً وثبته تثبيتاً، والاسم الثبات بالفتح.
والنية: عزم القلب على أمر من الأمور.
وقيل: هي القصد إلى فعل معين لعل غائية. وقد بسطنا الكلام عليها في
الروضة العشرين.

والمراد بتثبيت النية، إقامتها وجعلها ثابتة مستقرة لا تتغير ولا تميل إلى غير
الطاعة حتى تصير ملكة للنفس، من ثبت الشيء بمعنى: دام واستقر، أو تصحيحها
بجعلها خالصة لله تعالى، من ثبت الأمر بمعنى: صح، ولذلك ذهب كثير من علماء
الخاصة والعامة إلى بطلان العبادة إذ نوى بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من
العقاب، وقالوا: إن هذا القصد مناف للإخلاص الذي هو إرادة وجه الله وحده.
وأحكمت الشيء إحكاماً: أتقنته ومنعته من الفساد.

والبصيرة للباطن بمثابة البصر للظاهر.

وقال الفارابي: البصيرة: اسم لما اعتقدته في القلب من الدين وتحقيق الأمر (١).
وفي القاموس: البصيرة عقيدة القلب (٢).

والمراد بإحكام بصيرته في عبادته تعالى: جعلها محكمة قوية لا يتطرق إليها فساد
أو نقیصة من إشارشي عليها أو تواني فيها.

واعلم أن العبادة كما تطلق على أعمال الجوارح بشرط قصد القربة، تطلق على
التحقق بالعبدية بارتسام ما أمر السيد جلّ وعلا أو نهى، وعلى هذا تتناول الأعمال

والعقائد القلبية أيضاً، ولا يخفى أن إرادة هذا المعنى أنسب وأظهر وإن كان الأول أشهر.

قوله عليه السلام «ووفقني» أي: اهديني وسدّدني واجعل إرادتي وحركتي للأعمال التي تغسل بهادنس الخطايا عتي.

و«من» في قوله: «(من الأعمال)»: بيانية قدّمت على مبيّتها كما تقدّم بيانه. والأعمال: جمع محمّل باللام فيستغرق كلّ عمل شرعي بقريضة المقام، والعمل: كلّ ما صدر من الحيوان بقصده قلبياً أو قالبياً فيدخل الاعتقادات والنيات، وخصه بعضهم بالجوارح؛ لأنّ الناي مثلاً لا يقال له: عامل.

والدنس محرّكة: الوسخ، وهو هنا استعارة لآثار الذنوب بجامع القبح والكرهية، وذكر الغسل الملائم للدنس ترشيح.

والمراد بغسله: إمّا محو من القلب ولوح النفس ليكمل استعدادة لإفاضة الفيض والرحمة عليه ويرتفع عنه الانفعال عند لقاء الموت، أو من ديوان الحفظه ويثبت مكانه آثار الطاعات، كما قال تعالى: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» (١). هذا إذا كانت الخطايا بين العبد وبين ربه، فإن كانت بينه وبين العباد فيعوضهم عن ظلاماتهم ويمحو آثار تبعاتهم لديه.

قوله عليه السلام: «وتوفّي على ملّتك» التوفّي: قبض الشيء، على الإيفاء والإتمام، يقال: توفّيت حقّي من فلان واستوفيته بمعنى.

وأُسند عليه السلام التوفّي إليه سبحانه كما أسنده تعالى إلى نفسه في قوله: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» (٢).

قال العلامة الطبرسي: لأنه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه (١). وفي الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: «الله يتوفى الأنفس حين موتها»، وعن قول الله عز وجل: «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم»، وعن قول الله تعالى: «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين»، و«الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم»، وعن قوله تعالى: «توفته رسلنا»، وعن قوله عز وجل: «ولوترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة»، وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصى إلا الله عز وجل، فكيف هذا؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى جعل ملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح، بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاهم الله من ملك الموت، انتهى (٢). وهذا وجه آخر لإسناد التوفي إليه سبحانه.

والملة: الدين، ومنه: لا يتوارث أهل ملتين، أي: دينين، كالإسلام واليهودية.

وقيل: هي معظم الدين وجملة ما تحي به الرسل (٣). وقال الراغب في الذريعة: الملة: القود إلى الطاعة، والدين: الانقياد له، وهما بالذات واحد، لكن الدين هو الطاعة، فيقال اعتباراً بفعل المدعو في انقياده إلى الطاعة، والملة من أملت الكتاب، فيقال اعتباراً بفعل الداعي إليها والشارع لها؛ ولكونها بالذات واحداً قال تعالى: «ديناً قيعاً ملة إبراهيم حنيفاً»، فأبدل الملة من الدين، انتهى (٤).

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٦٠.
(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٠١.

(١) مجمع البيان: ج ٩-١٠ ص ١٨٢.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٣٦ ح ٣٦٨.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا،
وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظُلُومِهَا، وَسَوَالِفِ زَلَّاتِي وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةً مَنْ
لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ.

وإذا: ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط، والجواب هنا محذوف وجوباً؛
لتقدم ما هو جواب من حيث المعنى عليه.

ومعنى إذا توفيتني: أي إذا أردت وفاتي، تعبيراً بالفعل عن إرادته، كقوله
تعالى: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا» (١)، «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ» (٢) وأكثر
ما يكون ذلك بعد أداة الشرط.

وإنما جاء بهذه الجملة الشرطية- أعني قوله: إذا توفيتني- لئلا يكون قوله: وتوفني
دعاء بتعجيل الوفاة لا لأنه عليه السلام يكره الوفاة ولقاء الله، بل لأنه يختار ما
يختاره الله تبارك وتعالى له من الحياة والوفاة، والله أعلم *.

أكد عليه السلام الحكم بتوبته بـ «إِنْ» التي هي لتأكيد النسبة وتحقيقها، للإيدان
بأنه عن اعتقاد جازم ونية صحيحة وصميم قلب وصدق رغبة ووفور نشاط، ولرواج
التأكيد منه عند المخاطب.

قال شارح الفوائد: قد يؤكد الحكم لكونه عن جد لا هزل، أو عن اعتقاد
وصميم قلب (٣).

وقال السعد التفتازاني: وقد يؤكد الحكم المسلم لصدق الرغبة فيه والرواج (٤)
والمقام بالفتح: موضع القيام، وبالضم: موضع الإقامة، وقد وردت الرواية
بالوجهين.

وهذا: في محل جر نعت لمقامي.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) لم نتحققه.

(١) سورة المائدة الآية ٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٨.

وقول بعضهم: إنه بدل منه غلط فاحش؛ فإنَّ المبدل منه في حكم المطروح المعدوم.

وتقييد الحكم بالظرف ووصفه بـ «هذا» لتعيين المضارع من قوله: «أتوب» لزمان الحال، بناءً على أنه حقيقة في المستقبل والحال معاً، أو أنه حقيقة في المستقبل مجاز في الحال، أو لرفع احتمال التجوُّز بناءً على أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال وهو الأصح، وعلى هذا فالنعت بـ «هذا» يفيد أيضاً تأكيد الحال بزيادة تعيينه.

والكبيرة: ما توعد عليه بخصوصه، كالزنا وشرب المسكر وغيرهما.
والصغيرة: ما صدر عن فلة خاطرة أو فلة ناظرة مع عدم الجواز والتوعد عليه، وقيل فيها غير ذلك. وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً.
قوله عليه السلام: «وبواطن سيئاتي وظواهرها» فيه تلميح إلى قوله تعالى: «وَدَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ» (١)، قيل: المراد ما أعلنتم وما أسررتن.
وقيل: ما عملتم وما نويتن.

وقيل: ظاهر الإثم أفعال الجوارح، وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وإرادة الشر للمسلمين، ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والظن والتمني والندم (٢) على أفعال الخيرات ويؤخذ منه أن ما يوجد في القلب قد يؤخذ به وإن لم يقترن به عمل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: الظاهر من الإثم المعاصي، والباطن الشرك والشك في القلب. (٣) وهو راجع إلى ما قبله.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٠.

(٢) «ألف» والذم

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ٢١٥.

والسيئات: جمع سيئة، وهي مانهى عنه الشارع، ويقابلها الحسنة وهي مائذبة إليه.

وسلف الشيء سلفاً - من باب قعد -: مضى وانقضى فهو سالف.
وحدث حدوثاً - من باب قعد أيضاً -: تجدد وجوده فهو حادث والزلات: جمع زلة وهي الخطيئة، من زل في منطقه أو فعله يزل - من باب ضرب - أي: أخطأ.
وقيل: هي السيئة بلا قصد.

ويتعين أن يراد بالسوالف ما بعد وقوعه (١) من زمان الحال، وبالحوادث ما قرب حدوثه منه لا مطلقاً، ليدخل فيها ما سيحدث من الزلات كما تقتضيه صيغة الوصف القابلة للأزمة كلها، وذلك بقريئة (٢) قوله عليه السلام: «توبة من لا يحدث نفسه بمعصية ولا يضممر أن يعود في خطيئة».
وحدث نفسه بالشيء: أخطره بباله.

وأضممر الشيء إضماراً: عزم عليه بضميره أي: قلبه وباطنه.
وقوله: «بمعصية» أي: بشيء من المعاصي، وكذلك قوله: «في خطيئة»، أي: في شيء من الخطايا؛ لأن النكرة في سياق النفي ظاهرة في الاستغراق، فهو كقوله تعالى: «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ» (٣)، أي: ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه.

وتعدية العود بـ «في» والمعروف تعديته بـ «إلى»؛ لتضمينه معنى الدخول، أي: لا يضممر بأن يعود إلى فسخ التوبة داخلاً في خطيئته والله أعلم.
وهاهنا مسائل يناسب إيرادها عبارة الدعاء:

(١) «ألف»: وجوده.

(٢) «ألف»: لقريئة.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٨.

الأولى: التوبة تجب عندنا من جميع الكبائر والصغائر لعموم الآيات؛ ولأن ترك التوبة عن المعصية صغيرة كانت أو كبيرة إصرار عليها، وهو قبيح لا خلاص منه إلا بالتوبة، فهي واجبة في جميع المعاصي؛ ولأن التوبة عن القبيح إنما تجب لكونه قبيحاً وهو عام (١).

وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها إنما تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك، ولا تجب من الصغائر المعلوم كونها صغائر؛ لأن التوبة إنما تجب دفعاً للضرر، وهو غير حاصل في الصغيرة (٢).

ورد بأن وجه الوجوب هو اشتمال الصغيرة على القبح سواء اشتمل على ضرر أم لا.

الثانية: اختلف في أن التوبة هل تصح من قبيح دون قبيح وتسمى التوبة المبغضة أم لا؟

فذهب أبوهاشم وجماعة إلى عدم الصحة، قالوا: لأن التوبة عن القبيح إنما هو لقبحه وهو عام، فلم يأت من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه تائباً لا لقبحه (٣).

وذهب الجمهور من الفريقين إلى الصحة، قالوا: لأن الأفعال تقع بحسب الدواعي وتنتفي بحسب الصوارف، فإذا ترجع الداعي وقع الفعل، فجاز أن يرجع فاعل القبائح دواعيه إلى الندم عليها، وذلك بأن يقترب بعض القبائح بأمراض، كعظم الذنب أو كثرة الزواجر عنه أو الشناعة عند العقلاء عند فعله؛ فإن الأفعال الكثيرة قد تشترك في الدواعي ثم يؤثر صاحب الدواعي بعض تلك الأفعال على بعض، بأن يرجع دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترب به من زيادة الدواعي، فلا

(٣) كشف المراد: ص ٤١٩.

(١) و(٢) كشف المراد: ص ٤١٨.

استبعاد في كون قبح الفعل داعياً إلى الندم على ذلك البعض، ولو اشتركت القبائح في قوة الدواعي اشتركت في وقوع الندم، ولم يصح الندم على بعض دون آخر (١).
 قال المحقق الطوسي: وبه يتأول كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده عليهم السلام وإلا لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه المقيم على صغيرة (٢).
 وقال العلامة البهائي قدس سره في شرح الأربعين: والأصح صحة المبعوضة، وإلا لما صحت عن الكفر مع الإصرار على صغيرة (٣).
 وقال العلامة الحلي نور الله مرقده ولأن اليهودي لو سرق درهما ثم تاب عن اليهودية دون السرقة فإنه يكون مسلماً بالإجماع (٤).
 الثالثة: ذهب بعض المعتزلة إلى أن التائب إن كان عالماً بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كل واحد منها مفصلاً، وإن علم بعضها مفصلاً وبعضها مجملاً وجب عليه التفصيل فيما علم مفصلاً والإجمال فيما علم مجملاً (٥).
 وقال العلامة البهائي: أما التوبة المجملة كأن يتوب عن الذنوب على الإجمال من دون تفصيلها وهو ذاكر للتفصيل، فقد توقف فيها المحقق الطوسي، والقول بصحتها غير بعيد؛ إذ لا دليل على اشتراط التفصيل (٦)، والله أعلم.
 الرابعة: اختلف في التوبة المؤقتة مثل أن لا يذنب إلى سنة، فذهب بعضهم إلى بطلانها؛ لأنه إذا ندم على ذنب في وقت ولم يندم عليه في وقت آخر ظهر أنه لم يندم

(١) كشف المراد: ص ٤٢٠.

(٢) شرح التجريد للقوشجي: ص ٤٢٣، كشف المراد: ص ٤٢٠.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٧٥.

(٤) كشف المراد: ص ٤٢١.

(٥) كشف المراد: ص ٤٢٢.

(٦) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٧٥.

عليه لقبحه، وإلا ندم عليه في جميع الأوقات، وإذا لم يكن ندمه لقبحه لم يكن توبة. وذهب آخرون إلى صحتها كما في الواجبات، فإنه قد يأتي المأمور ببعضها في بعض الأوقات دون بعضها، ويكون المأتي به صحيحاً في نفسه بلا توقف على غيره، مع أن العلة المقتضية للإتيان بالواجب هي كون الفعل حسناً واجباً، غاية أنه إذا عصي بعد ذلك جدد ذلك الذنب وجوب توبة أخرى عليه.

والحق أن اشتراط العزم على عدم العود أبداً يقتضي بطلانها، فمن اشترطه. وهم الشيعة والمعتزلة. قال بالبطلان، ومن لم يشترطه. وهم الأشاعرة. قال بالصحة. لكن صرح بعضهم أن النادم على المعصية لا يخلو من ذلك العزم البتة على تقدير الحضور والاقترار.

الخامسة: قال شيخنا البهائي قدس سره في شرح الأربعين: العزم على عدم العود إلى الذنب فيما بقي من العمر لا بد منه في التوبة.

وهل إمكان صدوره منه في بقية العمر شرط، حتى لو زنا ثم جت وعزم على أن لا يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصح توبته، أم ليس بشرط فتصح؟ الأكثر على الثاني، بل نقل بعض المتكلمين إجماع السلف عليه.

وأولى من هذا بصحة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنه الموت فيه، أما التوبة عند حضور الموت وتيقن الفوت، وهو المعبر عنه بالمعينة، فقد انعقد الإجماع على عدم صحتها، ونطق بذلك القرآن العزيز، قال سبحانه: «وَلْيَسِّرِ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. والغرغرة: تردد الماء وغيره من الأجسام المائعة في الحلق، والمراد تردد الروح وقت النزاع.

وَقَدْ قُلْتُ يَا إِلَهِي فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ
وَتَغْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ، فَأَقْبَلَ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَاعْفُ
عَنْ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ.

وقد روى محدثوا الإمامية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أحاديث متكررة
في أنه لا تقبل التوبة عند حضور الموت وظهور علاماته ومشاهدة أهواله.
وربما علل ذلك بأن الإيمان برهاني، ومشاهدة تلك العلامات والأهوال في
ذلك الوقت تصير الأمر عياناً فيسقط التكليف، كما أن أهل الآخرة لما صارت
معارفهم ضرورية سقطت التكاليف عنهم.

قال بعض المفسرين: ومن لطف الله بالعباد أن أمر قايض الأرواح بالابتداء
في نزعها من أصابع الرجلين، ثم تصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر، ثم
تنتهي إلى الخلق؛ ليتمكن في هذه المهلة من الإقبال على الله تعالى، والوصية،
والتوبة ما لم يعاين، والاستحلال، وذكر الله سبحانه فتخرج روحه وذكر الله على
لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه (١).

قوله عليه السلام: «محكم كتابك» إما من باب إضافة الصفة إلى الموصوف،
أي: كتابك المحكم؛ لقوله تعالى: «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» (٢).
والمراد بإحكامه: إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلال إليه.

وإضافة الصفة إلى الموصوف جائزة في الفصيح عند الكوفيين، ومأل إلى ذلك
جماعة من المحققين، والحق أنه كثير لا يمكن دفعه، وتأويل كل ذلك تكلف.

وإما من باب إضافة النوع إلى الجنس، فإن من القرآن ما هو محكم ومنه ما هو
متشابه، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» (٣).

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٧٠-١٧٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) سورة هود: الآية ١.

واختلف في تفسير المحكم والمتشابه على أقوال سنذكرها في الروضة الثانية والأربعين إن شاء الله، ونكتفي هنا بما روي عنهم عليهم السلام: إنَّ المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله (١).

وقال علي بن إبراهيم: المحكم: ما استغني بتنزيله عن تأويله، كقوله تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير» والمتشابه: ما لفظه واحد معناه مختلف كالفتنة (٢).

وقوله: «إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ» إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» (٣).

واللام في التوبة: لتعريف الحقيقة، وهي هنا تفيد الاستغراق؛ لأنَّ المقصود بها الماهية من حيث وجودها في الخارج في ضمن جميع أفرادها، وهي التي تختلفها «كل» حقيقة، نحو: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا» (٤).

والمعنى: يقبل كل توبة.

وعدم استثناء توبة المعايين - وهو من حضره الموت - إما لعدم اعتدادها توبة، كما أشار إليه سبحانه بقوله: «قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (٥)، قال بعض محققي المفسرين: إيثار «قال» على «تاب» لإسقاط ذلك عن درجة الاعتبار، والتحاشي عن تسميته توبة.

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٧١.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ٧ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٢٨.

(٥) سورة النساء: الآية ١٨.

وإما لبيان حكمها في محل آخر من القرآن، فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه؛ لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض، كما نص عليه الزمخشري في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِر الذُّنُوبَ جَمِيعاً» (١).

قوله عليه السلام: «وتحبّ التَّوَّابِينَ» إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» (٢).

والتَّوَّاب: صيغة مبالغة، وهي إما باعتبار الكيفية، فيكون معناه، من لا يعود إلى الذنب بعد التوبة أبداً، وإما باعتبار الكمية، فيكون معناه: كثير التوبة، أي: كلّما جدّد ذنباً جدّد توبة.

وفي الحديث من طرق الخاصة والعامة: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عِبَادَهُ الْمُفْتَنَ التَّوَّابِ (٣)، أي: الممتحن بالذنوب، من فتنه بمعنى: امتحنه، أي: يمتحن بالذنب ثم يتوب، ثم يعود ثم يتوب.

ومعنى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ: أَنَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ مِنَ النِّجَاسَاتِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ الذُّنُوبُ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ مِنَ النِّجَاسَاتِ الظَّاهِرَةِ.

وقيل: يُحِبُّ التَّوَّابِينَ مِنَ الْكِبَاثِرِ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ مِنَ الصِّغَاثِرِ.

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: إِذَا تَابَ الْعَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحاً أَحَبَّهُ اللَّهُ فَسْتَرَعَلِيهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٤).

قوله عليه السلام: «فاقبل توبتي كما وعدت» الفاء: فصيحة، أي: إذا كان هذا قولك فاقبل توبتي. والكاف: للتعليل، أي: لوعدك بقبول التوبة، أو للتشبيه من باب وضع الخاص موضع العام؛ إذ قبول التوبة والوعد يشتركان في أمر وهو

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ١٣٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٢ ح ٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١ ح ١.

الإحسان، فهو في الأصل بمنزلة «وَأَخْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»، ثم عدل عن ذلك الأصل إلى خصوصية المطلوب وهو القبول والوعد. وقد تقدّم هذا البيان في نظيره في العبارة في الرياض السابقة. وقس على ذلك قوله عليه السلام: «كما ضمنت» و«كما شرطت». وضمنت الشيء ضمانة من باب علم -: كفلته والتزمته، والشرط: إلزام الشيء والتزامه، يقال: شرطت عليه ذلك شرطا من باب قتل - أي: الزمته إياه، وشرطت له ذلك أي: التزمته له، وهو معنى قوله: «كما شرطت» أي: التزمت، هذا.

ولما كان الشرط من قبيل ربط الأحكام بالأسباب، وكان مفهوم قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» (١) من تاب أحبة الله تعالى، عبر عن حكمه سبحانه على نفسه بمحبة التوابين بالشرط، فقال: «كما شرطت»، ولم يقل: كما قلت أو كما أخبرت؛ إيداناً بلزوم الجزاء والزاماً بالإنجاز والوفاء؛ إذا كان الجزاء لازماً للشرط والشرط ملزوماً له.

وآثر التعبير بذلك في طلب محبة تعالى دون غيرها مما تقدم اعتناء بشأنها واهتماماً بمحصلها؛ إذ كانت هي بيت القصيدة وفراء المصيدة، وهذا من بقر خواصر البلاغة وإصابة شواكل البيان.

فإن قلت: لم قال في هذه الفقرة: «وأوجب لي محبتك»، ولم يقل: وأحبني كما قال: «فاقبل توبتي واعف عن سيئاتي»؟ ومن أين فهم إيجاب شرطه تعالى لمحبة التوابين حتى عبر بذلك؟

قلت: فهم الإيجاب من تأكيد النسبة وتحقيق الحكم بـ «إِنَّ» المؤكدة في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ»؛ إذ كان التأكيد بها مؤذناً بتحقيق مضمونها وموجباً

وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي أَنْ لَا أَغُودَ فِي مَكْرُوهِكَ ، وَضَمَائِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجَرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ .

للجزم بمحصله، وأنه واجب ثابت لا محالة، والإيجاب هنا مراد به معناه اللغوي، من وجب الشيء: إذا لزم وثبت، والله أعلم .

الواو: إما ابتدائية أو حالية، أي: والحال أن لك يارب شرطي .
والاعتراض بالنداء بين المبتدأ وخبره للمبالغة في التضرع، وإظهار كمال الخضوع، وعرض الاعتراف بربوبيته مع الإيمان به .
وتقديم المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص أي شرطي مقصور على الحصول لك لا يتجاوز إلى الحصول لغيرك .
وشرطي أي: التزامي .
وأن: مصدرية في محل نصب بشرطي . والمعنى: لك التزامي عدم العود فيما تكرهه، وقس على ذلك ما بعده .

والضمان هنا بمعنى الالتزام أيضاً
وتعدية العود والرجوع بـ «في» إما لمرادفتها إلى، نحو قوله تعالى: «فردّوا أيديهم في أفواههم» (١) أي إلى أفواههم، أو لتضمنيتها معنى التمكن أو الدخول، أي: متمكناً أو داخلاً في مكروهك وفي مذمومك قال الرضي: قيل: «في» بمعنى «إلى» في قوله تعالى: «فردّوا أيديهم في أفواههم»، والأولى أن نقول: هي بمعناها والمراد التمكن (٢) انتهى .

والعهد هنا بمعنى الموثق .

وهجرت الشيء هجراً - من باب قتل : تركته ورفضته .

(١) سورة إبراهيم: الآية ٩ .

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٧ .

تنبيهان

الأول: اشترط المعتزلة في صحة التوبة ترك المعاودة لذلك الذنب الذي تاب منه أي ذنب كان، ومنعه الأشاعرة؛ لأن الشخص قد يندم على الأمر زماناً ثم يبدو له والله مقلب القلوب.

قال الأمدى: التوبة مأمورها فتكون عبادة، وليس من شرط صحة العبادة المأتي بها في وقت عدم المعصية في وقت آخر، بل غايته إذا ارتكب ذلك الذنب مرة ثانية وجب عليه توبة أخرى (١).

الثاني: لا يخفى أنه لا يليق بغير المعصوم قراءة هذه الفقرات من الدعاء على إطلاقها؛ لأن مضمونها لا يفي به إلا من عصمه الله من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها، وأما غيره فما أقل وفاءه بهذا الشرط والضمان والعهد، كيف؟ وهو عاجز عن مخالفة هواه، غير قادر على مقاتلة دواعيه وقواه، لا يصبر عن اتباع الشهوات، ولا يستخدم قواه في ميثاق الطاعات، وبذلك فسر قوله تعالى: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً» (٢)، فن أخلف الله تعالى شرطه ووعده ونقض ضمانه وعهده، فقد عرض نفسه لما استوجبه الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: «وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ» فَأَعْقَبَهُمْ نِقَاحًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوُوهَا بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (٣).

فينبغي لمن يقرأ هذا الدعاء أن يشترط عند قراءة هذه الفقرات التوفيق

(١) لم نعر عليه.

(٢) سورة النساء: ٢٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٥ و٧٦ و٧٧.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا عَلِمْتُ، وَأَصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ.

والعصمة منه عز وجل، تخرجاً من أن يعطي الله سبحانه من نفسه ما لا يقدر عليه. كان يحيى بن معاذ يقول: إلهي لا أقول لا أعود لما أعرف من خلقي، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعلم من ضعفي.

ثم تفكر وعلم أنه لا يجوز في طريق العلم أن لا يقول العبد: لا أعود؛ لأنه شبه بالجرأة على الله تعالى، فعاد إلى مناجاته وقال: إلهي بل أقول لا أعود لعلي أن أموت قبل أن أعود (١).

وقال رجل لملك: يا أبا عبد الله إني تعلقت بأستار الكعبة فتبت من كل ذنب، وحلفت أن لا أعصي الله تعالى طرفة عين فيما أستقبل، فقال له: ويحك ومن أعظم منك معصية، تتألى على الله أن لا ينفذ حكمه فيك (٢).

ومع هذا فلا بد في صدق الإنابة ونصح التوبة من المجاهدة في الوفاء والثبات في العزيمة والنفاد في الأمر؛ فإنه إذا عزم المرء على رفض الشهوات وإخلاص التوبة عن السيئات، فربما تتواتر عليه أسباب الشهوات وتتوفر لديه جهات الملذات، على ما عليه سنة الله تعالى في نقض العزائم وفسخ الهمم، فإن كانت النفس عزوفاً أية والعزيمة صارمة قوية والتوبة نصوحاً رضية، لم يسف بما عزم عليه من الصبر والكف تهيو تلك الأسباب، ولم يستهوه الشيطان من تلك الشعاب، وإن ألقت النفس بيديها إليها ولم يكن حبل العزيمة مغاراً ولا عود الإنابة نصاراً، فهناك كل يوم توبة منقوضة وإنابة مرفوضة، والله المستعان.

هذا سؤال منه عليه السلام لمغفرة ما الله أعلم به منه، مما هو عند الله سيئة ومعصية في حقه وهو لا يعلمها فعملها. ونظير ذلك قول جده سيد الأوصياء صلوات الله

(١) لم نعر عليه.

(٢) لم نعر عليه.

اللَّهُمَّ وَعَلَيَّ تَبَعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ وَتَبَعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ
الَّتِي لَا تَنَامُ وَعِلْمِكَ الَّذِي لَا يَنْسَى، فَعَوِّضْ مِنِّهَا أَهْلَهَا، وَاحْطُطْ عَنِّي
وَزَرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقَلَهَا، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أَقَارِفَ مِثْلَهَا.

عليه في دعائه: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي (١).

قال العلامة الشيخ كمال الدين في شرح نهج البلاغة: ومغفرة الله للعبد تعود إلى
ستره عليه أن يقع في مهاوي الهلكة في الآخرة، أو يكشف مقابحه لأهل الدنيا فيها،
وكل ذلك يعود إلى توفيقه لأسباب السعادة، وجذبه بها عن متابعة الشيطان في
المعاصي قبل صدورها منه، أو قبل صيرورتها ملكات في جوهر نفسه، انتهى (٢).

وصرفته عن الشيء وإليه صرفاً من باب ضرب الرددته.

ولما سأل عليه السلام مغفرة ما الله أعلم به منه من السيئات، أتبع ذلك
بسؤال صرفه وردّه عنها إلى محبوبها تعالى من الحسنات لمحو تلك السيئات، كما قال
تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» (٣).

وروى عبدالله بن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لم أر شيئاً
أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنوب قديم، إن الحسنات يذهبن
السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (٤) ٥.

على: للاستعلاء، وهو إقاماً حقيقة نحو: زيد على السطح، وإما مجاز نحو: عليه
دين، ومثله: «وعليّ تبعات»، وهي الظلمات التي يطلبها المظلوم عند الظالم،
سميت بذلك لإتباع صاحبها بها.

وحفظته حفظاً من باب علم: أحصيته، ومنه: الحفظة للملائكة الذين

(١) نهج البلاغة: ص ١٠٤، الخطب ٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٢ ص ٢١٣.

(٣) سورة هود: الآية ١١٤.

(٤) الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٥٣ مع اختلاف يسير في العبارة.

يحصون أعمال العباد. والجملة في محل رفع صفة لتبعات، ومثله قد نسيتن. وكلهن: أي كل فرد من النوعين؛ لأنّ كلاً كما تفيد استغراق أفراد المنكر نحو: «كل نفس ذائقة الموت» (١)، تفيد استغراق أفراد المعرف المجموع نحو: «وكلهم آتية يوم القيامة فرداً» (٢).

والباء من قوله: «بعينك»: للملابسة، أي: متلبسة بعينك. والعين: حقيقة في الجارحة، وهي هنا جارية مجرى التمثيل، والكلام استعارة تمثيلية، كما صرح به الزمخشري في آخر سورة الطور في قوله تعالى: «واضرب لحكم ربك فانك بأعيننا»، قال: وهو مثل، أي: بحيث نراك ونكلوك، انتهى (٣). وبيانه: أنه مثل إحاطته تعالى بجميع تبعاته بحيث لا يشذ ولا يغيب عنه شيء منها، بإحاطة الناظر بعينه إلى الشيء به، بحيث لا يعزب ولا يغيب عنه شيء منه. ووصف العين بعدم النوم لبيان استمرار الإحاطة، إذ لو اتصفت به احتتمل شذوذ شيء من مدركاتها عنها في حالة النوم.

وقوله: «لا ينسى» أي: لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه أمر. وفي إسناد النسيان إلى العلم إشارة إلى أن علمه تعالى عين ذاته، وليس علمه صفة زائدة على ذاته ليتعلق النسيان بما تعلق به العلم. والفقرة الأولى إشارة إلى كونه تعالى عالماً بالكل محيطاً به مطلقاً على كليّاته وجزئياته، والثانية إشارة إلى ثبات ذلك العلم ورسوخه، أي: ما علمت منها لا تنساه.

وعوضته من الشيء تعويضاً: أعطيته عوضاً وهو البديل. فإن قلت: لم أعاد الضمير أولاً بصيغة الجمع فقال: حفظتهن ونسيتن وكلهن،

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٤١٥.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٥.

ثم أعاده بصيغة الإفراد فقال: منها وأهلها وزرّها وثقلها ومثلها؟ قلت: قد نصّ علماء العربية على أنّ الأحسن والغالب في جمع المؤنث غير العاقل إن كان للقلّة أن يعاد الضمير إليه بصيغة الجمع، وإن كان للكثرة أن يعاد بصيغة الإفراد، كما قال تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا» (١) إلى أن قال: «منها أربعة حُرْمٌ» (٢)، فأعاد «منها» بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة، ثم قال: «فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» (٣)، فأعاده جمعاً على أربعة حرم وهي للقلّة. وذكر الفراء لهذه القاعدة سراً لطيفاً، وهو أنّ المميز مع جمع الكثرة - وهو ما زاد على العشرة - لما كان واحداً وحّد الضمير، ومع جمع القلّة لما كان جمعاً جمع الضمير (٤).

إذا عرفت ذلك فإعاداته عليه السّلام الضمير أولاً بصيغة الجمع نظراً إلى هذه القاعدة، إذ كان جمع السلامة مذكراً كان أو مؤنثاً موضوعاً للقلّة كما نصّ عليه النحويّون، وإعاداته ثانياً بصيغة الإفراد نظراً إلى قوله: «كلّهن» لدلالته على الكثرة، والله أعلم.

تنبيهان:

الأول: ذهب المعتزلة إلى أن ردّ المظالم شرط في صحّة التوبة، فقالوا: لا تصحّ التوبة عن مظلمة دون الخروج عن تلك المظلمة، كردّ المال أو الاستبراء منه، أو الاعتذار إلى المغتاب واسترضائه إن بلغه الغيبة ونحو ذلك. وذهب أصحابنا الإماميّة ووافقهم الأشعرية إلى أنّ ذلك واجب برأسه

(١) و(٢) و(٣) سورة التوبة: الآية ٣٦.

(٤) لم نتحقّقه.

لامدخل له في الندم عل ذنب آخر.

قال الآمدي: إذا أتى بالمظلمة كالقتل والضرب مثلاً وجب عليه أمران: التوبة والخروج عن المظلمة، وهو تسليم نفسه مع الإمكان ليقتض منه، ومن أتى بالتوبة فقد أتى بأحد الواجبين، ومن أتى بأحد الواجبين فلا تكون صحة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر، كما لو وجب عليه صلاتان فأتى بأحدهما دون الأخرى (١).

قال (٢) شيخنا البهائي قدس سره: واعلم أن الاتيان بما تستتبعه الذنوب، من قضاء الفوائت وأداء الحقوق والتمكين من القصاص والحد ونحو ذلك، ليس شرطاً في صحة التوبة بل هذه واجبات برأسها، والتوبة صحيحة بدونها، وبها تصير أكمل وأتم (٣) إنتهى.

الثاني: ذهب أصحابنا رضوان الله عليهم أن الذنب إذا لم يكن مستتباً لأمر آخر يلزم الاتيان به شرعاً، كلبس الحرير وشرب الخمر وسماع الغناء، كفى الندم عليه والعزم على عدم العود إليه، ولا يجب سوى ذلك، وإن كان مستتباً لأمر آخر من حقوق الله أو من حقوق الناس مالياً أو غير مالي وجب مع التوبة الاتيان به، وربما كان المكلف مخيراً بين الاتيان بذلك الأمر وبين الاكتفاء بالتوبة من الذنب المستتب له.

فحقوق الله المالية كالعتق في الكفارة مثلاً يجب الاتيان بها مع القدرة، وغير المالية إن كان غير حد كقضاء الفوائت وصوم الكفارة فكذلك، وإن كان حداً فالمكلف مخير إن شاء أقر بالذنب عند الحاكم ليقام عليه، وإن شاء ستره واكتفى

(١) لم نعر عليه.

(٢) «الف»: وقال.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٧٤-١٧٥.

بالتوبة، فلاحه عليه حينئذ إن تاب قبل قيام البينة به عند الحاكم.
وأما حقوق الناس المالية فيجب تبرئة الذمة منها بقدر الإمكان، فإن مات
صاحب الحق فورثته في كل طبقة قائمون مقامه، فتى (١) رده إليهم هو أو ورثته أو
أجنبي متبرع برثت ذمته، وإن بقي إلى يوم القيامة فلفقها لنا رضوان الله عليهم في
مستحقه أقوال:

الأول: أنه لصاحب الأول.

الثاني: أنه لآخر وارث ولو بالعموم كالإمام.

الثالث: أنه ينتقل إلى الله سبحانه.

والأول هو الأصح كما دلت عليه الرواية الصحيحة عن الصادق عليه

السلام (٢).

وأما حقوقهم غير المالية فإن كان إصلاً وجب الإرشاد، وإن كان قصاصاً
وجب إعلام المستحق له وتمكينه من استيفائه، فيقول له: أنا الذي قتلت أباك
مثلاً فإن شئت القصاص فاقصص مني وإن أحببت العفو فاعف عني، وإن كان
حداً كما في القذف فإن بلغ المقدوف مثلاً وجب التمكين، وإن لم يبلغه فهل يجب
إعلامه به أم لا؟ وجهان من كونه حق آدمي فلا يسقط إلا بإسقاطه، ومن كون
الإعلام تجديد للأذى وتنبيهاً على ما يوجب البغضاء، ومثل هذا يجري في الغيبة
أيضاً (٣).

وكلام المحقق الطوسي (٤) وتلميذه العلامة طاب ثراهما يعطي عدم وجوب
الإعلام (٥).

(١) كشف المراد: ص ٤٢٢.

(٢) «الف»: فن.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٣، أبواب الدين والقرض ص ٨٣ ح ٣. (٥) كشف المراد: ص ٤٢٢.

(٣) راجع كشف المراد: ص ٤٢١.

إذا عرفت ذلك فسؤاله عليه السلام ربه أن يعوّض من التبعات التي عليها أهلها ويحط عنه وزرها، إنما هو للتبعات التي لا يتمكّن من الخروج عنها إلى أصحابها، إمّا لعجزه عن ذلك أو لنسيانه لها كما صرح به، وكذلك ورد في الحديث: أن من كانت عليه مظلمة ولم يمكنه ردّها على صاحبها والتحلّل منه وسأل الله تعالى أن يقضيها عنه قضائها الله تعالى عنه وأرضى صاحبها عنه (١).

وروى ثقة الإسلام بإسناده عن معتب قال: دخل محمد بن بشر الوشاء على أبي عبد الله عليه السلام يسأله أن يكلم شهاباً أن يخفف عنه حتى ينقضي الموسم، وكانت له عليه ألف دينار، فأرسل إليه فأتاه فقال له: قد عرفت حال محمد وانقطاعه إلينا، وقد ذكر أنّ لك عليه ألف دينار ولم تذهب في بطن ولا فرج، وإنما ذهبت ديناً على الرجال ووضائع وضعها وأنا أحب أن تجعله في حلّ، وقال: لعلك ممن يزعم أنه يقتص من حسناته فتعطاه، فقال: كذلك في أيدينا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأعدل من أن يتقرّب إليه عبده فيقوم في الليلة القرة أو يصوم في اليوم الحار أو يطوف بهذا البيت، ثم يسلبه ذلك فتعطاه، ولكن الله فضل كثير يكافئ المؤمن، قال: فهو في حلّ (٢).

وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أنّ المكافاة والتعويض منه تعالى يكون من غير اقتصاص من حسنات العبد إذا عجز عن ردّ التبعات، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «واحطط عني وزرها» الحطّ: في الأصل للأجسام وهو إنزالها عن علوّ إلى سفلى، يقال: حطوا الأحمال عن ظهور الدواب، ثم استعمل في المعاني.

(١) لم نعرّضه عليه.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٦ ح ٢ باب تحليل الميت.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: حظ الله أوزارهم وحظ الله وزرك (١).

والوزر: الثقل، وقيل: الحمل، وعن ابن الأعرابي: حملته الوزر، وهو الحمل الثقيل (٢).

والمراد بحظه عنه: مغفرته له آثام تلك التبعات بقضائها عنه. وهو استعارة تمثيلية، كما قاله الزمخشري في قوله تعالى: «وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ» (٣) والخط هاهنا من ترشيح الاستعارة التمثيلية. ومثله قوله عليه السلام: «وخفف عني ثقلها». ومعنى تخفيف ثقلها: أن لا يكون عليه ثقل. قال بعضهم: وإنما سميت الذنوب أوزاراً وأثقالاً؛ لما يستحق عليها من العقاب العظيم.

فإن قلت: ما مفاد الفقرة الثانية، هل هو تأكيد أو تأسيس؟ قلت: بل هو تأسيس؛ لأن المراد بالوزر في الفقرة الأولى: ما يترتب على تلك التبعات من الإثم والقصاص، وبالثقل في الفقرة الثانية: ما غمه وهمه من أمرها، والعرب تجعل الهم ثقيلاً، وهو أحد الوجوه التي فسرها قوله تعالى: «وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ» (٤). قوله عليه السلام: «واعصمني من أن أقارف مثلها» عصمه الله من المكروه يعصمه. من باب ضرب: حفظه ووقاه. وقارف الذنب: قاربه وخالطه. وقال الزمخشري في الفائق: قارف الذنب واقتربه: إذا التبس به، ويقال لقشر

(١) أساس البلاغة: ص ١٣١.

(٢) أساس البلاغة: ص ٦٧٣.

(٣) تفسير الزمخشري: ج ٤ ص ٧٧٠.

(٤) سورة الشرح الآية ٢.

اللَّهُمَّ وَاِنَّهٗ لَا وِفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلَّا بِعِصْمَتِكَ ، وَلَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنْ
الْخَطَايَا إِلَّا عَنْ قُوَّتِكَ ،

كلّ شيء : قرفه ؛ لأنّه ملتبس به (١).

والمراد بعصمته منها : حسم أسبابها وعدم الإعداد لها ، والله أعلم .
الضمير في «إنّه» : للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيدان بأنّه
من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كلّ أحد فهي مغنية عن ذكره . والسرفي تصدير
الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق
والتقرير ؛ لأنّ الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر ، فيبقى
الذهن مترقباً لما يعقبه ممّا يفسره ويزيل إبهامه ، فيتمكّن عند وروده عليه فضل
تمكّن ، كأنه قيل : إنّ الشأن الخطير هذا ، أي : لا وفاء لي بالتوبة إلا بعصمتك إلى
آخره .

يقال : وفيت بالعهد والوعد أي به وفاء .

والعصمة لغة : اسم من عصمه الله : إذا حفظه ووقاه ، وعرفاً : فيض إلهي يقوى
به العبد على تحريّ الخير وتجنّب الشر . واستمسك عن الأمر : كف عنه .

والقوة : تطلق على كمال القدرة وشدة الممانعة والدفع ، ويقابلها الضعف .

ومن العجيب (٢) ما وقع لبعض المعاصرين ممّن اعتنى بإعراب الصحيفة
الشريفة ، حيث قال : «لا» من قوله : «لا وفاء لي بالتوبة» : نافية للجنس ووفاء
اسمها ، تركّب معها فبني على الفتح ، والظرفان من قوله : «لي» و«بالتوبة» متعلّقان
به ، وقوله : «إلا بعصمتك» الخبر ومثله ما بعده ، إنتهى .

وهذا يدلّ على قصور بيتن منه في علم النحو ، فإنّه أخطأ بهذا الإعراب في
ثلاثة مسائل :

(٢) «الف» : العجب .

(١) الفائق : ج ٣ ص ١٧٥ .

إحداها: قوله: الظرفان من قوله «لي» و«بالتوبة» متعلقان باسم «لا» مع تصريحه ببنائه على الفتح لتركبته معها، وهو خلاف قول سيبويه وجهور النحويين من أن اسم «لا» إذا كان عاملاً فيما بعده لزم تنوينه وإعرابه (١).

قال الرضي: الظرف بعد المنفي في نحو: «لا تثريب عليكم اليوم» عند سيبويه وجهور النحويين لا يتعلق بالمنفي وإلا كان مضارعاً للمضاف فانتصب كما في لاخيراً من زيد، بل الظرف متعلق بمحذوف وهو خبر المبتدأ، كما في قولك: عليك تثريب، واليوم معمول لعليكم، ويجوز العكس، وكذا قوله تعالى: «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» اليوم خبر المبتدأ وإن كان جثة، إذا المعنى: لا وجود عاصم على حذف المضاف، وقوله: «من أمر الله» متعلق بما دلّ عليه «لا عاصم» أي: لا يعصم من أمر الله، فلا تظن أن مثل هذا الجار والمجرور متعلق بالمنفي وإن أوهم ذلك في الظاهر، بل مثله متعلق بمحذوف، انتهى (٢).

الثانية: جعله «لي» لغواً متعلقاً باسم «لا»، وجهله أنه هو خبر الاسم مع تعيينه لذلك.

الثالثة: جعله «إلا بعصمتك» الخبر، مع ظهور أنه ليس محط الفائدة وتتمام الكلام بدونه، ومن كان هذا مبلغه من العربية كيف يتجراً على شرح كلام المعصوم نسأل الله الهداية.

فان قلت: فما الصواب في إعراب الفقرتين المذكورتين؟

قلت: الصواب أن قوله: «لي» و«بي» متعلق كل منهما بمحذوف هو الخبر، أي: لا وفاء كائن لي ولا استمساك ملتبس بي، وقوله: «بالتوبة» و«عن الخطايا» كل من الظرفين متعلق بمحذوف أيضاً، دلّ عليه قوله: «لا وفاء لي» و«لا

فَقَوِّنِي بِقُوَّةٍ كَافِيَةٍ، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ.

استمساك بي» اي: لا أفني بالتوبة ولا أستمسك عن الخطايا، كما مر من قول الرضي في «لا عاصم اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (١).

والاستثناء في الفقرتين مفرغ من حال عامة، والتقدير: لا وفاء لي بالتوبة في حال من الأحوال إلّا في حال تلبّسه بعصمتك، ولا استمساك بي عن الخطايا في حال من الأحوال إلّا حال في حال صدوره عن قوتك.

قال بعضهم: لعلّ المراد بالوفاء: الوفاء الذي لا يتغير إلّا بميل صاحبه إلى التغير كما هو شأن العصمة فلا ينافي الاستطاعة، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فَقَوِّنِي بِقُوَّةٍ كَافِيَةٍ» الفاء: للسببية. وتقويته تعالى له عليه السلام عبارة عن إفاضة قوة على استعدادده يقوى بها عقله على قهر النفس الأتارة. وقوله: «كافية» أي: مغنية، من قولهم كفى الشيء يكفي كفاية فهو كاف: إذا حصل به الاستغناء عن غيره، أي: لا أحتاج معها إلى سؤال قوة مرة أخرى، أو واقية دافعة، من كفاه الله الشرأي: وقاه منه ودفعه عنه. وتولّاه بكذا: قام عليه به، يقال: تولّك الله بحفظه أي: كان الله لك ولياً بحفظه.

وتوليته تعالى بالعصمة عبارة عن عدم إعداده للمعاصي وحسم أسبابها عنه. ومدار هذا الفصل من الدعاء على الاعتراف بالعجز عن مقاومة النفس وهواها ومقاتلة دواعيها وقواها، ودفع وساوسها وأذاها، تنبيهاً للغافلين وتحريضاً للمذنبين على التوسّل بأذيال الألفاف الإلهية والتوفيقات الربانية؛ فإنّ ذلك جذب للهدايات الخاصّة الوافية والعنايات، التامة الشافية للأمراض الظاهرة والخافية، وليس لمريض الدين أنفع من هذا الدواء بيقين.

اللَّهُمَّ أَيُّهَا عَبْدُ تَابَ إِلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمٍ لِلْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ،

ويقرب من ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَثُمَّ عَبْدِي دَانِيَالَ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ، فَإِنْ أَنْتَ عَصَيْتَنِي الرَّابِعَةَ لَمْ أَغْفِرْ لَكَ، فَأَتَاهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا دَانِيَالَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَهُوَ يَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ، فَإِنْ أَنْتَ عَصَيْتَنِي الرَّابِعَةَ لَمْ أَغْفِرْ لَكَ، فَقَالَ لَهُ دَانِيَالَ: قَدْ أَبْلَغْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ قَامَ دَانِيَالَ فَنَاجَى (١)، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ دَاوُدَ نَبِيَّكَ أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّنِي قَدْ عَصَيْتُكَ فَغَفَرْتَ لِي وَعَصَيْتُكَ فَغَفَرْتَ لِي وَعَصَيْتُكَ فَغَفَرْتَ لِي، وَأَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّنِي إِنْ عَصَيْتُكَ الرَّابِعَةَ لَمْ تَغْفِرْ لِي فَوَعَزَّتْكَ لَنْ لَمْ تَعْصِمْنِي لِأَعَصَيْتُكَ ثُمَّ لِأَعَصَيْتُكَ ثُمَّ لِأَعَصَيْتُكَ (٢).

وعلى ذلك ما حكى أن بعض المحبين جنى جناية فَوَيْخَهُ اللَّهُ بِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا فِي وَقْتٍ آخَرَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ نَبِيِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْ قُلْ لَهُ: إِنْ رَجَعْتَ إِلَى تِلْكَ الْجَنَايَةِ أَغْضَبَ عَلَيْكَ وَتَعَذَّبَ عَلَيْهَا، فَعَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ حِينَ وَمَاتَ فِيهَا، فَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَوَضَعُوهُ عَلَى الْجَنَازَةِ، وَخَافُوا أَنْ يَصَلُّوا عَلَيْهِ لَمَّا تَوَهَّمُوا أَنَّهُ مَقْطُوعٌ عَنِ الرَّبِّ، وَكَانَتْ لَهُ نَدَامَةٌ بَعْدَ ارْتِكَابِ كُلِّ جَنَايَةٍ وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ مُسْتَوْرَةً، فَلَمَّا رَفَعُوا الْجَنَازَةَ جَاءَتْ رِيحٌ وَكَشَفَتْ عَنْ بَعْضِ أَكْفَانِهِ، فَوَجَدُوا عَلَيْهِ رُقْعَةً مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: هَذَا عِتَابُ الْأَحْبَاءِ لَاعْتَابِ الْأَعْدَاءِ فَصَلُّوا عَلَيْهِ (٣) وَاللَّهُ أَعْلَمُ *.

أَيُّ: اسم شرط مبتدأ، و«ما» بعدها مزيدة لتأكيد إيهام «أَيُّ» وشياعها، و«عبد» مجرور بإضافة «أَيُّ» إليه، وجملة «تاب إليك» الخبر كما هو مختار الأندلسي.

(٣) لم نعره عليه.

(١) «الف»: فنادى.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٥-٤٣٦ ح ١١.

وعائذ في ذنبه وخطيئته، فإنني أعود بك أن أكون كذلك، فأجعل توبتي هذه توبة لا أحتاج بعدها إلى توبة، توبة موجبة لمحو ما سلفت، والسلامة فيما بقي.

قال ابن هشام: وهو الصحيح؛ لأن اسم الشرط تام وجمله الشرط مشتملة على ضميره، وإنما توقفت الفائدة على الجواب من حيث التعليق فقط لا من حيث الخبرية (١).

وقيل: الخبر هو جملة الجزاء، وهو المشهور؛ لأن الفائدة بها تمت، ولا التزامهم عود ضمير منها على الأصح.

وقيل: الشرط مع جزائه هو الخبر، لصيرورتها بسبب كلمة الشرط كالجملة الواحدة.

والواو من قوله: «وهو في علم الغيب»: حالية، والجملة في محل نصب على الحال.

و«في علم الغيب»: متعلق بفاسخ، وعندك بدل منه، ويجوز أن يكون حالاً من العلم، ولا مانع من جعل كل من الطرفين صفة لفاسخ صارت حالاً بتقدمها. والغيب: إما مصدر وصف به الغائب مبالغة، كالشهادة في قوله تعالى: «عالم الغيب والشهادة» (٢)، أو فيعل خفف كميت وميت وهين وهين. قيل: ولم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره.

وإيّا ما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة، بحيث لا يدرك بواحد منها ابتداءً بطريق البداهة. وهو قسمان: قسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبؤات ومتعلقاتها واليوم الآخر وأحواله.

وقسم لا دليل عليه، وهو الذي أريد بقوله سبحانه: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» (١)، وهو المراد هنا، ولذلك قيده بقوله: عندك .
وفسخ البيع والعهد فسخاً من باب نفع -: نقضه .
واللام من قوله: «لتوبته»: للتقوية، فلك أن تقول: تتعلق ولك أن تقول: لا تتعلق.

وعذّي عائد بـ «في» وحقّه أن يعذّي بـ «إلى» لتضمينه معنى الدخول، كما في قوله تعالى: «أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا» (٢).

وعطف الخطيئة على الذنب من باب عطف الشيء على مرادفه، نحو: «إنما أشكوبتي وحزني إلى الله» (٣). و«أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة» (٤).

والفاء من قوله: «فإني»: رابطة لجواب الشرط لكونه جملة اسمية.
وأن: مصدرية، وهي مع مسبوكتها في محل جر بـ «من» محذوفة، والتقدير: أعوذ بك من أن أكون، وحذف الجار مطرد مع أن وإن وبعضهم يقول: إن نحو ذلك منصوب بنزع الخافض، ورجحه الرضي بضعف حرف الجر من أن يعمل مضمرأ (٥)، والأول هو رأي سيويه (٦).

وكذلك: إشارة إلى العبد المتّصف بالصفات المذكورة. وهونائب عن الضمير الرابط لجواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء، والأصل أن أكون مثله. وإيثار الإشارة باعتبار اتصافه بما ذكر من الصفات الشنيعة المميّزة له عما عداه أكمل تمييز، بحيث صار كأنه حاضر مشاهد على ما هو عليه. ومافيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الخذلان وسوء الحال.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٧.

(٥) و(٦) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٦٣.

(١) سورة الانعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٨٨.

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٦.

والفاء من قوله: «فاجعل»: سببية.

وجعل: بمعنى صير، والمنصوبان بعده مفعولان.

وجملة «لاأحتاج»: في محل نصب صفة لتوبة، وهي ثاني مفعولي اجعل.

وتوبة الثانية بدل من الأولى بدل (١) كل، أو عطف بيان عند من يرى أنه يكون بلفظ الأول وهم الجمهور، خلافاً لابن الطراوة وابن مالك (٢).

وموجبة: من أوجبت الشيء إيجاباً: إذا جعلته واجباً أي: لازماً، ومنه: «موجبات رحمتك» (٣).

ومحو ما سلف: أي مضي من الذنوب، والمراد بمحوه: إقما العفو والتجاوز عنه، أو محوه وإزالته من ديوان الحفظ الذين كتبوه عند صدوره منه.

والسلامة: الخلو من الآفات، والمراد: السلامة من الذنوب فيما بقي من العمر.

ومدار هذا الفصل من الدعاء على سؤاله عليه السلام الثبات على توبته، وحسم أسباب نقضها، وجعل توبته مانعة من العود إلى ذنب بعدها، كافية في العفو عما سلف منه، واقية باجتناب ما يجب الاجتناب عنه، ولا ريب في أن التوبة إذا كانت بهذه المثابة كانت أنجح وأنصح، كما يدل عليه ما رواه ثقة الإسلام بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الله يحب العبد المفتن التواب ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل (٤).

قال الزمخشري في الفائق: المفتن: الممتحن الذي فتن كثيراً (٥).

وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه الحديث: المؤمن خلق مفتتناً تواباً، أي: ممتحناً

(١) «الف»: من كل.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٥ ح ٩، وفيه: لم يكن ذلك

(٢) لم نعثر عليه.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ١٥٠.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٣.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وَأَسْتَغِيثُكَ سُوءَ فِعْلِي،
فَاضْمُنِّي إِلَى كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً.

يُمْتَحَنُهُ اللَّهُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ يَتُوبُ ثُمَّ يَعُودُ ثُمَّ يَتُوبُ (١).

تنبيه:

قد يستفاد من قوله عليه السلام: «فاجعل توبتي هذه توبة لا أحتاج بعدها إلى توبة» عدم وجوب تجديد التوبة عند تذكّر الذنب، خلافاً لمن ذهب إلى أنّ المتذكّر للذنب كالمقارِف له فيجب عليه تجديد التوبة.

قال الآمدي: يدلّ على بطلان ذلك أنّنا نعلم بالضرورة أنّ الصحابة ومن أسلم بعد كفره كانوا يتذكّرون ما كانوا عليه في الجاهلية من الكفر، ولم يجب عليهم تجديد الإسلام ولا أمروا بذلك، وكذلك في كلّ ذنب وقعت التوبة عنه (٢)، والله أعلم. اعتذر من ذنبه: تنقل، واعتذر إليه: طلب معذرتَه أي: رفع اللوم عنه، وقيل: الاعتذار: محو أثر الذنب.

وقال الراغب: المعتذر: هو المظهر لما يحويه الذنب، وجميع المعاذير لا تنفك من ثلاثة أوجه. إمّا أن يقول: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا فيبيّن ما يخرجُه عن كونه ذنباً، أو يقول: فعلت ولا أعود، فن أنكر وبين كذب مانسب إليه فقد برئت ساحتَه، وإن فعل وجحد فقد يعدّ التغابي عنه كرمًا، وإياه قصد الشاعر بقوله:

تغابي ومابك من غفلة لفرط الحياء وفرط الكرم
ومن أقر فقد استوجب العفو لحسن ظنّه بك، وإن قال: فعلت ولا أعود فهذا هو

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٤١٠.

(٢) لم نعرّ عليه.

التوبة (١)، انتهى.

إذا عرفت ذلك فقولوه عليه السلام: «أعتذر إليك» معناه: أما طلب العذر أي: رفع اللوم، من قولهم: عذرتك فيما صنع عذراً. من باب ضرب: رفعت عنه اللوم فهو معذور أي: غير ملوم، والاسم العذر بالضم والمعذرة، أو طلب عفو الذنب بإظهار ما يوجب من الإقرار، أو التوبة على ما بينه الراغب.

والمراد بالجهل هنا: ما يدعو إلى ارتكاب الذنب وهو عدم التفكر في العاقبة، وسمي جهلاً من حيث عدم استعمال صاحبه ما معه من العلم بالعقاب والثواب، فكأنه الجهل الذي هو عدم العلم، وبذلك فسر قوله تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ» (٢).

قال أكثر المفسرين: كل من عصي الله فهو جاهل وفعله جهالة. وقال قتادة: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فرأوا أن كل ذنب أصابه العبد فهو بجهالة عمداً كان أو خطأ (٣).

وقال أمين الإسلام الطبرسي: وهذا المعنى هو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنه قال: كل ذنب عمله عبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف في إخوته: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون»، فنسبهم إلى الجهل لمخاطبتهم بأنفسهم في معصية الله (٤)، انتهى.

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة فيما سبق في الروضة السادسة عشر مستوفى، فليرجع إليه.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ١٧١، وفيه: فصل الكرم.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧.

(٣) و (٤) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٢٢.

واستوهبته الشيء: سألته هبته أي: إعطاء بلا عوض.
والسوء بالضم: اسم من ساء الشيء يسوء: إذا قبح، أو من ساءه سوءه: إذا فعل به ما يكرهه. والغرض سؤال عفوه تعالى عن قبيح الفعل أو مكروهه من غير استحقاق كما يدلّ عليه لفظ الاستيهاب. وضممت الشيء إلى الشيء: قبضته إليه وجمعته به، يقال: ضممته إلى صدري إذا ألصقته به.

والكنف بفتحيتين: الجانب والناحية.
وفي القاموس: أنت في كنف الله تعالى محرمة: في حرزه (١) وستره، وهو الجانب والظلّ والناحية.

وفي شرح جامع الأصول: كنف الإنسان: ظلّه وحماه الذي يأوي إليه الخائف (٢).

والكلام استعارة تمثيلية أو (٣) تصريحية. ويحتمل أن يكون الكنف في عبارة الدعاء بمعنى الجناح؛ فإنّ جناح الطائر يسمى كنفاً، ويؤيد هذا الاحتمال قوله: «فاضممني»، كما قال تعالى: «وَأُضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ» (٤)، أي: أدخلها تحت عضدك، فيكون المعنى: أدخلني تحت جناح رحمتك، وهو أيضاً تمثيل أو استعارة تصريحية. وتطوّلاً: أي امتناناً أو تفضلاً.

قال الزمخشري في الأساس: هو ذو طول عليّ: ذومنة، وقد تطوّل عليّ بذلك (٥).

وفي القاموس: تطوّل عليهم: امتنّ (٦).
وقال الفارابي في ديوان الأدب: تطوّل عليه بكذا أي: تفضّل (٧) وستره تعالى:

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٩٢. | (٥) أساس البلاغة: ص ٣٩٩. |
| (٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب. | (٦) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٩. |
| (٣) «الف» و. | (٧) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٤٥٦. |
| (٤) سورة طه: الآية ٢٢. | |

اَللّٰهُمَّ وَاِنِّيْ اَتُوْبُ اِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ اِرَادَتَكَ ، اَوْ اَزَالَ عَنْ

عبارة عن عدم كشف مقابح العبد وسوء آثاره من الذنوب والمعاصي في الدنيا والآخرة.

روى ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، ويوحى إلى جوارحه اكتمي ذنوبه، ويوحى إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليه من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب (١).

قال بعض أصحابنا: المراد بكتمان الجوارح وبقاع الأرض ذنوبه: إمّا نسيانها كما في الملكين، أو عدم الشهادة بها، والأول أظهر (٢) ويؤيده ما روي من طريق العامة: أنه تعالى ينسي أيضاً جوارحه وبقاع الأرض ذنوبه (٣).

والمراد بعافيته سبحانه: دفعه عن جميع المكروهات في الظاهر والباطن والدين والدنيا والآخرة، وهي مصدر جاءت على فاعلة، من عافاه الله: إذا دفع عنه ما يكرهه، ومثلها الخاتمة بمعنى الختم، والكاذبة بمعنى الكذب، والكاشفة بمعنى الكشف.

وتفضلاً: أي: من غير استحقاق حقيقة التفضل إعطاء الفضل وهو الزيادة، ثم استعمل في الإحسان من غير جزاء، وقد بسطنا الكلام عليه فيما سبق. ونصب تظويلاً وتفضلاً يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لأجله، وقد مرّ نظير ذلك مراراً، والله أعلم *.

خالفته مخالفةً وخلافاً وتخالف القوم واختلفوا: إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، والاسم الخلف بالضم والمراد بإرادته تعالى هنا: رضاه.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٠-٤٣١ ح ١، وفيه: اكتمي عليه ذنوبه.

(٢) و(٣) شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ١٥٠.

مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي، وَلَحَظَاتِ عَيْنِي، وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً
تَسْلَمُ بِهَا كُلَّ جَارِحَةٍ عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ
الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيمِ سَطَوَاتِكَ.

وأزلت الشيء عن موضعه إزالةً: نَحَيْتُهُ عَنْهُ.

ومحبته تعالى (١) للعبد: إرادته لشوابه وتكميله والإحسان إليه، ولعمله: إرادته
لوقوعه منه على نهج الصواب.

و «أو»: لأحد الأمرين، والعموم إنما جاء من النفي الذي تضمنته معنى أتوب،
كأنه قيل: لأفعل كل واحد منهما، كما قيل في قوله تعالى: «وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ
كَفُورًا» (٢) أي: لا تطع واحداً منهما.

وذكر الزمخشري لـ «أو» في هذا المقام وجهين آخرين يمكن توجيه عبارة الدعاء
بهما: أحدهما: أن «أو» في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها
فاستعيرت للتساوي في غير الشك، وذلك كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين،
تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: «وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ
كَفُورًا» أي: الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما (٣)، إنتهى.

فكذلك قوله عليه السلام: «أو أزال عن محبتك» معناه: أتوب من كل ما
خالف أو أزال، فهما متساويان في وجوب التوبة منهما، فعن أيهما ثبت فواجب، وإن
ثبت عنهما جميعاً فكذلك.

الثاني بأن «أو» باقية على حقيقتها، والمعية إنما جاءت من دلالة النص، وهي
المسماة بمفهوم الموافقة، فإن الناهي في نحو: «وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» عن
طاعة أحدهما، يكون عن طاعتها جميعاً أنهى، كما إذا نهى أن يقول لأبويه: أف،

(٣) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٨١.

(١) «الف» سبحانه.

(٢) سورة الانسان: الآية ٢٤.

علم أنه منهي عن ضربها على طريق الأولى، (١) انتهى.
وكذلك هنا؛ فإن التائب عن أحد الأمرين المذكورين يكون عنها جميعاً أولى بالتوبة، فاحفظ ذلك فإن نظير هذه العبارة في الصحيفة الشريفة كثير، وهذه الوجوه جارية فيها، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «من خطرات قلبي» «من» بيانية.
والخطرات: جمع خطرة، وهي ما يخطر ويرد على القلب مما ليس للعبد فيه تعمّل ويسمى الخاطر. قال بعض العلماء: وهو على أربعة أقسام:
رباني، وهو أول الخواطر، وهو لا يخطئ أبداً، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع بالدفع.

وملكي، وهو الباعث على مندوب أو مفروض، وبالجملة: كل ما فيه صلاح، ويسمى إلهاماً.

ونفساني، وهو ما فيه حظ للنفس، ويسمى هاجساً.
وشيطاني، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق، قال الله تعالى: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ» (٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: لمة الشيطان تكذيب بالحق وإيعاد بالشر (٣)، ويسمى وسواساً.

ويعبر بميزان الشرع فما فيه قرينة فهو من الأولين، وما فيه كراهة أو مخالفة شرعاً فهو من الآخرين، ويشتهر في المباحات، فما هو أقرب إلى مخالفة النفس فهو من

(١) لم نعر عليه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٣) الجامع الصغير: ج ١ ص ٩٥، نهج الفصاحة: ص ١٧٨ ح ٨٨٣، وفيها: فأما لمة الشيطان في إيعاد بالشر وتكذيب بالحق.

الأولين، وما هو أقرب إلى الهوى وموافقة النفس فهو من الآخرين، والصادق الصافي القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله وتوفيقه.

قال بعض المحققين: خطرات القلب التي لا يشعر بتفصيلها إذا خالفت أوامر الله تعالى، قد تستتبع حركة بعض الجوارح إلى فعل خارج عن حدود الله أيضاً، وذلك وإن كان لا يوجب أثراً في النفس ولا يؤاخذ به، إلا أنه ربّما يقوى بقوة أسبابه وكثرتها، فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله، كما في حقّ المنهكين في لذات الدنيا المتجرّدين لها، فإنّ أحدهم ربّما رام التشبه بمن يصلي الفرض فيصلّي الصلاة الواحدة مرتين أو مراراً ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجّداتها، والتوبة والاستغفار عن مثل ذلك يجذب العبد عن الأسباب الموجبة له.

ولحظات العين: جمع لحظة وهي المرة، من لحظه ولحظ إليه خطأ - من باب نفع - أي: رآه.

وقيل: هو النظر بمؤخر العينين عن يمين ويسار.

والمراد بها: ما كان خارجاً عن حدود الشريعة كالنظر إلى غير محرم، وكالإشارة باللحظ إلى شخص ليعاب أوليضحك منه أو ليظلم، وكلّ تلك عن خواطر شيطانية مخالفة لرضا الله تعالى ومحبته.

وحكايات اللسان: جمع حكاية، من حكى عنه الحديث حكاية: أي نقله.

والمراد بها: ما تجاوز من القول حدود الله، وخرج به الإنسان عن مستقيم صراطه، فإنّه ممّا يخالف رضاه تعالى ويزيل عن محبته، فينبغي الإقلاع والتوبة عن مثل ذلك كلّ قبل تمكّنه من النفس وتدنّس جوهرها به.

وتوبة: مفعول مطلق مبين لنوع عامله.

وتسلم: أي تخلص من الآفاق.

والجارحة: واحدة الجوارح، وهي الأعضاء التي يعمل بها.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَخَذْ بِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَوَجِبْ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ

وعلى حياها بالكسر: أي بانفرادها.

قال الفيومي في المصباح: فعلت كل شيء على حياله أي: بانفراده (١).

ومن تبعاتك: ظرف لغو متعلق بـ «تسلم». وتبعاته تعالى: عبارة عن الأعمال السيئة التي تكسب الآثام وتوجب معاقبته تعالى عليها.

قال ابن سيده في محكم اللغة: التبعة والتباعة: مافيه إثم يتبع به (٢).

والأمن: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي.

وفي المصباح: أمن زيد الأسد أمناً وأمن منه: مثل سلم وزناً ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب (٣).

والمعتدون: المتجاوزون لحدود الله سبحانه.

وألم سطواتك: أي مؤلمها.

وقيل: إن فعلاً بمعنى مفعول غير ثابت؛ ولذلك قال الزمخشري: يقال: ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع، ووصف العذاب به نحو قوله:

• تحية بينهم ضرب وجيع •

وعلى طريقة جدجده، والألم في الحقيقة للمؤلم والجد للجادة (٤)، انتهى.

والسطوات: جمع سطوة، من سطا عليه وسطاً به يسطو سطواً وسطوة: أي صال عليه وقهره وأذله، وهو البطش والأخذ بعنف وشدة، والله أعلم •.

الفاء: للترتيب في الذكر.

ووحدتي: أي انفرادي، يقال: وحد بالضم وحادة ووحدة أي: انفرد بنفسه فهو

وحيد.

(٣) المصباح المنير: ص ٣٣.

(١) المصباح المنير: ص ٢١٩.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٦٠.

(٢) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٤٣.

وَأَضْطَرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ ، فَقَدْ أَقَامْتَنِي يَا رَبِّ ذُلُّوِي مَقَامَ الْخِزْيِ
بِفَنَائِكَ ، فَإِنْ سَكَتُ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ
الشَّفَاعَةِ .

وبين يديك : أي تجاهك ، والكلام تمثيل كما مر مراراً .
ووجب القلب وجباً ووجيباً : رجف وخفق .
والاضطراب : التحرك ، وأصله اضطراب إلا أن تاء الافتعال إذا تلت الضاد
قلبت طاء .

قال الفارابي في ديوان الأدب : وذلك أن التاء لأن مخرجها ، فلم توافق الضاد
لشدة مخرجها ، فابدلت طاء لأن الطاء شديدة المخرج فاتفقتا ، وكان ذلك أعذب في
اللفظ وأخف على اللسان ، والعرب تميل عن الذي يلزم كلامها الجفاء إلى مايلين
جواشيه ويرقها وقد نزه الله لسانها عنها بحفيه (١) انتهى .
والأركان : جمع ركن ، وهو الجانب القوي من كل شيء ، والمراد بها هنا :
الأعضاء القوية لاستناد البدن إليها .

قال ابن الأثير في النهاية : في حديث الحساب : ويقال لأركانه انطقي ، أي :
جوارحه ، وأركان كل شيء جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها (٢) .
والخشية والهبة في اللغة : بمعنى الخوف . وفرق بعض العلماء بينها فقال :
الخوف : توقع مكروه عن أمانة ، والخشية : خوف يشوبه تعظيم الخشي مع المعرفة به ؛
ولذلك قال تعالى : « مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ » (٣) ، وقال : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ
عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (٤) ، والهبة : خوف داع للخضوع مع (٥) استشعار تعظيم ؛ ولذلك
يستعمل في كل محتشم .

(٤) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

(٥) « الف » عن .

(١) ديوان الأدب : ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٢) النهاية لابن الأثير : ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٣) سورة ق : الآية ٣٣ .

قال الشاعر:

أهابك إجلالاً ومابك قدرة عليّ ولكن ملء عين حبيبها
والفناء من قوله: «فقد»: للسببية، بمعنى أن ما بعدها سبب لما قبلها، كقوله
تعالى: «فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» (١).

والمعنى: إرحم وحدتي إلى آخره بسبب إقامة الذنوب لي مقام الخزي بفنائك.
والخزي: الذل والهوان المقارن للندامة والفضيحة، يقال: خزي خزيًا. من باب
علم: ذل وهان، وأخزاه الله: أذله وأهان.

والفناء بالكسر والمدة: ما اتسع أمام البيت، وقيل: ما امتد من جوانبه.
والكلام استعارة تمثيلية، مثل حاله وقد استشعر ذنوبه حال مراقبة الله تعالى،
بحال مذنب أقيم مهيناً بفناء ملك جبار يخشى نقمته ويخاف سطوته.
وقد أرشد عليه السلام بهذه الفقرات إلى أن من الواجب على المذنب دوام
الانكسار وملازمة التضرع والاستغفار، واستشعار الوجل إلى الأجل. وبحق ما قيل:
إن التوبة ذوبان الحشاء لما كان عن الفحشاء.

وقال بعضهم: التوبة أن تكون لله وجهاً بلا قفاء حتى تفتى، كالشمع الذي
يضي عن جميع جهاته ويحترق عن آخره.

وقال آخر: المذنب التائب محتشم مستحي قد غلب الخوف على قلبه، فيأتي
باب مولاه خزيان منكسراً.

وسكت سكوتاً من باب قعد: صمت.

وشفعت في الأمر شفعاً وشفاعة. من باب منع: طالبت بوسيلة أو ذمام، قاله
الشهاب الفيومي في المصباح المنير (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَفِّعْ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلَيَّ
سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ، وَلَا تَجْزِنِي جِزَائِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَسْطِطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ، وَجَلِّلْنِي
بِسِرِّكَ، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيزٍ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ، أَوْ غَنِيَ
تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَتَعَشَّهُ.

وخفي على بعضهم هذا المعنى، فقال: كون الإنسان شافع نفسه من باب
التجريد، نحو: رأيت منه أسداً، أو يكون شفعت بمعنى طلبت شافعاً لا صرت شافعاً
ليكون معنى فلست بأهل الشفاعة: لست أهلاً أن يشفع في أحد، لا لست أهلاً
لأن تقبل شفاعتي (١)، إنتهى.

وهو ضيق عطن، والله المستعان.

شفعت إليه في فلان فشفعني فيه تشريعاً: أي مضى شفاعتي فيه وقبلها.
ولفظ «شفع» في الدعاء استعارة تبعية، قد تشببه اقتضاء كرمه تعالى للتجاوز عن
الخطايا بشفاعة الشافع في استدعاء التجاوز والعفو، ثم أدخل اقتضاء الكرم لذلك
في جنس الشفاعة بالتأويل المذكور، فاستعار له لفظ الشفاعة، ثم اشتق منه
الفعل، فتكون الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل تبعية.

ومثل هذه الاستعارة قوله البحري:

أعز لنا من جوده وسماحه ظهير علينا لا يخيب وشافع
وعاد علينا فلان بمعرفه يعود عوداً من باب قال: تفضل وتعطف، والاسم
العائدة، تقول: ما أكثر عائدة فلان على قومه، وإنه لكثير العوائد عليهم، أي: كثير
الإفضال والتعطف.

والجزاء: المكافاة على الشيء جزاه به وعليه جزاءً. وهو يستعمل في الخير
والشر، يقال: جزاه الله خيراً وجزاه شراً؛ ولذلك بينه عليه السلام بقوله: من

عقوبتك». سأل عليه السلام أولاً معاملته تعالى له بالكرم والفضل، ثم سأل عدم معاملته بالعدل؛ ولذلك قال بعضهم: من شهد من نفسه زلة واحدة فلا يعتمد على شيء من حسناته وإن كثرت وصفت؛ لأن الزلة مستلزمة للعقوبة بغير شرط، والعفو مقرون بشرط التوبة، والتوبة مقرونة بالقبول، والقبول إلى غير إن شاء قبل وإن شاء رد، فله الفضل إذا قبل مع عظيم معصيته وكفران حق نعمته، وله العدل إن عاقب بعد الاستحقاق وتقدمة الإعذار والإنذار.

وبسط الله الرزق بسطاً - من باب قتل - وسعه وكثره. والطول بالفتح: الفضل والغنى والسعة.

وجللت الشيء: إذا عظيتم. والستر بالكسر: ما يستتر به. وهو تمثيل لإخفائه تعالى مساوئ عباده. وفي بعض الأخبار: إذا أعطي العبد صحيفة أعماله يوم القيامة يجد تحت كل سيئة مكتوبة: تاب باهراً بنوره ظلمة السيئة، فربما أتى العبد على عظمة كان اقترفها يشق عليه النظر إليها، فتدركه رحمة ربه فتستر عليه تلك العظمة، ويقال له: جاوزها؛ لأنه كان قد دعاه أيام الحياة في الدنيا: يا عظيم العفو يا حسن التجاوز، فإذا انتهى إلى آخرها غفر له مافيه وستر عليه، فيصير جميع ما فيها بياضاً ونوراً؛ لأن حسنة التوبة قد علته وأذهبته، فينظر الخلق إلى صحيفة حسناته، فيقولون: طوبى لهذا العبد لم يذنب قط ذنباً، فعند ذلك يقول: «هاؤم أقرءوا كتابي»^(١).
إني ظننت أني مُلاقٍ حسابي * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية» (١).

قوله عليه السلام: «وافعل بي فعل عزيز» إلى آخره أصله إفعل بي فعلاً مثل فعل عزيز، فحذف الموصوف؛ ثم حذف المضاف من الصفة، وأناب المضاف إليه مناب الموصوف، على حذف قولهم في ضربته ضرب الأمير.

(١) لم نعر عليه.

والعزيز فعيل من العزة، وهي الرفعة والامتناع والشدة والقوة والغلبة.
وقال الراغب: العزيز: الذي يأبى تحمل المذلة (١).
واشتقاقه من العزاز وهو الأرض الصلبة الشديدة، كأنه حصل في عزاز لا يلحقه
فيه ذل ولا غضاضة.

وقيل: العزيز: الكريم، يقال: عززت عليه أي: كرمته. وفرق بعضهم بين
العزيز والكريم، فقال: العزيز يأبى أن يقضى عليه، والكريم يأبى أن يقضى له.
وتضرع له: ذل وخضع، وعذاه بـ «إلى» لتفسيه معنى الالتجاء. والغني: ذو الغنا،
وهو عدم الحاجة.

وتعرض له: تصدّي، ومنه: تعرضوا لنفحات الله (٢).
وفي تعرض وتضرع جناس التصريف، وهو ما كان أحد ركنيه مخالفاً لترتيب
الآخر ببعض حروفه.

ونعشه نعشاً - من باب منع - جبره بعد فقر.
وفي المحكم: نعشه الله وأنعشه: سد فقره (٣).
و«أو» من قوله: «أوغني»: مستعارة للتساوي في غير الشك، كأنه قال: إفعل
بي فعل هذا أو فعل ذاك فهما متساويان في الحسن.

واعلم أن العزيز والغني من قوله عليه السلام: «فعل عزيز» «أوغني» كناية
عن الله سبحانه؛ لاختصاص العزة والغنى على الإطلاق به تعالى، كأنه قال: إفعل
بي فعلك إذا تضرع إليك عبد ذليل فرحمته، أو فعلك إذا تعرض لك عبد فقير
فنعشته، فحذف الضمير ووضع الظاهر موضعه ليجري عليه الصفتين المذكورتين،

(٣) المحكم في اللغة ج ١ ص ٢٣١.

(١) لم نتحققه.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٩٠.

اللَّهُمَّ لَا خَفِيرَ لِي مِثْلَكَ فَلْيَخْفِرْنِي عَزُّكَ ، وَلَا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ
فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ ، وَقَدْ أَوْجَلْتَنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِي عَفْوُكَ .

ويمكن من المقابلة بين العزيز والذليل والفقير، فإن شئت جعلت ذلك من باب الكناية المطلقة، فيكون مثل قولك: جاء المضيف وأنت تريد زيدا لشهرته بذلك، ولكونه كاللازم له تركت ذكر زيد وذكرت لازمه لينقل الذهن منه إليه، كما هو شأن الكناية، وإن شئت جعلته من باب التجريد على سبيل الكناية إما بتقدير من التجريدية والتقدير: إفعل بي فعل عزيز منك أوغني منك، أو من قسم مادل عليه السياق كقوله.

فلئن بقيت لأرحلن بخزوة تحوي الغنائم أويوت كريم
فإن السياق دلّ على أن المراد بالكريم نفسه، ولو قدرت «من» هنا صَحَّ ونظير ذلك من التنزيل قوله تعالى: «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» (١)، وقوله تعالى: «فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا» (٢)، فإن المراد بالخبير فيهما: هو الله سبحانه، ومثله قوله تعالى: «فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ» (٣)؛ إذ لا عزيز مقتدر سواه جلّ شأنه.

ومن توهم أن المراد بالعزيز والغني في عبارة الدعاء غيره تعالى، وأنه سأل عليه السلام أن يكون فعله به مثل فعلهما، فقد أخطأ من كل وجه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

خفرت الرجل أخفّره خفراً - من باب ضرب - وفي لغة من باب قتل: حميته وأجرته من طالب فأنا خفير، والاسم الخفارة بضم الخاء وكسرهما. والظرف من قوله: «لي» مستقرّه، وهو خبر اسم «لا». ومنهم من يقول: عامله المحذوف هو الخبر، والتقدير: لاخفير كائن أو حاصل لي. لكن قال التفّازاني في شرح الكشف: الظرف إذا كان عامله معنى الحصول والاستقرار - ويسمى

(١) سورة فاطر: الآية ١٤.

(٣) سورة القمر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٩.

المستقر- كان خبراً ولا يقال: إن الخبر محذوف ولا يحتاج إلى قرينة (١)
 وقوله: «منك»: متعلق بمحذوف، والتقدير: ولا خفير لي خفير منك، فمحذوف
 عامله لذكر مثله، وحسنه رفع التكرار ولا تتوهم أنه متعلق بخفير المذكور؛ لأنه
 لو كان متعلقاً به وجب تنوينه، والروايات (٢) إنما جاءت بغير تنوين.
 وأما قول بعض الطلبة: «خفير» اسم «لا» بني معها على الفتح، و«لي» و«منك»
 متعلقان به، فهو جهل صريح.

واللام من قوله: «فليخفني»: طلبية عاملة للجزم، وإسكانها بعد الواو والفاء
 أكثر من تحريكها؛ نحو: «وَلْيُؤْمِنُوا بِي» (٣)، «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي» (٤)، وكذلك وردت
 الرواية في الدعاء.

وعزه تعالى: عبارة عن غلبته وقهره، فيقال: عزه يعزه عزاً: إذا غلبه وقهره،
 ومنه: «وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» (٥) أي: غلبني، وفي المثل: من عزبزه، أي: من غلب
 سلب (٦).

ولما كانت الخفارة لا يقوم بها إلا الغالب القاهر سأل عليه السلام أن يخفزه
 عزه تعالى.

والشفيع: الشافع، وشفعت إلى فلان لفلان: سألته أن يتجاوز عن ذنبه .
 والفضل: الإحسان.

ووجل وجلّ: من باب تعب- خاف، ويتعدى بالهمزة فيقال: أوجلّه.
 وآمنه: أذهب خوفه.

وعنى الله عنه عفواً: محاذنوبه.

(٥) سورة ص: الآية ٢٣.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٣٣.

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) «الف» الرواية.

(٣) و(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْلٍ مِنِّي بِسُوءِ أَثَرِي، وَلَا نِسْيَانٍ لِمَا سَبَقَ
مِنْ ذَمِيمٍ فِعْلِي، لَكِنْ لِيَتَسَمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَنْ فِيهَا، وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا، مَا
أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ السُّدَمِ، وَلَجَأْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ
بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حَالِي،
فَيَنَالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْ
كَدِّ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي، تَكُونُ بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفُورَتِي بِرِضَاكَ .

ومدار هذا الفصل من الدعاء على الفرار من الله إلى الله والإقبال عليه، وتوجيه
وجه النفس إلى كعبة وجوب وجوده تعالى، وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً * .
الفاء: فصيحة، أي: إذا كان حالي على ما وصفت من فقدان الحقيق والشفيق
وإيصال الخطايا، فما كل ما نطقت به عن جهل متني إلى آخره. وذلك أن العبد
المراقب لربه الخائف من ذنبه إذا علم اطلاع الله تعالى عليه، وتحقق أن لا منجى
منه إلا إليه، امتلأ قلبه هيبة، وانقبضت نفسه حياء، وارتعدت فرائضه رهبة،
فاقتضى ذلك أن لا يطاوعه لسانه بلفظ ولا جنانه بمعنى ولا جوارحه بحركة، فإن فعل
شيئاً من ذلك فعليه تكلفاً وتعاطاه تعسفاً؛ ولذلك قال بعضهم: ينبغي لمن ذكر ذنباً
أن ييبس لسانه على حنكه من خشية الله تعالى.

وفي دعائهم عليهم السلام: اللهم إن كثرة الذنوب تكف أيدينا عن انبساطها
إليك بالسؤال، والمداومة على المعاصي تمنعنا من التضرع والابتهال (١).
فكانه عليه السلام خشي أن ينكر عليه اتساعه في الكلام بالتوبة، واسترساله
في النطق بطلب المغفرة، فأخذ في الاعتذار عن ذلك وبيان الباعث له عليه.
وأما ما قيل من أن المعنى: أن نطقي بما نطق به لم يكن عن جهل بقبح عملي،

فذكرته معتقداً حسنه لفرط جهلي، ولا عن نسيان لما سبق من ذميم فعلي، فذكرت ما ذكرت لاعتقادي أنه حسن، فهو بمنزل عن المقام، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فما كل ما نطقت به» أي: كل شيء نطقت به من إظهار الندم والتوبة والإنابة إلى غير ذلك مما تقدم كل ذلك بقرينة السياق، فتكون «ما» نكرة موصوفة بالجملة بعدها، ويحتمل أن تكون موصولة؛ لأن المراد بها الكلام وهو كالنكرة في المعنى، فتفيد عموم الجزئيات لا الأجزاء.

فإن قلت: قد نصّ البيانين على أن «كلًا» حيث وقعت في حيز النفي، كان النفي موجّهاً إلى الشمول خاصة، وأفاد بمفهومه الشبوت لبعض الأفراد، كقوله: «ما كل ما يمتنى المرء يدركه» (١).

وعلى هذا فتشكل عبارة الدعاء، لاقتضائه أن بعض ما نطق به صادر عن جهل ونسيان، حاشاه من ذلك.

قلت: قد صرح بعض المحققين أن هذا الحكم أكثرني لا كلي فلا إشكال، وعليه قوله تعالى: «إن الله لا يحب كل مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (٢). ونطق نطقاً من باب ضرب: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والاسم النطق بالضم.

والظرف من قوله: «عن جهل» مستقر، وهو خبر كل، أي: صادر عن جهل كائن مني والباء من قوله: «بسوء أثري» زائدة قياساً على الفعل. قال الرضي تزايد الباء قياساً في مفعول علمت وعرفت وجهلت وسمعت وتيقنت (٣)، انتهى.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٨.

(١) مغني اللبيب: ص ٢٦٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٨.

وعلى هذا فلا متعلق لها، لأن الحرف الزائد لا يتعلق بشيء. وقول بعضهم: إنها متعلقة بـ «جهل» جهل.

وسوء أثري: أي قبحه ورداءته.

والأثر: العمل؛ لأنه يؤثر عن صاحبه أي: ينقل ويروى، أو لأن صاحبه يتسم به، أخذاً من الأثر بمعنى العلامة والسمة، أو لأن أثره يبقى في صحائف الأعمال حسناً كان أو قبيحاً، والأثر بقية الشيء.

وقيل: هو العمل الذي يبقى ستة بعد عامله خيراً كان أو شراً. وقد تقدم بيان ذلك في الروضة السادسة عشرة عند قوله عليه السلام: «بل أنا يا إلهي أكثر ذنباً وأقبح آثاراً» (١).

والنسيان: الغفلة عن معلوم في حال اليقظة.

والذميم: فعيل بمعنى مفعول، من ذممه أذمه ذماً؛ خلاف مدحته فهو ذميم، ومذوم: أي غير محمود.

ولكن: حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك.

وإسناد السمع إلى السماء والأرض، وعطف من فيها ومن عليها عليهما، مما يدل على أن السمع متصور منها حقيقة؛ إذ لو حمل إسناده إليهما على المجاز، وإلى المعطوف على كل منهما على الحقيقة، لزم استعمال اللفظ في المعنى المجازي والحقيقي معاً، وهو مما لا ماساغ له عند المحققين. وقد ذهب كثير من أرباب العقل والكشف أن لكل موجود حياة وإدراكاً يليق به، وأجمع الطبيعيون على أن الأجرام العلوية ذوات نفوس مجردة ناطقة عاقلة بذواتها، ذوات إدراكات كلية وجزئية مطيعة لمبدعها وخالقها، وأكثرهم على أن الغاية من حركاتها هو حصول التشبيه بما فوقها إلى أن ينتهي التشبيه

إلى الله جلّ شأنه.

قالوا: والقوى الأرضية كلّها كالنفوس الفلكية في أنّ الغاية في أفعالها هو التشبيه بما فوقها إلى أنّ تنتهي سلسلة التشبّهات إلى الغاية القصوى «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» (١). ومن هنا قال بعض أرباب القلوب: لقد اتّصل بالسماء والأرض من لذيذ الخطاب في قوله عزّ شأنه: «أَتَيْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» (٢) من مشاهدة جمال القهر ما طربت له السماء طرباً رقصها، فهي بعد ذلك في ذلك الرقص والنشاط، وغشي به على الأرض لقوة الوارد، فهي ملقاة مطروحة على البساط، فسرّيان لذة القهر هو الذي عبدهما، ومشاهدة لطف الجلال هي التي سلبت أفئدتها، حتّى قالوا قول الواقف ذي الحنين: «أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (٣).

على أنّه قد ذهب جمع من المفسرين في هذه الآية، وهي قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْمِنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (٤) إلى إجراء الكلام على ظاهره؛ فإنّه ليس بمستبعد من الله إبداع الحياة والفهم في أيّ جسم فرض؛ ولهذا قال: «طَائِعِينَ» على لفظ جمع المذكر السالم المختص بالعقلاء ولم يقل: «طائعات»؛ لأنّ جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء، ووجه الجمع أنّ أقلّ الجمع إثنان، أو لأنّ كلّ واحد منها سبع، وفي ظاهر كثير من الآيات والروايات ما يشعر بهذا المعنى.

قال شيخنا البهائي قدس سرّه: ولا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى، إلّا أنّه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل (٥)، أو نقلي ساطع لا يقبل التأويل (٦) انتهى.

(٥) «الف» الغليل.

(٦) الرسالة الهلالية: ص ٨.

(١) سورة النجم: الآية ٤٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ١١.

(٣) و(٤) سورة فصلت: الآية ١١.

وإنما قال عليه السلام: «وأرضك ومن عليها» ولم يقل: ومن فيها؛ ليخرج من لا يتصور منه السماع وهم الأموات، فإنهم في الأرض وليسوا عليها، قال تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ» (١). والمراد بسماعهم لذلك: سماعهم له حال اتصاله بهم، فلا يشكل باستحالته حال الدعا.

و«ما» من قوله: «ما أظهرت لك من الندم»: موصولة، وهي في محل نصب مفعولاً به لتسمع، ومن: بيانية.

ولجأ إليه لجاء ولجأ مهموزين - من باب نفع وتعب -: لاذ به واعتصم، أي: وما لجأت إليك فيه أي: بسببه، كقوله عليه السلام: إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، (٢) أي: بسببها.

ومن التوبة بيان لها، وقول بعضهم: «من» فيه سببية والمعنى: ما لجأت إليك فيه من الذنب بسبب التوبة، تعسف ظاهر.

والفاء من قوله: «فلعل»: سببية.

ولعل: للترجي وتختص بالممكن.

والباء من قوله: «برحمتك»: للملازمة متعلقة بمحذوف حالاً من بعضهم، والعامل في الحال حرف الترجي لتضمنه معنى الفعل، والتقدير: لعل بعضهم حال كونه ملتبساً برحمتك يرحمني. ويحتمل أن تكون للسببية متعلقة بـ «يرحمني» أي: يرحمني بسبب رحمتك لأجل سوء موقعي؛ إذ كان هو الراحم الحقيقي سبحانه ومن عداه كالواسطة.

وأدركه إدراكاً: لحقه.

والرقة: مصدر رقق له قلبي أي: حنّ عليه وأشفق، وهي عبارة عن تأثر القلب

وانفعاله عن حال الغير أو كيفية تتبع التأثير.

وفي القاموس: الرقة الرحمة (١).

وفي ناظر عین الغریبین: الرحمة في الإنسان: رقة القلب ثم عطفه، ورحمة الله:

عطفه وإحسانه (٢)، انتهى.

وأراد بالعطف البر والصلة، وعلى هذا فالرحمة في الإنسان أخص من الرقة.

وقال بعض المترجمين: ينبغي أن يراد بالرحمة في الفقرة الأولى: الإنعام،

لمشكلة رحمة الله تعالى المراد بها الإنعام، وإن كانت هي في الإنسان بمعنى الرقة،

ليكون قوله: «أو تدركه الرقة» تأسيساً لا تأكيداً، انتهى بالمعنى.

وفيه: أن الرحمة إنما أريد بها الإنعام في حق تعالى لاستحالة معناها الحقيقي

عليه؛ لكونه من الكيفيات المزاجية التابعة للتأثير والانفعال، فأريد به غايته التي

لا تستحيل عليه سبحانه وهي الإحسان والإنعام، وهذا معنى قولهم: إن أسماؤه

تعالى- أي: الألفاظ الدالة على صفات لا يمكن اتصافه تعالى بها- إنما تؤخذ باعتبار

الغايات دون المبادي، فإطلاق الرحمة مراداً بها الإحسان في صفته جل شأنه إما

على طريقة المجاز المرسل بذكر لفظ السبب وإرادة المسبب، وإما على طريقة التمثيل

بأن شبه حاله تعالى بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم، بحال الملك إذا

عطف على رعيته ورق لهم فأصابهم بمعرفه وإنعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة

الثانية للأولى. وكلا الطريقتين غير متصورتين في إطلاق الرحمة مراداً بها الإنعام في

الإنسان، إلا إذا قامت قرينة قاطعة بأن المراد بها ذلك، ولا قرينة هنا أصلاً.

فإن قلت: قد أشار إلى القرينة بقوله: لمشكلة رحمة الله تعالى.

قلت: المشكلة في عرفهم هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحة

(٢) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(١) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٣٧.

مراداً به معناه الأصلي، كالأجزاء المذكور بلفظ السيئة لوقوعه في صحبته من قوله تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» (١)، فالمراد بالسيرة الثانية: الأجزاء لا السيئة حقيقة، لكونه حقاً فلا يكون سيئة، لكن لوقوعه في صحبة الأولى عبر عنه بالسيئة، ولا مشاكلة بهذا المعنى في عبارة الدعاء. وكأنه فهم أن معنى المشاكلة التعبير عن الشيء بلفظ غيره مراداً به معنى ذلك الغير لوقوعه في صحبته، وهذا شيء لم يقل به أحد قطعاً، والله الملهم للصواب.

فإن قلت: فهل يكون قوله عليه السلام: «أو تدركه الرقة عليّ» تأكيداً لما قبله أو تأسيساً؟

قلت: بل هو تأسيس كما تدلّ عليه «أو» التي لأحد الأمرين، والرحمة والرقة وإن كانا مترادفين على ما في القاموس (٢)، إلا أن تعليل كل منهما بعلة أوجب تباينهما باعتبار باعثهما؛ فإنه عليه السلام علّل الرحمة بقوله: «لسوء موقعي»، وإدراك الرقة بقوله:

«لسوء حالي»، فكانت إحداهما غير الأخرى؛ لأنّ سوء الموقف عبارة عن وقوفه موقف الخوف والوجل من الانتقام، وسوء الحال عبارة عن اجتراحه المآثم التي أوجبت له سوء الموقف، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قوله عليه السلام: «فينالني منه بدعوة هي أسمع لديك من دعائي» الفاء: سببية، واتفقت نسخ الصحيفة الشريفة على نصب الفعل بعدها، ونظيره قوله تعالى في قراءة حفص: «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ هـ أَشْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلِعْ» (٣) بالنصب (٤). واختلف النحويون في وجهه، فقال الكوفيون: هو بـ «أن» مضمرة بعد الفاء وجوباً جواباً للترجي.

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.

(٣) سورة غافر: الآية ٣٦ و٣٧.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١١٧.

(٤) مجمع البيان: ج ٧-٨ ص ٥٢٣.

ومنع ذلك البصريون قاطبة، وقالوا: الترجي في حكم الواجب فلا ينصب الفعل بعد الفاء جواباً له، وتأولوا القراءة المذكورة بأن النصب بعدها من العطف على التوهم؛ لأن خبر «لعل» كثر في لسان العرب دخول «أن» عليه.

واعترض ابن هشام على الزمخشري في تخريجه قوله تعالى: «فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أُنْدَادًا» (١)، أنه يجوز «تجعلوا» منصوباً في جواب الترجي أعني «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٢)، على حد النصب في قراءة حفص «فأطلم».

قال: وهذا لا يجيزه بصري، ثم إن ثبت قول الكوفيين: إن جواب الترجي منصوب كجواب النهي فهو قليل، فكيف تخرج عليه القراءة المجمع عليها؟ (٣) انتهى.

وهذا الاعتراض بعينه وارد على من خرج عبارة الدعاء هنا على قول الكوفيين؛ لأن الرواية بالنصب مجمع عليها فيه. *مركز تحقيق التراث* ونلت به خير أناله. باب تعب. نيلاً: أصبته.

والدعوة: المرة من الدعاء.

وأسمع: أفعل تفضيل يجوز أن يكون للفاعل، وبناءه من ذي الزيادة قياس عند سيبويه كما تقدم، ويجوز أن يكون للمفعول كأشهر وأشغل، أي: أشد مسموعة لديك. وبجائه للمفعول مقصور على السماع، فيكون من جملة الألفاظ المسموعة فيه؛ لأنه عليه السلام أفصح العرب في زمانه، ويكون من الشاذ الفصيح.

والجملة من قوله: «هي أسمع» في محل جر صفة لدعوة. وأو: لأحد الأمرين.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٣) راجع مغني اللبيب ص ٣٧٩ - ٣٨٠، أوضح المسالك: ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩.

ولديك : أي عندك ، وهي هنا للقرب المعنوي .

وأؤكد: أي أقوى وأثبت، من وكد الأمر يكد وكوداً أي: قوي وثبت. وضمته في الرواية المشهورة على أنه خبر مبتدأ محذوف دل عليه ما قبله، أي: هي أؤكد. وأما فتحه كما وجد بخط الشهيد فهو على أن الفتحة فيه نائبة عن الكسرة؛ لأمتناعه من الصرف بالوصفية ووزن الفعل؛ إذ هو نعت لشفاعة الجرورة بالعطف على قوله: «بدعوة».

ومما لا يكاد يقضى العجب منه قول بعضهم: نصبه على أنه خبر يكون محذوفة يدل عليها يكون بعدها، والجملة في محل خفض نعت لشفاعة، لينال (١) الله الهداية إلى سلوك جادة الصواب.

والجملة من قوله عليه السلام: «تكون بها نجاتي من غضبك» إما استثنائية لا محل لها من الإعراب، كأنه سئل ما يكون بتلك الدعوة أو الشفاعة إذا أثلت بها؟ فقال: تكون بها نجاتي.

ووتخذ الضمير في «بها» ولم يقل: بهما، لأن «أو» لأحد الشيئين، كأنه قيل: تكون بإحداهما نجاتي، كقوله تعالى: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا» (٢)، وقوله تعالى: «وَمَا أَتَّفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرٍ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» (٣). «وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها» (٤)، فتتخذ الضمير لاتحاد المرجع بناءً على كون العطف بـ «أو»، لكنته راعى في الآيتين الأوليين القرب فأعاد الضمير مذكراً، وفي الآية الأخيرة الأولية فأعاده مؤنثاً.

وأما قوله تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» (٥).

(١) (الف) فينال.

(٤) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٢.

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٠.

اَللّٰهُمَّ اِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً اِلَيْكَ فَاَنَا اُنْسَدُّمُ النَّادِمِيْنَ، وَاِنْ يَكُنِ

فَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: اِنْ قُلْتَ: لَمْ تُثْنِ الضَّمِيرُ فِي «اَوَّلَىٰ بِهِمَا» وَكَانَ حَقُّهُ اَنْ يُوَحَّدَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ «اِنْ يَكُنْ غَنِيًّا اَوْ فَقِيْرًا» فِي مَعْنَى اِنْ يَكُنْ اَحَدُ هَذَيْنِ؟. قُلْتَ: قَدْ رَجَعَ الضَّمِيرُ اِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «اِنْ يَكُنْ غَنِيًّا اَوْ فَقِيْرًا» لَا اِلَى الْمَذْكُوْر؛ فَلِذَلِكَ ثُنِيَ وَلَمْ يَفْرَدْ، هُوَ جِنْسُ الْغَنِيِّ وَجِنْسُ الْفَقِيْرِ، كَاَنَّهُ قَالَ: فَاللهُ اَوَّلَىٰ بِجِنْسِي الْغَنِيِّ وَالْفَقِيْرِ اَيِّ بِالْاَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ (١)، اَنْتَهَى.

لَكِنْ قَالَ صَاحِبُ التَّقْرِيبِ: فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ سَوَالَ التَّثْنِيَةِ بَاقٍ؛ اِذِ التَّقْدِيرُ حِينَئِذٍ اِنْ يَكُنْ اَحَدُ هَذَيْنِ الْجَنْسَيْنِ (٢).

وَأَجَابَ صَاحِبُ الْكَشْفِ اَنَّ «اَوْ» غَيْرُ دَاخِلَةٍ عَلَى الْجَنْسَيْنِ حَتَّى يَبْقَى السَّوَالُ (٣).

وَمَا نَعْتِيَّةٌ، فَتَكُوْنُ فِي مَحَلِّ جَزْئِنَعْتًا لِدَعْوَةٍ اَوْ شِفَاعَةٍ اَيَّ: لِاحِدَاهُمَا؛ لِمَكَانِ الْعُطْفِ بِـ «اَوْ»، كَاَنَّهُ قِيلَ: فَيُنَالُنِي بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا تَكُوْنُ نَجَاتِي بِهَا، وَيَحْتَمِلُ اِحْتِمَالًا مَرْجُوْحًا اَنْ يَكُوْنَ نَعْتًا لَشِفَاعَةٍ فَقَط. وَالنَّجَاةُ: الْخَلَاصُ مِنَ الْهَلَاكِ.

يَقَالُ: نَجَا مِنْهُ يَنْجُو نَجَاةً اَيَّ: خَلَصَ، وَالاسْمُ النِّجَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدُّ وَقَدْ يَقْصُرُ. وَالْفَوْزَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ الْفَوْزِ، وَهُوَ الظَّفَرُ، يَقَالُ: فَازَ بِمَا اَقْلَمَ يَفُوْزُ فَوْزًا اَيَّ: ظَفَرَهُ.

وَفِي نَسْخَةِ ابْنِ اِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَفَوْزِي بِرِضَاكَ» مِنْ دُوْنِ تَاءٍ، وَاللهُ اَعْلَمُ *.

نَدَمٌ نَدَمًا وَنَدَامَةً- مِنْ بَابِ تَعَبٍ-: اِذَا فَعَلَ شَيْئًا ثُمَّ كَرِهَهُ.

وَقِيلَ: النَّدَمُ: تَمَتَّى الْاِنْسَانُ اِنْ مَا وَقَعَ مِنْهُ لَمْ يَقَعْ. وَفِي الْحَدِيثِ: النَّدَمُ تَوْبَةٌ (٤).

وَأَنَابَ اِلَى اللهِ اِنَابَةً: رَجَعَ اِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ عَنِ الْمَعَاصِي.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠٤٠.

(١) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٥٧٥.

(٢) لم نعر عليه.

الترك لِمَعْصِيَّتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُتَبِينَ، وَإِنْ يَكُنْ الْإِسْتِغْفَارُ حِطَّةً
لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

والحظة بالكسر: فعلة من الحظ بمعنى الوضع، كالجلسة من الجلوس والركبة من الركوب.

وفي مجمع البيان: حطة: مصدر مثل ردة وحدة من رددت وحددت (١).

قال الخليل: الحطة: وضع الأحمال عن الدواب (٢).

وقال في الأساس: ومن المجاز: حظ الله أوزارهم، وحظ الله وزرك، وقولوا حطة، استحطوا أوزاكم (٣).

وفي النهاية: في قوله عليه السلام: من ابتلاه الله في جسده فهو له حطة، أي: تحط عنه خطايا وذنوبه، وهي فعلة من حظ الشيء يحطه: إذا أنزله وألقاه (٤).

فإن قلت: «إن» الشرطية تختص بالمستقبل المشكوك وقوعه، نحو: إن تكرمني أكرمك، وكون الندم توبة والترك للمعصية إنابة والاستغفار حطة أمر مجزوم بمقطوع به، فما وجه هذا الشرط؟

قلت: قد نصّ أرباب البيان أن الأصل في «إن» الشرطية أن لا يجزم بشيء من طرفي الشرط، لكنها قد تستعمل في مقام الجزم لنكتة.

قال الطيبي في التبيان: قد تستعمل «إن» في الجزم، إمّا للاحتياط كما إذا سئل العبد عن سيده هل هو في الدار؟ وهو يعلم أنه فيها. فيقول: إن كان فيها أخبرك، فيحتاط بالتجاهل خوفاً من السيد، وإمّا لتقرير وقوع الجزاء وتحقيقه، نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره: إن كنت سلطاناً انتقم منك (٥)، انتهى ملخصاً بالمعنى.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٠٢.

(٥) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(١) مجمع البيان: ج ١-٢ ص ١١٧.

(٢) العين: ج ٣ ص ١٨، وفيه الخط.

(٣) أساس البلاغة ص ١٣١.

اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمَمْتَ الْقَبُولَ، وَحَشَّتْ عَلَى الدُّعَاءِ
وَوَعَدْتَ الْإِجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَقْبِلْ تَوْبَتِي، وَلَا تَرْجِعْنِي
مَرْجِعَ الْخَيْبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ
لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ.

وعبارة الدعاء من هذا الباب، والنكته فيها إمّا الاحتياط وهو ظاهر، وإمّا
تقرير وقوع الجزاء وتحقيقه، حيث علق ندمه وإنابته واستغفاره بكونونه الندم توبة
وترك المعصية إنابة والاستغفار حطة، وذلك أمر محقق ثابت بالنص والإجماع،
فكان المعلق بها محققاً ثابتاً مثلها.

والحاصل: أنها قضية شرطية متصلة، حكم فيها باتصال تحقق التالي بتحقق
المقدم في نفس الأمر اتصالاً على سبيل اللزوم، حتى إذا تحقق هذا فيه تحقق ذاك
قطعاً، لكن المقدم متحقق فالتالي مثله.

وقوله عليه السلام: «فأنا أول المنيبين» عبارة عن مسارعه إلى الاتصاف
بالإنابة من غير توقف ولا إبطاء، والله أعلم.*

الفاء: لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق، من تحقق توبته وإنابته
واستغفاره.

والكاف: إمّا للتعليل عند من أثبتا له، وما: مصدرية كقوله تعالى:
«وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ» (١)، والتقديم للقصر، أي: لأجل أمرك بالتوبة وضمائك
القبول لا لغيره.

قال ابن هشام: وزعم الزعخشري وابن عطية وغيرهما أن «ما» في الآية كافة،
وفيه إخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجزل لغير مقتضى (٢)، إنتهى.

وإمّا للتشبيه بجعله من وضع الخاص موضع العام، كما تقدم بيانه غير مرة،

والتقديم للاهتمام كقوله تعالى: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» (١)، وهي في محل نصب على النعت لمصدر محذوف، أي: اقبل توبتي قبولاً مماثلاً لأمرك بالتوبة في كونه إحساناً وتفضلاً.

و«أل» في القبول والإجابة: إما نائبة عن الضمير المضاف إليه، أي: وضمنت قبولها ووعدت إجابته، وذلك عند من يرى نيابة «أل» عن الضمير المضاف إليه، وهم الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين، وخرجوا عليه «فإن الجنة هي المأوى» (٢) أي: مأواه، ونسبه بعضهم لسيبويه، فإنه نص على أن بدل البعض من الكل لا بد فيه من ضمير، ثم فسر قول العرب: ضرب زيد الظهر والبطن بقوله: ظهره وبطنه.

وإما للتعريف فقط عند من لا يرى ذلك، فيقدر «ها» في الأول، و«له» في الثاني، أي: وضمنت القبول لها ووعدت الإجابة له، وكذلك قدرة المانعون في الآية، وقدرُوا «منه» في المثال.

والفاء من قوله: «فصل» فيها وجهان:

أحدهما: كونها زائدة عند من أثبت أن تكون الفاء زائدة دخولها في الكلام كخروجها، يعني باعتبار أصل المعنى، وإلا فكل زائد يفيد دخوله التأكيد وخروجه يخل بهذه الفائدة، فليس دخوله كخروجه بهذا الاعتبار.

ولهذا أجاب بعض العلماء وقد سئل عن معنى التوكيد الذي يفيد الحرف الزائد ولا يوجد مع حذفه، مع أن حذفه لا يخل بمعنى الكلام، فقال: هذا شيء يعرفه أهل الطباع، فيقولون: نجد أنفسنا مع وجود الحرف الزائد على خلاف ما نجدها بحذفه، وقال: مثال ذلك مثل العالم بوزن الشعر طبعاً، فإذا انكسر البيت قال: أجد نفسي

على خلاف ما أجدها مع تمامه، لا يقدر أن يعبر عما يجده باكثره من هذا، فكذلك الحروف المعبر عنها بالزوائد تتغير نفس ذي الطبع السليم عند نقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على معنى خلاف ما يجدها عند نقصانها، ومن ثم أجمعوا على أنه ليس في القرآن حرف إلا وله معنى؛ ولذلك سمي بعضهم الحرف الزائد صلة؛ تفادياً من إطلاق الزائد على شيء من حروف القرآن، وعلى هذا فالكاف على القول بأنها تعليلية متعلقة بـ «صل»؛ لأن الفاء زائدة لا يمتنع عمل ما بعدها فيما قبلها.

الثاني: كونها عاطفة على محذوف عند من لا يثبت زيادتها، والتقدير: لأجل أمرك بالتوبة وضمانك القبول وحثك على الدعاء ووعدك الإجابة تفضل فصل على محمد وآله وأقبل توبتي. وعليه فحرف التعليل متعلق بالمحذوف لا بما بعد الفاء، لئلا يلزم عمل ما بعدها فيما قبلها، فقد أجمعوا على أن ما بعد واو العطف وفائه وغيرهما من حروف العطف لا يعمل فيما قبلها؛ لأنها دلائل على أن ما بعدها من ذيول ما قبلها، فكره وقوع ما بعدها قبلها.

وعلى هذا الوجه خرج البدر الدماميني ما حكاه سيبويه من قولهم: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه، فقال: يحتمل أن يقال فيه: ليست «ما» كافة وإنما هي مصدرية، وأنه لا يعلم فاعل ثبت مقدراً، والفاء عاطفة على محذوف، أي: لأجل ثبوت عدم علمه ساعه الله فتجاوز عنه، وحرف التعليل متعلق بالمحذوف لا بما بعد الفاء، لئلا يلزم تقدم ما بعدها عليها.

قال: وإنما فعلنا ذلك محافظة على عدم زيادة الفاء؛ لأن سيبويه لا يرى زيادتها (١)، انتهى بنصه.

ومن الفواقر ما وقع لبعضهم هنا من أن الفاء في «فصل» رابطة لشبه الجواب

بشبه الشرط، كما في الذي يأتيه فله درهم، فسبحان واهب العقول، وإن من كان ذلك مبلغه من علم النحو لجدير أن يقعد مع صغار المتأدبين، لأن يتصدى لشرح كلام المعصومين.

قوله عليه السلام: «ولا ترجعني مرجع الخيبة» يقال: رجع يرجع رجوعاً. من باب ضرب. أي انصرف، ويتعدى بنفسه في اللغة الفصحى، فيقال: رجعت عن الشيء رجوعاً ومرجعاً كمعقد ومنزل أي: صرفته ورددته، وبها جاء التنزيل قال تعالى: «فإن رَجَعَكَ اللهُ» (١) وهذيل تعديه بالألف فتقول: أرجعته.

وخاب يخيب خيبة: لم يظفر بما طلب، وفي المثل: الهيبة خيبة. ومرجع الخيبة مفعول مطلق مبين لنوع عامله. ومن رحمتك: متعلق به أو يرجعني أو بالخيبة. والتواب: من أسمائه تعالى: هو الرجاء على عباده بالمغفرة والذي يكثر إيعانهم على التوبة.

وقال الغزالي في المقصد الأسنى: التواب: هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويظلمهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة، فرجع فضل الله إليهم بالقبول (٢) والرحيم: صفة مشبهة مبنية من رحم بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز بنقله إلى رحم بالضم كما هو المشهور.

وقيل: ليس بصفة مشبهة بل صيغة مبالغة، نص عليه سيبويه في قولهم: هو رحيم فلاناً، وقد سبق الكلام على الرحمة في الروضة الأولى فأغنى عن الإعادة.

وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينه عليه السلام بمضمونها، والجملة تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للإجابة.

تنبيه:

المراد بقبول التوبة: إسقاط العقاب المترتب على الذنب الذي تاب منه، وسقوط العقاب بالتوبة مما أجمع عليه أهل الإسلام، وإنما الخلاف في أنه هل يجب على الله تعالى حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو هو تفضل بفعله سبحانه كرمًا منه ورحمة بعباده؟

المعتزلة على الأول، والأشاعرة على الثاني، وإليه ذهب الشيخ أبو جعفر الطوسي قدس الله روحه في كتاب الاقتصاد^(١)، والعلامة جمال الملة والدين في بعض كتبه الكلامية^(٢)، وتوقف المحقق الطوسي طاب ثراه في التجريد^(٣). ومختار الشيخين هو الظاهر، ودليل الوجوب مدخول، قاله العلامة البهائي في شرح الأربعين^(٤).

تتمّة

قال بعض أرباب القلوب: التائبون المنيبون على أنواع: قائب يتوب من الذنوب والسيئات، وقائب يتوب من الزلل والغفلات، وقائب يتوب من رؤية الحسنات ومشاهدة الطاعات، وعلى هذا سئل بعضهم أي الأعمال أرفع ثواباً؟ فأُنشِد:

إذا محاسني الالاتي ادل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعذر

(١) الاقتصاد: ص ١٢٤.

(٢) كشف المراد: ص ٤٥.

(٣) لم نعر عليه.

(٤) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
كَمَا اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَيَوْمَ الْفَاقَةِ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

كأنه يشير إلى الحديث المشهور: حسنات الأبرار سيئات المقربين (١)، والله
سبحانه أعلم *.

الصلوة من الله تعالى: الرحمة.

والكاف: تعليلية أو تشبيهية كما مر.

والمراد بالهداية: الدعوة إلى الحق وتعريف طريق الصواب.

وانقذه واستنقذه من الشر: خلصه عنه (٢)، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» (٣)، أي: بأن أرسل إليكم رسولا هداكم
للإيمان ودعاكم إليه فنجوكم بإجابته من النار.

روى ثقة الإسلام في كتاب الروضة بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
كان أبو عبد الله عليه السلام: إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بأبي
وأمي وقومي وعشيرتي عجباً للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله عز وجل
يقول في كتابه: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها»، فبرسول الله
صلى الله عليه وآله أنقذوا (٤).

وإسناد الشفاعة إلى الصلاة مجاز عقلي لملازمة السببية. والفاقة: الحاجة، أي:
وقت الحاجة، والعرب قد تطلق اليوم وتريد الوقت والحين نهائياً كان أولياً،
فتقول: ذخرتك لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت الذي افتقرت إليك فيه.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣١٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) «الف»: منه.

(٤) روضة الكافي: ص ٢٢١-٢٢٢ ح ٣٨٨.

والجملة من قوله عليه السلام: «إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مستأنفة لتعليل الدعاء، فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته عز وجل على إجابة دعائه وإنجاح مأموله ورجائه.

وقوله: «وهو عليك يسير» جملة تذييلية لمزيد استدعاء الإجابة، أي: وما سألتك عليك سهل يسير لتحقيق القدرة التامة وقبول المادّة أو كلّ شيء عليك يسير هين لا يصعب عليك لكمال قدرتك، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الحادية والثلاثين من رياض السالكين، وقد وفق الله جلّت قدرته لإتمامها واقتطاف أزهارها من أكمامها، قبيل العصر من يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت من صفر، ثاني شهور السنة الرابعة بعد المائة والألف من الهجرة النبويّة، على صاحبها وآله أفضل السلام والتحيّة، وقد وقع الفراغ من نسخها في اليوم الرابع عشر.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس الموضوعات

الروضة الثالثة والعشرون

٥	نصّ الدعا الثالث والعشرين : في سؤال العافية وشكرها
٧	خطبة وديباجة الروضة الثالثة والعشرين
٩	في بيان معنى العافية
١٣	في بيان معنى الصحة
١٤	في بيان معنى البصيرة
١٤	الفرق بين الخشية والخوف
١٦	الحجّ والعمرة لغةً وشرعاً
١٧	الروايات الواردة في فضلها
١٧	في استحباب زيارة قبر الرسول (ص)
١٩	في استحباب زيارة قبور آل الرسول (عليهم السلام)
٢٠	في معنى المقبول من الأعمال
٢١	معنى الشكر والمشكور
٢١	في بيان معنى شرح القلب
٢٤	معنى الاستعاذة من الشيطان الرجيم
٢٤	في بيان معنى السامة والعامة والحامة
٢٥	الأقوال في معنى المريد

- ٢٦ في بيان معنى المترف والحفيد
 ٢٧ تعريف الناصب
 ٢٧ الدابة لغة وعرفاً
 ٢٨ في بيان معنى قوله عليه السلام «ومن أرادني بسوء فاصرفه عني»
 ٣١ معنى الجبروت وميزانها الصر في
 ٣٢ في بيان معنى الغمز والهمز واللمز
 قول الكشف في قوله تعالى «واستغفر من استطعت منهم بصوتك
 وأجلب عليهم بخيلك ورجلك»

الروضة الرابعة والعشرون

- ٣٧ نصّ الدعاء الرابع والعشرين في دعائه لأبويه (ع)
 ٤٠ خطبة وديباجة الروضة الرابعة والعشرين
 ٤١ في بيان المراد من الأبوين
 ٤٢ الروايات الواردة في الحث على برّ الوالدين
 ٤٢ تنبيه: في وجوب الدعاء للوالدين ولومرة في العمر
 ٤٥ الوجوه في تقديم الدعاء للنبي (ص) على الوالدين
 ٤٧ في بيان معنى قوله (ع): «واخصصهم بأفضل صلواتك»
 ٤٨ في بيان معنى إلهام الخير من الله
 ٥٠ في معنى قوله تعالى: «وبالوالدين إحساناً»
 ٥١ الأخبار الدالة على مجهولية أكثر حقوق الوالدين
 ٥٢ تبصرة: في ما ينفرد به الأبوين من الأحكام
 ٥٣ تنمّة: في عدم توقّف برّ الوالدين على الاسلام
 ٥٤ في إعراب «كما»
 ٥٥ في بيان حق المؤمن على أخيه

- ٥٦ في معنى العسوف
- ٥٧ برّ الوالدين ما المراد منه؟
- ٥٨ في معنى قرّت العين
- ٥٩ في معنى رقدة الوسنان وثلج الصدر
- ٦١ في بيان معنى قوله (ع): «وان قلّ وان كثر»
- ٦١ في تفسير قوله تعالى: «وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة»
- ٦٢ الأقوال في معنى القول الكريم
- ٦٢ في معنى لين العريكة
- ٦٣ بحث في الشكر من الله
- ٦٥ الفرق بين المسّ واللمس
- ٦٦ في بيان معنى الأذى
- ٦٧ في معنى الخلوص الى الشيء والحظة
- ٦٩ تحقيق في معنى السرف
- ٧٠ في التجاوز عن اساءة الأبوين
- ٧١ في معنى قوله (ع): «فأني لا أهتمهما»
- ٧٣ الفرق بين المقاصّة والمجازاة
- ٧٤ بحث لغوي في «إذن»
- ٧٨ تنبيه: في رسم «إذن»
- ٧٩ في بيان معنى الحراسة
- ٨٠ في معنى هيات
- ٨٢ في معنى قوله (ع): «ولا أنا بقاض وظيفة خلعتيها»
- ٨٣ بحث لغوي في لفظة «أمهات»
- ٨٤ في اشتقاق لفظة «آل»
- ٨٥ في حكم الصفة للمتضائقين



مركز تحقيقات كميّات علوم اسلامی

- ٨٦ في بيان معنى «آناء»
 ٨٧ في تفسير قوله تعالى «إنّ ذلك من عزم الأمور»
 ٨٨ في المراد بهواطن السلامة

الروضة الخامسة والعشرون

- ٩٣ نصّ الدعاء الخامس والعشرين: في دعائه لولده (ع)
 ٩٦ خطة وديباجة الروضة الخامسة والعشرين
 ٩٧ الروايات الواردة في الحثّ على البرّ بالأولاد
 ٩٨ في معنى قوله تعالى: «وأصلح لي ذريتي»
 ٩٩ في معنى الأعمار والآجال
 ١٠٠ في معنى قوله (ع): «وأدرر لي وعلى يدي أرزاقهم»
 ١٠٢ في بيان معنى الأبرار والأتقياء والبصراء
 ١٠٣ في معنى العضد
 ١٠٤ في بيان معنى قوله تعالى: «سنشدّ عضدك بأخيك»
 ١٠٥ في بيان معنى قوله (ع): «وأحيي بهم ذكري»
 ١٠٧ في معنى المخطئ
 في معنى قوله تعالى «أيحسبون انما غمّدهم به من مالٍ
 وبنين... الآية»
 ١٠٨ تنبيه: في تحقيق سبب عداوة إبليس لأدم (ع) وذريته
 ١١٠ في تعيين محلّ وسوسة الشيطان
 ١١٣ في بيان المراد من القلب
 ١١٤ في معنى جريان الشيطان مجرى الدم
 ١١٥ الفرق بين الغفلة والنسيان
 ١١٧ في معنى قوله (ع): «وينصب لنا»

- ١١٨ في معنى خلف الوعد
- ١٢٠ تنبيه: تعلية حول قوله (ع): «يفضلنا ويسترلنا»
- ١٢٣ بحث مختصر في العصمة
- ١٢٤ في تفسير قوله تعالى: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم»
- ١٢٧ في معنى قوله (ع): «واجعلني في جميع ذلك من المصلحين»
- ١٢٨ في معنى قوله (ع): «غير الممنوعين بالتوكل عليك»
- ١٢٩ في معنى قوله (ع): «المعوذين بالتعوذ بك»
- ١٣٠ في استعارة لفظ التجارة للأعمال الصالحة
- ١٣١ ربح المؤمن على المؤمن ربا
- ١٣٢ في معنى قوله (ع): «المجارين بعزتك»
- ١٣٣ في معنى قوله (ع): «من فضلك الواسع»
- ١٣٤ في معنى قوله (ع): «المعزين من الذل بك»
- ١٣٥ بحث في الابتلاء
- ١٣٧ في معنى الزلل
- ١٣٨ في معنى قوله (ع): «الموقنين للخير والرشد والصواب»
- ١٣٩ في معنى قوله (ع): «المحال بينهم»
- ١٤٠ في معنى الترك
- ١٤١ في معنى السكن في جوار الله تعالى
- ١٤٢ في الدعاء للمؤمنين
- ١٤٣ في معنى سمع الله وعلمه
- ١٤٤ في معنى العفو والغفور
- ١٤٥ في معنى الرؤوف

الروضة السادسة والعشرون

- ١٤٩ نصّ الدعاء السادس والعشرين: في دعائه لجيرانه وأوليائه
- ١٥٠ خطبة وديباجة الروضة السادسة والعشرين
- ١٥١ الأقوال في تحديد معنى الجار
- ١٥٢ في معنى الأولياء
- ١٥٣ في معنى المنابذة
- ١٥٤ الفرق بين الولاية والولاية
- ١٥٤ في معنى إقامة السنة
- ١٥٥ في معنى الأدب
- ١٥٦ في معنى الخلّة والعيادة
- ١٥٧ في بيان معنى المواساة
- ١٥٨ الاختلاف في معنى الماعون واشتقاقه
- ١٥٩ في معنى قوله (ع): «والعود عليهم بالجدّة»
- ١٦١ في معنى قوله (ع): «واجعلني اللهم أجزي بالإحسان مسيئهم»
- ١٦٣ في معنى «كافة» واعرابها
- ١٦٥ في أن أفعال المؤمنين محمولة على الصحة
- ١٦٦ في حرمة سوء الظنّ في المؤمن
- ١٦٧ في تأويل معنى عورة المؤمن
- ١٦٩ في معنى الغيب
- ١٧٠ في معنى حامة الرجل
- ١٧١ في بيان المراد من البصيرة

الروضة السابعة والعشرون

- ١٧٧ نص الدعاء السابع والعشرين: في دعائه لأهل الثغور
- ١٨٢ خطبة وديباجة الروضة السابعة والعشرين
- ١٨٣ في معنى الثغور
- ١٨٤ في بعض أحكام المراقبة
- ١٨٥ في معنى العزة والحمة والقوة
- ١٨٦ في بيان مصداق السلاح
- ١٨٧ في معنى المواترة
- ١٨٨ في معنى المير والمؤن
- ١٨٩ في أنواع الصبر
- ١٨٩ الأقوال في معنى المعرفة
- ١٩١ في معنى الخداعة
- ١٩٢ في معنى خطرات المال
- ١٩٣ في معنى مساكن الخلد
- ١٩٤ في اشتقاق لفظ «الخوراء» ومعناه.
- ١٩٥ في معنى الاشجار المتدلية
- ١٩٦ في معنى القرن
- ١٩٧ تنبيه: في تعلق قوله (ع): «عن قرنه»
- ١٩٨ في معنى قوله (ع): «اللهم أقلل بذلك عدوهم»
- ١٩٩ في معنى الوثائق
- ٢٠١ في معنى حار في أمره
- ٢٠٢ في معنى بسط اليد وقبضها
- ٢٠٣ في معنى خزم الألسنة



- ٢٠٣ في معنى قوله (ع): «وشرّد بهم من خلفهم»
- ٢٠٤ في معنى التنكيل
- ٢٠٥ في معنى عقم الأرحام
- ٢٠٦ في معنى الأصلاب
- ٢٠٧ في معنى إذنه تعالى
- ٢٠٩ في تفسير قوله تعالى: «وهو شديد المحال»
- ٢١٠ في فضل الصلاة على الجهاد
- ٢١١ في معنى الخلوة
- ٢١٢ في معنى البقاع
- ٢١٣ في معنى الغزو
- ٢١٤ في الفرق بين أذهبه وذهب به
- ٢١٤ في معنى الناحية
- ٢١٦ في معنى المذ
- ٢١٧ في معنى الملائكة المردفين
- ٢١٩ في المراد بمنقطع التراب
- ٢٢١ في معنى البلد والقطر والمصر والمدينة
- ٢٢٢ في أوصاف بلاد الهند وسكانها
- ٢٢٢ في أوصاف بلاد الروم وسكانها
- ٢٢٣ في أوصاف بلاد الترك وسكانها
- ٢٢٣ في معنى الخنزير
- ٢٢٤ في أوصاف بلاد الحبش والتوبة والزنج
- ٢٢٥ في أوصاف الصقالبة
- ٢٢٦ في أوصاف الديالمة
- ٢٢٧ في معنى قوله (ع): «وقد أحصيتهم»



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

- ٢٢٨ هل يتناول لفظ المشركين الكفار من أهل الكتاب؟
- ٢٢٩ في معنى اشغال المشركين بالمشركين
- ٢٢٩ في معنى الأطراف
- ٢٣٠ في معنى قوله (ع): «وخذهم بالنقص عن تنقصهم»
- ٢٣١ في معنى قوله (ع): «اللهم أخل قلوبهم من الأمانة»
- ٢٣٢ في معنى الأركان والأبطال
- ٢٣٣ في تاريخ «وقعة بدر»
- ٢٣٤ الاختلاف في عدد الملائكة يوم بدر
- ٢٣٥ الاختلاف في علة هبوطهم
- ٢٣٦ الروايات الواردة في المقام
- ٢٣٩ في معنى قوله (ع): «تقطع به دابرهم»
- ٢٤١ في معنى الوباء
- ٢٤٢ في معنى رمي الأرض بالخشوف
- ٢٤٣ في معنى الحص
- ٢٤٤ في معنى أمنع الحصون
- ٢٤٥ في معنى الجوع المقيم والسقم الأليم
- ٢٤٧ في معنى الملة
- ٢٤٨ الجهاد لغةً وشرعاً
- ٢٤٩ في معنى الحزب والحظ
- ٢٥١ في معنى الظهر
- ٢٥٢ حكم حذف حرف العلة المبدل من الهمزة
- ٢٥٣ في تعريف الشوق
- ٢٥٣ في بيان المراد برواية حسن النية
- ٢٥٤ في بيان معنى العافية والجبن



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

- ٢٥٥ في معنى تعليم الله سبحانه لعباده
- ٢٥٦ في تعريف السيرة
- ٢٥٧ في معنى المראה
- ٢٥٨ في ذم الرياء شرعاً
- ٢٥٩ قول لبعض العارفين في المقام
- ٢٦٠ في حكمة تقليل العدو في عين المجاهد
- ٢٦١ في معنى قوله (ع): «وأدل له منهم ولا تدلهم منه»
- ٢٦٢ في معنى السعادة
- ٢٦٤ في معنى قوله (ع): «وبعد أن يجهد بهم الأسر»
- ٢٦٥ في معنى قوله (ع): «وبعد أن تأمن أطراف المسلمين»
- ٢٦٦ في معنى قوله تعالى: «ولّى مدبراً»
- ٢٦٧ في بيان معنى الم رابط
- ٢٦٨ في بيان معنى الحرمة
- ٢٦٩ في بيان معنى الوزن
- ٢٧٠ في معنى العجلة

تنبيهان:

- ٢٧١ الأول: ان ثواب الأعمال الصالحة يكون في الدنيا والاخرة
- ٢٧٢ الثاني: اتصال الروح بثوابها بعد فراقها للبدن
- ٢٧٣ في معنى الجهاد
- ٢٧٤ في معنى قوله تعالى: «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي»
- ٢٧٦ تحقيق في معنى الصلاة على محمد وآل محمد
- ٢٧٧ في معنى قوله عليه السلام: «إنك المنان الحميد»
- ٢٧٧ تحقيق في صفات الله تعالى والتي جاءت بصيغة المبالغة

الروضة الثامنة والعشرون

- ٢٨١ نصّ الدعاء الثامن والعشرين: متفزعاً الى الله جلّ وعزّ
- ٢٨٢ خطبة وديباجة الروضة الثامنة والعشرين
- ٢٨٣ في معنى الفزع الى الله
- ٢٨٤ معنى الانقطاع الى الله تعالى
- ٢٨٥ تعريف العقل
- ٢٨٧ في معنى الارتفاع والارتفاع
- ٢٨٩ في بيان معنى الامثال
- ٢٩٠ اطلاق الاعتبار على معنيين
- ٢٩٢ في بيان معنى الموضع
- ٢٩٣ في معنى قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد»
- ٢٩٧ في معنى قوله عليه السلام: «وملكة القدرة الصمد»
- ٣٠١ في معنى الفضيلة
- ٣٠٢ في منع العلو المكاني على الله سبحانه.
- ٣٠٤ في معنى قوله عليه السلام: «ومن سواك مرحوم في عمره»
- ٣٠٥ في بيان معنى الشأن
- ٣٠٦ تنقل المخلوقات في الصفات
- ٣٠٧ في بيان معنى الأضداد

الروضة التاسعة والعشرون

- ٣١١ نصّ الدعاء التاسع والعشرين: اذا فتر عليه الرزق
- ٣١٢ خطبة وديباجة الروضة التاسعة والعشرين
- ٣١٣ في حكمة ابتلاء الله لأتبيائه وأوليائه

- ٣١٧ في معنى سوء الظن
- ٣١٨ في معنى الأمل
- ٣١٩ في معنى الالتماس
- ٣٢٠ فائدة: في من عاش مائة وعشرين سنة كان من المعمرين
- ٣٢٤ ذكر جملة من المعمرين
- ٣٢٨ في معنى الإعفاء
- ٣٢٩ التمسك بالأسباب لا ينافي اليقين
- ٣٣٠ في بيان معنى التصريح
- ٣٣١ في بيان معنى الحسم
- ٣٣٢ في معنى قوله عليه السلام: «وفي السماء رزقكم»
- ٣٣٣ في معنى قوله تعالى: «مثل ما أنكم تنطقون»
- 
مركز تحقيقات كليات علوم إسلامية
الروضة الثلاثون
- ٣٣٩ نصّ الدعاء الثلاثين: في المعونة على قضاء الدين
- ٣٤٠ خطبة وديباجة الروضة الثلاثين
- ٣٤١ في معنى المعونة
- ٣٤٣ في معنى الهم
- ٤٤٤ تنمة تشتمل على عدة مسائل
- ٣٤٥ روايات في ذم الدين
- ٣٤٦ بحث فقهي في أحكام الدين
- ٣٤٨ في بيان معنى الاسراف
- ٣٤٩ تحقيق روائي في حسن التقدير
- ٣٥٠ في بيان معنى التبذير
- ٣٥١ في بيان معنى الأنفاق

- ٣٥٢ في بيان معنى الخيلاء
 ٣٥٣ تحقق في معنى البغي
 ٣٥٤ في معنى قوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ»
 ٣٥٥ في معنى قوله عليه السلام: «حَبَّبَ إِلَيَّ صَحْبَةَ الْفُقَرَاءِ»
 ٣٥٨ تذييل في طبقات الفقراء ومنزلتهم
 ٣٦٢ تحقيق في حُسن الصحبة وحقوقها
 ٣٦٤ في بيان معنى المتاع
 ٣٦٦ في بيان معنى الجوار
 ٣٦٧ في أن متاع الدنيا يكون سبباً للخير والشر
 ٣٦٨ في بيان معنى العظيم



الروضة الحادية والثلاثون

- ٣٧٣ نص الدعاء الحادي والثلاثين: في ذكر التوبة وطلبها
 ٣٧٨ خطبة وديباجة الروضة الحادية والثلاثين
 ٣٧٩ مباحث في تعريف التوبة وشروطها
 ٣٨٧ في معنى قوله عليه السلام: «لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاضِعِينَ»
 ٣٨٩ في بيان معنى الرجاء
 ٣٩٠ في بيان معنى التقوى
 ٣٩٢ في معنى الأزيمة
 ٣٩٤ في معنى التفريط
 ٣٩٥ في معنى قوله عليه السلام: «تَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَابُ الْعَمَى»
 ٣٩٦ في بيان معنى التفكير
 ٣٩٨ في بيان معنى الحياء
 ٣٩٩ في بيان معنى الإخلاص

- ٤٠٠ في معنى أفرخ
- ٤٠١ في معنى التضرع
- ٤٠٢ في معنى التدلل
- ٤٠٣ في معنى الإحصاء
- ٤٠٤ في معنى قوله تعالى: «وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم»
- ٤٠٦ تعريف اللذة
- ٤٠٧ في معنى الاستعظام
- ٤٠٩ في معنى تنجز الوعد
- ٤١٠ في معنى قوله عليه السلام: «إذ تقول ادعوني أستجب بكم»
- ٤١١ تنبيه: في قول بعض الأكابر ممن شرح الصحيفة
- ٤١٤ في معنى قوله عليه السلام: «والقني بمغفرتك»
- ٤١٦ في معنى المصراع
- ٤١٧ في معنى النية
- ٤١٨ في معنى قوله عليه السلام: «وتوفني على ملتك»
- ٤٢١ في معنى الاثم واقسامه
- ٤٢٣ تحقيق في التوبة وموارد قبولها
- ٤٢٦ في معنى المحكم والمتشابه
- ٤٢٧ في معنى قوله عليه السلام: «إنيك تقبل التوبة»

تنبيهان:

- ٤٣١ الأول: شرط المعتزلة عدم معاودة الذنب في صحة التوبة
- ٤٣١ الثاني: عدم لياقة غير المعصوم قراءة بعض فقرات الدعاء
- ٤٣٣ كيفية مغفرة الله للعبد
- ٤٣٤ في تفسير قوله تعالى: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا»

تنبيهان:

- ٤٣٥ الأول: هل رد المظالم شرط في صحة التوبة
- ٤٣٦ الثاني: التوبة تستتبع أداء حقوق الله
- ٤٣٩ في معنى قوله عليه السلام: «واعصمني من أن أقارف مثلها»
- ٤٤٠ في معنى العصمة
- ٤٤٢ في معنى قوله عليه السلام: «فقوّني بقوة كافية»
- ٤٤٦ في معنى السلامة
- ٤٤٧ تنبيه: في تجديد التوبة عند تذكر الذنب
- ٤٤٩ في معنى الكنف
- ٤٥٠ في معنى العافية
- ٤٥١ في معنى قوله عليه السلام: «أو أزال عن محبتك»
- ٤٥٢ في معنى خطرات القلب وأقسامها
- ٤٥٤ في معنى السطوة
- ٤٥٥ في معنى الخشية والهبة
- ٤٥٦ في ملازمة التضرع والاستغفار
- ٤٥٧ في بيان معنى الجزاء
- ٤٥٨ في معنى قوله عليه السلام: «وجللني بستر»
- ٤٥٩ في معنى العزيز
- ٤٦١ في معنى الشفيع
- ٤٦٤ في معنى الأثر
- ٤٦٥ في اسناد السمع الى السماء والأرض
- ٤٦٧ تحقيق في الرحمة
- ٤٦٨ في معنى قوله تعالى: «وجزاء سيئة سيئة مثلها»

- ٤٧١ في بيان معنى الندم
- ٤٧٢ في بيان معنى الحطة
- ٤٧٦ في معنى قوله عليه السلام: «ولا ترجعني مرجع الخيبة»
- ٤٧٧ تنبيه في ان قبول التوبة إسقاط العقاب
- ٤٧٧ تنمة في انواع التائبين
- ٤٧٨ في معنى الهداية



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

فهرس فواتح الجمل من ادعية الصحيفة

الدعاء الثالث والعشرون

الصفحة	فواتح الأدعية
١٠	اللهم صل على محمد وآله وألبسني عافيتك ...
١٢	اللهم صل على محمد وآله وعافني عافية كافية ...
١٣	وامن علي بالصحة والأمن والسلامة في ديني ...
١٦	اللهم وامن علي بالحج والعمرة وزيارة قبر رسولك ...
٢١	وانطق بحمدك وشكرك وذكرك وحسن الثناء ...
٢٣	وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ومن شر ...
٢٨	اللهم صل على محمد وآله ومن أرادني بسوء فاصرفه ...

الدعاء الرابع والعشرون

٤٥	اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته الطاهرين ...
٤٨	واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك والصلاة منك ...
٤٨	اللهم صل على محمد وآله وألهمني علم ما يحب لهما علي الهاماً ...
٥٤	اللهم صل على محمد وآله كما شرفتنا به وصل على ...
٥٦	اللهم اجعلني أهابها هيبة السلطان العسوف ...
٦١	اللهم خفض لهما صوتي وأطب لهما كلامي ...

- ٦٣ اللهم اشكر لهما تربيتي وأثبهما على تكممتي ...
- ٦٥ اللهم وما مستهما مني من أذى أو خلص إليهما ...
- ٦٨ اللهم وما تعديا عليّ فيه من قول أو أسرفا عليّ ...
- ٨٤ اللهم صلّ على محمد وآله وذريته واخصص أبويّ ...
- ٨٥ اللهم لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي وفي آناء ...
- ٨٧ اللهم صلّ على محمد وآله واغفر لي بدعائي لهما واغفر ...
- ٨٨ اللهم وإن سبقت مغفرتك لهما فشفعهما فيّ وإن سبقت ...

الدعاء الخامس والعشرون

- ٩٩ الهي امّدي في أعمارهم وزدني في آجالهم ...
- ١٠٣ اللهم اشدّد بهم عضدي وأقم بهم أودي ...
- ١٠٩ وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم فإنك خلقتنا ...
- ١٢٣ اللهم أعطني كلّ سؤلي واقض لي حوائجي ...
- ١٤١ اللهم أعطينا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك

الدعاء السادس والعشرون

- ١٥٢ اللهم صلّ على محمد وآله وتولّني في جيران ومواليّ ...
- ١٥٤ ووقفهم لإقامة سنتك والأخذ بمحاسن أدبك ...
- ١٦١ واجعلني اللهم أجزي بالإحسان مسيئتهم وأعرض بالتجاوز ...
- ١٧١ اللهم صلّ على محمد وآله وارزقني مثل ذلك منهم واجعل ...

الدعاء السابع والعشرون

- ١٨٤ اللهم صلّ على محمد وآله وحققن ثغور المسلمين بعزّتك ...
- ١٨٦ اللهم صلّ على محمد وآله وكثّر عدّتهم واشحذ اسلحتهم ...

- اللهم صل على محمد وآله، وعرفهم ما يجهلون وعلمهم ما لا يعلمون
وبصرهم ما لا يبصرون ١٨٩
- اللهم صل على محمد وآله وأنسهم عند لقاءهم العدو ... ١٩١
- اللهم أقلل بذلك عدوهم وأقلم عنهم أظفارهم ... ١٩٨
- اللهم عقم أرحام نسائهم وبيس أصلاب رجالهم ... ٢٠٥
- اللهم وقو بذلك محال أهل الاسلام وحصن ... ٢٠٩
- اللهم اغزب كل ناحية من المسلمين على من ... ٢١٣
- اللهم واعمم بذلك اعداءك في اقطار البلاد من الهند ... ٢٢١
- اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين ... ٢٢٧
- اللهم أخل قلوبهم من الأمانة وأبدانهم من القوة وأذهل ... ٢٣١
- اللهم وأمزج مياههم بالوباء وأطعمتهم بالأدواء وارم بلادهم ... ٢٤١
- اللهم وأتيا غازيهم من أهل ملتك أو مجاهد جاهدهم ... ٢٤٦
- فإذا صاف عدوك وعدوه فقللهم في عينه وصغر شأنهم ... ٢٥٩
- اللهم وأتيا مسلم خلف غازياً أو مرابطاً في داره وتعهده ... ٢٦٧
- اللهم وأتيا مسلم أهله أمر الاسلام وأحزنه تحزب أهل الشرك ... ٢٧٢
- اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وآل محمد صلاة عالية على الصلوات ... ٢٧٥
- اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك وأقبلت بكليتي عليك ... ٢٨٣
- فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز غيرك فذلوا ... ٢٨٦

الدعاء الثامن والعشرون

- لك يا إلهي وحدانية العدد وملكة القدرة الصمد وفضيلة ... ٢٩٣

الدعاء التاسع والعشرون

- اللهم أنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن وفي آجالنا ... ٣١٧

- ٣٢٧ فصل على محمد وآله وهب لنا يقيناً صادقاً تفضينا به ...
 ٣٣٠ واجعل ما صرحت به من عدتك في وحيك وأتبعته من ...
 ٣٣٢ فقلت وقولك الحق الأصدق وأقسمت وقسمك الأبرار الأوفى ...

الدعاء الثلاثون

- ٣٤١ اللهم إني أعوذ بك من دينٍ تخلق به وجهي وبحارفيه ذهني ...
 ٣٤٣ وأعوذ بك يا رب من هم الدين وفكره وشغل الدين وسهره ...
 ٣٤٣ واستجربك يا رب من ذلته في الحياة ومن تبعته بعد ...
 ٣٤٨ اللهم صل على محمد وآله واحجني عن السرف والازدياد ...
 ٣٥١ وأجر من أسباب الحلال أرزاقى ووجه في أبواب البر ...
 ٣٥٥ اللهم حتب إليّ صحبة الفقراء وأعني على صحبتهم بحسن الصبر ...
 ٣٦٤ وما زويت عني من متاع الدنيا الفانية فاذا خره لي في خزائنك الباقية ...
 واجعل ما خولتني من حطامها وعجلت لي من متاعها بلغة الى
 ٣٦٦ جوارك ووصلة الى قربك وذريعة الى جنتك
 ٣٦٨ أنك ذو الفضل العظيم وأنت الجواد الكريم

الدعاء الواحد والثلاثون

- ٣٨٧ اللهم يا من لا يصفه نعمت الواصفين ويا من لا يجاوزه رجاء ...
 ٣٩٢ هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب وقادته أزمة الخطايا ...
 ٣٩٥ حتى إذا انفتح له بصر الهدى وتقشعت عنه سحائب ...
 ٣٩٧ فأقبل نحوك مؤملاً لك مستحيياً منك ووجه رغبته اليك ...
 فثل بين يديك متضرعاً وغمض بصره إلى الأرض متخشعاً
 ٤٠١ وطأ طأ رأسه لعزتك متذللاً ...
 ٤٠٢ وابتك من سره ما أنت أعلم به منه خضوعاً وعدد ...

- ٤٠٦ لا ينكر يا إلهي عدلك ان عاقبته ولا يستعظم عفوك ...
- ٤٠٧ اللهم فها أنا ذا قد جئتكم مطيعاً لأمرك فيما أمرت به ...
- ٤١٤ اللهم فصل على محمد وآله والقني بمغفرتك كما القيتك ...
- ٤١٧ اللهم وثبت في طاعتك نيتي وأحكم في عبادتك ...
- ٤٢٠ اللهم أني أتوب اليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي ...
- ٤٢٦ وقد قلت يا إلهي في محكم كتابك انك تقبل التوبة عن ...
- ٤٣٠ ولك يا رب شرطي أن لا أعود في مكروهك وضماني ...
- ٤٣٢ اللهم انك أعلم بما عملت فاغفر لي ما علمت واصرفني بقدرتك الى ما احببت ...
- ٤٣٣ اللهم وعلني تبعات قد حفظتهن وتبعات قد نسيتهن ...
- ٤٤٠ اللهم وانه لا وفاء لي بالتوبة الا بعصمتك ولا استمساك ...
- ٤٤٣ اللهم أيما عبد تاب إليك وهو في علم الغيب عندك ...
- ٤٤٧ اللهم اني اعتذر إليك من جهلي واستوهيك سوء فعلي ...
- ٤٥٠ اللهم وانني أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك أو أزال ...
- ٤٥٤ اللهم فارحم وحدتي بين يديك ووجيب قلبي من خشيتك ...
- ٤٥٧ اللهم صل على محمد وآله وشفع في خطاياي كرمك وعد على ...
- ٤٦٠ اللهم لا تخير لي منك فليخفرني عزك ولا شفيع ...
- ٤٦٢ فما كل ما نطقته به عن جهل مني بسوء أثري ...
- ٤٧١ اللهم إن يكن الندم توبةً إليك فأنا اندم النادمين وإن يكن ...
- ٤٧٣ اللهم فكما أمرت بالتوبة وضمنت القبول وحشت على الدعاء ...
- ٤٧٨ اللهم صل على محمد وآله كما هديتنا به وصل على محمد وآله ...

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

الصفحة :	رقم الآية	
١٦٩	٣	يؤمنون بالغيب
٤١٢	٨	وما هم بمؤمنين
٤١٢	٩	يخادعون الله
٢١٦	١٥	ويعدهم في طغيانهم يعمهون
١٤٠	١٧	وتركهم في ظلمات
٣٩٤	١٩	يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت
٤٦٩	٢١	لعلكم تتقون
٤٦٩	٢٢	فلا تجعلوا لله انداداً
٢٥٥	٣١	وعلم آدم الأسماء كلها
٢٩٨	٣٦	ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً
٢٨٧	٣٧	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
٦٧	٥٨	قولوا حطة
١٥	٦٣	خذوا ما آتيناكم بقوة
٤١٣	٦٨	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
٥٠	٨٣	وبالوالدين احسانا
٢٦٢	٩١	مصدقاً لما معهم

١٥	خذوا ما آتيناكم بقوة	٩٣
٢٢٨	ما يؤد الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين	١٠٥
٣٦٥	وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله	١١٠
٢٠١	فثم وجه الله	١١٥
٤١٣	قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه	١١٦
٤١٠	واذ يرفع إبراهيم القواعد	١٢٧
٦٤ و ٦٣	واشكروا لي	١٥٢
٤٤٥	اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة	١٥٧
٥٧	يحبونهم كحب الله	١٦٥
١٤٣	واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان	١٨٦
٤٦١	فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي	١٨٦
١١٨	ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة	١٩٥
٤٧٣ و ٤١٥ و ٥٤	واذكروه كما هداكم	١٩٨
٣٤١	فاذا قضيت مناسككم	٢٠٠
٤٣	واذكروا الله في ايام معدودات	٢٠٣
٧١	واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم	٢٠٦
١٦٣	ادخلوا في السلم كافة	٢٠٨
٣١٨	وزلزلوا حتى يقول الرسول	٢١٤
٤٢٨	ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٢٢٢
٤٢٩	ان الله يحب التوابين	٢٢٢
٢٥٥	فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون	٢٣٩
٢٤٢	ومن لم يطعمه فانه مني	٢٤٩
٤٥٢	الشیطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء	٢٦٨
٤٧٠	وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه	٢٧٠

٢٧٦	والله لا يحب كل كفار أثيم	١٤٠
٢٨٢	ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله	٢٥٦
(٣) سورة آل عمران		
٧	هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن	
٤٢٦	أم الكتاب وأخر متشابهات	
٣٠	يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً	٤٦٥
٣٦	وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم	٢٤
٤٨	ويعلمه الكتاب والحكمة	٢٥٥
٦٦	ها أنتم هؤلاء	٤٠٧
٩٢	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٥١
١٠٣	فأصبحتم بنعمته إخواناً	١٢٣
١٠٣	وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها	٤٧٨
١٠٨	وما الله يريد ظلماً للعالمين	٤٢٢
١٢٠	ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها	٦٦
١٢٠	وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً	١٢٠
١٢٣	ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة	٢٣٤
١٢٤	اذ تقول للمؤمنين ان يكفياكم ان يمدكم ربكم بثلاثة	
٢٣٤	الاف من الملائكة منزلين	
١٢٥	يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة	٢٠٢
١٢٥	بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا	
٢٣٤	يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين	
١٢٧	ليقطع طرفاً من الذين كفروا	٢٦٥ و ٢٢٩
١٤٨	فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة	٢٧١

٢٠٢	سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب	١٥١
١٦٧	فبها رحمة من الله لنت لهم	١٥٩
٤٣٤	كل نفس ذائقة الموت	١٨٥
(٤) سورة النساء		
٢٦٤	وليخش الذين لو تركوا من خلفهم	٩
٤٤٨	انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة	١٧
	وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت	١٨
	قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعدنا	
٤٢٥	لهم عذاباً أليماً	
٤٢٧	قال اني تبت الآن	١٨
٢٠٦	وحلائل ابناءكم الذين من اصلا بكم	٢٣
٤٣١ و ٤٢٧	خلق الانسان ضعيفا	٢٨
٥٠	وبالوالدين احساناً	٣٦
١٩٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها	٩٣
١٢٨	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر	٩٥
٣٠١	فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة	٩٥
٣٤١	فاذا قضيت الصلاة	١٠٣
٤٧٠	ومن يكسب خطيئة او اثماً ثم يرم به بريئاً	١١٢
١١٩	يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً	١٢٠
٤٧٠	ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما	١٣٥
٣٣٢	فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة	١٥٣

(٥) سورة المائدة

٤٢٧	٣	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
٤٢٠ و ٢٤٧	٦	إذا قمت إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
٦٥	٦	أولامستم النساء
١٠٥	٨	أعدلوا هو أقرب
	١١	اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
٢٠٢		أيديهم فكف أيديهم عنكم
٢٠٢	١١	فكف أيديهم عنكم
٢٤٥	٣٧	عذاب مقيم
٢٦٣	٤٢	وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
٢٤٩	٥٦	فان حزب الله هم الغالبون
٢٠٣	٦٤	بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء
١٠٢	١٠٨	واتقوا الله واسمعوا
٢٠٧	١١٠	وتبرئ الأكمه والأبرص باذني واذا تخرج الموتى باذني

(٦) سورة الأنعام

	٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
		وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من
٣٥٦		شيء فتطردهم فتكون من الظالمين
٤٤٥	٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو
٤١٩	٦١	توفته رسلنا
٤٤٤	٧٣	عالم الغيب والشهادة
٣٨٨	٩١	وما قدروا الله حق قدره

٤٢١	وذروا ظاهر الاثم وباطنه	١٢٠
٢٢	فمن يرده الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام	١٢٥
٥٠	وبالوالدين احساناً	١٥١
٤١٩	ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً	١٦١

(٧) سورة الأعراف

٢٣٣	فجاءها بأسنا بياتاً أوهم قائلون	٤
١١٠	انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين	١٢
١١٠	اخرج منها مذئوماً مدحوراً	١٨
٤٧٤	كما بدأكم تعودون	٢٩
٨٦	لا يستأخرون ساعة	٣٤
٤٧٤	ادخلوا في أمم	٣٨
٤٠١	ادعوربكم تضرعاً وخفية	٥٥
	انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم	٨١
٦٩	قوم مسرفون	
٤٤٥	أو لتعودن في ملتنا	٨٨
	ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس	٩٥
٣١٨	آباءنا الضراء والسراء	
٢٦٦	وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي	١٤٢
٦٧	قولوا حطة	١٦١
١٥	خذوا ما آتيناكم بقوة	١٧١
٢٠٦	واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم	١٧٢
١٦٣	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	١٩٩

(٨) سورة الأنفال

٤١٠	واذ يعدكم الله	٧
	اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من	٩
٢١٧	الملائكة مردفين	
٢٣٤	فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين	٩
٤١٠	اذ يغشيكم النعاس	١١
٢١٤	إذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا	١٢
٢٣٨ و ٢٣٥	فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان	١٢
١٣٥	بلاء حسناً	١٧
١٣٩	واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه	٢٤
٢١٠	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله	٣٩
	واذ يريدكموه اذ التقيتم في اعينكم قليلاً ويقللکم	٤٤
٢٦٠	في اعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً	
٤١٩	ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة	٥٠
	فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم	٥٧
٢٠٣	يذكرون	
٢٦٠	ترهبون به عدو الله وعدوكم	٦٠

(٩) سورة التوبة

	وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح	٣٠
	ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا	
٢٢٨	من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون	
	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن	٣١

٢٢٨	مریم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون	
٢٥٢	يريدون أن يطفئوا نورا لله بأفواههم	٣٢
٤٣٥	ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً	٣٦
٤٣٥	اربعة حرم	٣٦
٤٣٥	فلا تظلموا فيهن أنفسكم	٣٦
٣٤٦	انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين	٦٠
٤٣١	ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين	٧٥
٤٣١	فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم ممرضون	٧٦
٤٣١	فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وما وعدوه وما كانوا يَكذبون	٧٧
٤٧٦	فان رجعت الله	٨٣
١١٨	وقعد الذين كذبوا الله ورسوله	٩٠
٤٧	رؤوف رحيم	١١٧
٣٩٠	ان الله لا يضيع أجر المحسنين	١٢٠
٢٣٠	قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	١٢٣
	(١٠) سورة يونس	
٣٦٧	رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا	٧
٣٩٢	ألا أن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	٦٢
٦٩	وان فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين	٨٣

(١١) سورة هود

٤٢٦	كتاب أحكمت آياته	١
٤٤٢ و ٤٤١	لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم	٤٣
١٣٩	وحال بينهما الموج فكان من المغرقين	٤٣
٣٣٢	ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي	٤٥
٣٩٩	اهبط بسلام منا	٤٨
	اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ	٥٦
٢٨	بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم	
	قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت	٧٣
١٨	انه حميد مجيد	
	يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفاً	٩١
٣١٥	ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير	
٢٧٨	ان ربك فعال لما يريد	١٠٧
	واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات	١٠٨
٢٦٢	والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ	
٤٣٣	ان الحسنات يذهبن السيئات	١١٤

(١٢) سورة يوسف

١١٩	والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن	٣٣
٨١	ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه	٣٥
٢٤٧	أراني اعصر خمرا	٣٦
٢٦٢	ان كنتم للرؤيا تعبرون	٤٣
١٦٩	اني لم أخنه بالغيب	٥٢

٣٨٩	وفوق كل ذي علم عليم	٧٦
٤٤٥	انما اشكوبثي وحزني الى الله	٨٦
٤٤٨	هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون	٨٩

(١٣) سورة الرعد

١٨٧	يدبر الأمر	٢
٢٠٩	وهو شديد المحال	١٣
١٤	يخشون رهم ويخافون سوء الحساب	٢١
٢٢٩	أولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها	٤١

(١٤) سورة ابراهيم

٤٣٠	فردوا أيديهم في أفواههم	٩
٣٩١	وذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد	١٤
١٦	واجنبي وبنّي ان نعبد الأصنام	٣٥

(١٥) سورة الحجر

٣١٧	وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم	٢١
٤٦	فاذا سويته ونفخت فيه من روحي	٢٩
٤٥٦	فاخرج منها فانك رجيم	٣٤
١٠٩	فاصدع بما تؤمر	٩٤

(١٦) سورة النحل

٤١٩	الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم	٢٨
٤١٩	الذين تتوفاهم الملائكة طيبين	٣٢

٨٦	لا يستأخرون ساعة	٦١
٢٤٥	ولهم عذاب اليم	٦٣
١٩٣	ومنكم من يرد الى أرذل العمر	٧٠
٣٥٣	وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى	٩٠
٤٢٠ و ٢٤٧	فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله	٩٨
٢٢	ولكن من شرح بالكفر صدراً	١٠٦
٢٦٣	وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به	١٢٦

(١٧) سورة الاسراء

٢١٦	وأمددناكم بأموال وبنين	٦
٥٠	وبالوالدين احساناً	١٧
٣٦٦	من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء	١٨
	وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً اما	٢٣
	يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف	
٤١	ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً	
٤٣	الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً	٢٣
٦١	وقل لهما قولاً كريماً	٢٣
	اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا	٢٤ و ٢٣
٥١	تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	
	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما	٢٤
٤١	رباني صغرا	
٦١	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	٢٤
٤٢	وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً	٢٤
٣٥٠	وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً	٢٦

٢٧	ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا	٣٥١
٦٤	واستغفر من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم	
	بخیلك ورجلك	٣٣
٨٥	قل الروح من أمر ربی	١١٣
٨٥	وما اوتيتم من العلم الا قليلاً	٤٧

(١٨) سورة الكهف

١٨	وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود	٥٩
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون	
	وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من	
	أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً	٣٥٦
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	٣٥٧
٣٤	انا أكثر منك مالا وأعز نفراً	٤٠٤
٦٥	علمناه من لدنا علماً	٢٥٥
١٠٨	لا يبيغون عنها حولاً	١٩٨
١١٠	فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك	
	بعبادة ربه أحداً	٢٥٨

(١٩) سورة مريم

١٣	وكان تقياً	١٠٢
١٤	وبراً بالديه	١٠٢
٢٥	وهزي إليك بجذع النخلة	٢١٥ و ١١٧
٧١	كان على ربك حتماً مقضياً	١٣٢
٧٩	ونمد له من العذاب مداً	٢١٦

٩٥ وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ٤٣٤

(٢٠) سورة طه

٧ يعلم السر وأخفى ١٢٦
 ٢٢ واضمم يدك الى جناحك ٤٤٩
 ٤٦ لا تخافا اني معكما اسمع وأرى ٢١٤
 ٦٨ لا تخف انك انت الأعلى ٢٤٩
 ١٠٨ وخشعت الاصوات للرحمن ٤٠٢

(٢١) سورة الأنبياء

١٧ وأرادوا به كيداً ٢٩
 ٣٤ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ١٩٣
 ٤٥ قل انما أنذركم بالوحي ٣٣١
 ٥١ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين ١٣٩
 ٩١ فنفخنا فيه من روحنا ٤٦
 ١٠١ ان الذين سبقتم مننا الحسنیٰ ٨٨
 ١٠٤ كما بدأنا أول خلق نعيده ٢٧٨

(٢٢) سورة الحج

١٥ فليمدد يسبب الى السماء ٢٦٤ و ١١٧
 ٢٥ ومن يرد فيه يا لحداد ١١٧
 ٤٦ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ٣٩٦

(٢٣) سورة المؤمنون

٣٥	أبعدكم أنكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً
٨١	انكم مخرجون
٨١	هيات هيات لما توعدون
٥٥	أيحسبون أنما غدهم به من مال وبنين نسارع لهم في
١٠٨	الخيرات بل لا يشعرون

(٢٤) سورة النور

٢	ولا تأخذكم بها رافة
١٥	وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم
٣٣	لا يجيدون نكاحاً
٤٥	والله خلق كل دابة من ماء
١٩٨	
٤٠٤	
٢٤٥	
٢٧	

(٢٥) سورة الفرقان

٤١	أهذا الذي بعث الله رسلاً
٥٩	فاسأل به خبيراً
٦٧	والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً
٧٠	الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله
٤١٨	سيئاتهم حسنات
٣٦٤	
٤٦٠	
٣٤٨	

(٢٦) سورة الشعراء

١١١	انؤمن لك واتبعك الأرذلون
٣٥٦	

(٢٧) سورة النمل

٢٦٦	ولى مدبراً	١٠
٤١٣	قالوا أطيرنا بك	٤٧
١٩٠	أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون	٥٤

(٢٨) سورة القصص

٣١٥	رب اني لما انزلت الي من خير فقير	٢٤
١٠٤	سنشد عضدك بأخيك	٣٥
٢٨٦	وكم أهلكنا من قرية	٥٨
٢٤٢	فخسفنا به وبداره الأرض	٨١

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

(٢٩) سورة العنكبوت

٥٣	ووصينا الانسان بوالديه حسنا	٨
٣٢١	قلبت فيهم الف سنة الاخسين عاماً	١٤
٣١٣	الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له	٦٢

(٣١) سورة لقمان

٤٣	ان اشكر لي ولوالديك	١٤
	وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلاتطعها	١٥
٥٣	وصاحبها في الدنيا معروفاً	
٨٨ و ٨٧	ان ذلك من عزم الامور	١٧
٤٦٣	ان الله لا يحب كل مختال فخور	١٨
٢١٦	والبحر يمده من بعده سبعة أبحر	٢٧

(٣٢) سورة السجدة

٤٦	ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين	٨
٤٦	ثم سواه ونفخ فيه من روحه	٩
٤١٩	قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم	٣٢

(٣٣) سورة الأحزاب

١٢٢	والله يقول الحق وهو يهدي السبيل	٤
٤١٠	واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه	٣٧
	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله	٤٠
٤٥	وخاتم النبيين	
٤٣	يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً	٥٦

(٣٤) سورة سبأ

١٦٣	وما أرسلناك إلا كافة للناس	٢٨
١٢٦	وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين	٣٩
٣٨٣ و ١٣٩	وحيل بينهم وبين ما يشتهون	٥٤

(٣٥) سورة فاطر

٤٠٢	من كان يريد العزة فلله العزة جميعا	١٠
٤٦٠	ولا ينبئك مثل خبير	١٤
١٦٩	الذين يخشون ربهم بالغيب	١٨
٤٦٦	وما أنت بمسمع من في القبور	٢٢
٤٥٥ و ٣٩٠ و ١٥	انما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨

٤١٣	وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن	٣٤
١٢٨	نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل	٣٧

(٣٦) سورة يس

٢٩	ان يردن الرحمن بضر	٢٣
٤١١	فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرون وما يعلنون	٧٦

(٣٧) سورة الصافات

٤٠٨	اذ جاء ربه بقلب سليم	٨٤
٤١٣	قالوا ابنوا له بنياناً	٩٧
١٩٧	فلما بلغ معه السعي	١٠٢



مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

(٣٨) سورة ص

٣٦٦	وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب	١٦
٤١٢	وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب	٢٠
٤٦١ و ١٨٥	وعزني في الخطاب	٢٣

(٣٩) سورة الزمر

١٢٧	هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٩
٣٦٠	انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب	١٠
٤١٨ و ٤١٩	الله يتوفى الانفس حين موتها	٤٢
٤٢٨	ان الله يغفر الذنوب جميعا	٥٣
٤١٠	ادخلوها خالدين	٧٣
٤١٤	وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده	٧٤

٧٤ وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ٣٠٧

(٤٠) سورة غافر

٣٠٢	رفيع الدرجات	١٥
٤٦٨	لعل ابلغ الاسباب	٣٦
٤٦٨	اسباب السموات فاطلم	٣٧
١٢٥ و ١٢٤	ادعوني استجب لكم	٦٠
٤١٤ و ٤٠٩		

	وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون	٦٠
٤١٠	عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين	
١٢٥	ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين	٦٠

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

(٤١) سورة فصلت

	ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض	١١
٤٦٥	ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين	
٢١	قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء	٢١

(٤٢) سورة الشورى

	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات	٢٥
٤٢٧	ويعلم ما تفعلون	
٣٥٤	ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض	٢٧
٤٦٨ و ١٦٢	وجزاء سيئة سيئة مثلها	٤٠

(٤٣) سورة الزخرف

٣١٧	نحن قسمنا بينهم معايشهم في الحياة الدنيا	٣٢
-----	--	----

(٤٤) سورة الدخان

٢٨٦	كم تركوا من جنات	٢٥
٦٩	انه كان عالياً من المسرفين	٣١
١٩٤	وزوجناهم بحور عين	٥٤

(٤٥) سورة الجاثية

٨٣	وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون	٢٢
----	---	----

(٤٦) سورة الأحقاف

١٥٢ و ٩٨	وأصلح لي في ذريتي	١٥
----------	-------------------	----

(٤٧) سورة محمد

١٢٦	سيديهم ويصلح بالهم	٥
	مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى	١٥
١٩٥	ولهم فيها من كل الثمرات	١٥
١٩٦	فاذا عزم الأمر	٢٠١
٨٨	اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم	٣٣
٥٥		

(٤٨) سورة الفتح

١٢١	ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات	٢٥
١١٨	لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق	٢٧
٢٥٥	اشداء على الكفار رحماء بينهم	٢٩

(٤٩) سورة الحجرات

٤٠٩	لويطيعكم في كثير من الأمر	٧
٣٨٢	ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون	١١



(٥٠) سورة ق

٤٥٥	من خشي الرحمن بالغيب	٣٣
٨٦	ومن الليل فسبحه وأدبار السجود	٤٠

(٥١) سورة الذاريات

٣٣٤	وفي السماء رزقكم	٢٢
٣٣٤	فوقب السماء والأرض انه لحق	٢٣
٣٣٣	مثل ما انكم تنطقون	٢٣

(٥٢) سورة الطور

٤٣٤	واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا	٤٨
-----	-----------------------------	----

(٥٣) سورة النجم

٤٦٥	وان الى ربك المنتهى	٤٢
-----	---------------------	----

(٥٤) سورة القمر

٤٦٠	فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر	٤٢
٣٦٧	ان المتقين في جنات ونهر	٥٤
٣٦٧	في مقعد صدق عند مليك مقتدر	٥٥

(٥٥) سورة الرحمن

١١١	الرحمن	١
١١١	علم القرآن	٢
١١١	خلق الانسان	٣
١١١	علمه البيان	٤
١٦١	هل جزاء الاحسان الا الاحسان	٦٠

(٥٦) سورة الواقعة

١٢١	فلولا ان كنتم غير مدينين	٨٦
١٢١	ترجعونها ان كنتم صادقين	٨٧

(٥٧) سورة الحديد

١٤٠	والله لا يحب كل مختال فخور	٢٣٤
٤٧	رأفة ورحمة	٢٧

(٥٨) سورة المجادلة

٢٧٤	كتب الله لأغلبن أنا ورسلي	٢١
-----	---------------------------	----

(٥٩) سورة الحشر		
٢٩٠	٢	فاعتبروا يا أولي الأبصار
(٦٠) سورة الممتحنة		
١٦٩	١	تسرون اليهم بالمودة
٢٠٢	٢	ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء
(٦٢) سورة الجمعة		
٤٧٠	١١	واذا رأوا تجارة أو هواً انفضوا اليها
(٦٣) سورة المنافقون		
٣٨٣	١٠	من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب
(٦٥) سورة الطلاق		
١٩٣	١١	خالدين فيها ابداً
(٦٦) سورة التحریم		
٣٨٢	٨	يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
(٦٧) سورة الملك		
٢٣	٥	وجعلناها رجوماً للشياطين
٣٣٠	١٥	فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه

(٦٨) سورة القلم

١٤٠	ولا تطع كل حلاف مهين	١٠
٤٠٢	خاشعة ابصارهم	٤٣

(٦٩) سورة الحاقة

٤٥٨	هاؤم اقرءوا كتابيه	١٩
٤٥٨	اني ظننت اني ملاق حسابه	٢٠
٤٥٨	فهو في عيشة راضية	٢١
٤٥٨	في جنة عاليه	٢٢

(٧٠) سورة المعارج

٤٠٢	خاشعة ابصارهم	٤٤
-----	---------------	----

(٧١) سورة نوح

٢٧٠	والله انبتكم من الأرض نباتاً	١٧
-----	------------------------------	----

(٧٢) سورة الجن

٢٤٩	وانه تعالى جد ربنا	٣
-----	--------------------	---

(٧٣) سورة المزمل

٢٧٠	وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله	٢٠
-----	--	----

(٧٤) سورة المدثر

٤٠٥	والليل إذا أدبر	٣٣
-----	-----------------	----

(٧٦) سورة الانسان

٤٣	انما نطعمنكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا	٩
٤٥١	ولا تطع منهم آثماً أو كفورا	٢٤

(٧٩) سورة النازعات

٤٧٤	فإن الجنة هي المأوى	٤١
-----	---------------------	----



(٨٣) سورة المطففين

١٣١	إذا اكतालوا على الناس يستوفون	٢
٣٨٤	كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون	١٤

(٨٥) سورة البروج

٢٧٨	انه هو يبدئ ويعيد	١٣
-----	-------------------	----

(٨٦) سورة الطارق

٢٠٦	فلينظر الانسان مم خلق	٥
٢٠٦	خلق من ماء دافق	٦
٢٠٦	يخرج من بين الصلب والثرائب	٧

	(٨٧) سورة الأعلى	
٨٥	سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى	١
	(٨٩) سورة الفجر	
٨٣	فَادْخُلِي فِي عِبَادِي	٢٩
	(٩١) سورة الشمس	
١١٣	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا	٧
	(٩٤) سورة الشرح	
٤٣٩	وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ	٢
٨٦	فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ	٧
	(٩٦) سورة العلق	
٣٥٤	إِن الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَغَافٍ	٦
٣٥٤	إِن رَّاهُ اسْتَغْنَىٰ	٧
٢١٥	فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ	١٧
	(٩٨) سورة البينة	
٢٢٨	لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ	١
	(٩٩) سورة الزلزلة	
١٦٩	بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا	٥
	(١١٣) سورة الفلق	
١٢٩	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ	١
	(١١٤) سورة الناس	
١٢٩	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ	١
١١٢ و ١١١	الَّذِي يَوْسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ	٥

فهرس الأحاديث

حرف الألف

الصفحة	القائل
١٨	الباقر(ع):
٥١	الصااق(ع):
٥١	الصااق(ع):
٤٥٠و٤٢٨	الصااق(ع):
٩٧	رسول الله(ص):
٣٣٣	في الحديث:
١٨٥	في الحديث:
١٠٦	في الحديث:
٢٣٩	النبي(ص):
٢٧١	النبي(ص):
٣١٨	الامام علي(ع):
٣٢٢	النبي(ص):
٢٥٨	الامام علي(ع):
٢٥	في الحديث:

- الصادق (ع): لعثمان بن عيسى (افترى الله عز وجل اخلف وعده ١٢٥
- الصادق (ع): (حول معنى الصمد) الذي ليس بمجوف ٣٠٠
- الصادق (ع): الله عز وجل يلتفت يوم القيامة الى فقراء... ٣٥٩
- النبي (ص): اللهم احيني مسكيناً... ٣٥٧
- الامام علي (ع): اللهم اغفر لي ما أنت اعلم به مني ٤٣٣
- المعصوم (ع): اللهم ان كثرة الذنوب تكف ايدينا... ٤٦٢
- النبي (ص): ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر... ٢٥٨
- الصادق والباقر (ع): ان آدم عليه السلام قال: يا رب سلطت... ١١٥
- الامام علي (ع): ان التوبة يجمعها ستة اشياء: على الماضي... ٣٨١
- في الحديث: ان الشيطان يجري من بني آدم... ١١٤
- الصادق (ع): ان العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب ارزقني... ٢٧٤
- الباقر (ع): ان العبد ليكون برأ بوالديه في حياتهما... ٤٢
- الصادق (ع): ان الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت... ٤١٩
- الصادق (ع): ان الله تعالى يبتلي المؤمن بكل بلية... ١١٣
- الصادق (ع): ان الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن... ٣٥٨
- الصادق (ع): ان الله خلق خلقاً ضنّ بهم عن البلاء... ١٣٦
- الباقر (ع): ان الله عز وجل أوحى الى داود عليه السلام... ٤٤٣
- الصادق (ع): ان الله عز وجل يقول: ان الذين يستكبرون... ١٢٥
- الصادق (ع): ان الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده ٩٧
- الامام علي (ع): ان الله يبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه ٣١٦
- الصادق (ع): ان الله يحب العبد المفتن التواب... ٤٤٦
- في الحديث: ان الله يحب من عباده المفتن التواب ٤٢٨
- النبي (ص): ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ٤٢٥

- ٤٢٧ عنهم (ع): ان المحكم ما يعمل به والمتشابه ...
- ٣٨١ الامام علي (ع): ان الندم على الشر يدعوا الى تركه
- ٥٣ النبي (ص): ان امرأة نادى ابنها وهو في صومعة ...
- ١٣٤ الامام علي (ع): (يصف المؤمن) ان بغى عليه صبر ...
- ١٦٢ في الحديث: ان جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله (ص) ...
- ٣٥٨ الصادق (ع): ان فقراء المؤمنين يتقبلون في رياض الجنة ...
- ٣٤٧ الصادق (ع): ان كان على يديه من غير فساد ...
- ١٩ أرضا (ع): ان لكل امام عهداً في عنق شيعته ...
- ١٣٥ في الحديث: ان الله تعالى ضنائن من خلقه ...
- ١٣٦ الصادق (ع): ان الله عز وجل ضنائن من خلقه يغذوهم ...
- ١٣٥ الباقر (ع): ان الله عز وجل ضنائن يضمن بهم ...
- ٣٤٧ الصادق (ع): ان له بكل درهم عشرة ...
- ١٤٢ في الخبر: ان من حق المسلم لأخيه ما يحب ...
- ٣٥٧ السجاد (ع): اني اجالس من انتفع بمجالسته في ديني
- ٥١ حديث قدسي: ((لموسى (ع)) أوصيك بأمر ...
- ٥٦٥ النبي (ص): اولئك قوم عجلت طيباتهم وهي ...
- ٣٤٥ الامام علي (ع): اياكم والدّين فانه مذلة ...

حرف الباء

- ٣٤٥ الصادق (ع): اذا ذكر رسول الله (ص) بأبي وأمي ...

حرف التاء

- ١٧ النبي (ص): تابعوا بين الحج والعمرة ...
- ٣٤٥ الصادق (ع): تعوذوا من غلبة الدين ...
- ٣٩٦ النبي (ص): تفكروا في الاء الله ...

حرف الثاء

١٥٨ في الخبر: ثلاثة لا يحل منعها: الماء والنار والملح

حرف الجيم

١٥١ الجار الى اربعين داراً: النبي (ص):

حرف الحاء

١٧ الحاج والمعتمر وقد الله... الصادق (ع):

١٧ الحجة ثوابها الجنة... النبي (ص):

١٥١ حد الجوار اربعون داراً... الباقر (ع):

٤٧٨ حسنات الابرار سيئات المقربين... في الحديث:

٢٩٧ حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم... في الحديث:

٣٥٧ الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني... النبي (ص):

حرف الخاء

١٠١ خلقت الخير وأجرته على يدي... حديث قدسي:

٢٢٤ خير سبيكم النوبة... النبي (ص):

حرف الدال

١٢٥ الدعاء هو العبادة التي قال الله... الصادق (ع):

٣٤٥ الدين ربقة الله في الأرض... النبي (ص):

حرف الراء

١٣١	ربح المؤمن على المؤمن ربا ...	الصادق (ع):
٢٥٨	الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب ...	الصادق (ع):
٩٧	رحم الله والدين أعاناً ولدهما على برهما	النبي (ص):
٣٣٣	الرزق: المطر ينزل من السماء ...	الصادق (ع):
٢٥٨	الرياء أخفى من ديب النملة ...	النبي (ص):

حرف السين

١٣٣	(لرجل) سألت قوت النبيين، قل ...	الباقر (ع):
٥٥	(عن حق المسلم) سبع حقوق واجبات ...	الصادق (ع):
٥٥	(عن حق المسلم) سبعون حقاً	الصادق (ع):
٢٩٨	السيد المصمود اليه في القليل والكثير	الباقر (ع):

حرف الصاد

٢٧١	صلة الأرحام تزكي الأعمال ...	الباقر (ع):
٢٩٨	الصمد الذي لا جوف له ...	الحسين (ع):
٣٠٠	الصمد الذي لا جوف له	ابو الحسن (ع):
٢٩٩	الصمد الذي لا شريك له ...	السجاد (ع):
٢٩٩	الصمد الذي لا من شيء ...	السجاد (ع):
٢٩٨	الصمد السيد المطاع الذي ...	الباقر (ع):

حرف الطاء

٣٥٩	طوى للمساكين بالصبر ...	النبي (ص):
-----	-------------------------	------------

حرف الضاد

- الصادق (ع): ضمان الحاج والمعتمر على الله ... ١٧

حرف العين

- النبي (ص): عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ... ٣١٧
 الباقر (ع): علامات المؤمن ثلاث ... ٣٤٩
 النبي (ص): (وقد حمل ميتاً الى المسجد) على ميتكم دين ... ٣٤٥

حرف الفاء

- الامام علي (ع): فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين ... ٣١٤
 الامام علي (ع): الفقراء زين للمؤمن من العذار ... ٣٥٨
 الصادق (ع): الفقير الذي لا يسأل الناس ... ٣٥٨
 الصادق (ع): في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى ... ٣٥٨

حرف القاف

- الصادق (ع): قد عرفت حال محمد وانقطاعه إلينا وقد ... ٤٣٨

حرف الكاف

- المعصوم (ع): الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله ... ٣٤٦
 الصادق (ع): كان أبي يقول: خمس دعوات لا يحجب عن ... ٩٧
 الصادق (ع): كان علي عليه السلام يحبس الرجل اذا ... ٣٤٧
 الباقر (ع): كان محمد بن الحنفية يقول: الصمد القائم ... ٢٩٩
 الباقر (ع): كانت على الملائكة العمام البيضاء ... ٢٣٦

١٥١	كل أربعين دار جيران ...	النبي (ص):
٣٤٥	كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله ...	الباقر (ع):
٣٤٩	الكمال كل الكمال في ثلاثة ...	الصادق (ع):
٣٤٩	(لمولى له) كم عندنا من طعام ...	الصادق (ع):
١٩	(عمن زار رسول الله (ص)) كمن زار الله ...	الصادق (ع):
١٦٠	(لرجل) كيف من خلفت من اخوانك ...	الصادق (ع):

حرف اللام

٣٨٨	لا أخصي ثناءً عليك ...	النبي (ص):
١٨٤	لا، إلا أن يخاف على ذراري المسلمين ...	الرضا (ع):
١٩	لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة ...	الامام علي (ع):
٣٥٢	لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال ...	الصادق (ع):
٥٤	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	المعصوم (ع):
٦٥	لا فانها كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك ...	النبي (ص):
٣٤٩	لا مال لمن لا تقدير له	المعصوم (ع):
٣٤٥	لا وجمع الا وجمع العين ...	النبي (ص):
٢٧٥	لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى على محمد وآله	في الخبر:
٥٥	للمؤمن على المؤمن سبع حقوق واجبة ...	النبي (ص):
١٦	لما أفاض آدم من منى تلقته ...	الصادق (ع):
٤٣٣	لم أر شيئاً أحسن طلباً ...	النبي (ص):
٤٥٢	لمة الشيطان تكذيب بالحق ...	النبي (ص):
٦٥	لم تكن سيئة الخلق حين حملتك ...	النبي (ص):
٥٣	لو كان جريح فقيهاً لعلم ان اجابة امه ...	النبي (ص):
٣٥٩	لولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة	في الحديث:

١٦٧	ليس حيث يذهبون انما عني عورة المؤمن ...	الصادق (ع):
٣٨٩	ليس لصفته حد محدود ...	الامام علي (ع):
٣٥٢	ليس هذا طلب الدنيا ...	الصادق (ع):
٢٢٣	ليلة أسري بي الى السماء رأيت ...	النبي (ص):

حرف الميم

٥٥	ما أعظم حق المسلم على اخيه المسلم	الصادق (ع):
٣٥٦	ما أنا بطارد المؤمنين ...	النبي (ص):
٣٦٨	ما كنت تصنع بسعة هذه الدار ...	الامام علي (ع):
٣٨٤	ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة ...	الباقر (ع):
٣٦٤	ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة ...	النبي (ص):
٣٨٤	ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء ...	الباقر (ع):
٢٨٨	ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني ...	حديث قدسي:
٢٤	ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه ...	النبي (ص):
١٤٢	ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات ...	النبي (ص):
١٦٧	ما هو ان ينكشف فيرى منه شيء وانما ...	الصادق (ع):
٤٢	ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه ...	الصادق (ع):
٣٥٨	المصائب منح من الله ...	الصادق (ع):
١٨	من أتى مكة حاجاً او معتمراً ولم يزرنني ...	النبي (ص):
١٧	من أتى مكة حاجاً ولم يزرنني ...	النبي (ص):
٣٦٧	من آتاه الله مالا فليصل به القرابة ...	الامام علي (ع):
٣٤٦	من استدان ديناً فلم ينوقضاه ...	الصادق (ع):
٢٧١	من أغاث أخاه المؤمن اللهفان ...	الصادق (ع):
١٢٩	من انقطع الى الله كفاه كل مؤونة ...	النبي (ص):

٣٤٦	من بات كالأ في طلب الحلال غفرله	المعصوم (ع):
١٧	من حج ولم يزدني فقد جفاني	النبي (ص):
٢٠٠	من شرما أعطي الرجل شح هالع ...	في الحديث:
٢٧٥	من طلب الشهادة بصدق بلغه الله ...	النبي (ص):
٢٧٥	من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ...	النبي (ص):
٣٤٦	من طلب هذا الرزق من حل ليعود ...	الرضا (ع):
٣٤٦	من كان عليه دين ينوي قضاءه ...	الصادق (ع):

حرف النون

٤٧١	الندم توبة	في الحديث:
٤٢	نعم، الصلاة عليها والاستغفار لها	النبي (ص):
٣٥٢	نعم العون الدنيا على الآخرة	الصادق (ع):
٣٦٨	نعم العون الدنيا على طلب الآخرة	الباقر والصادق (ع):
٣٦٨	نعم العون على تقوى الله الغنى	النبي (ص):
٢٢	نور يقذفه الله في قلب المؤمن	النبي (ص):

حرف الهاء

١٧٠	هؤلاء أهل بيتي وحاشق اذهب عنهم الرجس	النبي (ص):
٣٣٨	هل سمي عالماً وقادراً إلا لأنه وهب ...	الباقر (ع):
٥٢	هل من والديك أحد؟ قال: نعم كلاهما ...	النبي (ص):
١٦٠	هل يعطف الغني على الفقير	الباقر (ع):
٣٣٣	هو أخبار القيامة والرجعة ...	الصادق (ع):
٨٦	هو الدعاء في دبر الصلاة وأنت جالس ...	الصادق (ع):
٢٩٩	هو الذي يغلب ولا يغلب	الصادق (ع):

الصادق (ع): هو القرض تقرضه، والمعروف تصنعه ١٥٨

حرف الواو

- ٢٩٤ الامام علي (ع): واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد
 ١٦١ الصادق (ع): واذا علمت ان له حاجة ...
 ٩٧ الصادق (ع): والديك، قال: قدمضيا، قال: برولذك
 ٢٧٥ الامام علي (ع): والله لقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم ...
 ٣٩٥ الامام علي (ع): وان العالم العامل بغير علمه ...
 ٣١٤ الامام علي (ع): وايم الله يمينا استثنى فيها بمشيئة الله ...
 ٢٨٨ حديث قدسي: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي لأقطعن ...
 ٣١٥ الامام علي (ع): ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف ...

مركز تحقيق كتب ميرزا محمد باقر

حرف الياء

- ١٨ الحسين (ع): (لرسول الله (ص)) يا أبتا ما لمن زارك ...
 ٣٥٧ حديث قدسي: يا أحمد ان المحبة لله هي المحبة للفقراء ...
 ٢٩٤ الامام علي (ع): يا أعرابي ان القول بأن الله واحد ...
 ٣٥٠ الصادق (ع): يا داود لا يصلح المرء المسلم ألا ثلاثة ...
 ٢٣٦ النبي (ص): (يوم بدر) يا رب ان تهلك هذه العصاة ...
 ٤٥ النبي (ص): يا علي أنا وانت ابوا هذه الامة
 ٣٥٩ النبي (ص): يا معشر المساكين طيبوا أنفساً
 ١٤٢ في الحديث: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب ...
 ٧١ النبي (ص): يلزم الوالدين من العقوق لولدهما